

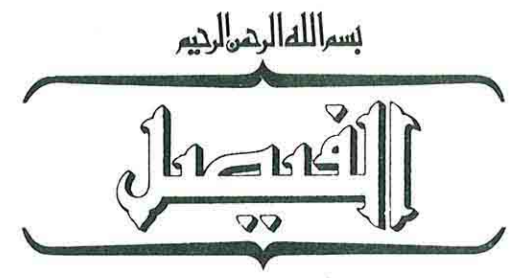
مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 32 JANUARY 1980.

العدد (٣٢) ـ صفر ١٤٠٠ هـ/يناير ١٩٨٠ م (السنة الثالثة)

بسم الله الرحمن الرحيم



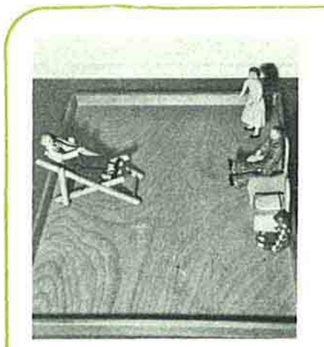
مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير
علوي طه الصافي

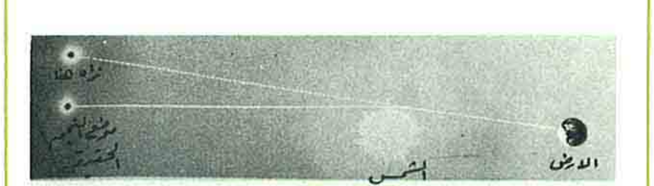
العدد (٣٢) صفر ١٤٠٠هـ / يناير ١٩٨٠م

هذا العدد

من كتاب هذا العدد ٤
الحركة الثقافية في شهر ٥
مشكلات التعريب في الوطن العربي .... د. علي القاسمي ١٥
مجالات الجامعة المفتوحة (الأثيرية) .... د. يوسف مصطفى القاضي ٢١
الأدب وعلاقات الأخوة بين العرب والفرس .... روكس بن زائد العزيزي ٢٥
أسد الله غالب.. شاعر الهند الكبير .... صلاح عبد الصبور ٢٩
نحو علم نفس إسلامي .... د. حسن محمد الشرقاوي ٣٢
رباعيات.. (قصيدة) .... رياض معلوف ٣٤
إيبلا.. المملكة التي عادت إلى الوجود (مدينة وتاريخ). د. عمر الدقاق ٣٥
عيد في فلسطين.. (قصيدة) .... عدنان النحوي ٤٨
العلاقة بين الإبداع والنقد.. (لقاء مع) .... أجرى الحوار راضي حكيم ٥١
البشري.. في مراياه .... ظافر القاسمي ٥٥
دفاع عن أدب سنة ١٩٧٩م .... د. عبد الفتاح الديدي ٦٠
خط السياقت التركي (رحلة مع الخط العربي) ٦٤
القيادة في الإدارة الإسلامية .... د. نواف كنعان ٦٧
فن تيمور.. في نظر الأنصار والخصوم .... د. بدوي طبانة ٧١
قالوا.. (عن الدبلوماسية) ٧٥
الشعر العربي في الميزان (ندوة الشهر) .... إعداد: د. يوسف نوفل وخليل الفزيع ٧٦
كتابات بين التاريخ (رحلة في كتاب) .... عرض وتحليل جمال بدران ٨٣
ألعاب التركيب والتشخيص النفسي للأطفال (موضوع خاص) هشام أبو عودة ٩١
الأساليب التقنية في علم الآثار .... ترجمة د. أحمد عبد القادر المهندس ١٠١
نقل التكنولوجيا بين الأحلام والواقع .... د. محمد نبهان سويلم ١٠٧
محمد حسين هيكل.. (مطالعات في الكتب) .... فاروق صالح باسلامة ١١٠
أوراق متناثرة ١١٢
سباق الهجن (لوحة وفنان) .... عبد الله أحمد المحرقي ١١٤
الكون المتمدد وحدوده .... د. عبد الرحيم بدر ١١٦
الحقيبة الدبلوماسية .... عيسى حسن الجرارة ١٢٣
الخط الحديدي الحجازي.. ماضيه.. حاضره.. مستقبله. وجيه الخيمي ١٢٦
بائع الفاكهة.. (قصة) للشاعر الهندي رابندرانات طاغور ترجمة أليس مرجان ١٣٩
زهرة من برشلونة.. (قصة) .... فهد العريفي ١٤٤
مشكل إعراب القرآن (من كتب التراث) .... عرض وتقديم حسان الكاتب ١٤٧
دائرة معارف (المغنون العرب) ١٥٢
مناقشات وتعليقات ١٥٦
ردود قصيرة ١٥٨
مسابقة مجلة الفيصل ١٥٩



★ إن الاستجابات النفسية والعاطفية للطفل ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالوسط الاجتماعي المباشر الذي يعيش فيه، ويجب ملاحظة هذه الاستجابات على أنها نتيجة لعزلة الطفل، فالدور الذي يفرضه الآباء على أبنائهم قد يأتي بنتائج عكسية. طالع ص (٩١) ★



★ هذا الكون الواسع جداً يقطعه الضوء ـ الذي يسير بسرعة ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر في الثانية ـ في عشرة آلاف مليون سنة من الزمن من الطرف إلى الطرف الآخر، في حدود المدى الذي يستطيع أن يراه مرقب جبل بالومار الأمريكي. لكي تستطيع أن تعرف عن ذلك شيئاً طالع ص (١١٦) ★



★ يمكن استخدام علمي الحيوان والنبات لمعرفة البيئة التي عاش فيها أسلافنا. لكن طرق الحفر والتنقيب عن الآثار قد أصبحت أكثر فعالية وسرعة باستخدام الطرق العلمية الحديثة. طالع ص (١٠١) ★



د. علي القاسمي

● من مواليد العراق .
● دكتوراه في علم اللغة التطبيقي .
● عمل في حقل التعليم في جامعات بغداد ، والرباط ، والرياض ، وتكساس .
● له عدة مؤلفات مطبوعة بالعربية والإنجليزية .
● يكتب القصة القصيرة ، والشعر الحر .
● شارك في عدة مؤتمرات عربية ودولية .
● حاز على بعض الأوسمة والجوائز .
● يعمل حالياً خبيراً للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط ــ المغرب .





د. عمر الدقاق

● من مواليد حلب ــ سورية ١٩٢٧ م .
● دكتوراه في الأدب ــ جامعة عين شمس .
● قام بعدة أعمال قبل حصوله على الدكتوراه ، ثم عين بعدها مدرساً للأدب العربي ، فوكيلاً لكلية آداب جامعة حلب .
● يعمل حالياً عميداً لكلية آداب جامعة حلب .
● عمل رئيساً لفرع اتحاد الكتّاب العرب في حلب ، وعضواً في مجلس الاتحاد .
● كما انتخب نائباً لرئيس جمعية « العاديات » الأثرية في حلب .
● عضو في عدد من الرابطات ، والجمعيات ، والمجالس في بلاده ، كما اشترك في عدد من المؤتمرات .
● له من الأعمال المنشورة ١٣ مؤلفاً ، وله عدد من المقالات والدراسات التي نشرتها المجلات العربية .

د. يوسف مصطفى القاضي

● من مواليد عام ١٩٢٧ م ــ ترشيحا ــ الأردن .
● دكتوراه في التربية ــ مناهج وطرق ــ جامعة متشغن في أميريكا .
● عمل في أميريكا مستشاراً تربوياً لمشروع « وليمس » التربوي .
● كما عمل عضواً في هيئة تدريس كلية التربية ــ جامعة الرياض ، وأميناً عاماً لقسم التربية وعلم النفس في الكلية نفسها .
● وعمل في منظمة اليونسكو للإشراف على إنشاء كلية للتربية في البحرين ، ومديراً مشاركاً لمشروع إعداد وتدريب مديري المدرسة الثانوية في مدارس المملكة العربية السعودية .
● عضو اتحاد متخصصي المناهج في الولايات المتحدة الأميريكية .
● يعمل حالياً في كلية العلوم الاجتماعية ــ جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بالرياض .
● له بعض المؤلفات المطبوعة ، وأخرى مخطوطة ، إلى جانب بعض المحاضرات .

روكس بن زائد العزيزي

● من مواليد (مادبا) من أعمال الأردن عام ١٩٠٣ م .
● دبلوم في الصحافة .
● عمل مدرساً للأدب العربي في الأردن وفلسطين أكثر من نصف قرن .
● عضو مراسل لمركز الأبحاث الاثنولوجية في باريس ، إلى جانب عضويته في مجمع اللغة العربية الأردني ، ونادي جدة الأدبي (عضو شرف) ، وكان رئيساً لرابطة الكتّاب الأردنيين .
● ممثل الرابطة الدولية لحقوق الإنسان في الأردن .
● له ٣٧ كتاباً مطبوعاً .



د. نواف كنعان

● من مواليد أربد في الأردن عام ١٩٤١ م .
● دكتوراه حقوق ــ جامعة القاهرة .
● عمل مدرس مساعد في كلية التجارة ــ جامعة الرياض .
● يعمل حالياً مستشاراً قانونياً في وزارة الإعلام ــ الرياض .

** من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق **

في الوطن العربي

- ندوة للعمارة الإسلامية في المملكة .
- وفاة الشاعر الملحمي بولس سلامة في لبنان .
- مناقشة قضية الحفاظ على التراث الإسلامي .
- مؤتمر للرواية العربية الجديدة في المغرب .
- تنسيق معجم لتعريب المصطلحات الرياضية في الوطن العربي .
- ندوة عن اللغة العربية في الكويت .

في العالم

- قرية بكاملها تعتنق الإسلام في بريطانيا .
- ترجمة جديدة للقرآن الكريم تصدر في باريس .
- فوز شاعر مكسيكي بجائزة الصقر الذهبي .
- منح جائزة (نوبل) في الفيزياء لعالم باكستاني .
- مكتبة يابانية تنظم مسابقة لأطول فترة زمنية في القراءة .







★ د. محمد عبده يماني ★ ★ عبد العزيز الرفاعي ★ ★ محمد عمر توفيق ★

فرع دار ثقيف بالرياض

قررت **دار ثقيف للنشر والتأليف** افتتاح فرع لها بالرياض ، ومن المعروف أن مقر هذه الدار الرئيسي هو مدينة (**الطائف**) ، وقد أسسها الأديب الأستاذ **عبد العزيز الرفاعي** صاحب سلسلة « **المكتبة الصغيرة** » ، وقد اختارت هذه الدار (شارع جرير بمنطقة الملز) ليكون مقراً لها . ويقوم بإدارتها الأستاذ **عبد الرحمن المعمر** .

مسابقة للفنون التشكيلية

أقام **المكتب الرئيسي لرعاية الشباب بالمنطقة الوسطى** مسابقة عامة للفنون التشكيلية للشباب تحت سن ١٨ سنة على أرض **حديقة الملز العامة (بالرياض)** وزعت في نهايتها الجوائز والكؤوس للأندية والشباب الفائزين ، وقد حضرها عدد من رجال الصحافة والمهتمين بالفنون التشكيلية والمسؤولين في الأندية .

دليل رعاية الشباب

أصدرت **الرئاسة العامة لرعاية الشباب** (الشؤون الثقافية) دليلاً عن العمل الثقافي بالأندية الرياضية في كتاب يضم (١٣٣) صفحة مشتملاً على ستة أبواب تتحدث عن منجزات **الشؤون الثقافية** ودور اللجان وعن المسابقات والفنون المسرحية ، والتشكيلية والهوايات العلمية .

إحصائية الحجاج لعام ٩٩ هـ

أصدرت **وكالة وزارة الداخلية للجوازات والأحوال المدنية** كتاباً إحصائياً عن حجاج عام (١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م) ، مقارنة بأعداد الحجاج القادمين للسنوات الخمس الماضية ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ١٣٩٨ هـ ، وقد زوّد هذا الكتاب بخرائط توضح خط سير حجاج البر وكذا المطارات التي ينزل فيها الحجاج . صدر هذا الكتاب باللغتين العربية والإنجليزية .

أيام في أسمراء

ستقوم « **تهامة** » للدعاية والإعلان والنشر ، بنشر كتاب « أيام في أسمراء » ، يتضمن مقالات معالي الشيخ محمد عمر توفيق ، وزير المواصلات سابقاً والكاتب المعروف ، التي نشرها تباعاً في جريدة « البلاد » السعودية .

ندوة العمارة الإسلامية والتخطيط

في الفترة من ١٨ ـ ٢٣ صفر عام ١٤٠٠ هـ ، الموافق ٥ ـ ١٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٠ م ، تعقد ندوة عالمية عن « **العمارة الإسلامية والتخطيط** » وذلك **بجامعة الملك فيصل بالدمام** ، وقد دعي لها (٢٠٠) من العلماء والممارسين لهذه المهنة من مختلف أنحاء العالم . ومما هو جدير ذكره بأن لغة هذه الندوة ستكون (اللغة العربية والإنجليزية) وسبق أن أشارت هذه المجلة في عدد سابق إلى هذه الندوة .

مسابقة صحفية

قررت **إدارة التعليم بمنطقة الرياض** اجراء **مسابقة صحفية** بين مدارسها وبمختلف المستويات ، وقد خصّصت جوائز قيمة لهذا الغرض وذلك للفائزين بالمراكز الأولى من كل مرحلة .

نادي الطائف والاستفتاء

أرسل **نادي الطائف الأدبي** بطاقة استفتاء تشتمل على عدد من الأسئلة موجهة إلى كل من له اهتمام بنشاط النادي ، وذلك لمعرفة الآراء البناءة التي تهدف إلى تعزيز مسار النادي ومنحه دفعة جديدة للتوصل إلى تحقيق أهدافه التي أسس من أجلها .

كتب جديدة

● « **يحيى بن معين وكتابة التاريخ** » ، دراسة وترتيب وتحقيق **الدكتور أحمد محمد نور سيف** ، ج ١ ، ج ٢ ، صدرا ضمن **سلسلة مطبوعات من التراث الإسلامي** التي تصدر عن **مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة** .

● صدر عن نادي الطائف الأدبي الكتب التالية :

★ « **أغنية الشمس** » ، ديوان شعري للشاعر **إبراهيم الزيد** .



★ محمود عارف ★ ★ د. زاهر الألمعي ★

★ «**في موكب الأمثال**» ، ديوان شعري للشاعر **علي غماسة** .

★ «**ترانيم الصباح**» ، ديوان للشاعر **عبد السلام هاشم حافظ** .

★ «**علم العروض**» ، تأليف **الدكتور عبد الهادي الفضيلي** .

★ «**أحيحة بن الجلاح الأوسي**» ، إعداد **الدكتور حسن باجودة** .

★ «**السحوق**» ، مجموعة قصصية للقاص **محمد حمد الصويغ** .

★ «**الموسوعة الأدبية**» ، الجزء الثالث ، إعداد **عبد السلام الساسي** .

● «**فيصل وأمانة التاريخ**» ، صدر عن **نادي مكة الثقافي** باللغة الإنجليزية ، إعداد قسم الترجمة بالنادي ، تأليف الأستاذ **حامد مطاوع** .

● «**امرأة تعبر تفكيري**» ، مجموعة قصصية تأليف **سليمان الحماد** ، صدرت ضمن سلسلة كتاب الشهر الصادرة عن **نادي الرياض الأدبي** .

● «**الظمأ**» ، مجموعة قصصية للقاص السعودي الأديب **عبد الله جفري** ، صدرت عن **جمعية الثقافة والفنون بالغربية** .

● «**نداء السحر**» ، ديوان شعري للشاعر **محمود سليمان الشبل** ، صدر عن **نادي الرياض الأدبي** .

● «**اليد السفلى**» ، مجموعة قصصية تأليف **الدكتور محمد عبده يماني** وزير الإعلام .

● «**أحزان عشبة برية**» ، مجموعة قصصية تأليف **جار الله الحميد** ، صدرت عن دار الوطن بالرياض .

● «**في عيون الليل**» ، ديوان للشاعر **محمود عارف** ، صدر ضمن سلسلة المكتبة الشعرية ، لصاحبها الأستاذ عبد العزيز الرفاعي .

● «**مناهج الجدل في القرآن الكريم**» ، تأليف **الدكتور زاهر عواض الألمعي** ، صدر عن **مطابع الفرزدق بالرياض** .

كلمة

في الوقت الذي كان العالم الإسلامي يستقبل أول يوم من أيام السنة الهجرية الجديدة ، إذا بجماعة صغيرة من الخوارج تقتحم أول بيت وضعه الله للناس في أرض مباركة ، هو بيت الله الحرام ، لتبعث الرعب في قلوب المسلمين الآمنين ، وتقتل نفوساً بريئة ، وتسيطر على الحرم بواسطة القوة ، لا هدف لها إلا الخيالات المريضة ، والأوهام المدعومة بالعقد النفسية .

وكانت صورة رائعة حين هب العالم الإسلامي على اختلاف أقطاره وجنسياته ، وألوانه مستنكراً وشاجباً بشدة عمل هذه الفئة الخارجة عن الإسلام ، والمعتدية على أمن البيت المقدس وحرمته .

وكان الصدى كبيراً في مختلف ديار المعمورة ، حيث شغل العالم بهذه الفعلة الشنيعة .

والصورة والصدى يعكسان أثر البيت العتيق في نفوس ملايين المسلمين ، وتأثير أرض هذا البيت ، وحكامه الساهرين على سلامته وأمنه ، والحفاظ على حرمته لدى شعوب الأرض .

إن الادعاء والأدعياء ظاهرة سجلها التاريخ الإسلامي ، فذهبت بذهاب مسيلمة ، وسجاح .. وبقي دين الإسلام خالداً صامداً في صفائه ونقائه كما جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين محمد عليه الصلاة والسلام .. بقي لهداية البشرية ، وخيرها ، فلا صنمية ، ولا وثنية ، ولا شرك .

لقد فشل الخارجون ، كما فشل أبرهة ، والقرامطة وغيرهم على امتداد التاريخ ، وظل بيت الله مثابة للناس وأمناً ، أقوى من كل الأحداث ، وفوق كل الأحداث ، لأن للبيت رباً يحميه .

وسوف يبقى بيت الله الحرام ، وغيره من بيوت الله أماكن للطهر والعبادة ، والقداسة ، والأمن ، والسكينة .

لقد كشف هؤلاء الخوارج الجدد عن أنفسهم ليلقوا جزاءهم في الدنيا وفق الشريعة الإسلامية ، وفي الآخرة ينتظرهم العقاب الشديد . وهذا مصير كل من تسول له نفسه العبث بأمن المسلمين ، والمساس بحرمة وأمن البيت العتيق ، وأي بيت من بيوت الله .

كما سيظل الأمن في المملكة العربية السعودية أرض القداسات مضرب الأمثال إلى أن تقوم الساعة .. وما ذلك على الله بعزيز .

المجلة

لبنان

وفاة الشاعر بولس سلامة

توفي بعد معاناة طويلة مع المرض الشاعر الملحمي اللبناني **(بولس سلامة)** الذي مكث طويلاً على السرير مما جعله يكتب الشعر والنثر وهو طريح الفراش . . ولد هذا الشاعر عام ١٩٠٢م ، بقرية «بتدين اللقش» قرب جزين في لبنان ، وتلقى دروسه في مدرستي الفرير والحكمة ، كما التحق بالجامعة اليسوعية ونال شهادة الحقوق منها عام ١٩٢٦ م .

تولى القضاء من عام ١٩٢٨ إلى عام ١٩٤٤م ، في طرابلس ومرجعيون وحاصبيا وزحلة . له مؤلفات في الشعر والنثر ، وقد اشتهر بملاحمه الشعرية ، فله ملحمة نظمها عام ١٩٤٨ م ، تقع في ثلاثة آلاف بيت أسماها **(عيد الغدير)** التي استوحى فيها حياة الإمام علي رضي الله عنه ، وملحمته الثانية «**عيد الرياض**» ، وتقع في ثمانية آلاف بيت كان الباعث له على تأليفها **سيرة الملك عبد العزيز آل سعود** تغمده الله بواسع رحمته .

أما نثره فلا يقل جودة عن الشعر وله فيه عدة كتب منها : «**الصراع في الوجود**» ، «**حديث العشية**» ، «**في ذلك الزمان**» ، «**خبز وملح**» و «**مذكرات جريح**» .

تونس

كتب جديدة

● «**رحلة القلصادي**» ، تحقيق **محمد أبي الأجفان** ، صدر عن **الشركة التونسية للتوزيع** .

● «**العمران البشري في مقدمة ابن خلدون**» ، تأليف **الدكتورة سفيتلانا باتسييفا** ، ترجمة **رضوان إبراهيم** ، صدر عن **الدار العربية للكتاب** .



● **الكتاب : قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن**
● **المؤلف : نديم الجسر**

هذا كتاب من الكتب القليلة التي تظهر بين الحين والحين ، فتفرض نفسها على حركة الفكر ، بحيث تبقى بصماتها أمداً طويلاً .

وقد اختار الكاتب «**الحوار القصصي**» إطاراً لمعالجة قضايا الفكر العميقة ، أو هكذا ألقى إليه الكتاب كما يقول ، فجاء الكتاب سفراً مشوقاً ، يشبه تلك التحفة النادرة التي كتبها **(ول ديورانت)** ، وأسماها «**مناهج الفلسفة**» .

وتبدأ القصة ، من حيث يخيل لبعض العقول أن هناك صراعاً بين **العلم والدين الصحيح** ، فترفض معالجة خلجات العقل البشري بالإقناع الحكيم ، وهكذا وقع **(حيران بن الأضعف المائي البنجابي)** ــ بطل القصة ــ في صراع **الشك** ، وبدأ رحلته في **البحث عن الحقيقة** ، يقودُه عالمٌ مؤمن فقيهٌ بالقرآن هو الشيخ **(أبو النور الموزون السمرقندي) ... !!**

وهي رحلة ــ بحق ــ طويلة وعميقة استغرقت تفاصيلها في دروب **العلم والفلسفة والدين** (٤٥٠) صفحة من القطع الكبير .

بدأت الرحلة من **(مبحث الوجود)** و**(مبحث المعرفة)** ، لأنهما الميدانان اللذان انطلق العقل منهما يبحث عن الله . وهكذا كانت مسيرة **الفلاسفة اليونانيين** الذين وإن تخبطوا في إقدار الله حق قدره ، إلا أنهم ــ على العموم ــ مثلوا أول مرحلة (فكرية) جادة في مسيرة تعرف العقل البشري ــ بالعقل نفسه ــ على الخالق العظيم . **فطاليس ، وانكسمينس ، وانكسيمندر ، وفيثاغور ، وبارمنيدس ، وهرقليط ، وديموقريطس ، وسقراط ، وأفلاطون ، وأرسطو . . .** هؤلاء جميعاً ــ وغيرهم ــ كانوا ــ على الرغم من كثير من السذاجات التي انحدروا إليها ــ المقدمة البارزة في رحلة تسليم العقل بالخالق المتعال .

فلما جاء مفكرو الإسلام جمعوا إلى إيمان **الوحي** الصادق ، إيمان **العقل** السليم ، فتخلصوا من تلك السذاجات التي شابت مرحلة **البحث العقلي** ــ دون عون الوحي ــ عن الله سبحانه وتعالى ، وهكذا كان **الرازي والفارابي وابن سينا وابن مسكويه وابن طفيل** من أعظم المؤمنين بالله ــ كما يقول المؤلف ــ وقد أثبتوا أن «**نتاج الفكر الصحيح لا**

● «سيكولوجية القصة في القرآن»، تأليف الدكتور التهامي نصرة، صدر عن الشركة التونسية للتوزيع.

● «ابن هانئ الأندلسي»، تأليف أبي القاسم محمد كرو، صدر عن الدار العربية للكتاب في تونس وليبيا، وذلك ضمن سلسلة «من الدراسات الأدبية القصيرة عن أعلامنا في شمال إفريقيا».


العراق

كتب جديدة

★ «حدّق بوجه من تحب»، ديوان للشاعر صاحب خليل إبراهيم.

★ «ما هو المايكروفيلم»، تأليف صبيح الحافظ، ضمن السلسلة العلمية.

★ «سماء جنوبية»، ديوان للشاعر عيسى حسن الياسري.

★ «مرايا الأسئلة»، ديوان للشاعر رعد عبد القادر.

★ «ساعات بين التراث والمعاصرة»، تأليف عبد الجبار داود البصري، صدر ضمن سلسلة دراسات.

يتنافى أبداً مع الدين الحق في إثبات وجود الله ووحدانيته»، ولم يستطع المفكرون المحدثون أن يغيروا من هذه الحقيقة شيئاً، بل إن أكثرهم عمقوها ووصلوا بها إلى أن تصبح حقيقة بديهية، على الرغم من محاولات بعض المنحرفين من أنصار المذهب المادي، وأشهرهم «أرنست هيكل» الألماني صاحب نظرية «التولد الذاتي»!!

إن تعبير ديكارت القريب التناول: «إنني موجود فمن أوجدني ومن خلقني؟ إنني لم أخلق نفسي فلا بد لي من خالق» ليس أكثر من ترجمة ذكية للتعبير القرآني: ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾.

وبالتالي، فإن «المرحلة القرآنية» كانت فيصلاً كبيراً رشح الفكر البشري بعدها بتأثيرات الوحي الصادق، وحسمت - بالتالي - القضية لصالح الإيمان.

لقد سقطت نظرية المصادفة، وسقطت نظرية الانبعاث الذاتي، وسقطت بقية نظريات الفكر المادي، وثبتت قواعد الإيمان، ليس عن طريق (نفي) النظريات المتداعية فحسب، بل عن طريق (إثبات) أحقية الدين: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾... وقد استطاع المؤلف أن يضع عشرات الآيات القرآنية في مكانها الاستدلالي المناسب، فجاءت كأنها المصابيح المتألقة وسط أمواج الفكر البشري المتلاطمة.

د. عبد الحليم عويس
الرياض


★ بولس سلامة ★

سورية

كتب جديدة

● «قلعة دمشق - تاريخها، آثارها، فنونها المعمارية»، تأليف الدكتور عبد القادر الريحاوي، صدر عن وزارة الدفاع السورية.

● «ليلى بلا عشاق»، ديوان للشاعر شوقي بغدادي، صدر عن دار الكلمة.

● «الركض في الأزمنة المنهوبة»، مجموعة قصصية تأليف خليل جاسم الحميدي، صدرت عن دار الشبيبة للطباعة.

● كما صدر عن اتحاد الكتّاب العرب الكتب التالية:

★ «الخضر ومدينة الحجر»، ديوان للشاعر نذير العظمة.

★ «القرار»، مجموعة قصص تأليف الكاتب الجزائري الحبيب السائح.

★ «التخوم»، مجموعة للشاعر زهير غانم.

★ «رباعيات الموت والجنون»، مجموعة قصصية تأليف محمود موعد.

● «معروف الرصافي - دراسة أدبية، نفسية، اجتماعية»، تأليف الدكتور إبراهيم الكيلاني، صدر عن اتحاد الكتّاب العرب.

الكويت

ندوة عن اللغة العربية

عقدت في الكويت ندوة خاصة بمشكلات اللغة العربية على مستوى الجامعة في الخليج والجزيرة العربية، وقد شارك في هذه الندوة عدد من ممثلي الجامعات في العالم العربي.

كتب جديدة *

● «كتابات على بوابة الحزن»، ديوان للشاعر **مازن شديد** .

● «**العرب والتربية والحضارة ـ دراسة في الفكر التربوي المقارن**»، تأليف **الدكتور محمد جواد رضا** ، صدر عن **مكتبة المنهل بالكويت** .

البحرين :

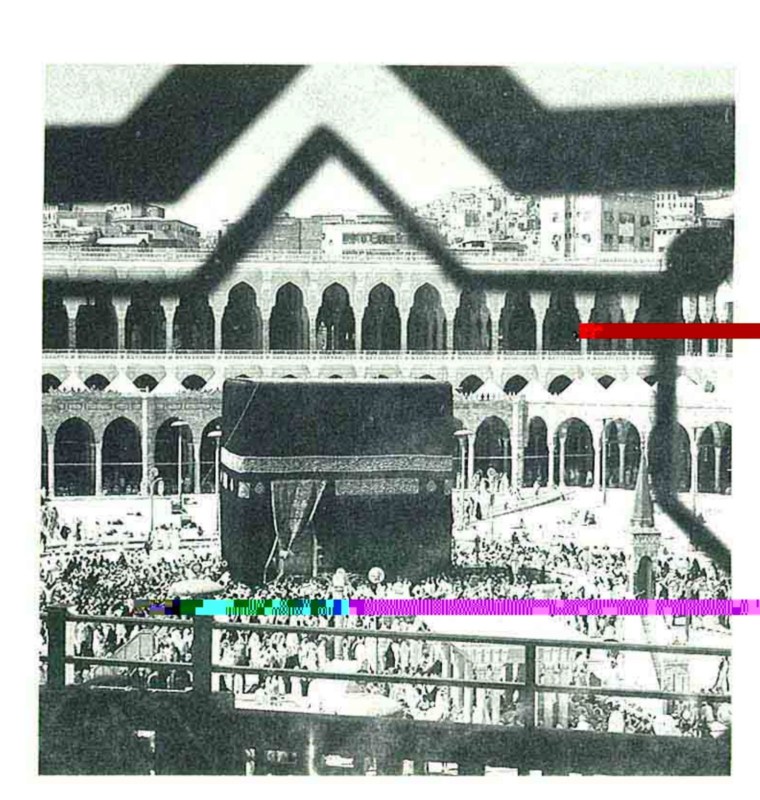
كتب جديدة *

● «**دراسات في أدب البحرين**»، دراسة جديدة صدرت في كتاب وذلك تحت إشراف **الدكتورة سهير القلماوي** ، **والدكتور محمد خلف الله** .



★ **صورة لبيت الله الحرام ، والكعبة المشرفة قبلة ملايين المسلمين في جميع أنحاء المعمورة على اختلاف ألوانهم وجنسياتهم .**

سيظل بيت الله كما كان إلى أن تقوم الساعة مثابة للناس وأمناً ، كما سيظل موئلاً للمسلمين ، وأماناً



فلسطين :

المحافظة على الآثار الإسلامية

نوقش في اجتماع عقد بمبنى **وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الأردن** ، حضره مندوبون عن **الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك ووزارتي التربية والسياحة** ، مشروع يدعو إلى **الحفاظ على التراث الإسلامي** ممثلاً بالآثار التاريخية الإسلامية وخاصة في **القدس والأراضي العربية المحتلة** ، وذلك **بإنشاء وكالة دولية للمحافظة على الآثار الإسلامية في الأراضي المحتلة** ، ومن ضمن هذا المشروع **تصوير المخطوطات والنفائس الأثرية الإسلامية** .

عمان :

كتب جديدة *

● «**ندهة على الحارث الثالث**»، ديوان من الشعر الشعبي تأليف **موسى الأزرعي** ، صدر عن **دار البيرق بعمان** .

مصر :

كتب جديدة *

● «**جيل وراء جيل**»، تأليف **جلال العشري** ، صدر عن **الهيئة المصرية العامة للكتاب** .

● «**كيف نبدأ البناء**»، تأليف **الدكتور إبراهيم دسوقي أباظة** ، صدر في **سلسلة (اقرأ)** .



★ د . سهير القلماوي ★

اليمن

كتب جديدة

● « **الزبيري ـ أديب اليمن الثائر** » ، تأليف **عبد الرحمن محمد العمراني** ، إصدار **مركز الدراسات والبحوث اليمني** .

المغرب

مؤتمر للرواية العربية الجديدة

بدعوة من **اتحاد كتّاب المغرب** ، عقد في **الرباط** ما بين ٢١ كانون الأول (ديسمبر) و ٢٤ منه ، مؤتمر عن « **الرواية العربية الجديدة** » ، وقد دعي لحضور هذا المؤتمر (٢٧) روائياً عربياً و (١٨) ناقداً من مختلف أنحاء الوطن العربي ، وقد نوقشت في هذا المؤتمر الموضوعات والبحوث المطروحة حول الإبداع الروائي والنقد .

دورة تدريبية للمعجميين العرب

يُعِدّ **مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي (بالرباط)** دورة تدريبية للعاملين في **صناعة المعاجم** ، وذلك لكي يطلعوا على أحدث النظريات في علم المصطلحات والأساليب المتطورة في تصنيف المعاجم المتخصصة الثنائية اللغة والمتعددة اللغات ، وتأتي هذه الدورة ضمن خطة المكتب لدعم المؤسسات العلمية والإدارات المهنية في الأقطار العربية المتخصصة في هذا المجال ، هذا وقد أعلن المكتب عن إقامة هذه الدورة بمقره (بالرباط) .

معجم للمصطلحات الرياضية

يعكف **مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي (بالرباط)** على تصنيف **معجم للألعاب الرياضية** باللغات (العربية والإنجليزية ، والفرنسية) ، وتجري الاتصالات لهذا الغرض مع الجهات المهتمة بهذا المجال في الوطن العربي .

كتب جديدة

● « **اتجاهات حديثة في تعليم العربية للناطقين باللغات الأخرى** » ، تأليف **الدكتور علي القاسمي** ، صدر عن **مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط.**

نافذة

الذاتية في الفن

تتجلى قيمة العمل الفني في العلاقة بين هذا العمل وبين صاحبه المبدع الفنان ، هذه العلاقة التي لا تخلو من وجود **الذاتية في العمل الفني** .

إننا ، وبلا شك ، نتفاعل في كثير من الأحوال بين **العالم الموضوعي والعالم الداخلي** بين هذا الإحساس بالوجود وترجمة هذا الوجود نظماً ونحتاً ونغماً .

إننا لا نعني الفنان من كونه إنساناً يتجدد في مسرحه الداخلي فهم الحياة ومن ثمّ تصويره لها بهذا الفيض النابض من إحساس ومشاركة بوجدانه بكافة معطيات الحياة ومجرياتها .

إن الفنان يمثل بلا شك هذه المسافة التي تربط بين **العمل الفني وبين الذات** وهو يمثل (اجتماعياً) شرعية ممارسة هذه العلاقة ، هذه الشرعية من شأنها أن تضفي على أي عمل كان البقاء والتألق .

لذا فنحن نشعر بالسرور والغبطة حين يطالعنا فنان بإنجاز فني رائع حين يمثل هذا العمل الفني بصدق معاناة الفنان .

إن الذاتية في الفن تمثل خلاصة فكر الفنان وطموحه وآلامه وإحساسه بالوجود وفلسفته ، بل وتمثل مجمل حياته كإنسان ، وما يحيطه في هذا العالم من تناقضات وترابطات . **وبشكل عام فالذاتية تمثل المسرح الداخلي للفنان المعكوسة أساساً في عمله الفني .**

وهذا يدفعنا للقول بأن علم النفس المعاصر لا يمكنه أن يستغني بين سيكولوجية الفنان وعمله الفني ، وهو بهذا العمل الرائع يقربنا إلى فهم العمل الفني نفسه .

لذلك فإننا **نرى في أي عمل فني عالمين متكاملين متماسكين** أحدهما هذا العمل السيكولوجي الداخلي للفنان ، وثانيهما هذا الأثر الملموس عبر الحواس والذي يدعى العمل الفني ، وبإمكاننا تماماً أن نستجلي معطيات الفكر الاجتماعي في هذا العمل مهما صغرت أو كبرت معالم الذاتية في هذا العمل .

والذاتية باتساع عالمها الداخلي وبالرغم من مجمل الآراء حولها ، تمثل بلا شك هذه النزعة العاطفية الحادة التي يفرزها الفنان بين ما يفرزه من هذا الإحساس الدافق ومن خلال شعوره كفنان ، مما يجعلنا نتمسك برأي واحد ، وهو أن لا عمل فني صادق بلا وجود عالم داخلي ذاتي صادق .

هذا العالم الداخلي مهما عانى من اضطراب تبعاً للقيم الاجتماعية والشخصية فإنه يمثل بلا شك سر قيمة هذا العمل الفني .

وليس من شك أن تخضع الذاتية لعوامل الاضطراب إبان فترة العمل الفني باعتبار أن الفنان ، كأي إنسان آخر ، يمتلك من عوامل التمزق النفسي ما يمتلكه أي فرد في المجتمع .

إلا أنه سرعان ما يزول هذا الاضطراب عندما يكتشف الفنان لمسة جديدة من لمسات تدعم هذا العمل ووضعه جنباً إلى جنب مع بقية أعماله الأخرى .

وعلى هذا الأساس فالفنان يتجسد بكل وضوح كآلة التصوير من خلال هذه الذاتية التي تقاسم الفنان ـ مهما حاول التخلص منها ـ جميع أعماله الفنية والمستقبلية .

باسم عبد الله
بغداد ـ العراق



فرنسا

ترجمة جديدة للقرآن الكريم

صدرت في **باريس** عن **دار «فايار»** ترجمة جديدة ومنقحة للقرآن الكريم إلى الفرنسية، وقد وضع هذه الترجمة مدير **المعهد الإسلامي** التابع لجامع باريس الشيخ **حمزة أبو بكر**، تضمنت النص القرآني باللغتين العربية والفرنسية، وكان أبو بكر قد أصدر طبعة أولى عام ١٩٧٢ م، وقد أضاف هوامش ولمحات عن الديانتين اليهودية والمسيحية.

معرض للآثار المصرية

أقيم في **مرسيليا** معرض «للمصريات» وذلك بمتحف **«بوريللي»**، ويضم نماذج من **الآثار المصرية** في مختلف العهود.

أوكتافيوباث يفوز «بالصقر الذهبي»

فاز الشاعر المكسيكي **(أوكتافيوباث)** بجائزة الصقر الذهبي في مهرجان الكتاب الذي أقيم حديثاً في مدينة **(نيس)** الفرنسية.

أحدث الكتب

● **«الأجساد والزمن»**، رواية للأديبة اللبنانية **أندريه شديد**.

● **«زهرة من ذاكرتي»**، **لروجيه أسكو**، رواية صدرت عن **«فايار»** الفرنسية.

● **«الشاعر وظله»**، **لبول أيلور**، من منشورات **سيرز**.

● **«جزيرة الآخر»**، **لجاك بيرك**، من **منشورات ألبان ميشال في باريس**.

● **«في الطرف الآخر من ذاتي»**، رواية جديدة **لماري تريز همبرت**، صدرت عن **منشورات ستوك**.

● **«داخل المغرب من القرن (١٥) إلى القرن (١٩)»**، **لجاك بيرك**، عن **دار غاليمار**.

● **«من الأطلس إلى الفرات»**، و**«بيبليوغرافيا الثقافة العربية المعاصرة»**، **لجاك بيرك** عن **دار سندباد**.

● **«شعر ١٩٧٩»**، موسوعة شعرية صغيرة صدرت عن **دار غاليمار**، وهي أشبه بمفكرة شعرية تتناول أبرز الأسماء الشعرية لعام ١٩٧٩ م.

● **«القاموس الموسوعي للتاريخ»**، إعداد **ميشيل مور** ويقع في (٨) أجزاء.

● **«طقس النشيد»**، ديوان شعري للشاعر **جان لوجيه**، صدر عن **دار الخصائص الفرنسية للنشر**.

● **«نبض الزمن والحب»**، مجموعة شعرية **لشكيب خوري**، صدرت باللغة الفرنسية عن **منشورات سان جرمان ده بريه**.

● **«نظام التعليم والانقسام الاجتماعي في لبنان»**، للدكتورين **عدنان الأمين ونخلة وهبه**، بالتعاون مع **المركز الوطني الفرنسي للبحوث العلمية**، صدر عن **دار «سيكومور»** باللغة الفرنسية.

● **«الأعمال الكاملة لمارسيل باينول»**، تتضمن جميع الأعمال التي كتبها المخرج الروائي الفرنسي (مارسيل باينول) في (١٤) جزءً، إصدار الناشر الفرنسي **(جان دي بوتو)**.

● **«كل نار، كل شعلة»**، للأديب الفرنسي **جان لوي بوري**، صدرت عن منشورات ١٠/١٨ في ٤١٢ صفحة، وهي **مجموعة قصصية**.

● **«الضحك والنسيان»**، تأليف **ميلان كانديرا**، صدر عن **دار غاليمار بباريس**.

● **«الماضي الإضافي»**، رواية تأليف **بايسكال سفران**، صدرت عن **منشورات أوليفيه أوربان**.

● **«نبض الزمن والحب»**، مجموعة شعرية **لشكيب خوري**، صدرت عن **سان جيرمان دي بريه بباريس**، وتضم أربع عشرة قصيدة.

الباكستان

جائزة نوبل

حصل **العالم الباكستاني (عبد السلام)** على جائزة (نوبل) في **الفيزياء** لسنة ١٩٧٩ م، وذلك للأعمال التي قام بها في مجال **الجزئيات الأولية**، هذا وقد فاز بنفس الجائزة كل من الأميريكي **(شيلوون . ل غلاشو)** وكذا الأميركي **(ستيفان)**.



عقل الكتروني يتنبأ بالأحوال الجوية

● تم أخيراً اختراع عقل الكتروني يعد من أقوى العقول الإلكترونية في العالم، وهو يقوم بوضع تنبؤات جوية بالغة الدقة على مستوى عالمي، ويتميز بذاكرة تختزن (مليون) كلمة، ويتمكن من حل حوالي (٣٠) مليون رسالة حسابية في الثانية الواحدة، وهو مزود بدائرة تليفزيونية مغلقة تساعد في مراقبة وتوجيه مخزونات ذاكرته.

غسالة للأطفال

● تمكن أحد العلماء من **اختراع غسالة للأطفال** تشبه إلى حد كبير غسالة الملابس، يوضع الطفل المتسخ في هذه الغسالة، وتقوم تلقائياً برشه بالماء الفاتر والصابون، وتقوم أيضاً بشطفه، وتتكرر هذه العملية عدة مرات إلى أن يتنظف الطفل وتتوقف الغسالة أوتوماتيكياً.

دراجة تسير بالطاقة الشمسية

● ظهرت في **ألمانيا الغربية** أول دراجة تسير بالطاقة الشمسية، هذه الدراجة لها ثلاث عجلات، وتتكون من مقعد واحد يعلوه سطح مكون للخلايا الشمسية التي تستقبل **أشعة الشمس** وتحولها إلى طاقة كهربية لإدارة محرك الدراجة الذي تبلغ قدرته خمس حصان.

ملح الطعام سم العصر الحالي

● توصل الأطباء إلى أن الملح يشكل خطورة أقوى من تلك التي يشكلها أي عنصر كيميائي من العناصر التي تدخل في الطعام، وأنه واحد من الأسباب الرئيسية للأمراض التي تفتك بالشعوب في العالم المتقدم، وبصفة خاصة مرض **ارتفاع ضغط الدم** الذي بات يقتل من الناس أكثر مما يقتلهم السرطان، وقد بدأ الأطباء يتنبهون منذ سنوات عديدة إلى الأخطار الصحية الناتجة عن تناول الملح، وإلى أن معظم الذين يصابون (**بالنوبة القلبية، وبإنتفاخ الأوردة، وبضعف القلب، وباهتراء الكلى**) هم الذين أبرز التحقيق المختبري ارتفاع نسبة الملح في دمائهم.

آلة حلاقة شبيهة بالميكروفون

● خدمة للإنسان تمكن العلماء من **اختراع آلة حلاقة شبيهة بالميكروفون يمكن استعمالها في داخل السيارة**، وذلك باستقاء الكهرباء من مكان الولاعة، وهذه الآلة البسيطة الصنع تخول صاحبها استعمالها في كل لحظة تسبق أي موعد تماماً كاستعمال المشط، وبهذه الطريقة لم تعد حلاقة الذقن عبئاً على صاحبها بل ضرباً من التسلية والأناقة الجاهزة باستمرار وبمجرد الضغط على زر صغير داخل السيارة.

اليابان

القراءة الطويلة والجائزة

في إحدى المكتبات اليابانية منحت جائزة تقدر بمبلغ ١,٣٠٠ دولار لمن يواصل القراءة لأطول فترة من الزمن، وقد بدأت المسابقة باشتراك (٥٠٠) شخص تتراوح أعمارهم بين ١٦ و ٦٨ سنة، وبعد مضي يومين كان (١٢٣) شخصاً لا يزالون يواصلون القراءة .. فكرة رائدة وجيدة.

اليونان

أوديسوس وجائزة نوبل

منحت **جائزة (نوبل) في الأدب** لعام ١٩٧٩م، **للشاعر والأديب اليوناني (أوديسوس اليتيس)** المعروف في بلاده بشاعر **«البحر الايجي»**، وقد منحت له هذه الجائزة تقديراً لشعره الذي يصور بقوة حسيّة ووضوح رؤية ذكية كفاح الإنسان الحديث من أجل الحرية والإبداع، وقد ولد عام ١٩١١م، في **(هيراكليون) بجزيرة كريت.**

بريطانيا

قرية بكاملها تعتنق الإسلام

اختارت قرية **(نرديش)** الإنجليزية الإسلام لكي يكون ديناً لها رافضة بهذا حياة المدنية الغربية الزائفة التي تسيطر على بريطانيا، ولقد كان السبب في دخولهم بعد هداية الله لهم اثنين من شباب القرية أسلما وأخلصا في إسلامهما، وتمكنا من اقناع باقي أفراد القرية بالإسلام.

أحدث الكتب

● **«نهايات سعيدة»**، مجموعة قصصية تأليف **جوليان فان**، صدرت عن **دار (هاميش) البريطانية.**


★د . محمد المهيني★

● السياسة والأدب في اعتقادي مثل الغراب والحجل ، والأديب الذي يصر على أن يكون سياسياً ، ويكتب النثر السياسي والشعر السياسي والقصة السياسية والرواية السياسية ، بغض النظر عن القيمة الفنية والأصالة الفنية لما يكتب ، هو الكاتب الذي لا يستطيع أن يكون أديباً ولن يصبح سياسياً ، أي إنه سيكون كالغراب الذي أراد تقليد مشية الحجل فنسي مشيته الأساسية ولم يتعلم أي شيء جديد .

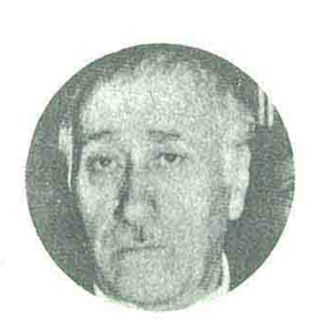
د . عيسى الناعوري ـ ملحق جريدة «القبس» الكويتية

● لم تعد اللغة المشتركة بين الكاتب والناقد هي تلك الحدود التي تضع محاولة الحكم على الإنتاج بلغة شمولية ومنطقية . . فالعمل الأدبي ـ خاصة في المشرق العربي ـ أصبح يتكئ على تنوعات النقد الغربي بكل مضامينه وتوتره ، لذلك نشاهد أن الشاعر العربي الحديث ـ كما يقول النقاد ـ يعيش غربة ، وتمزقاً وانفصاماً . . وهي دلالات طبقت على النتاج الغربي الذي تساوت فيه القيم مع الضغوط الإنتاجية الكبيرة ، وتطبيق هذا المبدأ على الكاتب أو الشاعر العربي يغرق بالغربة النقدية ذاتها ويبترها عن أخص حالاتها الطبيعية التي تتسم بحالة شعب لم يتجاوز حدوده الدنيا من المتطلبات الحديثة ، لذلك صار اسباغ تلك التعميمات في النقد تقليداً راسخاً لكل من يحاول تطبيق هذا النموذج على أي نتاج قصصي أو شعري حديث .

يوسف الكويليت ـ جريدة (الرياض) السعودية

● قبل خوض الحديث عن مشكلة تعريب المناهج يجب أن نرسم إطاراً خاصاً للمشكلة ، وهذا الإطار يدخل ضمن الوجود الحضاري العام للعرب ، بمعنى أن نحدد ما هي الصبغة الحضارية التي نطمع في أن يصل إليها هذا المجتمع العربي ، من خلال هذا الإطار نستطيع أن نتصور ما هي الروادع ، وما هي العقبات ، وما هي الحواجز التي يمكن أن نقيمها لبناء هذه الحضارة ، أو لتحاشي ما يهدد هذه الحضارة . ومن هذا المنطلق يأتي عنصر موضوع التعريب ضمن هذه العقبات التي يمكن أن نحولها إلى واقع بدل أن تكون عقبة ، وإذا ما استطعنا أن نحدد هذا الإطار الحضاري الذي نطمع بالوصول إليه ، فمشكلة التعريب في رأيي ليست بالخطر الداهم أو المشكلة العويصة التي تهدد حضاراتنا .

إنني أعتقد أن الحضارة العربية بمعطياتها المتعددة وبقواعدها المتينة الراسخة وبإمكاناتها البشرية الهائلة وما وصلت إليه من رقي في فترات معينة ، كل هذا ساعد على أن تحمل هذه الحضارة الروادع الطبيعية والحماية الذاتية ضد كافة الأخطار بما في ذلك خطر التعريب كما يتصور البعض . . فالحضارة العريقة للأمة العريقة لا تهدد من خلال دخول بعض العبارات أو الكلمات أو الاصطلاحات ، ذلك لأن كثيراً من هذه الاصطلاحات سرعان ما تحتضن وتهجن وتذوب في مثل هذه الحضارات العريقة . . ناهيك عن أن ليس هناك حضارة نقية ١٠٠ ٪ في أي بقعة من الأرض ، كما أن الحضارة تعني الإنفتاح وتعني الاحتكاك الذي يقود إلى الامتزاج والتزاوج الفكري والتبادل في الخبرات والمفاهيم ، ومن هنا فإني لا أرى أبداً ما يهدد هذه الحضارة من خلال أسلوب التعريب الذي يمكن أن ننتهجه كأحد الأساليب الرئيسية في تطوير وبناء وتعزيز حضارتنا ، وإنني أعتقد أن ما يجب أن نهتم به في هذا المجال هو : كيفية وطريقة التعريب ضمن برنامج دقيق وخطة تنموية شاملة لتجاوز ما يمكن أن تحدثه بعض جوانب التعريب من سلبيات ، فنحن نريد لحضارتنا أن تأخذ وتعطي ، وأن تؤثر وتتأثر بفاعلية متطورة وعلى نطاق واسع وإذا ما تخوفنا من نقل أفكار الآخرين لنا ونقل أفكارنا للآخرين والتطرف بمحاربة التعريب يمكن لذلك أن يؤدي في النهاية إلى تخلف حضارتنا عن الركب الحضاري المتقدم .


★د . عيسى الناعوري★

د . محمد صالح المهيني ـ جامعة الكويت مجلة (اقرأ) السعودية

على الرغم من اعتزازنا بلغتنا العربية بوصفها أقدم اللغات العالمية ، وأثراها لفظاً ، وأدقها عبارة ، فإننا نعترف بأنها تواجه مشكلة عويصة ، مصدرها قصور وارتباك في مضمار المصطلحات العلمية والتقنية . وما زال عدد كبير من معاهد التعليم العلمي في الوطن العربي يستعمل لغة أجنبية كالإنكليزية ، أو الفرنسية ، أو الإيطالية ، لغة لتعليم العلوم ، والهندسة ، والطب .

مشكلات التعريب في الوطن العربي

بقلم : د . علي القاسمي

ويعزى النقص في المصطلحات العلمية والتقنية في الوطن العربي إلى ثلاثة أسباب رئيسية هي :

● **أولا** : خلال أربعة قرون من **الحكم العثماني والسيطرة الأوروبية على البلاد العربية** ، لم تستخدم اللغة العربية في الإدارة أو التعليم ، ففقدت شيئاً من استمراريتها ونموها في هذين المجالين .

● **ثانياً** : وفي أثناء تلك الفترة الطويلة ، وقبيل نهضتنا العلمية التي بدأت في السبعينات ، **لم تكن هنالك اختراعات أو اكتشافات ، أو أبحاث علمية رصينة في الوطن العربي** ، لكي تسبغ مصطلحات عربية على المخترعات أو المكتشفات ، ونحن نعلم أن المصطلحات العلمية والتقنية يضعها المخترعون والمكتشفون والعلماء الباحثون .

● **ثالثاً** : أن تدفق المصطلحات العلمية والتقنية الجديدة كل يوم من **الدول الصناعية** ، يجعل من العسير على العربية مجابهتها واستيعابها بالسرعة اللازمة ، إذ تقدّر هذه المصطلحات الجديدة بخمسين مصطلحاً يومياً .

كل هذه الأسباب وغيرها تجعل من المصطلح العلمي والتقني مشكلة تنوء بثقلها على كاهل المشتغلين بالتخطيط اللغوي في وطننا العربي .

واضعو المصطلحات التقنية في الوطن العربي

لا توجد هيئة لغوية أو علمية واحدة تضطلع بوضع المصطلحات العلمية والتقنية في الوطن العربي ، فهذه المصطلحات تضعها مؤسسات وهيئات وجهات متنوعة ومتباينة تنتشر في أرجاء وطننا العربي ومنها :

أ ــ الجامعات ووزارات التربية في البلدان العربية .

ب ــ مجامع اللغة العربية في القاهرة وبغداد ودمشق وعمان .

ج ــ المعجميون الذين يصنفون المعاجم العامة والمتخصصة ، آحادية اللغة أم ثنائيتها .

د ــ الكتّاب والمترجمون الذي ينشرون كتبهم ومقالاتهم في شتى فروع المعرفة الإنسانية .

كيف توضع المصطلحات العربية ؟

جرى خلال العقود الخمسة المنصرمة خلاف لغوي حاد في الوطن العربي ، بين المحافظين والمتحررين من اللغويين ، حول المصطلحات العلمية والتقنية الحديثة وكيفية وضعها . فقد نادى المتحررون باستعارة المصطلحات بحرية تامة من الإنكليزية والفرنسية واللغات الأخرى ، بل وحتى من اللهجات العامية ، للاسراع في وضع المصطلحات . وزعموا أن **الاقتراض اللغوي** أمر طبيعي ومسموح به ، ويسهم في تطوير اللغة وتنميتها ، ولقد اشتمل **القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف** ، على أمثلة كثيرة من الاقتراض اللغوي ، وما دام الأمر كذلك فلا يضير اللغة العربية اليوم أن تقترض من اللغات الأجنبية لسد النقص في المصطلحات العلمية والتقنية . أضف إلى أن عملية البحث عن مقابلات عربية فصيحة تتطلب وقتاً ومعرفة ، وتحتاج إلى اختبار قبولها في المجتمع . ويطالب المحافظون بالتقيد باختيار الألفاظ العربية الفصيحة في مقابل المصطلحات الأجنبية ، ورأوا أن ذلك أجدى على المدى البعيد ، **لأن اللغة العربية لغة « اشتقاقية »** ، فإذا تمت ترجمة المصطلح بكلمة عربية استطعنا أن نشتق من جذرها عدداً من المفردات بحيث تتكون لدينا في نهاية الأمر أسرة لفظية تيسر بناء **النظام الاصطلاحي في اللغة** وتسهل علينا حفظه وتذكره .

ولنضرب مثلاً على ذلك بكلمة **(راديو)** التي استعيرت بلفظها من لغة أجنبية . فلأن هذه الكلمة لا تنتمي إلى **النظام الصوتي والصرفي العربيين** ، نجد صعوبة في اشتقاق كلمات أخرى منها ، في حين أننا لو ترجمناها بـ (مذياع) مثلاً لوجدنا أن الجذر (ذاع) يمكننا من اشتقاق كلمات عديدة أخرى منها :

أذاع Broad cast ومذيع Announcer

وإذاعة Broad casting ومذيعة Femal Announcer

ومحطة الاذاعة Broad casting station

وعلى كل حال فقد تمخضت هذه المعركة الفكرية عن نقاط التقاء كثيرة ، وأصبح من المتعارف عليه استخدام خمسة أساليب في نقل المصطلحات العلمية والتقنية الأجنبية إلى اللغة العربية وهذه الأساليب هي :

(١) الاقتراض أو التعريب : بمعنى نقل المصطلح التقني بلفظه الأجنبي إلى العربية .

(٢) الترجمة : ايجاد مقابل عربي يحمل معنى المصطلح الأجنبي .

(٣) الوضع : أي اختراع كلمة لم توجد من قبل .

(٤) إعطاء معنى أو معان جديدة إلى كلمات موجودة فعلاً .

(٥) نحت كلمات جديدة من عناصر عربية ، أو من عناصر عربية وأجنبية .



★ الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله ★

مشكلات المصطلح التقني

إن المصطلحات التقنية عبارة عن مجموعة من الرموز اللغوية التي تدل على مفاهيم ، أو أشياء تتعلق في فرع من فروع العلم أو التكنولوجيا . وللمصطلحات الجيدة شرطان هما :

(أ) ينبغي تمثيل كل مفهوم أو شيء علمي بمصطلح مستقل .

(ب) عدم تمثيل المفهوم أو الشيء العلمي الواحد بأكثر من مصطلح واحد .

لكننا لا نجد مصطلحات مثالية يتوفر فيها هذان الشرطان بكل دقة ، لأن للذاكرة الإنسانية حدوداً ، ولهذا نضطر إلى استخدام اللفظ الواحد بأكثر من مدلول واحد ، وهذا ما يسميه اللغويون **بالاشتراك اللفظي** . ومن المحزن حقاً أن نجد أن المصطلحات التقنية في الوطن العربي لا يتوفر فيها هذان الشرطان مطلقاً ، بل هي أقرب ما تكون إلى الفوضى .

فالكتاب العلمي المنشور في **العراق** مثلاً قد لا يفهم في **المغرب** ، وما يستعمل في **تونس** غير مألوف في **مصر** ، وهكذا ، وبعبارة أخرى لم يكن لدينا توحيد للمصطلحات العلمية في الوطن العربي قبل إنشاء **مكتب تنسيق التعريب** . وسنعرض هنا الأسباب اللغوية والتنظيمية التي أدت إلى هذا الوضع المضطرب .

المشكلات اللغوية



إن المشكلات اللغوية التي تواجه عملية توحيد المصطلحات التقنية في الوطن العربي تنقسم إلى نوعين :

● أولهما ، راجع إلى اللغة العربية ذاتها .

● وثانيهما ، راجع إلى لغة المصدر ، أي اللغة الأجنبية التي تستقي منها لغتنا العربية هذه المصطلحات .

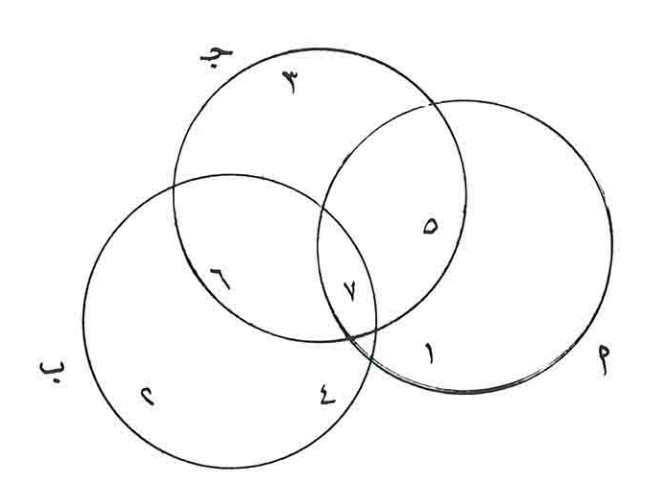
١ ــ المشكلات الناتجة عن اللغة العربية

إن العربية هي أقدم اللغات الحية في العالم . وعلى الرغم من أن قدم العربية له فوائده ، فله في الوقت ذاته مشكلاته ، ومن هذه المشكلات ما يأتي :

(أ) الازدواجية : تعاني العربية ظاهرة لغوية تعانيها لغات كبرى أخرى . وقد تصدى اللغوي الأميركي المستعرب «**جارلس فرغسون**» لدراسة هذه الظاهرة في أربع لغات ، خلص منها إلى **تعريف الازدواجية** بأنها :

«وضع مستقر نسبياً توجد فيه ، بالإضافة إلى اللهجات الرئيسة للغة ، لغة تختلف عنها ، وهي مقننة بشكل متقن «إذ غالباً ما تكون قواعدها أكثر تعقيداً من قواعد اللهجات» ، وهذه اللغة بمثابة نوع راقٍ ، تُستخدم وسيلة للتعبير عن أدب محترم .... ويتم تعلم هذه اللغة الراقية عن طريق التربية الرسمية ، ولكن لا يستخدمها أي قطاع من الجماعة في أحاديثه الاعتيادية» . (فرغسون ، الازدواجية اللغوية ، ص ٢٢٤) .

وفي الوطن العربي توجد عدة لهجات اجتماعية واقتصادية وجغرافية بجانب اللغة العربية الفصحى . وبصورة عامة تعد هذه **اللهجات** مفهومة بعضها لبعض ، **وتعد اللغة الفصحى من عوامل التوحيد في الوطن العربي لغوياً واجتماعياً** ، ويمكن توضيح العلاقة بين أي لهجتين والعربية الفصحى بالشكل الآتي :



أ = اللهجة (أ) .
ب = اللهجة (ب) .
جـ = العربية الفصحى .
١ = ما تنفرد به اللهجة (أ) .
٢ = ما تنفرد به اللهجة (ب) .
٣ = ما تنفرد به العربية الفصحى .
٤ = ما هو مشترك بين اللهجتين (أ) و(ب) .
٥ = ما هو مشترك بين اللهجة (أ) والفصحى .
٦ = ما هو مشترك بين اللهجة (ب) والفصحى .
٧ = ما هو مشترك بين اللهجة (أ) واللهجة (ب) والفصحى .

إن اللغة العربية الفصحى هي لغة العلم والأدب ، وهي اللغة الوحيدة التي يدون فيها تراث الأمة وتصاغ فيها المصطلحات العلمية والتقنية . ومع ذلك فإن المعجمي أو المؤلف قد لا يعثر على مقابل بالعربية الفصحى لأحد المصطلحات فيضطر إلى استعمال مقابل من لهجته الإقليمية ، وقد يكون هذا المقابل غير مفهوم للناطقين باللهجات الأخرى . لأن الكلمات العامية لا تتمتع بالثبات الدلالي النسبي الذي تتميز به نظيراتها الفصحى ، فالكلمات العامية تختلف مدلولاتها من مكان لآخر ، ومن زمان لآخر بصورة أسرع وأكبر .

(ب) تعدد اللهجات الفصحى : إلى جانب اللهجات العامية في الوطن العربي ، توجد لهجات فصيحة تختلف فيما بينها على جميع المستويات اللغوية ، الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية . بيد أن الفروق بين اللهجات الفصيحة طفيفة ولا تقارن بالفروق بين اللهجات العامية

التي تفوقها كماً وكيفاً ، وقد تنبه اللغويون العرب منذ القديم إلى وجود هذه اللهجات الفصيحة ، وكتبوا فيها . وقد روي عن **النبي** ﷺ قوله : « نزل القرآن بسبع لغات كلها كاف شاف » .

ويستطيع غير المتخصص أن يلحظ الفروق الصوتية واللفظية بسهولة إذا استمع إلى نشرة أنباء واحدة تذاع من إذاعة **بغداد ، والقاهرة والرباط** مثلاً ، إذ يختلف المذيعون في **تلفظ الأصوات** (كصوت الجيم مثلاً) ، وفي **وضع النبر على المفردات** وفي **تنغيم الجمل** ، كما يختلف محررو هذه النشرات الإخبارية في **اختيار المفردات والتعابير** وذلك بصورة مضطردة . على أن هذه الفروق لا تؤدي إلى حجب المعنى عن المستمع العربي مطلقاً ، كما قد يحدث في حالة التحدث باللهجات العامية .

وفي مجال المصطلحات العلمية والتقنية ، ينصب اهتمامنا على الفروق اللفظية بين اللهجات العربية الفصيحة . فعندما يضع عالم مصري مصطلحات علمية أو تقنية ، فإنه قد يختار كلمة تستعمل في العربية الفصحى المصرية ، في حين يقوم عالم جزائري بوضع مقابل آخر للمفهوم نفسه مستخدماً كلمة تستعمل في العربية الفصحى الجزائرية ، ومن هنا نجد أنفسنا أمام ازدواجية غير مرغوب فيها ، وقد تؤدي إلى صعوبة فهم المطبوعات العلمية الصادرة في بلد عربي معين .

(ج) ثراء العربية بالمترادفات : تعد العربية من أغنى اللغات العالمية بالمترادفات ، ولعل تعدد **أسماء الجمل والسيف والجواد** من الأمثلة المعروفة للجميع . ويمكن تفسير هذه الظاهرة في اللغة العربية بعمر العربية المديد الذي أتاح للألفاظ والمدلولات القديمة أن تعيش جنباً إلى جنب مع الألفاظ والمدلولات الحديثة ، كما أن اللغة العربية هي أداة تعبير وتفكير لعدد كبير من الأقوام والشعوب المختلفة في أصقاع متباينة من العالم .

ومن نافلة القول أن تكون للمترادفات مزية في الكتابة الأدبية إذ يستطيع الكتّاب أن يعبروا بواسطتها عن المعاني المتباينة وظلالها الهامشية ويزاوجوا بين المفردات ليرسموا صوراً أدبية متناسقة الألوان رشيقة الخطوط ، ولكن المترادفات تعد نعمة ونقمة في آن واحد في مجال المصطلحات العلمية والتقنية . فهي نعمة إذا استعملت للتفريق بين المفاهيم المتقاربة ، وهي نقمة إذا وضع عدد منها مقابلاً للمفهوم التقني الواحد إذ إن ذلك سيؤدي إلى اختلاف الاستعمال وتعدده .

ومما يؤسف له أن المترادفات العربية قد استعملت في معظم الأحيان بدون تقييد أو تحديد في الدلالة على المفاهيم العلمية . ففي مشروع لمعجم عربي موحد لمصطلحات **الحاسبات الآلية** (العقول الإلكترونية) ، أعدته **المنظمة العربية للعلوم الإدارية بجامعة الدول العربية** بالاستناد إلى ثلاثة مسارد أعدت في بغداد والقاهرة والرباط نجد أمثلة عديدة من المترادفات التي استعملت للدلالة على المفهوم التقني ذاته .

فمثلاً نجد في مقابل الكلمة الإنكليزية (gap) المترادفات الثلاثة « فجوة » و« فسحة » و« فرجة » وكل هذه المترادفات صحيحة من حيث معناها الأساسي .

٢ ـ المشكلات الناتجة عن لغة المصدر

إن بعض صعوبات وضع المصطلحات العلمية والتقنية في الوطن العربي ليس ناتجاً عن مشكلات اللغة العربية بل متأصلاً ـ في حقيقة الأمر ـ في اللغة أو اللغات الأجنبية التي تستقي منها لغتنا المصطلحات العلمية والتقنية . وسأطرح فيما يلي بعض المشكلات التي تندرج في هذا الباب :

(أ) تعدد مصادر المصطلحات التقنية : إن اللغة **الفرنسية** تستخدم لغة ثانية في أقطار المغرب العربي **(تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا)** وهكذا فهي مصدر المصطلحات هناك ، أما في أقطار المشرق العربي فإن الإنكليزية هي التي تقوم بذلك الدور . وعلى الرغم من أن اللغتين **الإنكليزية والفرنسية** تستعملان كثيراً من المصطلحات التي تشتمل على أصول إغريقية ولاتينية مشتركة ، فإنهما تنتميان إلى فصيلتين لغويتين مختلفتين ، وتستخدمان وسائل متباينة في التعبير .

ولهذا فإن استخدام لغتين أجنبيتين مختلفتين مصدراً للمصطلحات التقنية في الوطن العربي تنتج عنه صعوبات تتمثل فيما يأتي :

● أولا : عندما تعطي الإنكليزية والفرنسية كلمتين مختلفتين للشيء أو المفهوم الواحد ، وتلجأ العربية إلى اقتراض المصطلح مرتين ، مرة من الإنكليزية وأخرى من الفرنسية ، فإننا سننتهي إلى ازدواجية في المصطلح ، أي إلى مصطلحين عربيين يدلان على الشيء ذاته ، فمثلاً (Nitrogen) بالإنكليزية تعني (Azot) بالفرنسية . وقد استعيرت الكلمتان بلفظيهما فانتهتا إلى (آزوت) و(نتروجين) باللغة العربية .

● ثانياً : عندما يوجد مصطلحان من فصيلة اشتقاقية واحدة باللغة الإنكليزية ويترجمان إلى العربية ، فإننا قد نحصل على مصطلحين عربيين ينتميان إلى فصيلة اشتقاقية واحدة كذلك .

أما إذا ترجمنا أحد المصطلحين من الإنكليزية والآخر من الفرنسية فإننا قد نحصل على مصطلحين ينتميان إلى فصيلتين اشتقاقيتين مختلفتين ولنضرب مثلاً على ذلك من مشروع معجم مصطلحات الحاسبات الآلية .

بطاقة رئيسية (Master card) المصطلح الإنكليزي (a) .
بطاقة رئيسية (Carte maitress) المصطلح الفرنسي .
ساعة رئيسية (Master clock) المصطلح الإنكليزي (b) .
الساعة الأم (Horloge mere) المصطلح الفرنسي .

إن للمحافظة على الفصائل الاشتقاقية في المصطلحات التقنية منفعة تعليمية فهي تسهل تعلمها وتيسر حفظها . ولهذا فإن ترجمة بعض أفراد هذه الفصائل الاشتقاقية من الإنكليزية وبعضها الآخر من اللغة الفرنسية ستؤدي إلى ضياع وحدة الفصيلة الاشتقاقية وتشتيت أفرادها .

(ب) ازدواجية المصطلح في لغة المصدر : وحتى لو اقتصر العلماء العرب على لغة مصدر واحدة فإن ازدواجية المصطلح الواحد في اللغة العربية قد تنجم من ازدواجية المصطلح في لغة المصدر . ففي حالة اللغة الإنكليزية مثلاً قد يستعمل العلماء الأميريكيون مصطلحاً غير الذي يستعمله زملاؤهم البريطانيون للدلالة على المفهوم ذاته .

فإذا استعمل اثنان من المترجمين العرب كتابين في موضوع واحد ، أحدهما بريطاني والآخر أميريكي كمصدر للمصطلحات ، فإنهما قد يضعان مقابلين عربيين مختلفين للمفهوم الواحد . ومن الأمثلة على ذلك يطلق الفيزيائيون الأميريكيون تعبير (electronic tube) على الشيء الذي يسميه زملاؤهم البريطانيون (electron valve) و (tube) و (valve) كلمتان متباينتان مبنى ومعنى . ولهذا فإن العالم العربي الذي استخدم المصدر الأميريكي انتهى إلى التعبير العربي **(صمام إلكتروني)** ، في حين أن العالم العربي الذي استخدم المصدر البريطاني توصل إلى ترجمته بالتعبير العربي **(أنبوبة إلكترونية)** . وهكذا نتجت الازدواجية الاصطلاحية في هذا الباب باللغة العربية .

(ج) الترادف والاشتراك اللفظي في لغة المصدر : يشكل الترادف والاشتراك اللفظي في لغة المصدر صعوبة أخرى من صعوبات نقل المصطلحات العلمية والتقنية إلى اللغة العربية . ففي حالة المترادفات قد لا يدرك المترجم أن اللفظين مترادفان ، أو أن اللفظين المترادفين يترجمها مترجمان مختلفان . ومن هنا توجد الازدواجية في المصطلح العربي . ومن الأمثلة على ذلك ما وجدته في مشروع الحاسبات الآلية من ترجمة للمترادفين الفرنسيين (Pompe á main) و (Pompe á bras) حيث استعمل المترجمون **(منفاخ يدوي) و (منفاخ بالذراع)** دون أن يدركوا أن المصطلحين الفرنسيين مترادفان ، ويكفي أن نضع لهما مقابلاً واحداً في لغتنا العربية .

ومن ناحية أخرى ، فإن الاشتراك اللفظي في لغة المصدر قد يؤدي إلى ترجمة المصطلح الواحد بمقابلين عربيين مختلفين ، حيث يأخذ كل مترجم بمعنى معين من معاني اللفظ ، خاصة إذا لم يكن المترجمون على علم بالمعنى المراد . ومن أمثلة ذلك ، نجد في سورية مصطلح « **حامل الصمام** » ترجمة للمصطلح الفرنسي (Porte valve) أما ما يقابله في مصر فهو مصطلح « **ثغر الصمام** » والسبب في هذا الاختلاف الكبير يعود إلى الاشتراك اللفظي في كلمة (Porte) التي تعني « حامل » و « فتحة » و « ثغر » إلى جانب معان أخرى .

المشكلات التنظيمية

إن النوع الآخر من مشكلات توحيد المصطلحات التقنية في الوطن العربي هو ما أطلق عليه « **المشكلات التنظيمية** » وتحت هذا النوع تندرج ثلاث مشكلات :

١ ـ تعدد واضعي المصطلحات في الوطن العربي .
٢ ـ اغفال التراث العلمي العربي .
٣ ـ عدم اختبار قبول الجمهور للمصطلح الموضوع .

تعدد واضعي المصطلحات في الوطن العربي

في النصف الأول من القرن العشرين والعقد السادس منه ، أخذت الأقطار العربية واحدة تلو الأخرى تحصل على استقلالها لتشكل دولة منفصلة عن غيرها من الأقطار العربية . وأخذت كل دولة بتنمية نفسها في معزل عن شقيقاتها العربية . ولما كانت اللغة وسيلة أساسية في التنمية الاجتماعية والتعليمية ، فقد شكلت كل دولة عربية معجماً لغوياً أو لجنة للترجمة والتعريب تعنى بوضع المصطلحات العلمية والتقنية . وهكذا **ظهرت مجامع لغوية عربية في دمشق والقاهرة وبغداد وعمان ، وأخذت هذه المجامع تعمل منفصلة عشرات السنين ،** حتى تنبهت إلى مخاطر ذلك فأسست اتحادها قبل سنتين فقط .

وليس المجامع اللغوية العربية الجهة الوحيدة التي تضع المصطلحات العلمية والتقنية ، وإنما نجد كذلك **معاهد التعريب** ومراكزها التي تأسست في عدد من الأقطار العربية الأخرى لتعمل على استبدال اللغة الأجنبية باللغة العربية لغة رسمية في الإدارة والتعليم . ولكي تقوم هذه المعاهد والمراكز بوظيفتها ، كان عليها ايجاد مقابلات عربية كثيرة للمصطلحات الأجنبية المتداولة الاستعمال . ولقد قامت هذه المعاهد بواجباتها بصورة منفصلة عن المجامع اللغوية ، ودون التنسيق معها . فوضعت مقابلات عربية لمصطلحات سبق أن ترجمت أو عربت في أنحاء أخرى من الوطن العربي .

والجامعات العربية ومعاهد التعليم العالي هي الأخرى تقوم بوضع المصطلحات العلمية والتقنية في محاولة منها لتدريس بعض الموضوعات

باللغة العربية . وجامعة مثل **جامعة دمشق** التي تقوم بتدريس كل الموضوعات العلمية باللغة العربية ، مضطرة لوضع عدد كبير من المصطلحات في الحال ولا يسعها أن تنتظر الجهات الأخرى التي تضع المصطلحات ببطء كبير . ومن ناحية أخرى يقوم المعجميون والمؤلفون والعلماء باستعمال مصطلحات يضعونها في معاجمهم وكتبهم وأبحاثهم المنشورة . **ولما كانت عملية النشر وتوزيع الكتب في الوطن العربي تواجه صعوبات سياسية وتقنية متعددة ، فقد أصبحت ازدواجية المصطلحات مسألة لا مهرب منها .** فالمصطلح الذي يترجم في مصر من الإنكليزية قد يترجم مرة أخرى في العراق ، ومرة ثالثة من الفرنسية في المغرب ، وهكذا تظهر ثلاثة مصطلحات أو أكثر للمفهوم الواحد .

اغفال التراث العلمي العربي

إن اللغة **العربية كانت لغة العلم العالمية لقرون عديدة خلال ما يسمى في أوروبا بالقرون الوسطى** . ولقد وضع العلماء والمخترعون والمكتشفون والباحثون المسلمون آلاف المصطلحات العلمية والتقنية باللغة العربية ، احتوتها الكتب والأبحاث والرسائل العلمية والمعاجم العامة والمتخصصة ، ولكن هذه المصطلحات العربية ليست معروفة للباحثين المعاصرين ، وذلك لأسباب كثيرة ، منها الانقطاع بين التراث والمعاصرة ، ومنها أن معظم كتب التراث ما زالت مخطوطة ولم تنشر وليست متوفرة في المكتبات العامة ، وحتى لو نشرت فإن علماءنا الشباب يفضلون الرجوع إلى المصادر الحديثة . ومن هذه الأسباب أن كتب التراث لا تدرس في المدارس والجامعات اليوم .

وخلاصة القول إن العلماء والباحثين العرب يضعون بعض المصطلحات التي سبق أن وضعت على وجه آخر في تراثنا العلمي ، وهذا نوع آخر من ازدواجية المصطلحات . ومن الأمثلة الطريفة في هذا الباب الكلمة الأجنبية (Pyjamas) التي أثارت جدلا كبيراً في أحد المجامع اللغوية العربية واقترحت لها ترجمات كثيرة لم يحظ أي منها بالقبول والرضى ، وأخيراً حسماً للخلاف أبقي على اللفظ الأجنبي وسميت « **بجامة** » ، وبعد ذلك بفترة وجيزة عثر أحد أعضاء ذلك المجتمع على كلمة عربية فصيحة كانت قد وردت في كثير من كتب التراث ويستخدمها كثير من العامة ، وهي كلمة « **منامة** » أي اللباس الذي يلبس أثناء النوم . وهذه الكلمة أكثر معنى وأسلس لفظاً لأنها تنتمي إلى نظام اللغة العربية الصوتي والصرفي والدلالي .

ونتيجة سلبية أخرى لاغفال التراث العلمي العربي ظاهرة يسميها **الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله** (بالترجمة من العربية إلى العربية) . فقد استعارت اللغات الأوروبية من العربية آلاف المصطلحات مع تحويرات معينة لتنسجم مع الأنظمة الصوتية والصرفية لتلك اللغات . ثم جاء المترجمون وعربوا بعض هذه المصطلحات دون الالتفات إلى أصلها العربي فانتهينا إلى كلمات عربية مشوهة .

ومن الأمثلة على هذه الظاهرة كلمة (Sofa) الإنكليزية التي اقترضت مؤخراً إلى العربية على صورة **(صوفا)** دون أن نلتفت إلى أصلها العربي « **الصُفّة** » .

مشكلات اختبار قبول المصطلحات الجديدة

هل تحظى المصطلحات العلمية والتقنية الجديدة بقبول الجماهير واقبالها ؟ فمن خبرتنا في الوطن العربي يمكن القول إن المصطلحات الموضوعة قد تبقى حبراً على ورق ، أي في بطون المعاجم والكتب ، في حين يستخدم الناس أو مستعملو المصطلحات كلمات غيرها . ويمكن رد هذه الظاهرة المؤسفة إلى أسباب عديدة أهمها :

● أولا : يحدث أن الجمهور يستعمل فعلاً مصطلحاً يفي بالغرض ، ولكن واضعي المصطلحات ليسوا على علم به ، أو أنهم أهملوه لسبب أو لآخر . وبعبارة أخرى ، أن المجمعيين والأكاديميين لم يُجروا مسحاً لما هو مستعمل فعلاً من مصطلحات في كل حقل من حقول العلم والتكنولوجيا قبل أن يقدموا على وضع مصطلحاتهم الجديدة .

● ثانياً : أن مصطلحات المجمعيين والأكاديميين والعلماء تبقى في بطون الكتب ، لأن أغلبية الجماهير العربية مع الأسف ما زالت أمية ، أو لأن هذه المطبوعات لا تحظى بالتوزيع والانتشار . وهكذا يستمر الجمهور في استخدام كلمات مقترحة على غير نظام .

التنسيق وتوحيد الجهود

لقد تنبهت الجهات المعنية في الوطن العربي إلى خطورة الوضع ، فعهدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية إلى **مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط** بمهمة وضع خطة متكاملة لجمع المصطلحات العلمية والتقنية الموضوعة في شتى أقطار الوطن العربي وتنسيقها وتوحيدها وتقديمها في صيغة مشاريع معجمية إلى مؤتمرات التعريب العربية التي تعقد بصورة دورية ، وذلك لدراستها واقرارها وتعميم استعمالها في جميع الأقطار العربية . ومن ناحية أخرى بادرت المجامع اللغوية العربية هي الأخرى إلى تكوين اتحاد لها بغية تنسيق جهودها في ميدان المصطلحات العلمية والتقنية . **وإننا لواثقون أن العربية ستغدوا لغة العلم والتكنولوجيا كما هي لغة الفكر والأدب إن شاء الله .**

إن التجديد في مجال التربية أصبح من الضرورات الملحة لكثرة ما حدث من تغيير وتبديل وتطوير في **النواحي الاجتماعية والاقتصادية** ؛ فقد تبدلت حياة الأمم والشعوب ، وتغيّرت عاداتهم من حيث **طرق المعيشة** ، وقضاء **أوقات الفراغ** ، والنشاطات المختلفة في النواحي الاقتصادية والثقافية والترفيهية . فالجيل الجديد ينظر إلى آبائه وأجداده نظرة تدل على تخلفهم وجهلهم باستعمال المكتشفات والاختراعات الجديدة ، بما فيها من آلات وأجهزة حديثة ساعدت على تبدّل حياته وتطورها ، وجعلت منه إنساناً آخر ، خلق لزمان غير زمانهم . وعلى هذا ، فمن الواجب إعدادهم إعداداً يتناسب ومتطلبات العصر وحاجاته .

ومن ناحية أخرى ، فإن تغيّر وتطوّر النواحي الاقتصادية من حيث الإنتاج ، وشروط العمل ، والأنواع المنتجة والمستهلكة ، وما أوجده هذا العصر من آلات وأدوات وأجهزة ، وحققه من اكتشافات علمية ، كل هذه الأمور ساعدت على قلب حياة الطفل رأساً على عقب ، ووضعته على عتبة عصر وجيل جديدين ، تتسم صفاتها بالتقنية الحديثة ، وبالسرعة والإنجاز في آن واحد .

وقد أصاب التربية ما أصاب غيرها من حيث طرقها المتبعة في إعداد المعلمين ، وتدريس الأجيال الناشئة ، مما جعل من الضروري ، ليس فقط التفكير بايجاد تغيير وتطوير جذري في تلك الطرق والمفاهيم ، بل وجعل التجديد في التربية أمراً لا مفر منه . فإذا أضفنا إلى ذلك المجالات الجديدة التي أوجدها البحث العلمي الدائب ، وادخال الثقافة في مجال التربية ، مقرونة بتزايد الوعي التربوي لدى شعوب الأرض قاطبة ، نرى أنه صار بالإمكان جعل التجديد في التربية أمراً ممكناً وحتمياً في نفس الوقت .

مجالات الجامعة المفتوحة الأثيرية

بقلم : د . يوسف مصطفى القاضي

التقنية والعقل

ونظرة سريعة تبيّن لنا ما توفر اليوم في مجال التربية ، وفي المجالات الأخرى المرتبطة بها من قريب أو بعيد ، من الابتكارات العلمية والتقنية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والإدارية التنظيمية ، التي دفعت وغيّرت المعطيات الأساسية للأنظمة التربوية ، مما دفعها لتبديل طرقها وقوانينها تبديلاً جذرياً . وعلى سبيل المثال لا الحصر ، أذكر ما تم التوصل إليه عن طريق الدراسات المتعلقة بالتفكير وأسرار الدماغ البشري المفكر ، وفي مجال **العلوم البيوكيميائية** ، التي أوجدها الله سبحانه وتعالى وهيّأها في الإنسان ، هذه الأسرار مكنت العلماء من فهم **سلوك الإنسان** فهماً أكثر موضوعية وعمقاً عن ذي قبل ، فقد توصلوا إلى اكتشاف مدهش في هذا



المجال ، يتلخص في أن نسبة عالية من فعاليات المخ ونشاطاته وإمكاناته التي وضعها الله عز وجل فيه على شكل أكمام لم تتفتح بعد ، غير مستعملة أو مستغلة في الوقت الحاضر الاستغلال السويّ . فقد قدّر العلماء نسبة الإمكانات غير المستعملة والمخزونة في المخ بما يقارب ٩٠ ٪ من إمكاناته . وهذا يعني أننا لا نستعمل من إمكانات هذا الجوهر المكنون المسمى المخ ، إلا نسبة تقارب ١٠ ٪ فقط . ومن هنا يتضح لنا أن الله عز وجل شأنه ، قد وضع في الإنسان ككل ، قدرات وطاقات هائلة ، يمكنه استغلالها لو اهتدى لذلك ، والاهتداء يكون بإذن الله تعالى عن طريق العلم والبحث العلمي الصحيح .

نماذج جديدة

من هنا ، كان علينا نحن المربين ، أن نسعى سعياً حثيثاً لتطوير طرقنا وأنظمتنا التربوية ، وادخال عناصر جديدة عليها ، وتطوير مناهجها وأساليبها ، لتساير التطوير المستمر الذي يعمّ العالم اليوم ، حتى لا نتخلف عن ركب العلم ، الذي أمرنا ديننا أن نعمل جهدنا للوصول إليه وللانتفاع منه . آخذين بعين الاعتبار طاقات الفرد وإمكاناته التي وضعها الله تعالى فيه ، والتي تختلف من فرد لآخر . **وقد سارعت كثير من الأمم في السنوات المنصرمة لايجاد نوع من التجديد في عالم التربية ، يقيناً منها أنها المنطلق للانعاش الاقتصادي ، والتطور الاجتماعي والثقافي .** فظهرت للوجود أنواع ونماذج مختلفة من المدارس والنشاطات المدرسية ، مثل : « **الأقسام المتعددة الاستعمال** » ، و« **الأقسام المترابطة** » و« **الجامعات بدون مكان** » ، و« **المدارس المتوازية** » ، و« **الدراسات الحرة** » ، و« **الجامعات بدون جدران** » .

وترعرعت أنماط من المدارس الجديدة في كثير من أمم الأرض ، نذكر منها ما يلي :

ا — **المدرسة الثانوية بالمراسلة** Tellekolleg التابعة لجمهورية **ألمانيا الفيدرالية** ، (ألمانيا الاتحادية) .

ب — **المدرسة الثانوية بالمراسلة والإذاعة التابعة للقناة** N.H.K. **في اليابان .**

ج — **الجامعة المفتوحة** Open University ، أو جامعة الأثير في إنكلترا ، مجال بحثنا في هذه الدراسة .

د — **مشروع تيفيك** Tevec بمدينة **كويبك بكندا** ، ومن وسائله :

١ — حصص التلفزة بمعدل خمس حصص أسبوعياً ، ومدة كل حصة تسعون (٩٠) دقيقة .

٢ — دروس المراسلة (ارسال (١٥,٠٠٠) بطاقة تقريباً يومياً) .

٣ — زيارة الأساتذة ومراجعتهم (اتصالات مباشرة) .

٤ — إذاعة ندوات أسبوعية مسجلة بالتلفاز لمناقشة موضوع رئيسي مأخوذ من حصص التلفزة المذاعة .

٥ — الزيارات المنزلية يقوم بها فريق من المختصين مرة كل ثلاثة أسابيع .

ومن الملاحظ أن الطريقة المتبعة أعلاه تجمع بين طرائق التعليم النظرية والعملية ، كما أنها تربط بين البحث والتطبيق بصورة واضحة ومفيدة .

هـ — **مشروع « ساحل العاج »** لنشر التعليم عن طريق التلفزة ، والهدف منه ضمان التربية الأساسية لجميع الأطفال البالغين سن الدراسة عن طريق استخدام البث التلفزيوني المبرمج بصورة منهجية . وللاستفادة من هذا المشروع التربوي ، سهلت السلطة من تمكين جميع السكان هناك لاقتناء جهاز تلفزيون ، ونظمت البث من حيث قوة الإرسال ومواقيته .

مشروع الجامعة المفتوحة أو جامعة الأثير

قبل أن أبدأ بذكر أهداف الجامعة المفتوحة ، أو ما تسمى بجامعة الأثير ، أود أن أذكر أن أي تغيير أو تعديل أو تطوير في الطرائق التربوية التقليدية لتتلاءم النشاطات التربوية مع الطرائق التقنية الحديثة ، لا يكفي وحده ، ولا يفي بالغرض المطلوب من التطوير ، أو التعديل ، أو التغيير ، إلا إذا عملت الجهات المسؤولة على إعداد هيئة التدريس والقائمين على تنفيذ مثل ذلك المشروع ، من إداريين وموظفين وفنيين ، إعداداً كافياً لتفهم وتنفيذ خطة المشروع كما هو مطلوب منه . **فالأمر الهام في تطبيق وتنفيذ أي مشروع هو الجهاز البشري المسؤول عن تنفيذه والإشراف عليه ، وتقويم نتائجه .** إذن ، فمن الضروري أن نتأكد باديء ذي بدء من توفر الجهاز البشري . وفي حالة عدم توفره ، المسارعة إلى توفيره بالسرعة الممكنة دون أي تأخير .

أهداف الجامعة المفتوحة

من الأهداف الملحة لهذه الجامعة ما يلي :

١ — تلبية حاجات المجتمع المتزايدة لتوفير التعليم العالي .

٢ — الاتصال بأكبر عدد من المتعلمين بأقل النفقات .

٣ — تسهيل سبل التعليم العالي للجميع دون تمييز .

٤ — افساح المجال للتعليم العالي لأهالي المدن ، وخاصة في المناطق المكتظة والفقيرة ، بالإضافة إلى افساح المجال لسكان المناطق النائية في البلاد على حد سواء ، وعدم حصره بالقادرين مادياً .

٥ — رفع المستوى الثقافي والفكري لدى أفراد المجتمع بأقصر وقت ممكن وأيسر الطرق المتوفرة تقنياً .

٦ — مواجهة التغييرات التي حدثت وعملت ، أو ساعدت على تغيير طرق الحياة والعمل والنشاط لدى المجتمعات المختلفة .

٧ — تقليص مبدأ الانتساب الذي لا يتعدّى في جوهره تقديم بحث ، والجلوس لامتحان نهاية العام الدراسي ، مما يتسبّب في تدني مستوى التعليم .

تلك هي بعض الأهداف التي تهدف إليها الجامعة المفتوحة . فما هي الوسائل التي تمكنها من الوصول إلى تلك الأهداف ؟

وسائل تحقيق أهداف الجامعة

من الوسائل التي تسهل للجامعة الأثيرية بلوغ أهدافها ما يلي :

١ ـ **الاستفادة من الإرسال الإذاعي :** هذه الوسيلة متوفرة بصورة واسعة في جميع مناطق العالم دون تمييز . ولا تحتاج طرق الاستفادة منها إلى مجهودات كبيرة ، عدا التنسيق مع الإدارات المسؤولة عنها .

٢ ـ الاستفادة من **الإرسال التلفزيوني :** وهو متيسر في كثير من أنحاء العالم ، وآخذ بالانتشار بسرعة فائقة . والتنسيق لبرامجه ضروري ، شأنه في ذلك شأن الإذاعة .

٣ ـ عدم إهمال الكلمة المكتوبة عن طريق الاستعانة بكتب دراسية ومقالات علمية منشورة ، أو معدة إعداداً خصوصياً لتغطية النشاطات التي تتضمنها مجالات الجامعة المفتوحة .

٤ ـ تنظيم دروس بالمراسلة : قطعت جامعات ومعاهد علمية كثيرة شوطاً كبيراً في تنظيم دروس بالمراسلة ، والاستفادة من هذا التنظيم يساعد على توصيل المعلومات لمحتاجيها ، ويعزز جهود النشاطات الأخرى .

٥ ـ استخدام اللوازم المساعدة للدارس ، وهي ما تسمى اليوم **بالوسائل التعليمية** ، بما فيها من أجهزة ، ومخابر ، وبحوث ، ولوازم كتابية ، وخرائط ، وقواميس ، وأطالس ، وما شابهها .

٦ ـ الاستفادة مما هو متواجد ، وما يمكن عمله من **الأشرطة المسجلة** المتحركة ، والجامدة ، وتطويرها لتناسب حاجات المجتمع الذي يستعملها .

٧ ـ إعداد **حلقات دراسية** في الموضوعات العلمية المختلفة : والحلقات الدراسية منها ما هو قصير الأمد (لأيام معدودة) ، ومنها ما يستمر أسابيع عديدة .

٨ ـ إعداد دورات فصلية : تساعد هذه الدورات على الاتصال بصورة مباشرة بالدارسين والتعرف عليهم عن كثب . كما أنها تتيح لهم التعرف على غيرهم ، وما يقومون به من نشاط ، ويناقشونه معهم . وعادة ينتفع بعمل دورات أثناء إجازات الملتحقين بالجامعة ، أو في العطل الصيفية . وتكون الدورات في أمكنة مناسبة من حيث الاتصال ، والمركز الوسط ، والجو الملائم ، حتى لا يتضايق المنخرطون فيها ، وتؤدي بهم إلى الارهاق ، وخاصة أثناء راحتهم الرسمية .

ويجدر بنا ، ونحن في مجال ذكر النشاطات هذه ، أن ننوّه بما تقوم به دولة شقيقة في هذا المجال ، ألا وهي **دولة اليمن** ، التي بذلت جهوداً محمودة في سبيل نشر التعليم والثقافة بين أفراد المجتمع اليمني الشقيق ، عن طريق التعليم غير النظامي ، الذي ينظم عادة حسب حاجة المتعلم نفسه ، وحاجة المنطقة التي يعيش فيها ، والتي ربما تغطي جانباً من نشاطات الجامعة المفتوحة .

النظام المتبع في الجامعة المفتوحة

النظام المتبع هو **نظام المادة الدراسية** . وهذا يعني دراسة كل مادة على نحو مستقل ، على أن ينجح المنتسب بعدد معين من المواد حسب ما يتطلبه اختصاصه أو التدريب الذي يتهيأ له . وهذا الاتجاه في جعل المادة الدراسية محور النظام المتبع في الدراسة في الجامعة المفتوحة له مبرراته التي من أهمها : تنوع طلابها من حيث التحصيل ، والسن ، وجهة الاختصاص . وهذا جعل مسألة توحيد المناهج الدراسية والنشاطات التربوية والثقافية أمراً صعباً .

وإنني شخصياً أقترح **نظام الساعات** المعتمدة ليؤخذ به ويعمل ، إذا ما تبنّت الجامعات في **المملكة العربية السعودية** هذا النوع من الجامعات الجديدة ، لأنها أقرب من غيرها وأقدر على تلبية رغبات وحاجات ومتطلبات الدراسة ، لأنواع مختلفة من الطلاب الذين تفتح الجامعة أبوابها لهم . وهذا الاتجاه لا يتنافى مع المواد التي تدرس في الوقت نفسه في المملكة . علماً أن كثيراً من جامعاتها أخذت بتطبيق هذا النظام ، والمجال مفتوح لتطبيقه في البقية الباقية .

ونظام الساعات المعتمدة ، يلبي رغبات الطلاب بصورة أقدر من النظام السنوي ، كما أنه يتوافق مع مبدأ الفروق الفردية . **كما أن نظام الساعات المعتمدة يتمتع بمرونة أكبر من بقية الأنظمة الدراسية** في افساح المجال لإضافة مواد جديدة خلال السنة الدراسية ، أو حذفها ، والاستفادة من أيام السنة كلها ، وتقسيمها على شكل فصول دراسية تناسب مستويات الطلاب وحاجاتهم الدراسية . كما أن التحوّل من كلية إلى كلية ، أو من اختصاص إلى اختصاص آخر ، يتم دون خسارة كبيرة للطالب في دراسته ، حيث إن هناك احتمالا كبيراً لقبول معظم الساعات التي أتمّ الطالب دراستها بنجاح في المعاهد أو الكليات الأخرى المعترف بها .

أما من حيث **التسجيل وشروطه ،** فإنه يوضع لكل اختصاص شروط خاصة به ، وهذا يرتبط إلى درجة كبيرة بنوع النظام المرغوب في تطبيقه ، وأعود وأكرر **أن طبيعة الدراسة في الجامعة المفتوحة ، التي تفتح أبوابها لكل الناس ولكل المستويات والأعمار ، تتطلب نظاماً مرناً مثل نظام الساعات المعتمدة . قد يلقى هذا النظام معارضة من بعض الأساتذة ، وجوهر هذه المعارضة باعتقادي ، ينبع من كونهم لا يعرفون عنه شيئاً ، ويتحرجون من ذلك .**

مستوى تطبيق هذا النظام

أقترح تطبيق هذا النظام كما يلي :

●● البدء بتطبيقه في كلية واحدة من كليات الجامعة . وأقترح أن تكون من الكليات التي تعنى بالتربية النظرية والتطبيقية ، **ككلية التربية** . كما أنه من المنتظر أن تساهم تلك الكلية مساهمة طيبة في

تخطيط المشروع ، وتنفيذه ، وتقويمه ، ومتابعته .

●● نظام الجامعة المفتوحة يصلح لكل المستويات ، لكن البدء بتجربته في كلية واحدة ، ثم التدرج بعد ذلك لادخاله الكليات الأخرى والمراحل التعليمية الأخرى . فهو يصلح للمرحلة الثانوية ، والمتوسطة ، والابتدائية ، وكما ذكرت آنفاً ، فإن نوعاً مطوّراً من الجامعة المفتوحة تجري تجربته في **بلاد «ساحل العاج»** في إفريقيا الغربية ، ليعمّ نفعه جميع مراحل التعليم .

●● البدء بتطبيق المشروع على مراحل ، تتخلله فترات تجريبية ، ثم التوسع به حسب النتائج التي يحصل عليها . وهذا يعني ، أنه لو اتفق على أن تكون كلية التربية هي المختارة لتجربة المشروع فيها ، فالخطوة التالية تكون باختيار اختصاص من الاختصاصات والبدء به . علماً أنه يمكن البدء باختيار أكثر من اختصاص إذا توفرّت الوسائل المطلوبة لتنفيذ المشروع ، والتهيئة التي تساعد في تطبيقه .

التقويم والامتحانات

للتقويم والامتحانات فوائد كثيرة من حيث تقدير الطالب ، ومعرفة الإدارة نجاح عملها من فشله ، كما يستفيد منها المدرس لمعرفة مدى نجاح طريقة تدريسه وأسلوبه في التجاوب والتشويق والمناقشة مع طلابه . وبالإضافة لما ذكر أعلاه يستحسن أن توضع لائحة تنظم مسار التقويم والتقدير والنتائج ، منها ما يلي :

● تعقد **امتحانات فصلية** بإشراف لجنة فاحصة تختار من قبل إدارة الجامعة المفتوحة .

● يمكن أن تتم **الامتحانات في مركز الجامعة** ، أو في مراكز أخرى يتفق عليها . وتشرف عليها لجنة مكلفة من قبل الجامعة ، يختار أعضاؤها من منسوبي الجامعة ، أو من غيرها من الجامعات والكليات ، حسب اتفاق مسبق معها ، وحسب انتشار فروع الجامعة .

● يمكن أن يكون التقويم على شكل بحث مقدّم ، ويناقش بصورة علنيّة من قبل مدرس المادة .

● بعض النشاطات لا تتطلب تقويماً على شكل امتحانات فصلية أو شهرية ، أو تقديم بحوث . ويكتفى برأي مدرس المادة في ذلك ، بشرط أن يكون على اتصال وثيق مع طلابه ، ومن الملاحظة المستمرة والمناقشة ، والقيام بالنشاطات التربوية ، حيث يمكنه أن يحكم على مستويات تقدمهم ونضوجهم .

● يوضع **نظام لتقدير الدرجات** يتمشى مع متطلبات هذا المشروع المتطور .

● يمنح الناجحون من الطلاب درجات علمية حسب مراحل دراستهم .

● استصدار قرار بمعادلة الدرجات **(الشهادات)** التي تمنح من قبل الجامعة المفتوحة ، حتى يتسنى للخريجين متابعة الدراسة في الجامعات والمعاهد الأخرى دون عقبات تذكر .

قبول المشروع وتنفيذه

إن قبول مشروع مثل مشروع الجامعة المفتوحة يتطلب الأمور التالية :

١ ـ تكوين لجنة متخصصة لوضع الأسس المتعلقة بالمشروع والاتفاق على النظام المقترح .

٢ ـ التزود بالوسائل اللازمة لتنفيذه بما في ذلك الأجهزة والمختبرات ووسائل الاتصال المباشر وغير المباشر .

٣ ـ استكمال التنظيمات الإدارية والفنيّة والكتابية اللازمة لتنفيذ المشروع .

٤ ـ انتداب عدد من المختصين للاطلاع على مشروعات مشابهة في البلدان التي تستفيد منه . مثل إنكلترا ، وساحل العاج ، وكندا ، واليمن . وزيارة هذه البلدان تتطلب أناس مؤهلين للدراسة لتفهم كنه المشروعات المتواجدة في تلك البلدان .

٥ ـ البدء باجراء تجارب على تسجيل الدروس النموذجية والاتصال بالجهات والأشخاص الذين يمكنهم مدّ يد المساعدة لتحقيق المشروع وتطويره .

٦ ـ الإعلان عن تسجيل الطلاب يتم بعد التأكد من نجاح التجارب ، وذلك حتى يكون التسجيل منسجماً مع نتائج التجارب .

٧ ـ العمل على تطوير المشروع حسب النتائج التي يتوصل إليها من التجارب ، بحيث يحقق الهدف المتوقع منه ، وهو افساح المجال لمن يرغب في الاستزادة من العلم والتخصص ، وافساح المجال له في ذلك على مصراعيه .

٨ ـ الاتفاق مع بعض الجامعات والمعاهد العلمية المتمرسة في هذا المضمار لتبادل الخبرات التربوية .

٩ ـ بعد التأكد من نجاح التجربة في إحدى الكليات وتعميمها على كليات أخرى داخل المملكة ، يستفاد من المشروع في **التوعية الإسلامية** في البلدان الأخرى ، حيث تغذّى **المراكز الإسلامية** بالتسجيلات والمحاضرات والتوجيهات التي تساعد في التضامن والتآخي ، والتوجه وجهة إسلامية .

١٠ ـ الإعداد الكافي للاستفادة من المشروع في **تعليم المرأة المسلمة** بوجه خاص ، وتسهيل مهمة تعليمها الجامعي وتخصصها . حيث إن هذا المشروع يتيح لها ذلك بعيداً عن المضايقات التي تتعرض لها في الجامعات العادية والكليات .

هذا ما بدا لي من رأي حول مشروع الجامعة المفتوحة ، أضعه بين أيدي المسؤولين ، راجياً أن أكون قد وفقت في إعطاء فكرة مقبولة عنها ، والله الموفق .

وعلاقات الأخوة بين العرب والفرس

بقلم : روكس بن زائد العُزَيزيّ

قدم الأدب الفارسي

يرى الباحثون ، أن الأدب الفارسي ، قد سبق المئة السابعة قبل ميلاد السيد المسيح ، ومن أشهر الآداب العالمية كتاب الفرس المقدس ، (الافستا) ، الذي دوّن على اثني عشر ألف رق ، من الرق المتخذ من جلود البقر .

ولما فتح (**الإسكندر الكبير**) بلاد الفرس ، أحرق هذا الأثر النفيس . لكن بعض الحاقدين على العرب ، اتهموا العرب باحراقه . في حين أن بين فتح (الإسكندر) لبلاد الفرس ، وبين [1] فتح العرب لتلك البلاد ، عشرة قرون .

ولم يكتف (الإسكندر) باحراق (الافستا) ، بل أحرق يوم فتح (**أصطخر**) العاصمة ، كل خزائن الكتب التي كان القوم قد جمعوها من بلاد (**الهند**) و (**الصين**) .

الفاتحون واحراق خزائن الكتب

من المحزن ، أن الفاتحين ـ قديماً ـ كانوا يتباهون باتلاف الكتب ،

وشواهد ذلك في التاريخ كثيرة ، فقد أحرق (الإسكندر) **مكتبة (پرسوليس)** سنة ٣٣٥ ق . م ، وكانت تشتمل على عشرة آلاف مخطوط .

وفي سنة ٢٧٠ قبل الميلاد ، أمر الإمبراطور الصيني ـ **(تسي شن هوانج)** باحراق كل كتب العلوم والتاريخ ، وكانت مئة ألف كتاب .

ولم تكن الكتب التي أحرقها (الإسكندر) ، هي كل ما عند الفرس . فقد عثر في أوائل القرن الرابع الهجري على مخابئ في **رستاق (جي)** بـ (فارس) على **أزج**[٢] مقصور بالحجارة ، فوجدوا فيه كتباً كثيرة في لحاء **التُوز**[٣] ، وفيها أصناف من علوم الأوائل ، باللغة الفارسية القديمة ـ **الفهلوية**[٤] ـ وقد ظهر من قراءتها ، أن الملك **(طهمورث)** المحب للعلم والعلماء ، خاف على تلك الكتب أن تتلفها الأمطار ، فأودعها في مخابئ ذلك الرستاق . وهي كتب نفيسة في **علم النجوم** ، وعلل حركاتها ، مما كان عند **الفرس والروم والكلدان** ![٥]

* * *

وعثروا كذلك على (أزج) آخر ، انهار ، فظهرت فيه كتب كثيرة ، لم يهتدِ أحد إلى قراءتها ، **ويستنتج من هذا ، أن عادة إخفاء الكتب في الكهوف ، كانت شائعة في ذلك الزمن .**

وقد ذكر **(ابن النديم)** ما حرفه : « والذي رأيته أنا بالمشاهدة ، أن **(أبا الفضل ابن العميد)** أنفذ إلى هنا ، سنة نيّف وأربعين كتاباً مقطّعة ، أصيبت في **(أصفهان)** في سور المدينة ، في صناديق .

* * *

الفرس وحرصهم على العلم وتكريمهم العلماء

والفرس بطبعهم يحرصون على العلم ، ويكرمون العلماء ، ففي أيام **(سابور)**[٦] نشبت حرب بينه وبين الرومان ، فانتصر (سابور) فحمل معه عدداً كثيراً من أسراهم إلى بلاده ، وأنشأ لهم في **(الأهواز)** مدينة ، سماها **(جنديسابور)**[٧] ـ نسبة إليه ـ وأكرم وفادتهم ، فحببوا إليه العلم ، فعمل على إحياء علوم الفرس ، واسترجاعها من بلاد **اليونان** ، فبعث إلى بلاد اليونان من أحضر كتب الفلسفة ، وأمر بنقلها إلى الفارسية ، واختزنها في مدينته ، وأخذ الناس في نسخها وتدارسها[٨] .

* * *

لجوء الفلاسفة إلى (كسرى أنوشروان) العادل

ولما تولى **(كسرى أنوشروان العادل)** من سنة ٥٣١ إلى سنة ٥٧٨ م ، اتفق أن قيصر الروم **(يُستنيان)** اضطهد الفلاسفة الوثنيين ، وأغلق الهياكل والمدارس الوثنية ، ففر سبعة من هؤلاء الفلاسفة ، ولجأوا إلى (كسرى أنوشروان) فأكرمهم ، وطلب منهم أن يؤلفوا كتباً في الفلسفة ، أو ينقلوها إلى الفارسية ، فألفوا في **الطب والفلسفة** كتباً ، طالعها **(كسرى أنوشروان)** ورغب الناس فيها ، وعقد المجالس للبحث والمناظرة ، كما فعل **(المأمون)** بعد ذلك بقرنين ، وبعض القرن . حتى توهم اليونانيون الذين جالسوا (كسرى أنوشروان) ، أنه من تلامذة **(أفلاطون)** ، ويعتقد الباحثون أن تلك الفلسفة كانت أساساً لتعاليم الصوفية ، التي نشأت في بلاد الفرس فيما بعد .

نقل علوم الهنود إلى الفارسية

لم يكتفِ (أنوشروان) بنقل علوم اليونان إلى الفارسية ، بل أمر بنقل علوم الهند من **(السنسكريتية إلى الفارسية)**[٩] وأنشأ في **(جنديسابور)** مستشفى (بيمارستان) لمعالجة المرضى ، ولتعليم صناعة الطب ، واستقدم إلى هذا المشفى الأطباء من الهند ، ومن بلاد اليونان ، وكانوا يعلمون في هذا (المشفى) ـ البيمارستان ـ الطب العام ، وكان له منزلة عظمى ، بعد الإسلام .

* * *

ممارسة الفرس للعلوم الكونية قبل الإسلام

فيما تقدم ، نفهم أن الفرس مارسوا الطب والفلسفة ، قبل الإسلام ، وذاع صيتهم في العالم ، وبرعوا براعة خاصة في علم النجوم والفلك ، وتوارثوا ذلك عن أسلافهم ، ونقلوه عن جيرانهم . وقد ازدهر العلم عندهم في عهد (أنوشروان) العادل .

فضل الفتح العربي الإسلامي

ولقد عمت بلاد الفرس النهضة ، بفضل الفتح العربي وبهمة شعراء عظماء ازدانت بهم بلاد **السلطان محمود الغزنوي** في المئة العاشرة للميلاد ، إذ درس أدباء الفرس الأدب العربي ، فأثر ذلك في القمم من أدباء بلاد فارس ، ودليلنا على ذلك ما كان للأشعار العربية التي نظمها **الفردوسي** ، كبير شعراء فارس القصصيين ، التي كان لها صدى استحسان رائع في **بغداد** .

أما معاصر الفردوسي **أبو النجم** (أحمد منوجهري دامغاني) الذي شبهه الغربيون بالشاعر الفرنسي **(رونسار)** (RONSARD) لما وهب له الله من عبقرية، ولأثره العظيم في نهضة الشعر في عصره فإن شعره كان متأثراً بالعربية تأثراً واضحاً.

* * *

أعظم أثر لشعر العربية في الشعر الفارسي

ولعل أعظم أثر لشعر العربية، يبدو واضحاً في شعر **(المعزي)** الذي لقبوه بـ (ملك الشعر)، وقد نظم شعره على غرار الأسلوب الذي اختطه شعراء العرب الأقدمون، فوقف على الأطلال، وبكى واستبكى. **وعمر الخيام** نظم الشعر بالعربية، وقد كان لرباعياته أثر عظيم في أدباء العربية ! ..

أما **(السعدي)** فقد أخذ علومه الظاهرة في (بغداد) عن الشيخ **(شهاب الدين)** وعلومه الباطنة عن **(عبد القادر الكيلاني)** ونظم – على ما يقال – عشرين قصيدة باللغة العربية.

وإذا ذكر **(حافظ الشيرازي)** خطر على بالنا أنه تعلم الفقه، والآداب العربية، وعلمها، في مدينة (شيراز).

إن هؤلاء النوابغ، قد طعَّموا الأدب العربي بروائعهم، وبأفكارهم، مع هذا، فإنهم هم بدورهم، كانوا متأثرين بالأدب العربي، فقد كان لقصة **(مجنون ليلى)** أثر عظيم في أدباء فارس .. وقد تأثر أدبنا العربي بالقسم الأسطوري من ملحمة الفردوسي.

حكاية نظم الشاهنامة

لنظم الشاهنامة حكاية غريبة، تستحق أن نوردها. فقد كان (الفردوسي) من أسرة وجيهة، فاهتم والده بتثقيفه. وكان (الفردوسي) العبقري يراقب – في طفولته – القناة التي تتفرع من **(نهر طوس)** للري، وكان هناك سد، يلقي فيه الأهلون حطباً محزوماً، وتراباً ليحصروا مياه النهر، لكي تفيض في القناة. وكان هذا السد لا يقوى على تحمل المياه عند الفيضان، فكان ينهدم كلما حاولوا إعلاءه، فإذا انهار السد، جفت القناة، ففقدت المنفعة المرجوة منها ! ..

وكان (الفردوسي) كما ذكرنا قبيل هذا، يراقب ذلك، ويفكر في نفسه أن يبني سداً، غير هذا السد، بناءً محكماً، وقد ظل هذا الأمل يراوده، ولما شب (الفردوسي) تعرف – في طوس – إلى شاعر يدعى **(العقيقي)** كان ينظم سيراً لملوك فارس. لكن الشاعر (العقيقي) قتل قبل أن ينجز سوى ألف بيت من ملحمته، فصمم (الفردوسي) على انجاز ما بدأه (العقيقي).

فسمت بـ (الفردوسي) همته، إلى الاتصال بالسلطان (محمود الغزنوي)، فطلب (الغزنوي) من (الفردوسي) أن ينظم له سير الملوك، بعد أن رفع قدره، وأفرد له جناحاً في قصره.

وقد أراد السلطان (محمود الغزنوي) أن يدفع للفردوسي عن كل ألف بيت من الشعر، ألف دينار، غير أن الفردوسي، رغب في قبض المال جملة، بعد أن ينجز الملحمة، وكان في نيته أن يستخدم هذا المال في بناء السد الذي رآه يتهدم.

وقد أنفق (الفردوسي) من حياته اثني عشر عاماً، في نظم (الشاهنامة)، فاستقام له من ذلك ستون ألف بيت من الشعر، وقع في بعض أقسام منها تكرير، يفرض على الذي يجهل تاريخ الفرس وملوكهم شيئاً من الملل، خاصة، لأنه استعمل كثيراً من الألفاظ الحوشية، غير أن القسم الخاص بأخبار **(الساسانيين)** يأسر القارئ لما فيه من السحر والحماسة ! ..

حُسَّاد الفردوسي، وسعايتهم به

لكل عظيم أو ناجح حسادٌ، ومنافسون، يحقدون عليه، وقد كان حظ (للفردوسي) من هذه الطغمة، وافراً، فأشاعوا حوله عاصفة من الوشايات، التي غيرت قلب السلطان عليه، مع هذا، فقد كان السلطان مصراً على أن يفي للفردوسي بوعده، وينقده ديناراً ذهباً عن كل بيت من الشعر، غير أن بطانة السلطان الحاقدة أقنعته أن يدفع دراهم من **الفضة**، بدلا من دنانير **الذهب**. وقد فعل السلطان بنصيحة أعوانه، فأحس (الفردوسي) باخفاق مسعاه، فلغيظه، وزع هبة السلطان على من لقية من الناس، وهجر **(غزنة)**، وفي قلبه حسرة، وفي نفسه مرارة، وهجا السلطان (محموداً) هجاءً مراً، واعتزل الناس في (طوس) حتى لقي ربه، وهو يعاني ألواناً من الفقر ! ..

نـدم السلطـان

لقد شعر السلطان في أحد الأيام بتأنيب من ضميره، لأنه لم يف بوعده للشاعر، فأرسل بالذهب الذي وعد به (الفردوسي) مع قافلة، وقد اتفق أن القافلة وصلت و(الفردوسي) يودع الحياة، فدخلت القافلة من أحد أبواب (طوس) وخرجت جنازة (الفردوسي) من الباب الثاني.

فتوجهت القافلة إلى بنت الشاعر، تقدم لها الذهب، فأبت أن تقبل مالا بخل به على أبيها، وقالت : «**إن الله قد أغناني عن كنوز السلطان بما وهب لي من كفاف، وبما أحاطني به من**

عفاف ! » .

لكن شقيقة الشاعر تذكرت ما كان يحلم به شقيقها من بناء السد ، على نهر (طوس) ، ونقلت ذلك للمسؤولين ، ودفعت إليهم المال الذي بعث به السلطان ، فبني السد ، وظلت آثاره تشهد بعظمة الشاعر (الفردوسي) بحو[illegible]عة قرون !

*　　*　　*

فنون الشعر الفارسي

لقد برع الفرس في كثير من فنون الشعر ، من ذلك :

ا ـ **الشعر الغنائي .**

ب ـ **الشعر القصصي .**

ج ـ **الشعر الصوفي .**

د ـ **شعر الملحمات** ، ومنها الملحمات الرومنطيقية .

⊙ أما **الشعر الغنائي** ، فأقدم شعرائه **(الرودكي السمرقندي)** ، الذي عينه الأمير **(نصر الساماني)** شاعراً لبلاطه في **(بخارى)** ، فأثار هذا التعيين على الشاعر موجة من الدسائس ، التي لا يكاد يخلو منها قصر ، فنقم السلطان على شاعره ، فاضطر إلى اعتزال الناس في بلدته ، **(جوار رودك)** التي شهد فيها النور ، وهناك كف بصره وتوفي سنة ٩٤٠ م .

● وقد اشتهرت **إيران** شهرة واسعة مستفيضة بالشعر القصصي ، وتأثر شعراء بلاد كثيرة بشعر الفرس القصصي ، ولا نرانا في حاجة إلى الوقوف عند هذه النقطة لشهرتها !

● يلي **الشعر القصصي** ، الشعر الصوفي ، الذي ازدهر في بلاد الفرس ، لما في طبيعة الشعب الفارسي من الشفافية وحب الخير ، وكان أشهر شعراء هذا الفن **(جلال الدين الرومي)** [١٣] صاحب (المثنوي) و (منطق الطير) ، وكان أقدم شعراء الصوفية **(أبا سعيد)** ابن **(أبي الخير)** سنة ٩٦٧ ـ ١٠٥٠ م ، وقد أثر في أدبنا العربي أدب الفرس الصوفي هذا .

● واشتهر عند الفرس **شعر الملاحم** ومن أشهر تلك الملاحم **(البرزونامة)** لشاعر مجهول قلد فيها (الشاهنامة) واشتهر عندهم أيضاً الشعر الملحمي الرومنطيقي ، ومن أشهره تلك الملحمة التي نظمها **(فخر الدين الكركاني)** ناظم **(الملحمة الغرامية)** التي كانت مثالا قلده **(النظامي)** بعد قرن من الزمن . وقد تفوق (النظامي) شعراء الملحمات ، فكان إماماً للشعراء بديوانه الذي اشتمل على خمس ملحمات ، فقلده كثيرون .

بلاط السلطان الغزنوي ملتقى الشعراء

وقد كان بلاط السلطان (محمود الغزنوي) ملتقى الشعراء والأدباء ، فكان الشعراء يقصدونه ليتناشدوا الشعر ، وينالوا هباته ، ويناقش بعضهم بعضاً ، وكان أكثر هؤلاء من الشعراء الغنائيين ، أمثال : **(منوجهري) و (الأسدي) و (العسجدي)** وغيرهم . ولعل أعظم الشعراء الغنائيين هو **(حافظ الشيرازي)** [١٤] شاعر الحب !

هوامش

١ ـ إعادة (بين) إذا وقعت بين اسمين ظاهرين واردة في الجزء الأول من الكتاب لسيبويه ، والذين يخطئون هذا الاستعمال غير مصيبين .

٢ ـ الأزج هو البيت المبني طولا .

٣ ـ نوع من الشجر .

٤ ـ الفارسية القديمة .

٥ ـ التمدن الإسلامي لزيدان ، ج ٣ ، نقلاً عن الفهرست لابن النديم ، ص ٢٤٠ .

٦ ـ سابور اسم لعدة ملوك من (بني ساسان) ، وسابور الأول أردشير ٢٤١ ـ ٢٧٢ م ، يسميه العرب سابور الجنود ، حارب الروم ففتح مدينة (نصيبين) وأخضع أنطاكية ، وأسر الإمبراطور (فليريانوس) .

٧ ـ (جنديسابور) مدينة في (خوزستان) أسسها الملك (سابور) الأول الساساني ، وأسكن فيها اليونان الذين أسرهم ، فتحها (أبو موسى الأشعري) في أيام (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه ، اشتهرت بمعهدها الطبي ، وقد كانت لغة التعليم فيه الآرامية .

٨ ـ التمدن الإسلامي ، ج ٣ ، نقلاً عن أبي الفداء ، ج ١ ، ص ٥٠ .

٩ ـ E. BRO WEN'S LITERARY HISTORY OF PERSIA 167

١٠ ـ العصبة الأندلسية ، السنة الثانية عشرة ، عدد أيار (مايو) سنة ١٩٥٢ م ، ص ١٩٥ .

١١ ـ (رونسار) شاعر فرنسي ١٥٢٤ ـ ١٥٨٥ م ، رائد الحركة الأدبية في زمانه ، ثار على تقاليد القرون الوسيطة ، وسار بالشعر الفرنسي على آثار الأقدمين من اليونان واللاتين ، من غير أن يتخلى عن استقلاله الشخصي . من مؤلفاته (أود) و (الغراميات) و (الغاب) و (المراثي) .

١٢ ـ (المعزي) (أمير أبو عبد الله) من مشاهير الشعراء في بلاط (ملكشاه) (معز الدين) في (إيران) ١٠٧٢ ـ ١٠٩٢ م ، قصائده من أجمل ما نظم في الشعر الفارسي القديم إن لم تكن أجمله .

١٣ ـ (جلال الدين الرومي) أكبر شعراء الصوفية الإيرانيين ، وهو من كبار علماء الفقه والخلاف وأنواع العلوم . ديوانه (المثنوي) يعد أعظم آثاره ، وهو أهم كتاب في التصوف الإيراني ، يحتوي ستة وعشرين ألف بيت من بحر الرمل ، ترجمت أشعاره إلى لغات مختلفة ، له مريدون وأتباع كثيرون في إيران والهند وآسيا وأتباعه يؤلفون الطريقة المعروفة بالمولوية . وهو من أعظم شعراء الحب ، والحب عنده دواء كبريائنا وفتنتنا بأنفسنا وطبيب ضعفنا ـ عثرات المنجد لسماحة الشيخ إبراهيم قطان .

١٤ ـ (حافظ الشيرازي) هو (حافظ شمس الدين محمد) ١٣٢٠ ـ ١٣٨٩ م ، ولد في (شيراز) من شعراء الغزل عفيف في وصف مواقف الحب ، شيعي اثنا عشري ، جمعت أشعاره في ديوان حافظ ، ونقلت إلى الألمانية والإنكليزية .

كانت **دلهي** تعد حين مولده عاصمة من عواصم الإسلام ، وكان حكم **المغول** المسلمين خلفاء «أورنجزيب» و«الشاه جيهان» و«أكبر» تنوشه رماح الاستعمار والنزعة الطائفية من كل جانب .

وليس في الأمر غرابة ، فقد كان شبه **القارة الهندية** كله في ذلك الوقت قطراً واحداً ، وكان ثلاثة من كل عشرة من سكانه مسلمين ، بينما كان ثلاثة من كل عشرة مسلمين في هذا العالم الفسيح يعيشون في شبه القارة الهندية .

وقد كان **الشاعر الهندي المسلم** «**أسد الله غالب**» هو لسان هؤلاء ، بل كان إلى ذلك هو صداح الهند بكل أديانها ولغاتها ، ولا يكاد يقاربه في مكانته في شبه القارة حتى الآن إلا شاعران هما **رابندرانات طاغور الهندوكي ومحمد إقبال المسلم** ، وكلاهما قد نهل من مورده واستقى من معينه .

شاعر الهند الكبير

بقلم : الشاعر صلاح عبد الصبور

نشأته

كان **ميرزا أسد الله خان غالب** ينتسب إلى **الأمراء السلاجقة** الذين حكموا رقعة من العالم الإسلامي تمتد بين تركستان والبحر المتوسط ما بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر الميلاديين . وحين انهار ملك السلاجقة انبعثت فلولهم تبحث عن موئل ، فلجأ أجداد غالب إلى **سمرقند** ، ثم هاجر أحد أجداده الأدنين إلى الهند في حوالي عام ١٧٥٠ م ، حيث أناط به النواب **معين الملك حاكم لاهور** عملاً ، ثم انحدر هذا الجد إلى دلهي ، حيث توسط له النواب **ذو الفقار** ، فألحقه بخدمة السلطان المغولي **علي جوهر** الذي أصبح فيما بعد ملكاً باسم «**شاه علام**» .

وأنجب هذا الجد أربعة أبناء كان منهم ميرزا عبد الله بك خان أبو شاعرنا .

ولكن الأمور لم تمض كما تشتهي أسرة غالب ، فقد توغل البريطانيون في أنحاء الهند ، وزلزلوا قوائم حكم المغول ، وبقي منهم أثر واهن وبلاط هزيل لا يكاد يشي بظل من العظمة الباهرة والمجد الباذخ الذي كان للأسلاف الأولين ، وفي هذه الأزمنة المضطربة ولد **أسد الله غالب** .

ويقول غالب في إحدى قصائده إنه عوقب بالانحدار إلى العالم في زمن الانحدار . والزمن الذي يعنيه غالب ، ولنقل اليوم بالتحديد هو الثامن من رجب عام ١٢١٢ هـ ، أو السابع والعشرين من ديسمبر (كانون الأول) عام ١٧٩٧ م . ويمضي غالب ليقول إنه ظل تحت الحصار ثلاثة

عشر عاماً ، ثم ألقيت بعدئذ الأصفاد في قدميه . ويعني بذلك أنه تزوج وهو في هذه السن الباكرة كعادة أهل الهند في هذه الأيام .

وفي هذه السن الباكرة أيضاً **كتب غالب الشعر بالفارسية والأوردية** ، ولعله كان يحلم عندئذ بآفاق لم يرتفع إليها أحد ، فهو يقول :

الخيال المشوق للمتع القادمة يثقل أغنيتي
فأنا بلبل لم تخلق حديقته بعد

وقد درس غالب في هذه السن الباكرة ألوان الثقافة الشائعة في عصره ، فألم **بالعربية** ، وقرأ **القرآن الكريم** ، ثم تبحر في **أدب اللغة الفارسية وشعرها** ، وبدأ حياته الشعرية مقلداً لشاعر الفارسية الكبير **حافظ الشيرازي** .

شعره

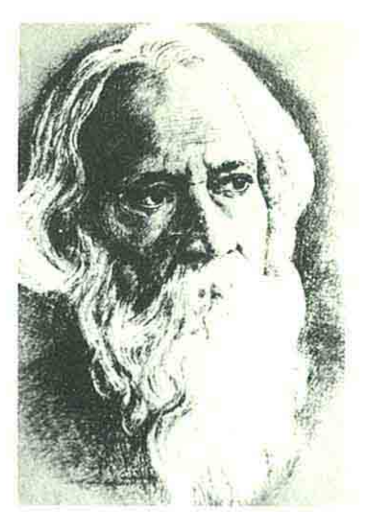
وموضوع **الحب** هو الموضوع الأثير عند حافظ ، وهو في تناوله له يحير قارءه ، فلا يدري أهو يتحدث عن توق الروح إلى الفناء في الذات الشاملة ، أم عن حب أرضي مصطبغ بنوازع اللحم والدم . وهكذا كانت تجري غزليات حافظ . وهكذا جرت غزليات غالب في سنيه الأولى .

برق الجمال الباهر قد أعشى باصرتي
ولم تبق إلا الأهداب كتويجات الزهره
ذخائر نفيسة من حريق ملتهب
لقد حددت بصري في الفضاء
لأرى هذه الرؤى ثانية ، ولكن الدموع غسلت
كل شيء إلا شغفي ... لم يبق شيء
ما عدا النظرة ... صافية كلمعة قطرات الندى
لقد هوت حديقة الرغبة تحت وطأة يد الخريف
يد الخريف الذاوية ، وسوف يعود الربيع
شاحباً منزوف الدم ، كتنهداتي
فلقد ذهب جمال عيني « الساقي » ، وتحطم
كأس العشق ، ولم يبق لي من رفيق
سوى الوحدة الكابية

النضج

ولعلنا حين نقرأ هذه « **الغزلية** » ندرك أنها إرهاص بشاعر كبير ، ففيها هذا التتبع الواضح للحالات النفسية التي تلم بالشاعر ، ما بين تفاؤل وتشاؤم ، وإقبال على الجمال يتهدده الخوف من إدبار الحياة . ولعل خاطر **الموت** ، هذا الخاطر الذي يتردد مع أنفاس الشعراء في بداية نضجهم كان أحد الخواطر الملحة في شعره الباكر .

السماء والأرض معاً قد يصبحان في طرفة عين


★ طاغور ★

سديماً من المحو والهدوء والسلام
حين يعترضان نظرة الموت الشاحبة

ولكن هذه الحال الحزينة ما لبثت أن تجاوزت الشاعر ليلج منها إلى حال أخرى ، تلك هي حال التأمل الذي يضم أطراف الحياة كلها من فرح وعناء ، وسرور وشجى ، ووجود وعدم ، وحينئذ كان الشاعر الكبير قد وصل إلى سمت نضجه .

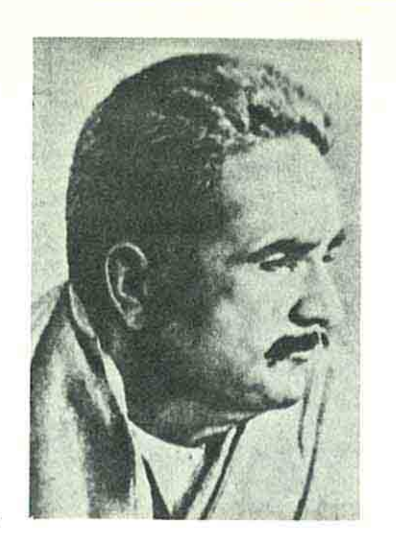
وقد ظل غالب بين سن الخامسة والعشرين والخمسين ، يكتب باللغتين الفارسية والأوردية . ثم أخلص ما بقي من حياته للكتابة بالأوردية ، ولذلك كان دَين هذه اللغة نحوه عظيماً ، فهو الذي منحها صفاءها الشعري ، وثروتها اللغوية المستمدة من الهندية والفارسية والعربية ، وجعل منها لغة شعرية راقية ، يكتب بها محمد إقبال شعره الرفيع أو يتحول إليها بعد أن بدأ هو أيضاً شاعراً بالفارسية .

وبهذه اللغة الأوردية أبدع غالب معظم غزلياته المتأخرة ، وهذه الغزليات بناء شعري مستق من الفارسية ، يتحدث فيه الشاعر في قصيدة قصيرة عن مواجده وصبواته وتأملاته ، ثم يختمها في بعض الأحيان بما يسمى « **التخلص** » ، وهو أن يدمج اسمه القلمي في السطر الأخير أو الثنائية الأخيرة من القصيدة .

وغزليات غالب هي حتى الآن الزاد الوجداني والفكري لشمال الهند ، وبها يتغنى مغنوها الكبار ، وبحكمها وأمثالها وجملها البليغة يستشهد الناس حين يتكلمون ، ومن كلماتها بعد التلحين معظم « **القوالي** » أو الأغاني التقليدية في الهند . وفي بعضها لون من التأمل الفلسفي العميق الذي يقف وسطاً بين تفكير الفلاسفة وخواطر الصوفيين .

لا تخجل من رؤيتي ، أنت يا من كشفت الوهم
وهم تعارض الحس والمعرفة
فلست إلا حفنة من غبار الطريق ، وكل حركتي وخمودي
ليس لها معتد أو معنى

أين تضع رغبتي المشتعلة قدمها الأخرى
ووطأة قدم واحد قد غطت صحارى العالم


★محمد إقبال★

لم أمنح ما يكفي من المكان
ولذلك فأنا أتوق إلى صحراء في مثل حجمي
وهذا هو آهتي وصرختي للعالم الذي يولد

ولكن النزعة الصوفية كثيراً ما تستحكم في شعره، ويصبح التوق إلى الحقيقة شغله الشاغل. وحينئذ يقترب عالمه من عالم شعراء الصوفية الكبار **كمولانا جلال الدين الرومي أو ابن النارص.**

يقول غالب في قصيدته «**إلى الله**»:

ينبغي أن يرجوك اللسان لتمنحه القدرة على الحديث
ولو أن الصمت يجد طريقه إليك
ففي الأيام الداكنة لا نملك إلا صرخاتنا إليك

يعود نور الصباح إلى نورك حين يبزغ النهار
ويصبح البكاء موسيقى في جوار ملكوتك
وترقد الرحمة منتظرة كي تأذن لها
بأن تقودنا إليك.

آخر الأيام

أنجب غالب من زوجته التي يقول لنا في بعض شعره إنه لم يجلس معها إلى مائدة طعام قط ـ لتنافر طباعهما ـ أنجب منها سبعة أبناء ماتوا جميعاً في طفولتهم، وهكذا كانت حياته الخاصة حياة شقية لا يكاد يقطع شقاءها إلا سهره مع الأصدقاء، وجلسات «**المشاعرة**» التي كان يعقدها مع شعراء زمانه.

والمشاعرة تقليد هندي أوردوي معروف، ذو ترتيب مرعى، وشكله هو أن يجلس شاعران متناظران أو مجموعتان متناظرتان من الشعراء، ويقترحون قافية وبحراً عروضياً، ثم يدور الارتجال بعد ذلك، والجمهور منصت يبدي استحسانه أو استهجانه، حتى تتم الغلبة لأحد المتناظرين.

وكان غالب إلى ذلك كله يرعى صغار الشعراء، ويبذل لهم النصح والمعونة، وقد تعرض في أخريات أيامه لآلام الإملاق وهبوط الصحة، إذ قامت ثورة ١٨٦٠م، في الهند ضد **الإنجليز**، ولم يشارك فيها، إذ كانت هندوكية الباعث والاتجاه، ولكنها حين أخمدت منع الإنجليز عن غالب معاشه التقاعدي الذي كان يتلقاه وراثة عن عمه الذي كان موظفاً في الحكومة الإمبراطورية، كما أن بعض رعاته من الأمراء والأثرياء كانوا قد فقدوا ثروتهم في إبان الفتنة، ولكن هذه العوارض ما لبثت أن زالت، وقضى غالب أيامه الأخيرة شيخاً مريضاً مفتوح القلب والدار لرفاقه وصحابه **حتى مات في منزله بدلهي في عام ١٨٦٩م، وله من العمر اثنان وسبعون عاماً.**

وبعد وفاته بثلاث سنوات ولد **محمد إقبال**، الشاعر الذي مضى بالتراث الإسلامي في الهند، وباللغة الأوردية إلى أبعد الآفاق.

أشعار من غالب

● **غزلية:**

لا شيء يتحقق بيسر في هذا العالم
حتى أن يكون الإنسان .. إنساناً

فأي جنون في أن أشهد تكرر الأحداث
ومع ذلك، فإني أدهش لغرابتها كل مرة

ولكن الجمال ما زال ماثلاً لمن يريد أن يرى
وحتى المرآة تريد أن تستبقيه فيها

تأمل، يا غالب، إن هذه القطعة من القماش
كان قدرها أن تكون رداءً للحبيب

● **ثنائيات:**

ـ في مدرسة الحزن تعلمت
معنى كلمتي «ذهب» و«قد كان»

ـ عبودية الحياة، وأغلال الحزن، لهما معنى واحد
والعتق يأتي فحسب، مع الموت

ـ كم من ألوان الجمال تثوى في الأرض
وبعضها قد تراه في الوردة والأقحوانه

ـ أمشي وحدي مع كل مسافر
ولكني لم أجد الدليل الأمين

● **أغنية ختام:**

الآن، أذهب يا غالب، وعش في أرض
لا يشاركك فيها سرك أو أغنيتك أحد
وشيد بيتاً بلا أبواب أو حوائط
فهو لا يحتاج حارساً، وليس بجنبه جيران
ولا أحد يعنى إذا أصابك الداء
ولا أحد يبكيك حين تموت



بقلم : د . حسن محمد الشرقاوي

يزعم أصحاب **مدرسة التحليل النفسي** وعلى رأسهم زعيمها **سيجموند فرويد اليهودي الجنسية**، أن هناك قانوناً يحكم دنيا النفس الإنسانية، أسموه **قانون الغاب**.

ومؤدى هذا القانون أن النفس في حاجة مستمرة إلى اشباعات غريزية، ولا تتوقف أبداً عن محاولة تحقيقها سواء بالطرق السوية أو بالعمليات التحويلية.

وحتى إذا ما تسامت النفس وعدلت من نزعاتها، وغيرت من حاجاتها الحيوانية التي تريد اشباعاً، فإنها إنما تفعل ذلك اضطراراً ورضوخاً للضغوط البيئية، والقوانين الاجتماعية فحسب.

إلا أنه إذا وجدت النفس فرصة مواتية بعيدة عن الرقابة وفي غفلة من القانون، فإنها تبادر فوراً لتحقيق متطلباتها الأنانية ... ولا تعتد بالقيم أو الدين أو الأخلاق، إذ إنها في نظرهم من خيال الإنسان وتأليفه لحماية نفسه من الأقوى والأفضل.

ونتيجة لذلك الغرض يعتبر فرويد وتلامذته أن أصحاب مكارم الأخلاق مرضى نفسيون، وأن تظاهرهم بالتقوى وبالمحافظة على المثل العليا والقيم، إنما هي أقنعة يخفون خلفها نواياهم الذئبية، وأهدافهم الشهوية .. كما أنه في نظر هؤلاء أن الصحة النفسية إنما تتم عندما لا توجد عوائق تحول دون إشباع غرائز الإنسان الحيوانية، أو أبواب مغلقة تمنع من النفاذ إلى تحقيق الحاجات البيولوجية العاجلة.

فالأسوياء وحدهم في تصور فرويد هم الذين يحملون شعاراً يقول :

«كل أو أنت مأكول».

«إذا لم تتذئب أكلتك الذئاب».

«إذا لم تعتد يعتدى عليك».

لقد هبط علماء النفس الغربيون بالإنسان إلى البهيمية، وعاملوه معاملة الحيوان، وقد خلقه الله تعالى في أحسن صورة وأكمل تقويم.

إن هؤلاء اليهود، وفرويد في مقدمتهم، قد أعماهم الحقد، والتعصب البغيض، لشعورهم الكاذب بالاضطهاد، فاخترعوا هذا القانون ليدمروا به إيمان الإنسان بالله، ويحيلوا معارفه إلى كومة من الهشيم، ويبثوا في نفسه الخوف والفزع والتردد والقلق وينتهوا به إلى الضياع واليأس والقنوط.

أنكروا جملة وتفصيلاً أن النفس البشرية قد ألهمت التقوى كما ألهمت الفجور، وأن النفس الإنسانية يمكن أن تختار **طريق الخير**، وتصبح أفعال البر وصالحات الأعمال طبعاً راسخاً فيها، وأن الإنسان عندما يخطئ يسرع إلى **التوبة** ويندم على ما اقترف من ذنوب وآثام.

لقد ظلموا الإنسان عندما زعموا أنه يحكم نفسه من الداخل قانون الغاب، وقد صدقهم كثير من الجاهلين وبعض المتأوروبين .. فدافعوا عن مزاعمهم أكثر من دفاع فرويد وتلامذته عن أنفسهم، ونشروا أفكارهم المنحرفة بين العام والخاص وفي كل بلد من البلدان.

اليهود وراء كل فساد

وأكبر دليل على زيف هذا القانون المزعوم ما سطره اليهود بأيديهم في كتابهم المشهور باسم «بروتوكولات حكماء صهيون»، يقول الكتاب :

«نحن الذين روّجنا لفرويد ... ونحن الذين روّجنا لماركس» إن فرويد هذا قزم صغير ... جعله اليهود عملاقاً كبيراً ... وذلك بهدف تسخير العالم كله لمصلحتهم ... ولكي يتم لهم ذلك يجب تدمير كل دين سماوي وكل تشريع إلهي ... وكل قيم ربانية ... وكل مثل عليا، لتبقى لهم الساحة خالية، لينفثوا سمومهم، وليضيعوا على الإنسانية إيمانها بالله.

لقد نجح اليهود في القضاء على **النصرانية** وبدت اليوم كنائسها في **أوروبا الشرقية والغربية وأميريكا** متاحف وآثار للسياح والزوار بغرض المتعة واللهو، تمارس بين ساحاتها الفواحش جهاراً عياناً.

وهكذا تم لليهود ما أرادوه في أوروبا وأميريكا ... وهم يتجهون الآن إلى الوطن العربي لتنفيذ بقية مخططهم الخبيث.

حقاً إنهم لم ينجحوا في تغيير عقيدة المسلمين ... كما نجحوا بالنسبة للنصرانية .. لذلك فإنهم يسعون فقط إلى بلبلة فكر الشباب وجذبه بالمثيرات، وترغيبه في الفواحش والمحرمات .. وحشو عقله بالشعارات المنمقة كشعار الحرية واللامبالاة واللاأدرية الوجودية .. وجميعها تحمل في ظاهرها الرحمة وفي باطنها العذاب.

إن قانون الغاب الذي افترضه فرويد وتلامذته عسفاً على عقلية الأوروبي، ليس إلا اختراعاً كاذباً استحدثه من دراساته لحالات بعض المرضى والمجانين.

النظرة الإسلامية

وإذا تفحصنا النفس الإنسانية من خلال **النظرة الإسلامية** لوجدنا أن

النفس تلهم بالفجور، كما تلهم بالتقوى، وذلك وارد في قول عز من قائل:

﴿ **ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ (سورة الشمس: الآية ٧).

﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ (سورة البلد: الآية ١٠)، أي طريق الخير وطريق الشر.

فالنفس الإنسانية بهذا المعنى لا يحكمها قانون الغاب كما يزعمون وإنما يمكن أن تتوب وتندم وتتقي وتتطهر وتحسن، كما يمكن أن تأثم وتذنب وتبخل.

إذا سارت النفس في طريق الله واستقامت بأمر الله وحكمته البالغة كانت نفساً تقية ورعة سوية آمنة مطمئنة:

﴿ **هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم** ﴾ (سورة الفتح: الآية ٤).

أما إذا انحرفت إلى الأهواء، وتابعت غواية الشيطان، وتكالبت على الشهوات... ضلّت سواء السبيل وأصبحت نفساً أمارة، تحمل قلباً مريضاً يزيده الله مرضاً:

﴿ **في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً** ﴾.

فالنفس إذن لا يحكمها قانون الغاب وهو قانون يزعم فوريد أنه حتمي وضروري ولا شعوري، أي إنه مهما بدا لنا الإنسان في الظاهر صاحب أخلاق ومثل، فإن باطنه اللاشعوري بخلاف ذلك، كما يزعم أن المتدينين مرضى نفسيون يعانون من الكبت والزمت والحصر، ويقرر بشكل قطعي أنه ليس بينهم أسوياء... أي إن التدين يؤدي إلى المرض النفسي لأنه يخالف طبيعة الإنسان.

إن هذا ادعاء رخيص صادر من نفس أمارة تحمل قلباً حقوداً وعقلاً قاصراً.. يخالف الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها... فالإنسان ليس وحشاً كاسراً، كما أنه ليس ملاكاً، إنما النفس البشرية جماع جسم وروح يشتمل تركيبه على قوى طينية كما يشتمل في تركيبه على نفحة ربانية، وهو بذلك يجتمع فيه الخير الفاضل في الخلق والتقويم.. وإذا كانت نفس الإنسان تحمل قوى الشر والخير، الباطل والحق إلا أنها تميل إلى الخير أكثر من ميلها إلى الشر، وإلى الحق أكثر من الباطل، وحتى إن فعل الإنسان الشر فإنه غالباً ما يندم بمجرد فعله ويعمل على ألا يقترف الإثم مرة أخرى، أما الخير فهو يسكن إليه وإن كان شاقاً عليه صعب عند القيام به لأنه يثمر امناً ورضى.

ولقد وردت الآيات القرآنية تحث الإنسان على فعل الخيرات، ونبذ الفسوق والشرور.. وهذا يدل دلالة واضحة على أنه بالإمكان تغيير السلوك المنحرف إلى الخير والحق والحكمة.

ولو تمشينا مع نظرية فرويد لكان هناك استحالة في تغيير سلوك الإنسان، كما يزعم فرويد بدعوى أنه يحكم سلوكه قانون الغاب... فكيف يتوب ويندم ويتقي ويصبر ويجاهد ويؤمن إذا كان هناك قانون حتمي يحكم النفس البشرية يدعى قانون الغاب وهو الآمر الناهي للسلوك البشري؟.

ومن ناحية أخرى فإن الله تعالى يبين في آياته التامات أنه بالإمكان أن يرتفع الإنسان من رد العدوان مع القدرة عليه إلى كظم الغيظ ثم العفو ومن العفو إلى الإحسان:

﴿ **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** ﴾ (سورة آل عمران، الآية ١٣٤).

أتى غلام **الخليفة المأمون** بأمر يستوجب عقابه فلما شرع المأمون في القصاص منه، قال الغلام: «والكاظمين الغيظ، فقال المأمون: كظمت غيظي، فقال الغلام: والعافين عن الناس، قال المأمون: عفوت عنك، فقال الغلام: والله يحب المحسنين، فقال المأمون: اذهب فأنت حر لوجه الله».

إذن يمكن أن يسمو الإنسان ليس عن العدوان فحسب، بل على رد العدوان، كما يمكن أن يعفو ويحسن.. وهذا ما تحبذه الشريعة الإسلامية وتحث عليه:

﴿ **ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين** ﴾ (سورة البقرة، الآية ١٩٠). ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾ (سورة الرحمن، الآية ٦٠).

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «**من كظم غيظه وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً**»، «ذكره أحمد في مسنده والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة».

ليس لقانون الغاب إذن السيطرة على النفس الإنسانية، بدليل أن الإنسان يمكن أن يكظم غيظه ويتسامح ويعفو ويحسن دون أن يكون ذلك عن خوف أو ضغوط بيئية أو قوانين اجتماعية ودون أن يحدث كبتاً وحصراً وزمتاً..

﴿ **فاصفح الصفح الجميل..** ﴾ (سورة الحجر، الآية ٨٥).

إن المؤمن بالله يكظم غيظه ويصفح ويتسامح ويعفو، لأنه يعلم أن ذلك إحساناً إلى الله، وأن الله تعالى سيثيبه على عمله الطيب.. وسيحسن إليه في الآخرة كما أحسن إلى غيره في الدنيا، ﴿ **وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم** ﴾ (سورة النور، الآية ٢٢).

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» «عن أبي هريرة».

إننا نرفض بشدة قانون الغاب هذا، وإن صلح لأصحاب النفوس الأمارة بالسوء، والقلوب المظلمة الظالمة.. فإنه لا يصلح لأصحاب النفوس المطمئنة والقلوب السليمة المتطهرة.. وإذا كانت النفس الأمارة تجنح إلى الشهوات، وتنزع إلى تحقيق اللذات، وتوافق غواية الشيطان.. إلا أن هذه النفس يمكن أن تتحول بين عشية وضحاها إلى طريق الله.. فتهتدي إلى الحق والرشد والصلاح، وتهجر المعصية والشرور، وتتوب توبة نصوحاً.. ومن ثم يمكن أن يتغير الإنسان العاصي ويرجع عن غيه، ويثوب إلى رشده، وتصدق نيته في توبته.. فكيف يزعم إذن وجود ميراث حتمي، ونزوع قسري، مفروض على الإنسان لا يستطيع منه هروباً أو فكاكاً.. وأنه يستمر مع الإنسان من مولده إلى وفاته.

لقد نزعت الرحمة من قلوب أصحاب قانون الغاب، وادعوا أن قانون الغاب هو الذي يحكم قانون النفس رضيت بذلك أم لم ترض، ونسوا أن رحمة الله واسعة ومحيطة بكل شيء وأنه لولا رحمة الله لصدق الناس هذه الافتراءات.. وهلك الناس جميعاً.

لقد كذبهم الله تعالى، إذ ثبت أن مزاعم أصحاب مدرسة التحليل النفسي كلها أضغاث وأنهم مرضى يحتاجون إلى العلاج السريع. يقول الله تعالى فيهم: ﴿ **سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله** ﴾ (سورة آل عمران، الآية ١٥١).

﴿ **لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها** ﴾ (سورة الأعراف، الآية ١٧٩).

﴿ **رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون** ﴾ (سورة التوبة، الآية ٩٣). صدق الله العظيم.



شعر : رياض المعلوف

الجيل الثقيل

خذ كثيري والقليلْ   مبعداً عني الثقيلْ
ثقلُهُ شيءٌ عجيبٌ   حملُهُ بالمستحيلْ
زَلْزَلَ الأرضَ ومن   أثقاله كادت تميلْ
يا له جيلاً ثقيلاً   ليتني في غير جيلْ ! . .

اتق الناس ...

اتقِّ الناس وحاذر   كم لئيمٍ بكَ يسعى
قصد كسبٍ وانتفاع   وإذا لم يلقَ نفعاً . . .
يتشفى بلسانٍ   لاذع يلسع لسعا
هو في وجهكَ شاةٌ   وهو في ظهركَ أفعى !

تمتع بالحياة

تمتع بالحياةِ ولا تبالِ   ولا تأمن تصاريف الليالي
فأنتَ اليوم بين الناس حيٌّ   وأنتَ غداً مصيركَ للزوالِ
ألا اعمل كل ما يرضي ضميراً   وخلِّ الناس في قيلٍ . . وقالِ

رقصة القلب !

رقص القلبُ مِنَ الوجد رقصْ   كهزارٍ عالقٍ طيَّ القفصْ
وجهها كالبدر إلا أنَّهُ   كلما ازداد كمالا ما نقصْ !
قصةٌ ما بيننا ... أخفيتها   قصة الحبِّ لمن أحلى القصصْ . .
فرصةٌ ضيّعتها من شقوتي   ولكم ضيّعت في العمر الفُرَصْ ! !





بقلم: د. عمر الدقاق

★ الدكتورة «مازيوني» تشرف على أعمال التنقيب عن جدار من الآجر الطيني ★

من يتنقل اليوم عبر الطرق التي تربط بين المدن السورية العريقة : دمشق وحماة وحلب والرقة ... يلاحظ خلالها بسهولة انتشار عدد كبير من التلال فوق السهول المنبسطة الخصيبة . وهذه التلال تبدو في معظمها أثرية من صنع الإنسان القديم وليست تلالا طبيعية ، نظراً لشكلها المخروطي المنتظم ، وانحدارها الدقيق المتناسق ، وقد انجلى بعض هذه التلال عن مكتشفات أثرية ثمينة ، وما زال الكثير منها موضع اهتمام بعثات التنقيب الأثرية ، وينطوي في باطنه على معلومات تاريخية هامة تتكشف كنوزها يوماً بعد يوم بفضل الحفريات الدائبة .

★تمثال طيني (من الصلصال) ما زال محتفظاً بملامحه منذ أكثر من ٤ آلاف سنة خلال ازدهار مملكة إيبلا★

على أنه ما من تل بين هذه التلال الكثيرة استطاع أن يبلغ من الشهرة ما بلغه (**تل مرديخ**) خلال السنوات العشر الماضية ، إذ انجلى عن كشف حضاري باهر بالعثور في جوفه على **مدينة** (**إيبلا Ebla**) المفقودة ، هذه المدينة التي **كانت عامرة مزدهرة قبل نحو ٤٤٠٠ سنة .**

وإلى عهد قريب كان معروفاً لدى المؤرخين أنه في الحقبة التي سبقت ميلاد السيد المسيح بنحو ٢٠٠٠ ـ ٢٥٠٠ سنة لم يكن في الشرق القديم سوى دولتين كبيرتين أو حضارتين هامتين : هما **الحضارة المصرية** على ضفاف النيل ، **وحضارة الرافدين** (ميزو بوتاميا) في ربوع دجلة والفرات .



★معبد مدينة إيبلا (الألف الثاني ق . م)★





★ إحدى اللويحات المكتشفة عام ١٩٧٥ م ، في غرفة المخطوطات (الأرشيف) بالقصر الملكي ، وهي من الحجم الصغير نسبياً الذي يقارب حجم الكف . والملاحظ أن الأسطر تتوالى من الأعلى فالأسفل ★

مراحل الكشف

وهكذا تبين نتيجة لحفريات تل مرديخ ، ولا سيما من خلال **اللويحات** Tablettes المكتشفة في **القصر الملكي** لعاصمة مملكة إيبلا أنه كانت هنالك أيضاً في الألف الثالث قبل الميلاد دولة متحضرة موطدة الأركان عاصرت الأكاديين والفراعنة . كما تبين مؤخراً أن رقعة هذه الدولة امتدت واتسعت حتى وصلت إلى **مدينة ماري على الفرات** وشملت مناطق فسيحة بلغت **البحر المتوسط وقبرص والأناضول** ، كما وصلت إلى **البحر الأحمر** متجاوزة بلاد **سورية وفلسطين** . . .

لقد عثر أول الأمر في منطقة الرافدين في نهاية القرن التاسع عشر على لوحة هامة يرد فيها ذكر مدينة إيبلا باعتبارها عاصمة بارزة استطاع الأكاديون أن يفتحوها وأن يفتحوا معها أيضاً (ماري) . وقد أمكن العثور سنة ١٩٣٦ م ، على مدينة ماري . أما مدينة (إيبلا) فقد ظلت تائهة . وقد تردد ذكر إيبلا مرات عديدة في نصوص أثرية أخرى قديمة عثر عليها في مصر والعراق .

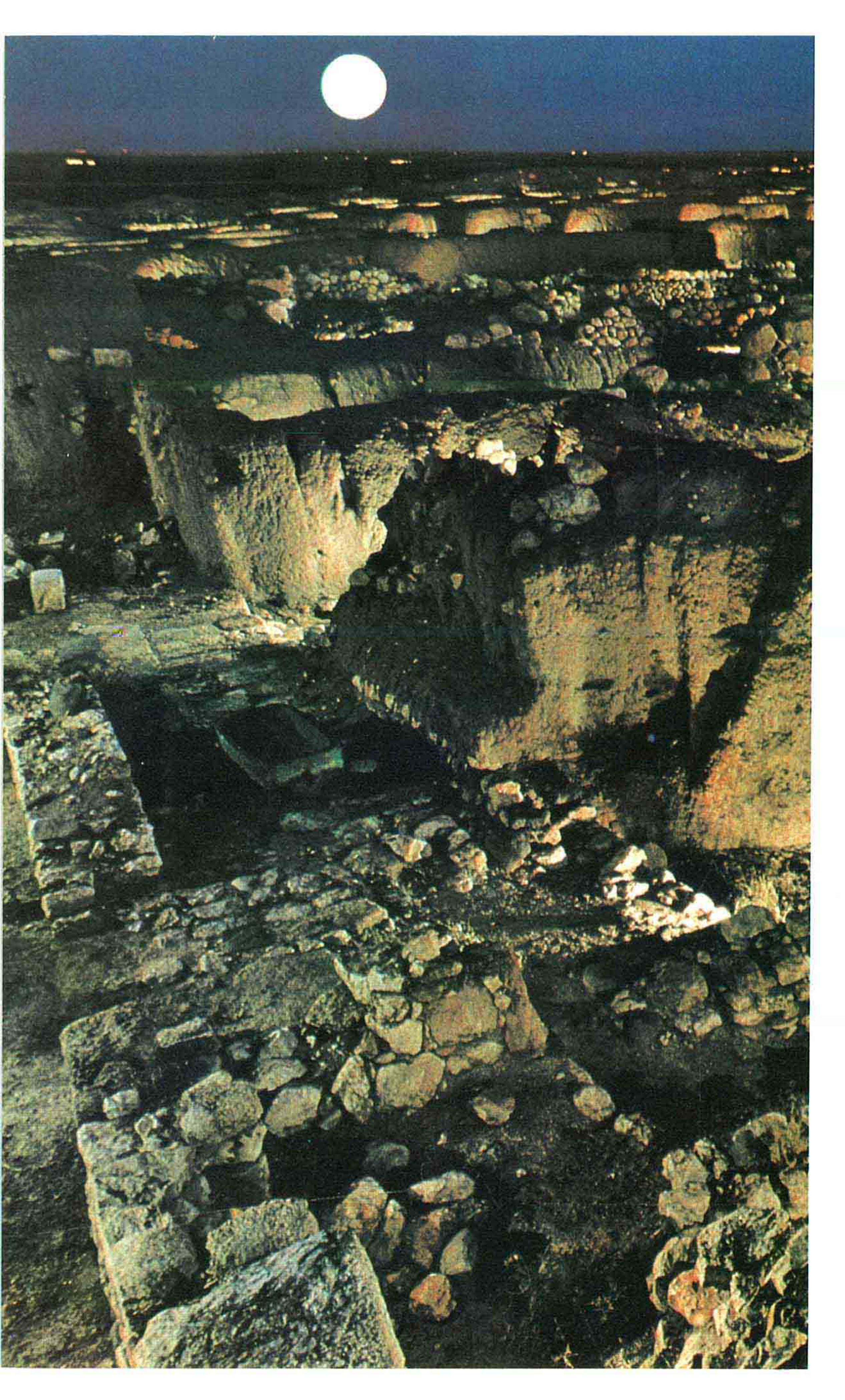
ومن قبل عثر في **مدينة (أور) بالعراق** على لوحة تذكارية هامة يفتخر فيها **ملك أكاد (نارام ـ سين)** بأنه استطاع أن يقضي آخر الأمر على مملكة إيبلا ، وكان ذلك بتدميرها و إحراق قصرها الملكي سنة ٢٢٥٠ ق . م .

في عام ١٩٥٥ م ، عثر فلاح من قرية تل مرديخ القريبة من حلب شمالي سورية على حوض حجري قديم لعله كان يملأ بماء التطهير المقدس . ولكن هذا الأمر لم يلفت النظر كثيراً لأن العثور على مثل هذه الأمور في ربوع سورية لا يبدو شيئاً خارقاً للعادة .

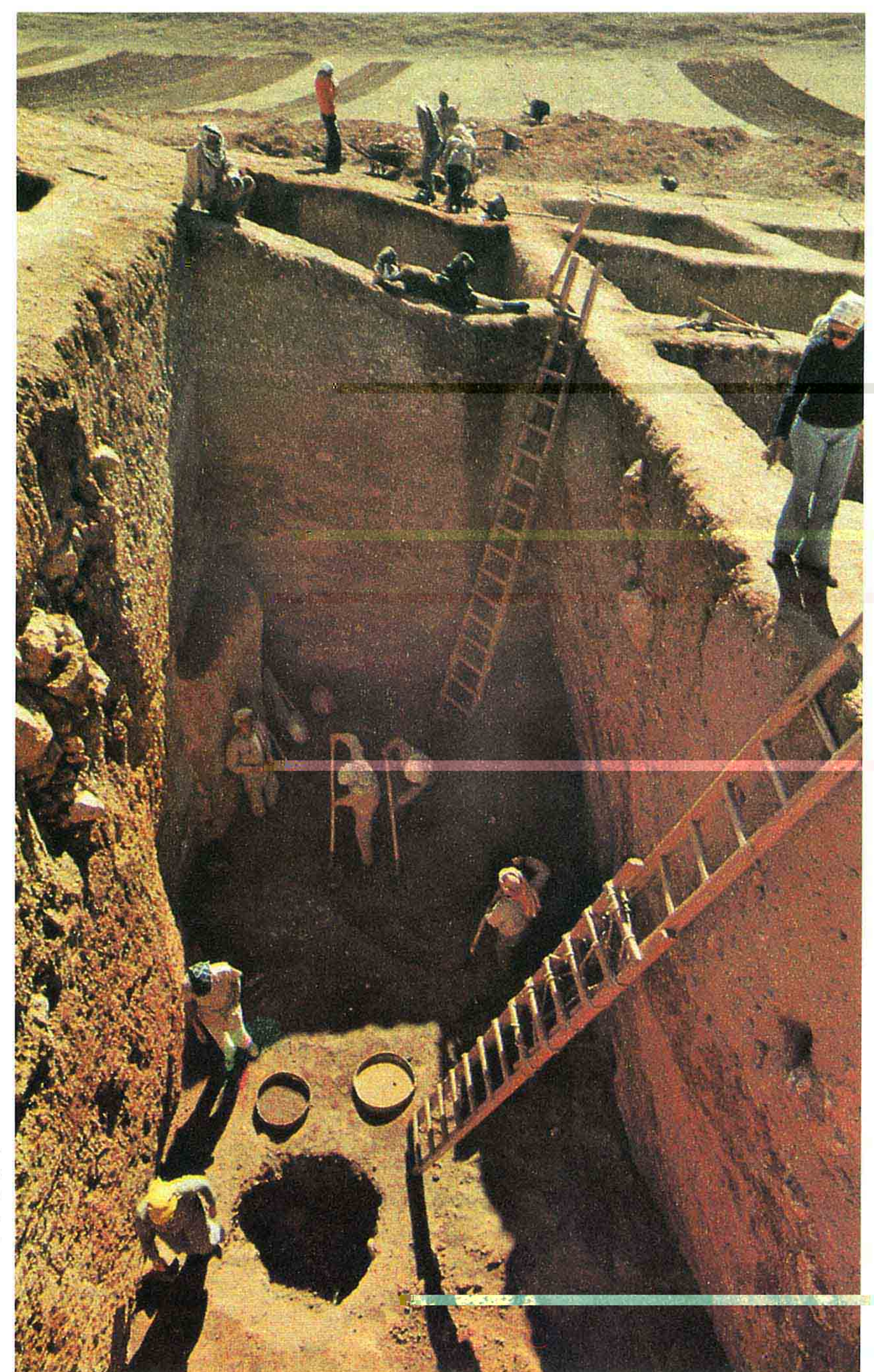
وفي عام ١٩٦٤ م ، بدأت **بعثة إيطالية** أعمال التنقيب في موقع تل مرديخ برئاسة (**باولو ماتييه**) الاستاذ بجامعة روما .

أما تل مرديخ فيرتفع ١٧ م عن مستوى السهل ، وهو يبعد عن حلب ٥٧ ك . م . نحو بلدة سراقب ٦ ك . م .

ثم كان عام ١٩٦٨ م عاماً هاماً ، إذ اكتشف خلاله جزء من سور متهدم يحيط بمدينة مجهولة قديمة ، وقد تخللته بوابة عريضة من جهة



★مع عمليات التنقيب يتسع القصر الملكي الـذي كان يحكم مـدينة بلغ سـكانها (٢٦٠,٠٠٠) نسـمة★



★في تل مرديخ الدكتورة «ستيفانيا مازيوني» – مساعدة مدير عمليات التنقيب – تدير العمل في غرفة من غرف القصر الملكي في إيبلا★



★ مدخل البلاط الملكي في مدينة إيبلا ★

الغرب . وكان الأهم من ذلك هو العثور على **بقية تمثال من البازلت** نقشت عليه كتابة أكادية بالطريقة المسمارية . وتفيد هذه الكتابة ان التمثال كان هبة مقدمة من ملك إيبلا إلى **معهد عشتار** .

ومرت سنوات أخرى دون أن يعرف العلماء بصورة قاطعة ما إذا كان موقع تل مرديخ هو نفسه موقع إيبلا ، إذ إن وجود تمثال البازالت هنا في موقع تل مرديخ لا يثبت ذلك بصورة قاطعة ، إذ يحتمل أن يكون مجلوباً من مكان آخر بعيد .

وخلال عامي ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤ م ، عثر في الموقع نفسه على لويحات فخارية Tablettes قليلة نقشت عليها كتابات بحروف مسمارية Cunei Formes ، غير أن هذه اللغة لم تكن سومرية ولا أكادية ولا أية لغة أخرى معروفة . . . إنها لغة مجهولة بدت للعلماء غريبة محيرة .

أما عام ١٩٧٥ م ، فقد كان عاماً حاسماً إذ حدث خلاله أمر مفاجئ ومدهش حين تم العثور في جوف تل مرديخ على غرفة كاملة للأرشيف ، وفي داخل هذه الغرفة تراكمت آلاف الألواح الفخارية Tablettes الحافلة بالكتابات ، ومعظمها كان بحالة جيدة ، وهذا ما أثار المزيد من الدهشة .

والآن فقط ثبت على نحو حاسم ، وبفضل عالم اللغات الإيطالي (جيوفاني بيتيناتو) أن هذه اللغة المجهولة إنما هي لغة مملكة إيبلا ، وإنه



★جذع تمثال مبتور من البازالت، ويعرف بالتمثال النذري وعليه عبارات باللغة الأكادية مدونة بطريقة الكتابة المسمارية. وقد أهدي التمثال زلفى من قبل أحد المتعبدين البارزين إلى الربة عشتروت في معبدها الذي كان قائماً في مدينة «إيبلا». وكان اكتشاف جذع التمثال عام ١٩٦٨م، مؤشراً قوياً بالكشف عن موقع مدينة إيبلا نفسها في تل مرديخ لأول مرة في التاريخ★

★البروفسور بادلو ماتييه رئيس بعثة التنقيب الإيطالية والأستاذ بجامعة روما. وعلى يديه تم كشف مدينة إيبلا والواحها الذائعة، وهو يتأمل لوحتين مسماريتين من القطع الكبير نسبياً. وهما أشبه بصفحتي كتاب أتقن تسطيره★

يمكن أن تسمى منذ اليوم **اللغة الإيبلوية**. كما ثبت بصورة قاطعة **أن هذا الموقع نفسه أي تل مرديخ إنما هو أيضاً موقع إيبلا**، وأن التمثال البازلتي المكتشف قبل حين إنما كان في موقعه الأصلي.

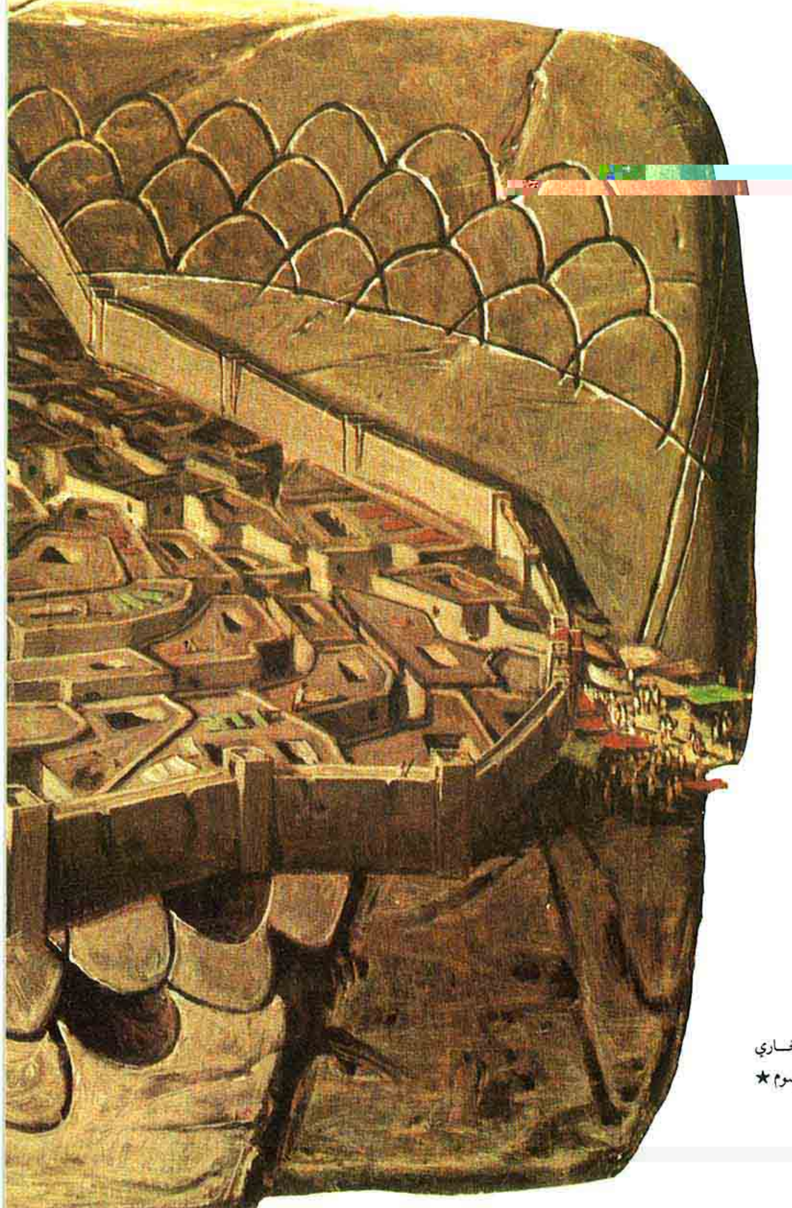
وهكذا عثر على هذا الكنز الباهر المؤلف من أكثر من (١٦٥٠٠) لويحة يعكف خبراء اللغات القديمة الميتة على قراءة نصوصها بصبر واهتمام.

ثم توالت الحفريات وتم الكشف مؤخراً عن معالم مدينة إيبلا، من مثل السور والبوابات الأربع الضخمة والدرج الحجري المؤدي إلى **الأكروبول** وأجزاء من القصر الملكي، والمنصة الرئيسية والأروقة والمعابد وغرف الكهنة وغرف الأرشيف والمستودعات، بالإضافة إلى عدد من **التماثيل والأحواض والأدوات والجرار والأواني والأختام**..

وبفعل الحريق الذي أصاب مدينة إيبلا سنة ٢١٥٠ ق.م. إثر هجوم الملك (نارام ـ سين) الأكادي تفحمت أيضاً التماثيل والأدوات الأخرى الخشبية بالإضافة إلى اللويحات المكتوبة التي شويت بفعل النيران...

كنز اللويحات

إن غالبية اللويحات المكتشفة قد كتبت باللغة الايبلوية عدا القليل منها الذي كتب بالسومرية أو بالسومرية والايبلوية معاً. كما أن نصوصها



كافة دونت في الوقت نفسه بالخط المسماري القديم Cunei Formes . وجميع هذه اللويحات نقلت إلى متحف حلب وصنفت ورممت ثم حفظت في نحو ١٠٠ صندوق . كما صور العلماء بعضها وهم الآن عاكفون على قراءتها بصبر وأناة .

إن هذه اللويحات هي «السجلات الرسمية الكاملة» لمملكة **إيبلا** وكانت محفوظة في غرف خاصة هي غرف الأرشيف . **وهذا يعني وجود حضارة زاهرة في سورية قبل نحو ٤٤٠٠ سنة من الآن .** كما أن هذه اللويحات التي ترجع إلى الألف الثالث قبل الميلاد هي أقدم وثائق مكتوبة اكتشفت في سورية على الاطلاق ، إذ تسبق ما اكتشف منها في **ماري** وفي **أوغاريت** بمئات السنين .

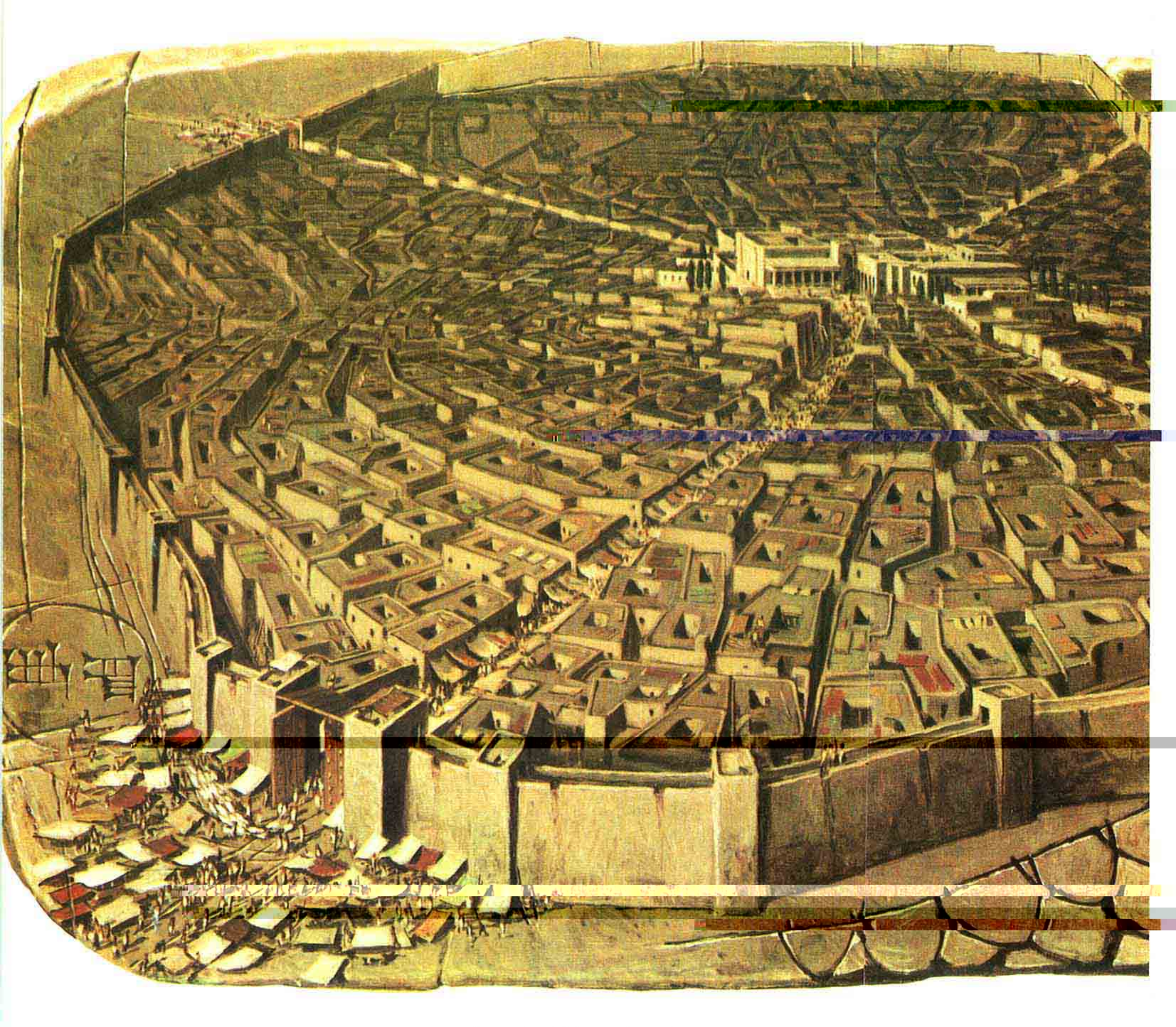
وهذا الكشف رفع شأن سورية في التاريخ القديم وجعل حضارة إيبلا في مستوى حضارتين عظيمتين معاصرتين لها هما حضارة مصر القديمة وحضارة ما بين النهرين (ميزو بوتاميا) .

الحريق المدمر صار نعمة

والواقع أنه لولا الحريق الذي دمر مدينة إيبلا إثر هجوم الملك الأكادي نارام-سين عليها لما بقيت هذه اللويحات وهي من الطين حتى يومنا هذا ، لأن النار الشديدة شوتها فتصلبت وقاومت العصور طوال هذه المدة محتفظة بحالتها الأولى بصورة ممتازة . بل إنها حين سقطت من فوق رفوفها على الأرض يوم الحريق ظلت محتفظة بترتيبها السابق آلاف السنين حتى تم الكشف عنها في هذه الأيام .

والثقوب التي كانت تدخل فيها أطراف العوارض الخشبية بقصد حمل الرفوف ما تزال موجودة الآن في أرضية غرفة الأرشيف وفي جدرانها ، بحيث نستطيع أن نتصور بسهولة حالتها السابقة .

★ إبريق فخاري
مزين بالرسوم ★



★مدينة «إيبلا» كما تخيلها الرسام طبقاً للآثار التي تم الكشف عنها★

أما اللويحات نفسها فشكلها مستطيل أو مربع ، كما أن حجمها متفاوت ، فالصغيرة طول ضلعها بضعة سنتميترات والمتوسطة في حدود ١٥ ـ ١٨ ، وأما الألواح الكبيرة فتبلغ ٣٥ ـ ٤٠ سم .

والكتابة المسمارية في هذه اللويحات مدونة على الوجهين . وقد يبلغ عدد السطور في وجه واحد فوق اللويحة ثلاثين سطراً ، وقد يقل في اللويحات الصغيرة فلا يتعدى بضعة أسطر ، أي أن متوسط ما هو مكتوب في وجه اللويحة يعادل تقريباً ما تضمه صفحة الكتاب اليوم من الأسطر والكلمات .

هذه الألواح الإيبلوية بغزارة أعدادها غير المألوفة تغطي فترة ١٥٠ عاماً هي فترة ازدهار إيبلا من ٢٤٠٠ ـ ٢١٥٠ قبل الميلاد . والعدد القليل الذي أمكن تحليله وقراءته يتضمن موضوعات شتى ، إذ **توجد نصوص مالية وتجارية واقتصادية هي في الواقع بيانات وإشعارات وإيصالات تتصل بتسليم البضائع وتبادل السلع مع البلدان المجاورة** . كما **وجدت نصوص رسمية قضائية وإدارية تضم مراسلات الدولة والأوامر الملكية والتنظيمات والرسوم والضرائب ومخصصات الكهنة والجزية المفروضة على بعض البلدان المحكومة** . . وثمة **نصوص دينية** ميثولوجية من أدعية وتعاويذ سحرية وأناشيد ألوهية ونحوها تتصل بتعدد الأرباب . وأخيراً

هناك نصوص لغوية تترجم الألفاظ السومرية إلى الايبلوية ، وهذه في الحقيقة تشكل أول معجم لغوي يصل إلينا على الاطلاق عبر الحقب .

وقد تشكلت لجنة تضم عشرة خبراء من دول العالم عرباً وأجانب للتعاون مع الهيئات السورية المختصة للإشراف على حسن سير العمل وتقديم الخبرة في مجال تحليل مضمون مكتشفات تل مرديخ .

اللغة الايبلوية

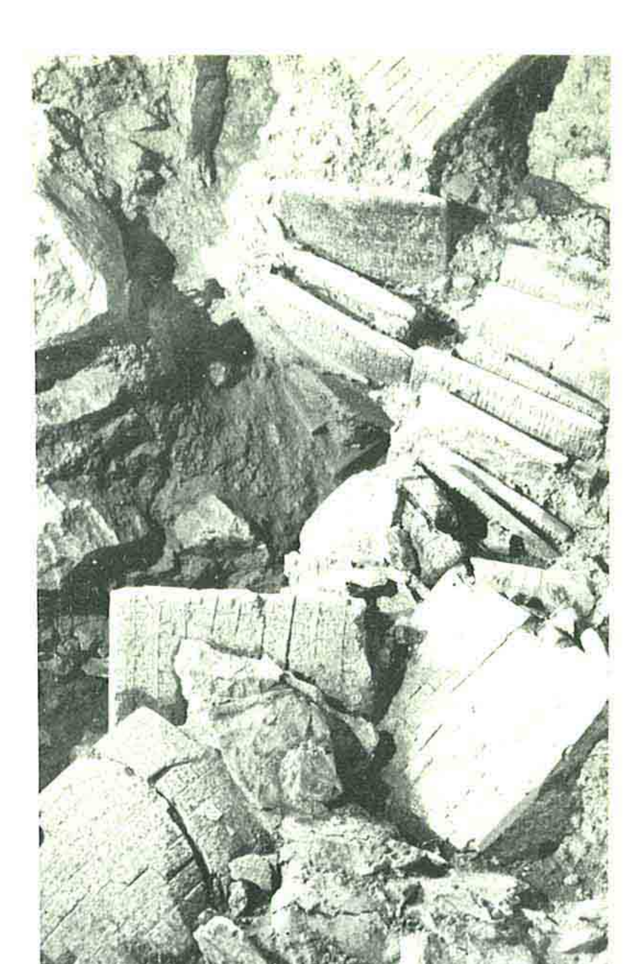
تبين للعلماء وفي مقدمتهم جيوفاني بيتيناتو أن اللغة المجهولة التي دعوناها الايبلوية هي لهجة كنعانية قديمة داخلية ، وهي تنتمي إلى أصل سامي ولها خصائص مشتركة مع اللغة الأكادية التي سادت في منطقة الرافدين (ميزو



★ركام اللويحات أو الكنز الباهر الذي اكتشف دفعة واحدة في غرفة المحفوظات (الأرشيف) بالقصر الملكي . وقد سقطت من على رفوفها الخشبية نتيجة الحريق المدمر سنة ٢٢٥٠ ق . م ، فشويت وتصلبت وبقيت عدة آلاف من السنين محتفظة إلى حد كبير بوضعيتها وأيضاً بترتيبها حتى ساعة الكشف★



★تمثال صغير لأحد الحيوانات وكان مغلفاً بصفائح من الذهب ما زال بعضها يستر أجزاء من جسمه ، وهو محفوظ في متحف حلب الوطني★



بوتاميا) قبل ٥ آلاف سنة . وهذه اللهجة أقدم من اللغة الكنعانية الساحلية أي **الفينيقية** بنحو ألف سنة . ولذلك كان من الطبيعي أن تحتوي اللغة الايبلوية على كلمات كثيرة من اللهجات السامية الشقيقة ومنها **اللغة العربية** ، وقد أورد من خلالها جيوفاني عدداً من الكلمات العربية .

أما كتابة اللغة الايبلوية فقد سطرت بالحروف المسمارية Cuneiformes وهذه الطريقة ابتكرها **السومريون** في منطقة الرافدين قبل عهود سحيقة ، وهي أصل جميع كتابات الشرق القديم التي نشأت بعد ذلك ، كالبابلية والآشورية والفينيقية . . . إنها كتابة تعتمد على رموز مقطعية Syllabiques وقد مرت عصور مديدة حتى اهتدت البشرية بفضل الفينيقيين ـ وخاصة في **أوغاريت وجبيل** ـ إلى اختراع النسق الألفبائي أي طريقة الحروف Lettres التي قفزت بالحضارة الإنسانية إلى طور جديد . وشكلت في التاريخ مرحلة انعطاف كبيرة .

والجدير بالملاحظة أن الكتابة الإيبلوية المدونة على التماثيل أو اللويحات قد دونت كلماتها من الأعلى إلى الأسفل كالكتابة اليابانية . أما الأسطر فتتوالى من اليسار إلى اليمين ، وهذه الطريقة كانت سائدة بالإجمال في اللغات القديمة التي دونت بالطريقة المسمارية .

★ مشاهد ميثولوجية
على جدار حوض ★

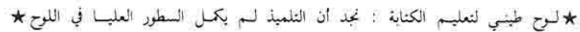
الجانب الحضاري

إن قوة مملكة إيبلا إنما كانت تقوم في الواقع على قوة اقتصادها وازدهار حضارتها . **فالتبادل التجاري** امتد إلى مدينة ماري وربوع الرافدين وبلاد الأناضول ثم الساحل السوري حتى قبرص ثم المناطق الجنوبية إلى فلسطين حتى البحر الأحمر . . . وكانت إيبلا تعتمد على تصدير المنسوجات المطرزة المتقنة ، كما هيمنت على تجارة الأخشاب والمعادن ، وهكذا كانت القوافل ناشطة في تبادل السلع والمنتوجات الزراعية والصناعية .

وقد عثر في تل مرديخ على سدادات من الآجر هي بقايا أختام كانت تثبت على صناديق الخشب أو الجرار بقصد أن تكون محكمة الاغلاق ومختومة جاهزة للتصدير .

وهذا دليل الدقة والتنظيم وازدهار التجارة الخارجية في ذلك الحين

★تمثال خشبي تزييني يمثل أحد ملوك إيبلا في الألف الثالث ق . م★



★لوح طيني لتعليم الكتابة : نجد أن التلميذ لم يكمل السطور العليا في اللوح★



★ صور منقوشة على حوض مقدس تمثل السكان يتعانقون ابتهاجاً بحدث سعيد ★

بالإضافة إلى المهارة الفنية وبراعة الحفر في هذه الأختام .

أما الجانب الفني في حضارة تل مرديخ فقد بلغ مرحلة متطورة في تلك العهود . ومما عثر عليه في تل مرديخ بقايا تماثيل وزخارف تفحمت بفعل الحريق الذي قضى على القصر الملكي في إيبلا ، كذلك وجدت قطع من الأثاث النفيس مثل منضدة فخمة وكرسي ثمين وغير ذلك . . . وكل هذه المنقوشات أو المنحوتات كانت حافلة بالتزيينات والزخارف التي تضم صوراً للمحاربين مع حرابهم ، ومشاهد لأسود وثيران بعضها ذو طابع



★تمثال لثور مغطى برقاق الذهب ★

أسطوري ميثولوجي . . . وذلك كله يعكس بوضوح أصالة **المدرسة السورية في الفن التشكيلي** .

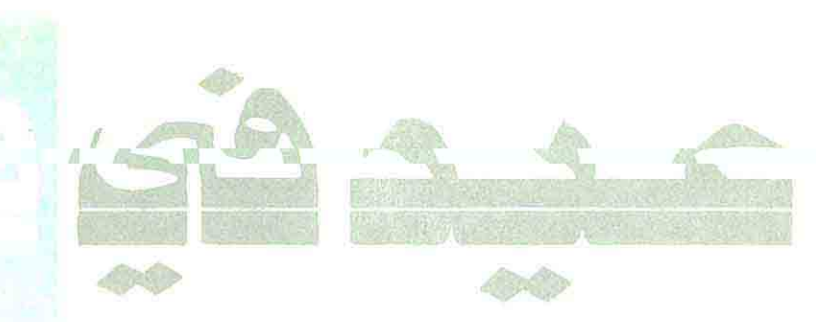
وقد عرفت مملكة إيبلا تشريعات وقوانين متقدمة وخاصة في مجال العقوبات ، وهذه التشريعات تسبق ما جاء به حمورابي نفسه في قوانينه الشهيرة ، وما ورد أيضاً في التوراة بمئات السنين .

ومجمل القول إن حضارة إيبلا ذات خصائص مميزة منذ فجر التاريخ وهي بالوقت نفسه تشترك مع الحضارات المجاورة في منطقة الرافدين بصفات مشتركة ، تبعاً لسنن التأثر والتأثير .

وإن اكتشاف إيبلا يعادل أو يفوق اكتشاف ماري وأوغاريت كما أن حل رموز اللغة الايبلوية بجهود علماء اللغات القديمة من خلال لويحات تل مرديخ لا يقل عن حل رموز **الهيروغليفية** (المصرية القديمة) **في حجر رشيد** بفضل العالم الفرنسي **شامبوليون** .

وأخيراً إن المعلومات الغزيرة التي تقدمها لنا يوماً بعد يوم لويحات إيبلا تضيء حقبة تاريخية كانت غامضة أو مجهولة عبر العصور .

كل ذلك قلب كثيراً من الحقائق المتداولة التي حوتها كتب التاريخ ، وأصبحت معلومات كثيرة بحاجة إلى إعادة نظر بعد اليوم . كما أن خارطة الشرق القديم نفسه قد تبدلت الآن بعد أن عادت المملكة المفقودة (إيبلا) إلى الوجود .



● مرت علينا أعياد في فلسطين ، ومع كل عيد كان لنا أمل ورجاء ، حتى كان عيد ١٩٤٥ م ، فهبت الذكريات وتحركت الشجون ●

شعر . عدنان النحوي

أَيُّهَا العِيدُ أَيْنَ مِنْكَ الوُعُودُ
[illegible]

بَسَمَ الكَوْنُ إِذْ طَلَعْتَ عَلَيْهِ
وَزَهَا فِي مَدِيحِكَ التَّغْرِيدُ

كُلَّمَا أَقْبَلَتْ صُرُوفُ اللَّيَالِي
غَرَّرَتْ بِالفُؤَادِ مِنْكَ العُهُودُ

فَهَلِ العِيدُ حُلَّةٌ مِنْ حَرِيرٍ
وَشَبَابٌ يَلْهُو وَلَيْلٌ وَغِيدُ

إِنَّمَا العِيدُ أَنْ تَدَوِّي السَّرَايَا
وَتَدَمَّى مِنَ الطِّعَانِ النُّجُودُ .

أَنْ نَرَى مِنْ شَبَابِنَا كُلَّ حُرٍّ
صَاعِداً لِلرَّدَى ! فَذَلِكَ عِيدُ

* * *

هَلْ هَفَا القَلْبُ حِينَ مَرَّتِ الذِّكْرَى
وَعَادَ التَّحْنَانُ وَالتَّغْرِيدُ

هَلْ شَجَاهُ خَفْقُ الجُفُونِ إِذَا مَا
رَجَّعَتْ خَفْقَهَا هُنَالِكَ بِيدُ

هَلْ شَجَاهُ أَعْطَافُ مُلْكٍ تَنَاءَتْ
حِينَ كَانَ الإِسْلَامُ مِنْهَا العَمُودُ

هَلْ رَأَى المُلْكَ حِينَمَا ثَبَّتَ المُلْـ
ـكَ ، جِهَادٌ مِنْ أَهْلِهِ مَحْمُودُ

هَلْ بَكَى الرَّوْضَ حِينَمَا اقْتُطِفَ الزَّهْـ
ـرُ ، وَلَمَّا قَدْ جَفَّ مِنْهُ العُودُ

هَلْ بَكَى الصَّرْحَ حِينَ أَوْدَى بِهِ الدَّهْرُ
وَأَوْدَتْ بِسَاكِنِيهِ الجُدُودُ

* * *

ذَاكَ عَهْدٌ مَضَى ! وَمَا كَانَ فِيهِ
مَنْ يُقَاسِي ، وَلَا تَأَسَّى شَرِيدُ

حِينَمَا جَمَّعَ العُرُوبَةَ دِينٌ
وَدِيَارٌ ، فَذَاكَ ثَمَّةَ عِيدُ

هِيَ ذِكْرَى بَيْنَ الفُرَاتِ وَبَيْنَ النِّيـ
ـلِ ، مِنْهَا دَمْعٌ وَنَوْحٌ شَدِيدُ

هِيَ ذِكْرَى مَا بَيْنَ أَنْدَلُسٍ وَالشَّرْ
قِ ، قَدْ تَمَّ أَمْرُهَا المَشْهُودُ

* * *

أُمَّةَ الحَقِّ ! مَا دَهَاكِ وَأَوْهَى
جَمْعَكِ الصَّدْعُ وَاسْتَتَبَّ الجُمُودُ

خَدَعَتْكُمْ وُعُودُهُمْ ! فَلَكَمْ مِنْـ
ـهُم عُهُودٌ مِنْ بَعْدِهَا وَعُهُودُ

كمْ مَضى ! كمْ مَضى وَأنتمْ أسَارَى
في جبَال قَدْ طَالَ فيهَا الرُّقُودُ
فِتنةٌ بَعْدَ فِتنةٍ بَعْدَ أخْرَى
وَهيَاجٌ مِنْ بَعْدِهِ تشريْدُ
فُرّقَ الأهْلُ عَنْ حِمَاهُمْ فهذا
يَتأسّى بغَيْرِه مَنْكودُ
تسْمَعُ الأنةَ المريرَةَ مِنهُ
وَترَانا يَرْثي الشهيْدَ شهيدُ
واختِلافُ الأحْزَابِ في حَلِّ أمْرٍ
لَيْسَ في حَلِّ أمْرِهِ تعْقيدُ
كلُّنا يَرْتجي خَلاصَ بلادٍ
هَالَهَا الخَطْبُ ! أيُّ شيءٍ جَديْدُ
جَمّعُوا أمْرَكمْ وَهُبُّوا فَمَنْ جمـ
ـعَ ، أمْراً ترْعَى هَوَاهُ الجُدُودُ

* * *

أيُّهَا الشعْرُ هَلْ مَلَكتَ زمَامي
فَيَطِيْبُ الهَوَى وَيحْلُو النشيْدُ
نفَثُ شاعِرٍ وَوَحْيٌ كريمٌ
وَفُؤادٌ مُحَرَّقٌ مَوْقُودُ
فَأزُفُّ الأنَاتِ حَيْرَى لَعَلَّ القَـ
ـوْمَ يَصْحُو مِنْ غفْوَةٍ وَيعُودُ
فَيَرَى مَا يَحِلُّ بالْوَطَنِ الغَالي وَكَـ
ـمْ ، تذْوي مِنْ صَانِعِيْهَا الجُهُودُ

من ديوان « الأرض المباركة »
١٩٤٥م








Kodak

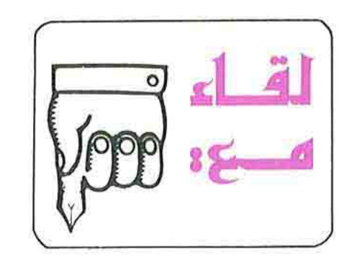
يعتمد العالم في ذكرياته على أفلام كوداكلر.
فهل حذوت حذوه؟



ما أن تنتهي من قراءة هذا الاعلان، حتى نكون قد وصلنا إلى ٦,٠٠٠ شخص في جميع أنحاء العالم ممن يلتقطون صوراً على أفلام كوداكلر، أي أن هذا العدد من الناس يستعمل ٧٠٠ فيلم في الدقيقة أو ٤٢,٠٠٠ فيلم في الساعة أو مليون فيلم كل يوم ، حيث أن كوداك تقدم الفيلم المناسب لكل طراز من الكاميرات، وغداً، عند حاجتك إلى فيلم ملوّن اُطلب أفلام كوداك. العالم يثق بأفلام كوداكلر... فهل حذوت حذوه؟

Kodak

SPOT-THOMPSON



★ يوسف الشاروني أحد الأدباء الذين استطاعوا أن يجمعوا بين الإبداع ، والنقد ، ورغم ما يقال بأن عملية النقد تعطل عملية الإبداع الفني ، إلا أنها في الوقت نفسه تفيد الكاتب ليجود هذا الفن ويسمو به إلى آفاق واسعة ، تجعله صاحب أسلوب متميز من ناحية الخبرة الفنية أو (التكنيك) ، فيصبح نسيجاً وحده .

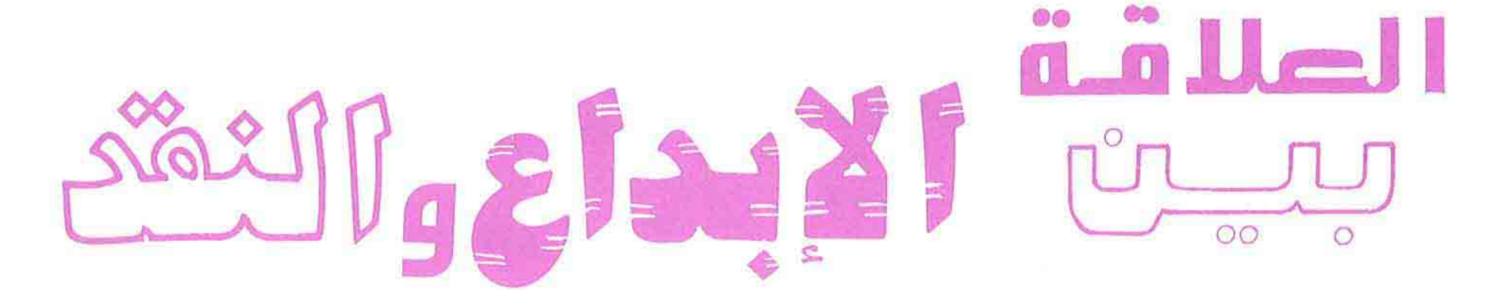
ورحلة يوسف الشاروني مع الأدب والنقد رحلة طويلة بدأها منذ أن كان تلميذاً في المدرسة يجيد كتابة موضوعات الإنشاء ويحصل فيها على درجات جيدة .

أثرت فيه مؤثرات كثيرة ، استفاد منها جميعاً ، وعمل منذ ذلك الحين على تكوين نفسه أديباً .

ومؤلفاته منها ما هو في مجال الإبداع الفني : (رسالة إلى امرأة) عام ١٩٦٠ م ، (الزحام) عام ١٩٦٩ م ، (حلاوة الروح) عام ١٩٧١ م ، (مطاردة منتصف الليل) عام ١٩٧٣ م ، (آخر العنقود) عام ١٩٧٤ م ، وجميع هذه الأعمال مجموعات قصصية ، إلى جانب كتاب (المساء الأخير) نثر غنائي صدر عام ١٩٦٣ م ★



أجرى الحوار : راضي حكيم



العلاقة بين الإبداع والنقد

أما أعماله الأخرى فتتركز في مجال الإبداع النقدي ، **دراسات في الأدب العربي** عام ١٩٦٤ م ، **اللامعقول في الأدب المعاصر** عام ١٩٦٩ م ، **دراسات في الحب** عام ١٩٦٦ م ، **دراسات في الرواية والقصة القصيرة** عام ١٩٦٧ م ، **الرواية المصرية المعاصرة** ١٩٧٣ م ، **سبعون شمعة في حياة يحيى حقي** ١٩٧٥ م ، **الليلة الثانية بعد الألف** (دراسات في الأدب النسائي) عام ١٩٧٦ م ، **القصة القصيرة نظرياً وتطبيقياً** عام ١٩٧٧ م ، **نماذج من الرواية المصرية** عام ١٩٧٧ م .

وكما هو واضح فإن الدراسات النقدية من ناحية الكم أكثر من الأعمال الإبداعية . ولهذا بدا مقلاً في كتابة القصة القصيرة التي يجيد كتابتها .

وقد حصل يوسف الشاروني على جائزة الدولة التشجيعية في القصة عن مجموعته القصصية (الزحام) والتي صدرت عام ١٩٦٩ م ، كما حصل عام ١٩٧٨ م ، على جائزة الدولة التشجيعية في النقد الأدبي عن كتابه (نماذج من الرواية المصرية) عام ١٩٧٧ م .

وفي مكتبه بالمجلس الأعلى للفنون والآداب بالزمالك كان لي معه لقاء استمر ساعات .

عوامل مؤثرة

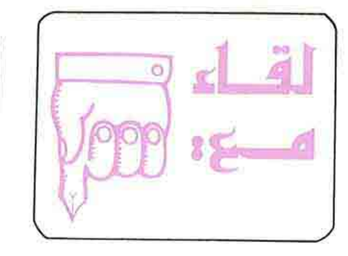
● **كان السؤال الأول : هل هناك عوامل مؤثرة دفعتك للسير في هذا الطريق ؟**

« لا شك أن هناك مؤثرات هي التي تصنع من شخص أديباً ومن الآخر ـ وقد يكون أخاه ـ عالماً ، ومن ثالث ربما تاجراً ، ويمكن التعرف على بعض هذه المؤثرات ولكن لا يمكن التعرف على كل هذه المؤثرات ، فهناك مؤثرات مجهولة تعمل مع المؤثرات المعروفة لتكوين شخصية كل إنسان .

ويوم نعرف جميع المؤثرات فإنه يمكن ايجاد الشعراء والتجار والعلماء . . الخ ، ويصل الأمر إلى ما تنبأ به **ألدوس هكسلي** في روايته ـ **العالم الطريف** ـ من أنه يمكن أن ننشىء أطفالا يقرأون الشعر بأن نضعهم أمام مجموعة من الأزهار والأشجار ثم نسبب لهم صدمات كهربائية فتكون النتيجة كراهيتهم لكل ما يمت للشعر والخيال بصلة .

أعتقد أنه ربما كان من العوامل التي قادت ميولي إلى حب الأدب هو وجود **مكتبة لوالدي** في بيتنا أثناء طفولتي . هذه المكتبة كانت تحوي كتباً دينية في أساسها بالإضافة إلى بعض الكتب الأدبية مثل **(كليلة ودمنة)** و **(مجال الأدب في حدائق العرب)** وهو كتاب يضم مختارات من النوادر العربية الطريفة ومقطوعات من الشعر العربي كنت أحاول أن أحفظها ، ثم بعض الروايات المؤلفة أو المترجمة مثل روايات **المنفلوطي** .

وأعتقد أن أول اهتماماتي الأدبية بدأت في السنة الأولى الثانوية عندما كنت



في سن الثانية عشرة . . ذلك عندما وجدتني أهتم بمادة اللغة العربية خصوصاً موضوعات الإنشاء وكان **تدريس اللغة العربية** في ذلك الوقت يبدأ **بالعصر الجاهلي** وينتهي في نهاية المرحلة الثانوية **بالعصر الحديث** .

وأذكر أنني حاولت أن أقلد بعض الأساليب العربية القديمة كالنثر المسجوع وكنت أحصل على درجات طيبة في مادة الإنشاء وطبعاً استتبع ذلك اهتماماتي بقواعد النحو .

في أثناء المرحلة الثانوية ابتدأت **كتابة الشعر** وكان اهتمامي بالقافية يدفعني إلى البحث في قواميس اللغة عن الكلمات ذات الروي الواحد في هذه القواميس مما أثرى مفرداتي اللغوية .

هذا إلى جانب **الجو العام الأدبي في الثلاثينات** حيث كانت أسماء **طه حسين والعقاد وسلامة موسى والمازني وهيكل وتوفيق الحكيم** . . الخ ، لها شهرتها في ذلك الوقت مما يجعلهم شخصيات يمكن أن يتطلع إليها بعض الشباب في ذلك الوقت» .

التشجيع .. والمواهب الأدبية

● **سألت : هل ترى ضرورة تشجيع المواهب الفنية والأدبية ؟**

« إن المواهب الفنية والأدبية أو أية موهبة لا تنمو في فراغ فلا بد لها من تشجيع أدبي ومادي . وقد كانت هذه هي القاعدة على طول التاريخ . كل ما هنالك أن ألوان التشجيع ومصادره هي التي تغيرت من عصر إلى آخر ، فمثلاً في **العصور الوسطى** كان الملوك والخلفاء عندنا والنبلاء في أوروبا هم الذين يشجعون الحركة الأدبية والفنية مادياً وأدبياً . وفي **العصر الحديث** أصبح القارىء في الدول التي وصلت فيها نسبة التعليم (١٠٠ ٪) هو الذي يشجع الكاتب مادياً وأدبياً بحيث يمكن أن يعتمد الأديب في دخله على موارده مما يقرأه له قراؤه .

أما في البلاد التي تنتشر فيها الأمية فلا بد من دعم الدولة لكل من الأديب ممثلاً فيا يأخذه من أجر وما يعفى منه من ضرائب ، والقارىء ممثلاً في تقديم الكتاب بسعر في متناوله ، حيث إنه من المتعذر أن يستطيع القراء تمويل الأديب بحيث يتعيش من دخله ، لأن القلة القارئة إما تشتري الكتاب رخصياً وإما ألا يباع منه إلا عدد محدود من النسخ إذا ارتفع ثمنه . **وقد رأينا أن كثيراً من الشبان الذين كانت تبشر مواهبهم بمستقبل أدبي مرموق ، قد انصرف عن الكتابة الأدبية إلى الكتابة بوسائل إعلان الجماهير كالإذاعة والتليفزيون أو السينما حيث إن العائد هنا أسرع وأكثر** . فلا شك أن العوامل التشجيعية من الناحيتين الأدبية والمادية لها أثرها في تنمية أو وأد المواهب الفنية» .

الأدباء .. والتفرغ

● **وماذا عن نظام التفرغ هل تدعو إليه أم لا تؤيده ؟**

« أعتقد أن الفضيلة هنا أساسها خير الأمور الوسط كما يقال فلا شك أن انشغال الموهوب أدبياً أو فنياً بمتطلبات الحياة المعيشية يثبط همته أو تنمية مواهبه .

لكن من ناحية أخرى قد يكون عزلة الأديب عن الحياة الاجتماعية تتسبب في نضوب هذه المواهب لأن الفن يتولد أساساً من الاحتكاك بالناس ومن معايشة المشكلات اليومية للحياة ، وليس رؤيتها رؤية المتفرج . **لذلك أعتقد أن التفرغ المطلق قاتل للموهبة الأدبية** ، إذ يمكن عندما تتبلور فكرة رواية مثلاً لدى أحد الأدباء أن يحصل هنا على تفرغ لكي يتاح له الوقت لصياغة عمله الفني أو أفكاره ، على أن يعود مرة أخرى إلى مشاركة الناس في معاناتها .

ويمكن أن يكون التفرغ بهدف الحصول على تجربة جديدة كالسفر إلى مكان يريد الأديب أن يعايش أحداثه أو القائمين به ويعيش تجربتهم . كأن يقيم في أحد الحقول البترولية ، بشرط أن يكون له عمل معين ، حتى لا يكون مجرد سائح أو متفرج ، وذلك ما كان يفعله **همنجواي** لكي يكتب إحدى رواياته . فيذهب مثلاً إلى **شاطىء كوبا** ليكتب **(العجوز والبحر)** التي حصل بها على **جائزة نوبل** ، أو يذهب إلى **كينيا** ليكتب **(ثلوج كلمينجاور)** ، أو كما فعل **صبري موسى** عندما ذهب إلى مناجم الصحراء الغربية قبل أن يكتب روايته **(فساد الأمكنة)** التي حصل بها على جائزة الدولة التشجيعية ، وأيضاً **جائزة موبل أويل الأدبية**» .

الأدب والفلسفة

● **ما العلاقة بين الأدب والفلسفة ، وإلى أي حد يمكن أن تؤثر الأفكار الفلسفية في الإبداع الفني ؟**

« الفلسفة تعطي للأدب بعده الثالث أي عمقه ، **فبدون الفلسفة يكون الأدب سطحياً ضحلاً قد يسليك ولكنك تنساه بمجرد قراءته** ، إن كل حركة من حركات الإنسان لا بد أن يكون لها هدف فأنا لا أخرج من بيتي إلا لأقصد مكاناً معيناً ، ومن الغريب أن بعض الناس يقولون إنه يمكن أن يكون هناك أدب بلا هدف مع أن كل حركاتهم الأخرى لا تكون



بغير هدف ، فلماذا يستثنون الكتابة الأدبية التي لا تتم إلا بعد معاناة وإرادة وتصميم .

فإذا اتفقنا على إنه لا بد من وجود هدف في الأعمال الأدبية والفنية فإن الفلسفة من شأنها أن تجعل الهدف أكثر إنسانية ، بمعنى أنها توسع من حدود العمل الأدبي وتجعله يقوم على ندرة ولا يميل به إلى السذاجة والتفاهة .

ولكن كما يقال في المثل العامي (كل ما يزيد عن حده ينقلب إلى ضده) ، فإن كثيراً من الفلسفة قد تقتل العمل الفني بمعنى أنها تجعله أقرب إلى ، المقال وربما الوعظ ، لهذا فإن **الفنان الموهوب هو الذي يستطيع أن يقدم معادلة ناجحة بين فكرة فلسفية يريد أن يثبتها في عمله الفني وذلك عن طريق التزام التكنيك الأدبي** ، أي أن يعبر بالأحداث عما يريد ولا يجعل شخصياته بوقاً لما يريد أن يقول بحيث لا تتميز ولا تتصارع » .

البداية والنهاية

● كيف تبدأ في كتابة القصة وكيف تنتهي منها ؟

« تبدأ كتابة القصة عندي بمجرد انبثاق الفكرة ، بل أتركها تختمر وتلح عليَّ بقوة وقد يستغرق اختمار الفكرة سنوات ، أي غالباً ما تكون كتابتها في البداية عملاً إرادياً .. لكن ما إن أندمج في العمل الإبداعي حتى تبدو محاولة التخلص منه شبه مستحيلة ، فيلح عليَّ ويلح ، ولا أستطيع أن أدعه حتى أتمه .

فالعمل الفني قد تكون له آلام أشبه بآلام المخاض ، حتى إذا خرج الجنين أصبحت صلة الحب بين الأم وطفلها أقوى من أن تنفصم .

وعندما أنتهي من كتابة القصة فإني أقرؤها بعد أن أصبحت كلاً متكاملاً ومعنى هذا أنني أول قارىء لأعمالي الأدبية وفي هذه الحالة أتخذ موقف الناقد . **في داخل كل فنان جانبان ، جانب المبدع ، وجانب الناقد ، والفنان أول ناقد لعمله** . بل إن عملية النقد تتجاور في كل لحظة مع عملية الإبداع وتتحد معاً في عملية واحدة خفية دقيقة معقدة للغاية . وفي اتخاذ موقف الناقد من عملي أحاول أن أتبين إذا كنت قد نجحت في نقل ما أرت أن أوصله للقارىء » .

أدوات كاتب القصة

● ما الأدوات التي تستخدمها في كتابة القصة ؟

« **— الملاحظة** والملاحظة غير المتعمدة في بعض الأحيان . ذلك أنني أفضل الحدث الذي يوحي لي بالدلالة التي يمكن استخلاصها منه ، بحيث يصلح أن يكون موضوعاً لعمل فني وليس العكس أي الدلالة التي تبحث عن حدث يجسدها .

— القراءة ربما قراءة خبر صغير في صحيفة قد يوحي بقصة ، كما أن قراءة الأعمال الأدبية وخصوصاً القصص والروايات والدراسات النقدية يكون لها أثرها في ما أقدمه شكلاً وموضوعاً .

— التجربة والمعاناة إن احتكاك الفنان في حياته العملية بالمجتمع وبغير المجتمع كما في عالمي الحيوان والطبيعة ، منبع ثروة لا ينفد بالنسبة له .

والتجربة لا تهبه المادة فقط كما تفعل القراءة ، ولكنها تهبه الدافع على الإبداع .

بعد الملاحظة والقراءة والتجربة هناك **الموقف** وأساسه الإخلاص للحظة الحاضرة ، وعدم السماح لأي شكل أدبي بأن يفرض نفسه على إنتاجي ، فكل قصة لها شكلها النابع من طبيعة موضوعها » .

الفن والواقع

● إلى أي مدى تعتمد على الواقع في اختيار شخصيات قصصك ؟

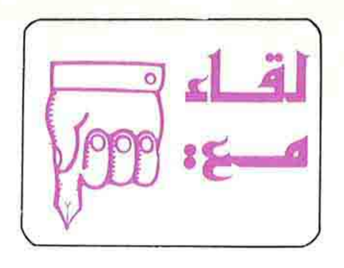
« من المعروف أن الشخصيات الفنية مثلها مثل الشخصيات التي تبدو لنا في الأحلام تقوم على ما يسمى **بعملية التكثيف** ، أي إن الشخصية تتكون من إدماج عدة شخصيات قد يكون مصدرها الواقع ، ربما يكون فيها شخصية الكاتب نفسه وشخصية صديق له ثم شخصية تاريخية أو سمع عنها أو قرأ عنها .

ومن هذه التركيبه تتكون الشخصية الفنية ، **وبوجه عام فإن العمل الفني يشبه البناء الذي تكون مواده مستمدة من الطبيعة كالحجارة والحديد والأخشاب والملاط .. الخ** . ولكن بناء هذه المواد معاً في شكل عمارة لا يكون إلا من إبداع المهندس المعماري أي لا وجود لها أصلاً في الطبيعة ، كذلك فالعمل الفني بما فيه من شخصيات وأحداث قد يكون مستمداً من الواقع » .

الفن والوعي

● هل الفن انفعال ، وما هو دور العقل أو الوعي في عملية الإبداع الفني ؟

« ربما تنبع الفكرة أصلاً مما يطلق عليه في علم النفس **العقل الباطن** . ولكن تنفيذ الفكرة لا شك أنه يحتاج إلى تصميم وإرادة واعية ومثابرة . ولا يمكن لكاتب مخمور أو تحت تأثير الهلوسات أن يكتب عملاً أدبياً ناجحاً أو أن





يستمر في حياته كأديب .

فلا يجب الخلط بين منبع الفكرة الذي قد يكون أحياناً مصدره ما تحت الشعور أو حلم من الأحلام وبين التنفيذ الذي يحتاج إلى الوعي والإرادة .

لكن أيضاً وكما قلت سابقاً كل ما يزيد عن حده ينقلب إلى ضده . فإن الوعي المستمر يعطل الإبداع الفني كالطفل الذي يبكي إذا رأى نفسه في المرآة توقف عن البكاء .

ومن خبرتي الخاصة أنه لا شك أن اهتماماتي النقدية قللت من فرص إبداعي الفني ولو إني حاولت أن أحل هذه المشكلة بأن أجعل النقد الأدبي عندي أقرب إلى الإبداع الفني ، بمعنى أني قد أعيد صياغة أو إبداع العمل الذي أتعرض له بالدراسة ، وقد بلغت هذه المحاولة ذروتها في قصتي **(زيطة صاحب العاهات)** و **(مصرع عباس الحلو)** اللتين استمديت أفكارهما من رواية (زقاق المدق) لنجيب محفوظ .

وهناك مصادر كثيرة مما كتبته لم يكن له علاقة باللاشعور أو ما تحت الشعور ، كأن أقرأ خبراً في صحيفة يومية أو أنفعل بحدث معين ، أو أستمع إلى ثرثرة إحدى السيدات » .

النقد بين الفن والعلم

● **هل النقد فن أم علم ؟**

« النقد لا يمكن أن يكون هو والعلم سواء بسواء فلا بد أن يتدخل فيه **عامل شخصي** ، وإن كانت المدارس النقدية المختلفة أو بعض المدارس النقدية تحاول أن تجعله موضوعياً . كل ما هنالك أن درجات الذاتية والموضوعية تختلف من مدرسة إلى أخرى ومن شخص إلى آخر .

ومبدئي النقدي هو أن هناك سبيلين للتذوق الأدبي أحدهما يقوم على التعرف على العمل الأدبي معرفة عقلية وهذا لا يجعلنا نفهم العمل الأدبي إلا فهماً خارجياً .

بينما هناك طريق آخر ويتم عن طريق قراءة العمل الأدبي أكثر من مرة حتى يصبح كالصديق الذي نألفه بعد معاشرتنا له ، وبذلك فإنه يكشف لنا عن أسرار لا يبوح بها إلا لمن يعشقه ، **فخبرتي النقدية علمتني أن محبة العمل الفني هي وحدها التي تتيح لي أن أتعرف على أسرار العمل الفني .**

ولكن حذار فإن العشق قد يولد التحيز ، وقديماً قالوا إن الحب يعمي ويصم ، وكم من ناقد هام بشاعر أو قصاص فلم ير إلا حسناته . وهكذا إذا كانت الغربة بين الناقد والعمل الفني تحجب عنه أسراره ، فإن عشقه له قد يكشف عن جانب دون آخر . لهذا فقد حاولت أن أكون للعمل الفني صديقاً وعاقلاً في الوقت نفسه » .

أساس علمي للنقد

● **هل تعتقد أن هناك معوقات تعطل قيام نقد على أساس علمي ، وكيف السبيل إلى إزالة هذه المعوقات ؟**

« إن أهم دعوى تشغل تفكيري هي الدعوة إلى وضع أساس علمي لحركتنا النقدية . **ويتمثل هذا الأساس العلمي في ثلاثة جوانب :**

★ أول هذه الجوانب **إعداد قوائم ببليوجرافية لإنتاجنا الأدبي** ، أي قوائم تشتمل على كل ما نشر من إنتاجنا في الرواية والقصة القصيرة والدواوين الشعرية والدراسات الأدبية إلى جانب عمل فهارس موضوعية لكل ما ينشر في مجلاتنا الأدبية .

★ ثانياً - **وضع دائرة معارف أدبية للتعرف على حركتنا الأدبية قديمها وحديثها** ، فتكون هذه الدائرة بمثابة الخريطة الأدبية التي بها يستطيع أي ناقد أن يتعرف على الملامح الأولية لأي موضوع يريد أن يقوم على دراسته .

★ ثالثاً - **التأريخ لفنوننا الأدبية** . والتأريخ ليس معناه مجرد تجميع نشاطنا الأدبي المختلف ولكنه عمل نقدي في جوهره لأنه بترتيب هذا النشاط زمنياً وبالتالي يوضح تأثر وتأثير كل عمل أدبي ، كما أنه يقيم هذه الأعمال ويبرز الهام منها » .

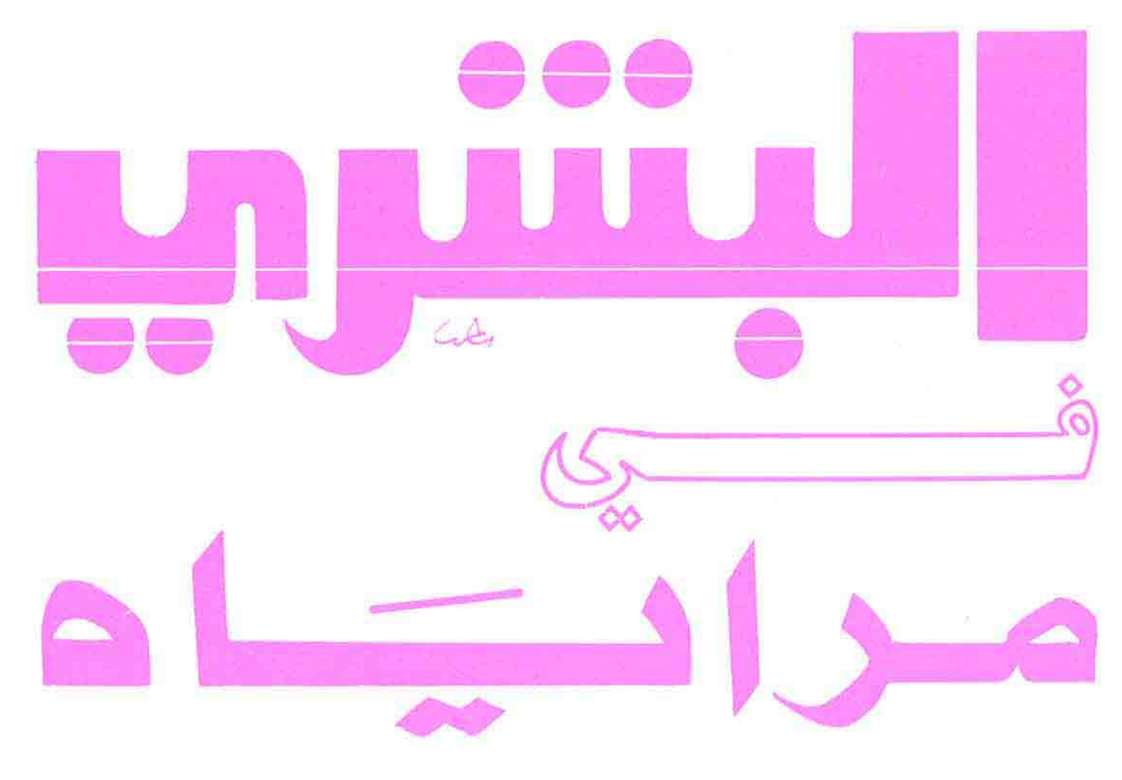
الفن والأزمة الحضارية

● **هل للفنان دور يمكن عن طريقه أن يعيننا على اجتياز الأزمات الحضارية ؟**

« الفنان شاهد على عصره وربما يعبر في أدبه عن إحساسه بالغربة ، ودلالة ذلك أنه يعبر عن إحساسه بالعجز عن قدرته على التدخل لتغيير ما يراه من أوجه القصور .

وقد سبق أن أشرت إلى هذا في أحد كتبي المبكرة **(المساء الأخير)** في التفرقة بين **الشاعر والبطل** ، والشاعر يحسد البطل لأنه لا يستطيع أن يقوم بدوره . فالشاعر رجل أقوال والبطل رجل أفعال .

بيد أن هناك أدباء حاولوا أن يجمعوا بين القول والفعل . بل إنهم عانوا في سبيل الكلمة التي حاولوا أن يقولوها ، وكان لكلماتهم فيما بعد أثرها في تحويل مسار التاريخ . على نحو ما نجد في مفكري ما قبل الثورة الفرنسية . وبوجه عام فلا شك أن الثقافة إحدى المؤثرات الحضارية التي تهتم بها الحكومات من أجل توجيه شعوبها توجيهاً معيناً أو مقصوداً » .



بقلم : ظافر القاسمي

الوصف الفيزيولوجي

★ **ظهر في أوائل الربع الثاني من هذا القرن ، وعلى التحديد في عامي ١٩٢٦ و١٩٢٧م ، نوع من الأدب السياسي ،** لم يعرف من قبل ، ولم يقلد فيما بعد . وكان بطل هذا النوع من الأدب ، وأبا عذرته ، رجلاً شيخاً من شيوخ الأزهر ، تحلى بالعمامة والجبة ، وكان أيضاً رجلاً من رجال القضاء الشرعي ، الذين يقضون معظم أوقاتهم في النظر في مآسي الأسرة الإسلامية ، وآلامها وأحزانها ، كالنفقة ، والمؤخر ، والحضانة ، والطلاق ، وغير ذلك مما يسد القرائح المفتوحة ، ويذهب بالعبقريات الملهمة : ذلكم هو **الشيخ عبد العزيز البشري** ، الذي استنّ في آداب العرب نوعاً من الأدب الرفيع ، فيه شيء من **التراجم** ، وفيه بضعة من روائع **التحليل النفسي** ، وهو من **الصور الرمزية الكاريكاتورية** التي لم تكن معروفة في ذلك الزمان ، وهو مزيج من الحقيقة التاريخية والدعابة الشخصية ، وهو من روائع البلاغة التي لم تعرف إلا في أزهى عصور أدبنا العربي وأرقاها ، إنه مجموعة صوره ومقالاته التي سماها « **في المرآة** » ، وطبعت في دار الكتب المصرية بالقاهرة عام ١٣٤٥هـ - ١٩٢٧م ★





★ الشيخ عبد العزيز البشري ★



كان **حزب الأحرار الدستوريين** أحد الأحزاب القوية في مصر. وكان كبار قادته من أعضاء **الوفد المصري**، ثم انشقوا عنه، وألفوا حزبهم. والحزبان: الوفد والأحرار، وإن اتفقا في الأهداف، غير أنهما اختلفا في الأساليب. وكانت لكل من الحزبين جريدة تنطق باسمه، وتؤيد مذهبه. وكانت «**السياسة**» جريدة الأحرار الدستوريين، وكان لها عدد أسبوعي اسمه «**السياسة الأسبوعية**»، التي بلغت مبلغاً عظيماً من علو الثقافة وسموها، وحسن اختيار مواضيعها، وبلاغة أقلام كتابها، ونقل أرق ما عند الأمم الأخرى، قديمها وحديثها. وكان المثقفون - على قلتهم - يتهافتون على اقتنائها وقراءتها، ويتباهون في حملها وعرضها، وكثيراً ما عقدت حلقات لمناقشة مواضيع وردت فيها. ولست الآن بصدد التأريخ لهذه المجلة التي تفتحت عليها صفحات مواهبي - إن كان لدي شيء منها - وإنما أريد أن أقول إن الشيخ عبد العزيز البشري كان يحرر في كل عدد تقريباً «مرآة» لعلم من أعلام مصر المعاصرين وكبار رجال السياسة والفكر فيها.

كانت المرآة شيئاً جديداً على جميع الذين يهتمون بشؤون السياسة، أو بشؤون الفكر، أو يتابعون أقلام البلغاء في أقطار العروبة كلها. ذلك بأنها كانت تضم غالباً صورة كاريكاتورية للرجل الذي يرسم في المرآة، والرجل معاصر حي يرزق، وقد حرص البشري على أن تكون مرآته العلمية مطابقة، أو مقاربة على الأقل، للمرآة المادية، أي أنه يتحرى الحقيقة ما وسعه تحريها. وفي هذه المرايا رؤساء، ووزراء، ومديرون من أصحاب الحل والعقد، وزعماء سياسيون، يقدر أنهم سيصلون إلى الحكم، إن لم يكونوا فيه. ولم تكن الصحافة، قد اعتادت بعد على هذا النوع من النقد الواضح، الذي يعرّي المرء، وينشر كل محاسنه ومساوئه، وكذلك الجمهور. وهذا كان من أقوى الأسباب لتهافت الجمهور على مرايا البشري، يترقبها في كل أسبوع، وينتظرها بفارغ الصبر، وعلى أحر من الجمر. وقد أشرت إلى أن البشري كان أزهرياً، ولا ريب عندي في أنه قد خرج هذا النقد على باب «**الجرح والتعديل**» الذي أتقنه في علم مصطلح الحديث. لذلك لم يكن يرى حرجاً في التنبيه على معايب أو مساوئ رجال الحكم، ما دامت مصالح الخلق بين أيديهم، وكأنه يقول للمنقود منهم: «فإما اعتدلت، وإما اعتزلت»، لأن الأمر لا يخصك شخصياً، وإنما هو يخص الناس جميعاً!

كان البشري يبدأ مرآته، على الأعم الأغلب، بوصف الصورة الجسدية للمرئي، بلغة رشيقة أنيقة، وقلما شذّ عن هذه القاعدة إلا في بضع مرايا، لأن طبيعة البحث تقتضي ذلك، كالذي وقع له في الكلمة التي كتبها عن رجل كان يطلق عليه في عصره «زعيم الشرق»، فإذا أطلق هذا اللقب، فلا ينصرف إلا إليه، كما كان يسمى «الرئيس الجليل» أعني به «**سعد زغلول**» رحمه الله. وقد تأدب البشري مع زعيم الأمة، أو زعيم الشرق، فلم يرسم له مرآة، ولم ينشرها في السياسة الأسبوعية، وإنما جعل عنوان حديثه عنه «**في حضرة الرئيس**»، ونشره في **الاهرام** الصادرة في ١٧ تشرين الأول - اكتوبر ١٩٢٦م، فقال في براعة الاستهلال:

«ملء السمع، ملء القلب، ملء البصر. لو حاول بكل جهده ألا يكون رجلاً عظيماً ما استطاع، وهيهات لامرئ أن يملك عن نفسه ما شاء لها الله! وقد سوّى الله له هذه العظمة من يوم مَدْرَجه: فكان طالباً عظيماً، وكان مِدْرَهاً عظيماً، وكان قاضياً عظيماً، ثم تناهت إليه زعامة أمة، فهو فيها ملء السهل والجبل.

«بحسبك أن تراه لتعرف أنه سعد، ولو لم يومئ إليك أحد بأنه سعد».

ويمضي البشري في الحديث عن سعد زغلول، حتى تزين له نفسه أن يصف مجلسه فيقول:

«وسعد، قد عَلَتْ به السنّ، وشاب رأسه. على أنه - بسط الله في عمره - ما زال يمرح من فطنته القوية، في أفتى الفتوة، وأمرع الشباب. ولو كُتب لك الظفر ساعة بمجلس هذا الذي دوّت الدنيا كلها بمجده، لنعمتَ بما لا يلحقه الوصف، من عذوبة طبع، في عذوبة مجلس، وحديث كأنه قِطَعُ الروض، رفّ[1] آسُه ونسرينه، وتضوّع ورده وياسمينه، وبديهة كأنه يقرأ منها في كتاب. ونادرة تشيع فيك الطرب، وتهزّك من إعجاب وعَجَب، إذ هو فيما يرسل من القول، في جده ومُزاحه، لا يعدو ما ينبغي له من تحشم ووقار».

ومن الأمثلة على ما قاله في الأوصاف الجسمانية للأعلام الذين صورهم البشري في مرآته، ما قاله عن **الدكتور علي إبراهيم**، وكان يومئذ شيخ الجراحين في عصره:

«رقيق الجسم، أدنى إلى أن يكون هزيله، أسمر اللون، مستطيل الوجه، غليظ الشفتين في غير قبح،

واضح الثنايا ، لعينيه بريق ، وفيها جمال . . » .

وما قاله عن **إسماعيل سري** : « طويل القامة ، كبير الهامة ، عريض الوجهة ، ناتئ الجبهة ، ضخم الأنف ، مرسل اللحية والحاجبين ، له عينان متحيرتان ، دائمتا الحركة والدوران ، نفضت الطبيعة على هيكله كل جلال الشيوخ ، ويأبى هو إلا أن ينفض على لسانه كل خفة الشباب . . » .

وقد بلغ الذروة في هذا المعنى حينما صور **عبد الحميد سعيد** فقال :

« عبقري حقاً كما تعني اللغة بهذا اللفظ ، فهو طويل بائن الطول ، عريض وافر العرض ، وافي العنق ، بعيد ما بين المنكبين ، شديد المُنَّة ، مفتول العَضَل . إذا تمثَّل إليك حسبتَه بقية من هياكل سليمان ! ضخم الرأس والوجه ، تدور من حوله لحية كأنها إحدى الآجام ، بسقت حول بعض الآكام ! لم يقم عليها منجل البستاني بالتقليم والتشذيب ، ولم يتعهدها مقصه بالتسوية والتهذيب . ولو رفعتَ النظر إلى أعلى وجهه ، ثم تراخيت به إلى أسفل ذقنه ، لرأيت ثمَّ مثلثاً متساوي الساقين ! أما روحه الذي بين جنبيه ، وأما عزمه الصائل في نفسه ، فأشبه بسكان هيكل سليمان ، منها بغرائز بني الإنسان ، فهو مارد النفس والقوة ، مارد العزم والفتوة . . . » .

واتفق أن كان « **زيور** » رئيساً للوزراء ، وبدا له أن يحول بين نواب الأمة ، وبين وصولهم إلى مبنى البرلمان بالقوة ، وبدا لعبد الحميد سعيد ـ وكان نائباً ـ أن يقتحم ما أُقيم من قوى في الطريق إلى البرلمان ، فاستمع إلى البشري يصفه وقد رآه :

« وما أنسى لا أنسى منظره يوم ٢١ نوفمبر ، وقد جردت دولة زيور باشا كلَّ ما عندها من جيوش وخيول مُهْرِيَّة ، ورماح سمهرية ، وقَنىً خَطِّيَّة ، وكل عازفة مُهَمْهِمة ، وكل قاصفة مُدَمْدِمة ، لتحول بين نواب الأمة واجتماعهم ، ويخرج عبد الحميد سعيد متسلحاً بعصاه التي تزن ٧٣ كيلو ، وقد تهيأ للحرب والطعان ، في سبيل اقتحام الصفوف إلى البرلمان ، فكان منظره يومئذ « كالتانك[3] » سواء بسواء » .

وانظر إلى البشري يصور أبا الاقتصاد المصري **طلعة حرب** :

« هو ربعة بين الطول والقِصَر ، غير متسق الجوارح ، مستطيل الوجه ، لا بالقسيم[4] ولا الوسيم . لا يرضيك ظاهره ، فإذا لابستَه تكشَّف لك عن حسن محاضرة ، ولطف روح ، وسلاسة نفس ، على خلاف الظن به ، والرأي باديْ الرأي فيه .

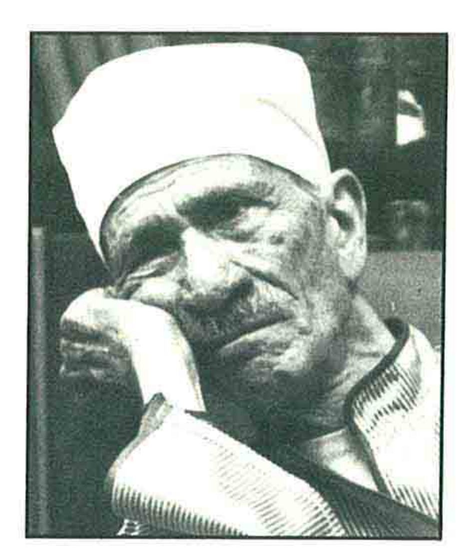
« وإذا استحال هذا الرجل شِعْراً ، ما عدا أن يكون قصيدة في ديوان أبي تمام ، لا تعجبك مطالعه ، على أنك تقع بعدها على أروع المعاني » .

ولست أريد الاستقصاء ، فذلك يخرج عن غرضي ، ولو فعلت ، لنقلت إليك شطراً كبيراً من الكتاب ، وليس هذا من أهداف المجلات ، ولا من أساليبها ، وإنما أنا أمثل لأشوق القراء على الرجوع إلى الكتاب ، وإلا فهناك صورة **لفكري أباظة** ، سيد الفكاهة والدعابة الصحفية في عصره ، وأخرى **للدكتور محجوب ثابت** ، وكان إماماً في الوطنية والعلم والفكاهة ، وداعية للعروبة ، وثالثة استغرقت أكثر من صفحة لرجل اسمه **إبراهيم وجيه** كان وكيلاً لوزارة الخارجية ، ورابعة ، وخامسة ، لا يغني عنها تلخيص ولا وصف ، وإنما أكتفي بالإشارة .

وبعد فإن عبد العزيز البشري رائد من رواد النهضة الحديثة ، الذين درسوا الثقافة الإسلامية ، حتى عرفوا وجوهها كلها ، وألموا بشيء من الثقافة الأوروبية ، على ما تراه واضحاً خلال سطور كتبه . وهو بعد ذلك أديب من طراز رفيع ، ولو كان لي من الأمر شيء ، لجعلت كتابه « في المرآة » في مادة النصوص التي يتدارسها الأساتيذ مع الطلاب في الجامعات ، في شعبتي اللغة العربية والتاريخ . أضف إلى ذلك أن البشري عاش أحداث عصره كما ينبغي أن تعاش . فكانت له صلة بجميع الحركات الوطنية ، ورجالاتها ، وقادتها ، وبالذين حكموا مصر في فترة معينة ، عرفهم من قرب ، وسجل خلالهم ، وطبائعهم ، وصورهم ، وحركاتهم ، وأوامرهم ، ونواهيهم ، ومساوئهم وحسناتهم ، فهو في هذا المعنى أحد الذين نبهوا الرأي العام ، عن طريق الصحافة إلى حسنات الحكم ومساوئه ، وما أعظمها من مهمة !

الوصف البسكولوجي

خيل لبعض أساتذتنا في الثلاثينات[5] أن البشري كان تلميذاً للكاتب الفرنسي المعروف « **لا برويير La Bruyère** » . وأن البشري في مراياه كان تلميذاً



★ لطفي السيد ★

للابروبير في سجاياه ، Les Caracteres . والواقع أن البشري كان نسيجاً وحده ، وإني أؤكد أن البشري كان أبا عذرة نوع من الأدب السياسي ، لم يعرف من قبل ، ولم يقلَّد فيما بعد . فما أعرف كاتباً في العربية سبق البشري إلى هذا اللون من الأدب ، ولا أعرف كاتباً قلده . ومن حاول تقليده فقد سقط ولم ينجح ، وأخفق ولم يفلح . وهذه مجلاتنا وجرائدنا ، هل يمكن أن تدلني على شيء فيها يشبه ما صنع البشري في مراياه ؟

ونعود إلى الوهم الذي طرأ على بعض الأساتذة ، فنرى أن « لا برويير » . وقد عاش في القرن السابع عشر ، كان يكتفي بالإشارة والتلميح ، وهو لم يسمّ أحداً في كتابه ، لأن طبيعة الظروف السياسية لم تكن تسمح بذلك . وإنما بلغ « لا برويير » حداً من البراعة جعله لا يكتب عن إنسان من الأعلام ، إلا وعرفه القارئ من الوصف . أما البشري فقد رسم الصورة الكاريكاتورية ، ووضع تحتها قولا مأثوراً من الشعر أو النثر يناسب حال العَلَم ، وسمى الناس بأسمائهم . ولا يذهبن بك الظن إلى أن العبرة للمحتوى ، أو للمضمون ، وهو متقارب . كلا ! فالبشري جرى على أسلوب لا يشبه من قريب ولا من بعيد أسلوب « لا برويير » ، وكان مضمون مراياه ، مخالفاً لما أراده « لا برويير » من سجاياه . وحسبي هذا ، فلست بصدد المقارنة بين الرجلين ، وإنما هو تمهيد لبيان براعة البشري في التحليل النفسي ، قال البشري في التمهيد الذي قدم به كتابه :

« والغاية التي تذهب إليها « المرآة » ، هي تحليل شخصية من تجلوه من الناس ، والتسلل إلى مداخل طبعه ، ومعالجة ما تدسَّى من خلاله ، ونفضُ هذا على القارئ في صورة فكهة مستملحة . وهذا النوع من البيان ، إنما تروَّيناه عن كتّاب الغرب ، وما فتئنا

نقلدهم فيه تقليداً[٦]. على أن بعض كتاب العرب، من أمثال **الإمام الجاحظ**، قد سبقوا إلى شيء من هذا التصوير البياني، إلا أنهم لم يَعْدوا فيه تسقُّط هنات المرء، والصولة عليها بألوان التندر والتطريف. أما التوسل بمظاهر خلال المرء إلى مداخل نفسه، ومنازع طبعه، وإجراءُ هذا على أسلوب علميّ وثيق (Psychologique) فذلك ما لم أقع عليه في منادراتهم، ووجوه تطرّفهم.

«ولا يذهب عنك أن شأن الكاتب في هذا الباب، كشأن المصور الكاريكاتوري: فهو إنما يعمد إلى الموضع الناتئ في خلال المرء، فيزيد في وصفه، ويبالغ في تصويره، بما يتهيأ له من فنون النكات... فالنكتة بهذا ضرب من أحلى ضروب البديع. ولا يغرُب عنك كذلك أن النكتة، إذا لم تكن محكمة التلفيق، متقنة التزييف، بحيث يُحتاج في إدراكها إلى فطنة ودقة فهم، خرجت باردة مليخة[٧]، لا طعم لها في مساغ الكلام».

انظر كيف طبق هذه الخطة التي رسمها لنفسه في حديثه عن زعيم الشرق سعد زغلول:

«وسعد وافر الشعور بعظمته، مزدحم الشعور بأنه إنما يتحدث على آمال أمة، فهو مهما بارى المجلس في فنون أحاديثه، ومهما تدلّى به السمر إلى تلك الأسباب الدائرة بين الناس، يرفّه بذاك عن نفسه، وعن صحبه، يظفر الفينة بعد الفينة إلى حديث الوطن، فيشك فيه معنى جليلاً، ثم يعود، فيصيب ما شاء الله من حديث القوم. أعلمت أن سعداً لا يصلح إلا للوطن، وأن الوطن لايصلح إلا بسعد؟».

فإذا جاء الحديث عن أحمد زيور، الذي تولى رئاسة الوزراء، والذي كان شركسي الأصل، فرنسي الثقافة، قال:

«كذلك زيور، عند الناس، مجموعة متباينة متناقضة متشاكسة: فهو عندهم كريم وبخيل، وهو شجاع ورعديد، وهو ذكي وغبيّ، وهو طيب وخبيث، وهو داهية وغرّ، وهو عالم وجاهل، وهو عَفٌ وشَهْوان، وهو وطني حريص على مصالح البلاد، وهو مستهتر بحقوق وطنه يجود منها بالطارف والتلاد»!!

«كل أولئك زيور... والواقع أنه عدة رجال، وعلى الصحيح هو عدة مخلوقات... فإذا تمثلوا شخصاً، وبدوا للعيون رجلاً واحداً، فذلك مصداق قول أبي نواس:

وليس على الله بمستنكر
أن يجمع العالم في واحد»

وكان **عدلي يكن** من رجال مصر العظام، الذين تحلوا بالعلم والكفاية، والأخلاق، والمجد التالد والطريف، فكان وزيراً للمعارف عام ١٩١٨م، وكان رئيساً للوزراء عام ١٩٢١م، واستنجد به الوفد المصري، وهو في **باريس**، ليمهد لذهابه إلى **لندن**، فلبى الواجب، «وكان خير معوان على أداء مهمه الخطير». هذا الرجل الذي حنكته السياسة، ونشأته التجارب، وزينه العلم، وعرف من شؤون الحكم وشجونه الخطير والصغير، والجليل والحقير، بقي «ابن ذوات» فاستمع إلى البشري يحلل نفسيته فيقول:

«إن من يعرفون عدلي، ليعدون له عيوباً، ويحصون عليه آثاماً وذنوباً... فهم يحسبون على طباعه أنه ما برح «**ابن ذوات**»، فهو قليل الاتصال بالناس، شديد التحفظ بنفسه عنهم، لا يزورهم، ولا يستزيرهم، ولا يستريح إلى مجالستهم. ومهما توافق له إنسان، وتعلق بحبه، فهو لا يطالعه بالهناء إذا دخلت عليه نعمة، ولا بالمواساة إذا مسّه الضر، ولا يعوده إذا مرض ولا يشيع جنازته إذا مات!

«ولو قد كُتب لي أن أصبح هيئة سياسية، واحتجتُ في شأن البلاد إلى سعي عدلي باشا، لوكلت به (**عصبة**) من أولاد البلد، أولي القوة والفتوة، فتسلموه في صباح كل يوم، وأرادوه على المشي ساعتين في الأحياء الوطنية، وأكرهوه على أن يفشيَ السلام، ويوميءُ بالتحية لكل من لقيه، حتى إذا جُهد به ردُّوه فأجلسوه في البهو، وفتحوا الأبواب بين يديه، وكلما دخل عليه زائر بعثوا وجهه بالهشاشة، ويديه بالتحية، ولسانه بنحو: أهلاً وسهلاً ومرحباً - شرفتنا - آنستنا الخ.. ثم صفّق بيديه، فدعا بالقهوة، وعرض على الزائر نارجيلة، فإذا ردها قدم له سيجارة، فسيجارة، فثالثة. فإن كان الضيف موظفاً سأله عن عمله، ودرجته ومرتبه، وأظهر له التوجع على تأخره، وتقدم أقرانه...»!



★سعد زغلول★

«ولقد يُخيَّل إليك لطف ثروت، وتبسّطه في حديثه معك، أنك مستطيع أن تدسّه في جيبك، إذ هو قد دسَّك من أول المجلس تحت نابه! فاحذره أطلقَ ما يكون وجهاً، وأنعمَ حديثاً.

«لعل ثروت باشا أبعدُ المصريين نفساً، وأعمقهم ضميراً... وإنك لتحدثه في الجلّي، ويحدثك فيها، وهو منطلق الوجه، ضاحك السن، حتى يملأ عليك المجلس أنساً ومَراحاً، والله وحده يشهد ما في جوف هذا الهيكل من ثوائرَ تهدُّ أعصى الرجال، وتدك أشمخ الأجبال..

«وإنه ليُقبل عليك بكل ما عنده من الرقة،

هذا ما كان يريده البشري - مع المبالغة - لعدلي يكن باشا، حتى يكون رجلاً من رجال الزعامة السياسية في مصر. كان ذلك عام ١٩٢٥ أو ١٩٢٦م. ولهذا ختم البشري حديثه عن عدلي في قوله: «فأما إذا ظل سابحاً في السماء، فما أقل حظ أهل الغبراء، من عدلي باشا في الزعماء».

ولقد عرف التاريخ السياسي لمصر رجلاً من الفحول، الذين كانوا في الصف الأول من القيادة أيام الاحتلال، ذلكم هو **عبد الخالق ثروت**. والذي يعنينا الآن، هو كيف رآه البشري في مرآته، من الناحية النفسية، وكيف حلل هذه الطباع المدهشة، التي ركب منها هذا الرجل قال عنه:

«وإنه إذ يتحدث إليك، لتختلج معارف وجهه، حتى ليتمثّل لك في شخص تلميذ في السنة الرابعة الابتدائية! وإن حدقتيه لتضطربان في حركة أفقية. على أنك لو تفطنت لأدركت أنها ليست حركة الحائر المتردد، بل إنها لحركة المتعرّف المتقرّي، الذي يريد أن يستلَّ منك ذات نفسك. وإنه ليجسُّها من جميع أقطارها، ليبلوها أيها أهون عليه.

وإظهار المودة ، وشدة المواتاة ، حتى لتجدنه قد أصبح قطعة من قلبك ، ولتحسبن أنك أصبحت أيضاً قطعة من قلبه ، ولعلك لستَ منه في شيء أبداً . . » .

ومما يدخل في هذا الباب ، رؤية البشري **لإبراهيم الهلباوي** في مرآته بوصفه خطيباً . والواقع أن هذه المرآة من أدهش ما ترك لنا البشري وأروعه ، فهو قد حلّق مع الهلباوي ، الذي أوحى إليه ما لم يوح إليه غيره . فلقد كان الهلباوي محامياً أي محام ، وكان خطيباً للجماهير أي خطيب ، في زمان كانت الخطابة فيه نوعاً من الجهاد . وهذه مقتطفات من أقوال البشري في الهلباوي الخطيب :

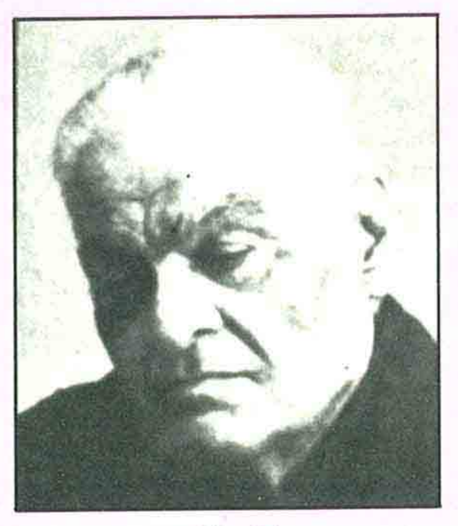
« رأيتُه يخطُب الناس عصر يوم قدم في صباحه من أعلى الصعيد ، والهلباوي إذا خطب خطب بكلّه : بلسانه ، وبعقله ، وبنُخاعه ، وبعصبه ، وبرأسه ، وبيديه ، وبرجليه أيضاً ! وله صياح يقُدُّ أصفَقَ الحناجر . ثم تدلى عن المنبر بعد أربع ساعات كاملات في كل هذا البلاء البلاء ، وهو أشد وأفتى من أكثر من سمعوه ، إن لم يكن أفتى ممن سمعوه جميعاً . وما شاء الله كان !

« لقد يقف في الجمهرة ، والناس أكثرهم على غير رأيه فيما يجول فيه . فما يزول يدور على مواطن إحساسهم ، يجُسُّها من ههنا ومن ههنا ، في رشاقة ، وخفة قول ، ولطف شاهد ، وبراعة نكتة ، حتى إذا آنس من الآذان تطامنا من جماح ، واسترخاء بعد عصيان ، هجم منها بكله على النفوس ، فظل يهزُّها هزاً ، ويرجُّها رجاً . فما الفحل إذا هدر ، ولا الليث إذا زأر ، ولا البحر إذا زَخر ، بأشدَّ صولةً على الاسماع ، من الهلباوي يتدفق في الكلام ، فما يروعك من هذه الجماهير الواجمة ، إلا أن تراها ، برغمها ، قد أرسلت حناجرها بالهُتاف ، وبعثت أكُفَّها بالتصفيق !

« والهلباوي خطيباً ، يشتري هوى سامعيه بأي ثمن : فهو يجدُّ ويهزل ، ويَثبُ ويحجل ، ويضحك ويبكي ، ويعلو ويُسِفّ ، ويثقل ويخف ، ويكثُف ويَشِفّ ، وينظم الدرر ، ثم يرمي بالشرر . وبينا تراه في وداعة العُصفور ، إذا به في شراسة النمور . . » .

والبشري يرى في الهلباوي « ثورة دائمة في هيكل رجل ، والبركان دائم الفَوَران ، فهو ينفجر من حين إلى حين ، وإن احتقن إلى حين . ولقد يكون ما يظنه كثير من الناس تردداً في الهلباوي أثراً من آثار هذه الثورة النفسية ، فان الثورة لا تعرف نظاماً ، ولا تستوي في شبوبها لطريق » . ثم يأذن الله أن يصبح الهلباوي نائباً في مجلس النواب ، متقيداً بالنظام ، قاعداً في مكانه لا يبرحه ولا يريم عنه ، فيسد البشري بهذا البركان الذي أصبح خامداً ، فيقول في عبث أحلى من الشهد :

« وإني كلما جاش في نفسي الحقدُ على الهلباوي بك ، هرولت إلى مجلس النواب ، فشفيت صدري



★ فكري أباظة ★

برؤيته ـ بعد كل ذلك ـ وقد امتثل حقاً لحكم النظام ، فهو يرفع إصبعه بطلب الاذن كلما أراد القعود أو القيام ، وكلما أراد السكوت[8] أو الكلام ، وكلما طلع أو نزل ، وكلما عطس أو سعل ، وكلما تحرف أو تخطى ، وكلما تثاءب أو تمطّى ، وكلما ذلّك أكارعه ، أو فَتَل أصابعه[9] . ولا بد من الخضوع والطاعة ، لكل من ينتظم في سِلْك الجماعة . وإلا ساء النظام ، واضطرب حبل الأحكام ! » .

أما حينما تحدث عن **الدكتور محجوب ثابت** ، فقد قدم إلينا صورة فريدة بين الصُّوَر ، تعكس ما في روح محجوب من طموح ، وما عنده من شعور بالمسؤولية ، فيقول :

« وفي الحق أن الدكتور يرى نفسه مسؤولا عن كل ما في البلد من هابط وصاعد ، وقائم وقاعد ، وغادر ورائح ، وسائح وبارح ، ودارج على متن الغبراء ، وسابح في جوف الماء ، وطائر في جو السماء . فإذا كانت هنالك منطقة خارجة عن اختصاص الدكتور محجوب فهي عيادته فقط . . !! » .

ويرى في أستاذ الجيل ـ جيل البشري ـ **أحمد لطفي السيد** أنه « رجل قد أخذ نفسه من كل أقطارها بألوان التكلف : يتكلف في مَراح الشباب ثقل الشيوخ ، ويتكلف في مجلس اللهو هيأة الجد ، ويتكلف عدم الاكتراث لأعظم ما يكرثُه من الأمر ، بل إنه يتكلف الكلام « بالجاف » ، إذ هو قد نجم في بيئة لم يعد يرتبطها بأهل الريف سبب !

« نعم ، لقد أخذ نفسه بهذا التكلف كله ، حتى أصبح له طبعاً وسجية . وأكبر ظني أنه لو شاء يوماً أن يرسل نفسه على سجيتها ، لتكلف في هذا كثيراً !! » .

وكان **حافظ رمضان** رئيس الحزب الوطني ، « رجلًا وادعاً ، هادئ السعي ، بطيء الحركة ، إلى حد الجمود . . وإنه ليتحدث إليك في **القانون** ، ويتحدث إليك في **السياسة** ، ويتحدث إليك في جميع الأسباب الدائرة بين الناس ، فيجيد الحديث إجادة ينقطع من دونها الوصف : جزالة علم ، وصحة رأي ، ومتانة حجّة ، وقوة بيان ، في حلاوة نبرة ، وعذوبة صوت . وإنه ليثير عواطفك ، وإنه ليبعث معارف وجهك على التشكل طوعاً لما أثار حديثه فيك من عاطفة . أما هو نفسه فساكن وادع ، فتنصرف عنه وأنت تكاد تحسب أنك إنما كنت تسمع الحديث من (**فونغراف**) متقن ، بديع ، يدور في هيكل إنسان » !!

وإذا صور مرآة **علي الشمسي** ، قرر أن « الحزب الوطني حزب الشباب حقاً ، وأن مبادئه مبادىء الشباب حقاً » . ثم يستطرد في بيان مزايا الشباب فيقول :

« والشباب كله حدّ[10] وقوة : دم فائر ، وطبع ثائر ، وخيال طائر ، وأمل لا يتحسب للصعاب ، ولا ينخذل عن الاستشراف للغاية مهما عز الطُّلاب[11] :

إذا همَّ ألقى بين عينيه عزمَهُ
ونكبَ عن ذكْرِ العواقب جانبا

« وكلما عَلَت السن ، عدا العقل على الخيال ، وقصَّت التجاريب من حوافي الآمال ، وطال النظر وكثر الحساب ، وتحيَّر الرأي فيما على طريق الغاية من عواثير وما فيها من عِقاب[12] ، إلى ما تُثلِّم السنُّ من القوة ، وتقلِّم من أظفار الفتوة . . » .

★ ★ ★

وما أظن أنك تطالبني باستقصاء ما في الكتاب من أمثال هذه الروائع ، وإنما قدمت إليك أنموذجات منها لأشجعك على العودة إليها ، فما يغني عنها في أصلها شيء ، وما أنت بصائر إلى الارتواء ، ما لم تأخذ منها بنصيب كبير في منبعها .

الهوامش

(١) رف : اهتز من نضارته .

(٢) الرقم على سبيل المبالغة الكاريكاتورية .

(٣) التانك : الدبابة .

(٤) القسيم والوسيم بمعنى .

(٥) منهم أستاذنا أبو قيس عز الدين علم الدين التنوخي رحمه الله ، في بحث ألقاه في ردهة المجمع العلمي العربي ، أشار فيه إلى الصلة بين الرجلين في الكتابين .

(٦) وهذا لا يعني أية صلة بين البشري ولا برويير ، ولو وجدت لأشار إليها .

(٧) المليخ : الفاسد ، والضعيف ، وما لا طعم له (القاموس) .

(٨) لاحظ ما في هذا القول من تهكم بريء ، فالسكوت لا يحتاج الى إذن !

(٩) وهذا أبلغ في التهكم !

(١٠) الحد : الحِدَّة .

(١١) الطُّلاب : الطَّلب .

(١٢) عقاب جمع عَقَبة .

★ يلزم المرء من حين لآخر أن يتوقف أمام صناعة الأدب ليرى أبعادها ويدرس شؤونها ويتعرف على مشكلاتها المستحدثة ويقارن بين أوضاعها الحاضرة وما ينبغي أن تكون عليه لتواجه متطلبات التغير الطارىء على حياة الإنسان ومشاغل المستقبل القريب . **فالأدب قد يكون صناعة قديمة قدم الحضارات التي عبر فيها الإنسان عن شجونه ومخاوفه وآماله وحبه وشكه ويأسه . ولكنه لم يكن قط على حالة واحدة في صور التعبير وأساليب الأداء .** والعالم لا يكف عن التغير والحياة تمضي بلا توقف . والأديب يصارع من أجل الإبقاء على صناعته من ناحية ومن أجل المواءمة بين هذه الصناعة والحاجات الملحة التي تفرض نفسها على التعبير الأدبي فرضاً ★

دفاع عن أدب سـ



★ عبد القدوس الأنصاري ★ — ★ محمد حسن عواد ★ — ★ أحمد حسن الزيات ★

وقد تكون هذه الحاجات الملحة أمور طارئة على حياة الإنسان الذي يتكلم الأديب بلسانه . ولكن الأديب لا يمكن أن يستخف بها ، لأنه إذا استخف بها وتوارى عنها وتجاهلها انقطع الخيط الذي يربطه بعصره وصار أديباً على طريقة البطالين الفارغين الذين قال عنهم الأقدمون إنهم يكتبون لشغل الوقت ومحاولة التسلية والاعتبار بشؤون الأنام والأبرار .

والمشكلة هنا هي كالآتي :

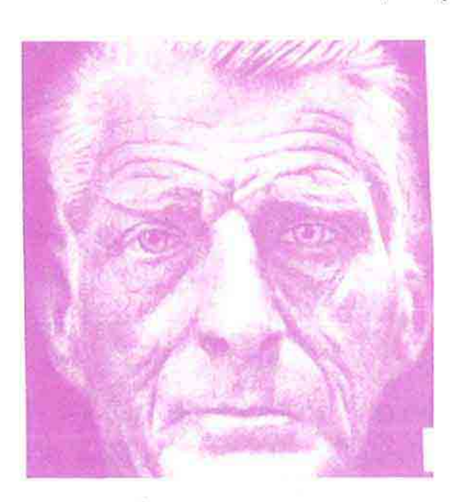
●● **أولا :** يمكن أن يكون الأديب شاباً وكتابته تنتمي إلى جيل أقدم من جيل الشيوخ الذين سبقوه وكانوا أقرب إلى روح العصر وأكثر استجابة لمطالبه من ذلك الشاب السعيد بشبابه دون أن يكلف نفسه عناء التعرف على مشكلات جيله .

● **ثانياً :** يستحيل أن تكون **مهمة الأديب** من نوع واحد في كل عصر وفي كل مرحلة . ويستحيل أن يكون الكاتب كحامل أختام السلطان يطبع بها شكلاً موحداً لا يتغير وتكون له فاعلية النفاذ والشرعية على كل عقل وعلى كل ضمير .

●● **ثالثاً :** ما من شك في أن العصر يملي علينا شروط العمل الأدبي ويفرض علينا أشياء من شأنها أن تتمثل في التزامنا بالتعبير فلا يمكن أن أخاطب جمهور العصر الحاضر بعقلية **الفرزدق** ولا يمكن أن أطلب إلى الناس أن يستجيبوا ويتعاطفوا مع ما أكتب من شعر أو نثر مهما

نة ١٩٧٩م

بقلم : د عبدالفتاح الديدي



★ صموئيل بيكيت ★

باعدت بين إنتاجي وبين ما يحسون به من أوضاع الزمن وتقلبات العصر .

●● **رابعاً :** وهناك **الشكل الأدبي** الذي أصوغ فيه أعمالي وأقدمها للقراء .. فهؤلاء القراء لهم ظروف اجتماعية ونفسية وأحوال مدنية وعمرانية ومستويات ثقافية ومشاغل على فكرهم وذوقهم . ولا بد أن أختار الشكل الأدبي الذي ينفذ إلى أسماعهم والنغم الذي يخترق ضبابيات العيش الكثيفة والذي يدفع القارىء دفعاً إلى التمسك بما يقرأ أو يرى أو يسمع برغم كل الأثقال الباهظة التي تمثلها الحياة من حوله وبرغم كل البريق واللمعان والضجيج الذي يسد منافذ السمع والرؤية إلى وجدانه .

الأدب كفن

ولا بد أن نسأل أنفسنا الآن **ما هو الأدب وما هي تلك الصناعة الأدبية التي تشقي رجالها وأصحابها وتبعث عقولهم وأفهامهم على الحيرة والاضطراب أمام مظاهر التفاوت المخيفة في القبول والتذوق أو في النفور والاستهجان ؟ ما هي حقيقة هذه الصناعة التي تتعب كثيراً وتسر وتبهج قليلاً بل ونادراً ؟**

لا شك أن الأدب مطلب فني من مطالب الإنسان في التعبير كجزء من ضرورات الثقافة . واعتاد الأديب أن يعبر بالشعر والنثر من أقدم العصور ، ثم عرف **الدراما والخطابة** أيام **الإغريق** وبدأ ينتقل من وضع إلى وضع فيستزيد من ملامح التجربة ويبدع في صور التعبير البياني حتى يواجه أبعاد الشعور الإنساني الذي كان ينمو بنمو المعارف والملكات والخبرات . واشتد الاختلاف بين مذاهب التعبير فصار منها الواقعي الذي يرتبط بالوضع القائم حوله والمثالي الذي ينشد التعبير عن آفاق العقل العليا والأحلام الكبرى . وصار منها **الرومانتيكي والكلاسيكي** وصار منها **الخيالي والعاطفي والعقلاني** ، وهكذا حتى حشد الإنسان في تاريخ الفن والحضارة أعمق التجارب وأدق الخبرات .

ولم نعد في الحقيقة نندهش أمام ظواهر التغير الاجتماعي والحضاري . فقد أصبحت التحولات ضخمة في حياة الإنسان المعاصر . وتنوعت الفنون الأدبية فصرنا نرى **المقالة والقصة والرواية والقصيدة والمسرحية والتمثيلية الإذاعية والفيلم السينمائي والأزجال والشعر الدارج باللهجات المحلية والشعر النبطي والملح والطرائف والسيناريو والكتابة الصحفية .** وتنشد كل هذه الفنون نقل التجربة الإنسانية عند صاحب العمل الأدبي إلى الجمهور وايجاد وسائل اتصال بين مفاهيم الناس عن طريق الخبرة الفنية التي ينقلها إليهم .

فالأديب والفنان لا ينقلان المعلومات إلى الناس وإنما ينقلان الخبرات والتجارب . فإذا كانت الخبرة ضئيلة والتجربة محدودة هبط مستوى العمل الأدبي . واتساع الأفق في الخبرة الفنية التي يعكسها العمل الأدبي ضرورة يستلزمها العصر بكل ما صار فيه من ألوان التعبير .

وتلك في الحقيقة هي مشكلة المعايير الأدبية المتفاوتة التي لا تمثل أي صورة من صور التجانس بين الأدباء فيما بينهم وبين النقاد كذلك فيما بينهم وبين جماهير المثقفين . وهذا التفاوت الشنيع في تقدير الأعمال الأدبية مصدره في الغالب عدم التوافق في تقدير معنى الخبرة ونوعيتها على أساس علمي حضاري دقيق فضلاً عن سيطرة الانفعالات على عواطف المحكمين والعارضين على السواء .

الأدب كظاهرة حيوية

لا بد أن نعرض للأدب في باب الفن من حيث قيمة العمل الأدبي **ودور الأديب والناقد** ومستوى الأعمال الأدبية الشائعة والمعروفة وأهمية

دفــــاع عن أدب سنة ١٩٧٩م

صناعة الاشتغال بالأدب في المجتمع الحديث . وهناك موضوعات جانبية مثل **الخيال والقيم الاجتماعية** وأهمية تأكيد الذات وابراز الغير **وأهداف الأدب** كفن **ودور المعرفة** في ترقية أحاسيس المشتغلين بهذه الصناعة .

وفي باب الأدب كظاهرة حيوية نعرف أن الأديب ليس معزولا عن حياة الناس . فهو يشعر بارتباطه الوثيق بكل ما هو إنساني ممثلًا في الإنسان نفسه وفي حبه وحربه وابتساماته وصيلاته بمن حوله ، ولكنه يريد أن يكون نافعاً لنفسه وللآخرين بشكل من الأشكال . ولهذا فهو يطلق العنان لقلبه وعقله ويخدم قضايا الإنسانية حتى لا يصبح مجرد قلم تذروه الرياح . وهو في الغالب يسخر خبرته وتجربته لامتصاص كل هذه القضايا والتعبير عنها بالتعبير الأوفق دون خروج عن مهمة الأديب . ويحكي الأدباء قصة عن **الشاعر** الذي سأله **القاضي** عن عمله ، فأجاب بأنه شاعر ومترجم لأحاسيس الشعراء . فسأله القاضي : ومن الذي نصّبك شاعراً ؟ فأجاب الشاعر : لا أحد . . وإلا فمن الذي جعلني إنساناً في عالم الناس ؟

والواقع أن مثل هذا القاضي ما كان يطرح مثل هذا السؤال لو كان الأدباء أنفسهم فيما بينهم يعرفون حدود مهمة الأديب ويؤمنون بدوره الحقيقي في المجتمع . فالآداب والفنون تلعب دوراً حيوياً في حياة الإنسان وفي بناء المجتمع . وهو دور إيجابي جوهري . ولا شيء يعادل مسؤولية الأديب نحو المشاركة الثقافية الجادة ونحو تأسيس الحياة الإنسانية . وليست الآداب والفنون مجرد متعة عادية ولكنها متعة مركبة ، لأنها تتغلغل في ضميره وتنفذ إلى عقله وتحرك مشاعره ، وتحيله إلى عامل ديناميكي متفاعل مع أوجه الحياة المختلفة . وبالتالي فالتكوين الذهني والذوقي ضروري ضرورة حيوية بالنسبة إلى شخص الإنسان . فهذا الإنسان هو الثروة الطبيعية الأولى التي يترتب عليها بناء المجتمع ، والمجتمع هو كل حياة البشرية .

ولو استعرضنا تاريخ الحضارات كلها لوجدناها كلها حركات مترتبة على نوعية الإنسان . **فالإنسان البدائي** يختلف عن الإنسان الذي ينتمي إلى حضارة مؤثلة . والحضارة تتفاوت وفقاً لنوعية الإنسان . فالإنسان يساعد على تقدم الحضارة كما يساعد على تخلفها . وتقدم الحضارة منفعة لا شك فيها بالنسبة إلى الإنسان ، لأنه يستفيد فوائد جمة من المنافع التي تعود بها تلك الحضارة على الناس . وكلما اتسعت الحضارة وارتفعت معاييرها وتحسنت أوجهها العملية وأبعادها الفنية واستقرت أنظمتها استفاد الإنسان المنتمي إليها من جوانب عديدة لا تتاح له في ظروف حضارية متدهورة . والفائدة الأولى والكبيرة هي الإحساس بقدرته على الاتصال بالغير في قوالب فنية وأدبية تجعله يستبعد الغربة ويبني تجاربه الخاصة من خلال البناء الفني العام الممثل في التعبير الأدبي .

الصور الأدبية (القوالب الفنية للتعبير)

ويذهب البعض إلى أن الأدب لم يعد مطلوباً في **عصر التقنيات** حيث سادت أساليب **التكنولوجيا** واستغنى الإنسان عن مطالب التعبير الفني . وليس هذا الرأي بدعة جديدة لأننا شهدناه في **مصر** منذ أكثر من ثلاثين سنة حين خرج بعض النقاد بأفكار عن **أدب السندوتش** وبمعايير أدبية في تفضيل **الأسلوب التلغرافي** . ومن أبرز من دعا إلى أدب السندوتش المرحوم **أحمد حسن الزيات** في مجلة « **الرسالة** » القديمة . وتكلم الكثيرون عن الأسلوب التلغرافي ومميزاته ومن أبرزهم **سلامة موسى** . وكانت هذه الدعوات تهدف إلى ابراز أهمية الايجاز بالنسبة إلى مطالب العصر وتحاول من جهة أخرى التقليل من المكانة الكبيرة التي تحتلها الآداب في قلوب الناس . أو بعبارة أخرى تحاول هذه الاتجاهات الاستجابة لمطالب العصر والتنازل عن الكتابة الفنية من أجل افساح المجال أمام العلوم والصناعات والتقنيات الجديدة كما تحاول الاعتراف بأن الناس لم يعودوا يعبأون بما ينشر من ألوان الأدب الخالص .

وتهتم هذه الاتجاهات بتأكيد وجود ظواهر مماثلة في العالم الغربي اليوم . ويستندون في آرائهم تلك إلى أن **أوروبا** لم تعد تعرف اليوم سوى العلم والصناعة . ونحن نعترف مقدماً بأن حضارة العصر تكنولوجية في جوهرها . ولكن من الخطأ أن نزعم أن أوروبا تخلت عن الأدب والفكر أمام هذه الموجة الصناعية القوية . فالواقع يؤكد أن الإنسان الغربي اليوم أشد ما يكون تعمقاً لفنون الشعر والأدب والرواية والمسرح بل وأكثر ما يكون حاجة إلى العبارة الفنية . قد يكون ذلك بدافع الحرص على استرواح الخطاب اللفظي الرقيق والتعبير الأدبي الجمالي أمام زحمة الحياة العملية وتطاحن العقول في مواجهة الصناعات الالكترونية . ولكن أهم من ذلك كله احتياج الإنسان إلى أداة التعبير الفني في مجالات الأدب لكي يواجه التعقيد الذي تفرضه الأوضاع الصناعية والاقتصادية وتوجده الضغوط الناشئة عن أنظمة الحكم وأنواع السلطات . فالمجتمعات الحديثة تسيطر عليها قوى وضوابط لم يكن لها مثيل من قبل في حياة الناس . وأصبح الأفراد داخل الجماعات يشبهون الصم البكم من وطأة الإعلانات والمعلومات على جواسهم . وصاروا بالتالي يتلمسون التعبير الفني الذي

يمكنه أن يتسرب إلى خواطرهم في غمرة الأحداث والأنباء المتلاحقة . ولا يملك الأديب القدرة على النفاذ من خلال هذا الركام إلا باستخدام أروع وأدق أساليب التعبير الفني .

فالأدب يغير من طاقاته وطبائعه لمواجهة الحاجة الماسة إلى التسلل إلى أفهام الناس . ولا يزال جمهور الأدب يعتقد في أن الكلمة الوحيدة الصادقة هي التي تصل إلى مسامعه من رجال الفكر والقلم . وينتظر الناس أن يصلهم التعبير الفني الناجح الذي يستطيع صاحبه أن ينطق بكلمة الصدق وسط هذه التيارات المتلاحقة من القوى المختلفة التي تفرض نفسها على المجتمع . والأديب لا يزال هو الإنسان الوحيد القادر على الرؤية الصحيحة وسط ضبابيات العصر . ولكن هذه الضبابيات تحول دون وصول التعبير الأدبي غير المتقن . أعني أنها لا تدع مجالا للكلام العادي الذي لا يحقق فنية خاصة تلائم الوسط الجديد وتتغلب على صعوبات الأوضاع القائمة . فلا بد من حذق خاص في اصطناع وسائل التعبير المركب الدقيق الذي يحمل شحنة الرأي بكل ما يتطلبه من أقنعة وبكل ما يستلزمه من تقنيات عصرية وملامح ذهنية وخصائص فنية .

والخلاصة أنه يمكن اسقاط ألوان معينة من التعبير الأدبي لا تحقق الغرض المطلوب من مهام الأدب المعاصر ولكن من المستحيل الاستغناء عن التعبير الأدبي ككل . والمفروض أن تتغير فنون الأدب لتلائم هذه المطالب العسيرة وتحقق نجاحها في التبليغ وتستجيب للضرورات الناشئة عن أوضاع العصر .

وأوروبا اليوم أشد إقبالا على الأدب مما كانت في أي وقت مضى لأنه أصبح ضرورة وسط مضاربات المعرفة ومساومات الرأي وتدافع الدعايات الإعلانية للسلع المعاشية وزحمة الأنباء المتوالية . ولكنها تحاول معايشة العصر عن طريق ابتكار صور وقوالب جديدة للتعبير .

ومما يصور هذا النزوع نحو تغيير القوالب من أجل لقاء الإنسان فوق خيوط التعبير الأدبي تلك المؤلفات التي تظهر اليوم في فرنسا وأمريكا وألمانيا وإيطاليا . فنحن نقرأ منذ أسابيع كتاباً عن المسرح الحي أو « **الليفينج** » بقلم **چوليان بيك** في باريس من أربعمئة صفحة . ونقرأ كتاباً أيضاً بقلم **چان ڤايسجيربيه** عن المكان الروائي . وشاعرية التهور من تأليف **دانيال كليبانيه** الذي يمثل الفكر الشارد وسط كلأ الصحارى . وصدرت أخيراً أيضاً رواية « **الطريق الخصوصي** » تأليف **شارلوت كروزيه** وهي تمثل حياة امرأة في تساؤلات سن الأربعين بأسلوب فريد قائم بذاته .



★ الكاتبة الفرنسية ناتالي ساروت ★

وتمتد جذور الفكر الحضاري إلى أعماق الإنسان البدائي لاكتشاف ينابيع الأصالة البشرية حيثما وجدت وحيثما كانت نمطاً يحتذيه إنسان اليوم في المجتمعات ذات المدنيات العريقة حتى يستكشف ذاته وأبعاد وجوده . فإذا بالآداب تنشد اصطناع البدائية والطفولة البريئة وإذا بالتعبير يغوص وراء أغوار الإنسان الخفية للخروج بالألحان الجديدة .

وأبرع مثل لهذا القالب الجديد هو **أسلوب الحوار مع المجهول** على نحو ما أسسه **ألبير كامو** في روايته عن السقوط . **وأسلوب الحوار الذاتي الباطن** كما ظهر في رواية « استوائيات » تأليف **ناتالي ساروت** التي أتبعتها برواية « **صورة مجهول** » سنة ١٩٤٨ م . ونشر **صمويل بيكيت** في نفس العام تقريباً روايته الأولى « **مورفي** » ثم يتبعها بروايته « **مولوي** » .

ولم تلبث هذه النظرية الأدبية أن تجسمت في مدرسة الرواية الجديدة في أواخر الخمسينات . والعجيب أن أفراد هذا الاتجاه جميعاً لم يعرف أحدهم الآخر ولم يتأثر أحدهم بالآخر . وبرغم ذلك شاع انطباع أدبي موحد في القالب الذي اتبعوه والأسلوب الذي اختاروه والنظرية التي اختاروها . وهذا يدل على أن العصر يفرض نفسه بنفسه . ويكفي متابعة روايات **ألان روب جرييه وميشيل بيتور وكلود سيمون ، ثم كلود مورياك وروبير بانچيه وكلود أولييه وچان ريكاردوو .**

وظهرت سنة ١٩٦٤ م ، جماعة أخرى من الروائيين يخضعون لمفهومات جديدة في الرواية أصحابها هم **مارسيلان پلينيه وفيليب سولير وجان بيير فاي ورولان بارت** . وتشبعت هذه الروايات بمفهومات ظاهرية فريدة ، ولا تزال تؤثر على موجات الرواية مع مطلع العام الجديد .

كم كنت أود أن أحيي أدباءنا العرب على إنتاجهم الجديد مع مطلع هذه السنة . . . ولا تزال بين يدي قصائد **عبد الله بن خميس ومحمود عارف** وبعض الشعراء الشبان من **مكة وجدة** . . . ومؤلفات الأستاذ الكبير **عبد القدوس الأنصاري وأمين مدني . . .** وكم كنت أتمنى أن أعبِّر عن فرحة العربي بهذه الآفاق الجديدة المثمرة بإذن الله . وقد بدأت أشعار الأستاذ الكبير **العواد** في ديوانه تطالعنا مع هذه السنة ، وكذلك الأعمال الموسوعية الكبيرة للأستاذ **أحمد عبد الغفور عطار** أمدَّ الله في عمره .

هذا كله يبشر بعام عربي جديد ، مليء بالرغبة الصادقة في متابعة التحولات الفكرية الجادة .

خط السياقت التركي

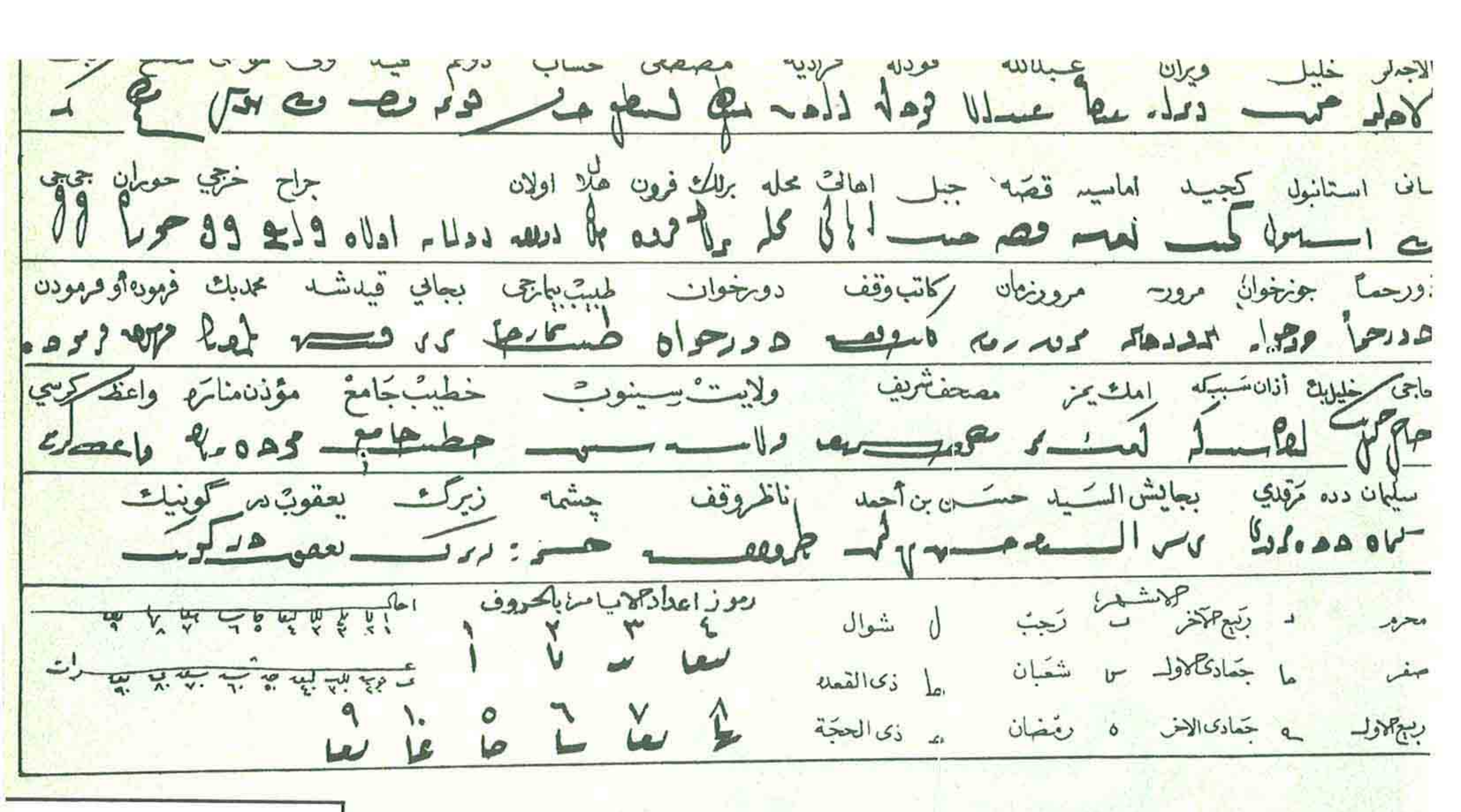
في عهد السلاجقة في آسيا الوسطى ٤٦٤ ـ ٧٠٠ هـ، استحدث الأتراك خطاً أطلقوا عليه اسم : «**سياقت**»، وقد ثبت ذلك من خلال وثائق الدولة العثمانية .

وهذا النوع من الخط متعدد الأنواع ، ويرجع ذلك إلى تعدد أشكاله من ناحية رسم حروفه ، وهو خط ذو نصوص مغلقة ، تستعصي على بعض المتخصصين في هذا الفن لحل رموزه وقراءة مخطوطاته بشكل سليم ، ويرجع السبب في ذلك ، إلى أن هذا الخط الـ «سياقت» يفتقد إلى القواعد الأساسية ، التي بنيت عليها التركيبات الحرفية خلال رحلة الخط العربي على مر العصور .. وقد كانت حروفه قريبة الشبه من الخط الديواني القريب من خط الرقعة والخط الكوفي .

وقد استعمل هذا الخط لأسباب «سياسية» وذلك في الفترة التي ازدهرت فيها الدولة العثمانية ، للتمكين من استمرار السرية في معاملات الدولة وشؤونها المختلفة .

★ أحد النماذج لخط «السياقت» وهو صفحة من السجلات التركية القديمة المؤرخة في ١١٥٨ هـ ★

★ نموذج آخر لخط «السياقت» .. صفحة من سجلات مديرية الأوقاف التركية ، وهو مؤرخ في (١٢١٣ هـ) ★


الاجلو خليل ويران عبدالله فوداله قراديه مصطفى حساب دونم قيد ولي موسى مصحح

سانى استانبول كجيد اماسيه قصبه جبل اهالى محله برلك فرون هلا اولان جراح خرجي حوران جيجي

ذورحما جوزخوان مرور مروزمان كاتب وقف دورخوان طبيب بيارجي بجاجي قيدشد محمدبك فهوده او فرهودن

حاجي خليل آغا أذان شبكه املك يمز مصحف شريف ولايت سينوب خطيب جامع مؤذن منار واعظ كرسي

سليمان دده مرقدي بجايش السيد حسن بن أحمد ناظر وقف چشمه زيرگ يعقوب در گونيك

الاشهر: محرم، ربيع الآخر، رجب، شوال، صفر، جمادى الاولى، شعبان، ذى القعدة، ربيع الاول، جمادى الاخر، رمضان، ذى الحجة

رموز اعداد الايام بالحروف: ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠

★ شكل يوضح خط «السياقت» نماذج من الحروف الأبجدية، مفردة، ومركبة ★

الفبا خط سياقت

ابتداء عملك ... ادرفتنه ...

كرنالم نفسا جراح حطاله

حروف مركبه

نقط حركات اشارات

ارقام

نماذج بعض كلمات: مهمان مهمات ملجا شاه مدس بعضا قمر احمد مهم محمد محمود

الاجلو خليل ويران عبدالله فوداله قراديه مصطفى حساب دونم قيد ولي موسى مصحح

سانى استانبول كجيد اماسيه قصبه جبل اهالى محله برلك فرون هلا اولان جراح خرجي حوران جيجي

ذورحما جوزخوان مرور مروزمان كاتب وقف دورخوان طبيب بيارجي بجاجي قيدشد محمدبك فهوده او فرهودن

حاجي خليل آغا أذان شبكه املك يمز مصحف شريف ولايت سينوب خطيب جامع مؤذن منار واعظ كرسي

سليمان دده مرقدي بجايش السيد حسن بن أحمد ناظر وقف چشمه زيرگ يعقوب در گونيك

الاشهر: محرم، ربيع الآخر، رجب، شوال، صفر، جمادى الاولى، شعبان، ذى القعدة، ربيع الاول، جمادى الاخر، رمضان، ذى الحجة

رموز اعداد الايام بالحروف: ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠

★ شكل يوضح الحروف الأبجدية مفردة ومركبة لخط «السياقت» الذي اندثر، بعد أن كان يستعمل في الحياة اليومية داخل الدولة العثمانية في اجراء الحسابات.. وهو من «تجميع» وكتابة الخطاط التركي «محمود يازر» ★



يُتيح

للشباب السعودي من حملة الشهادة الجامعية في الهندسة الألكترونية فرصة التعاقد مع السلاح عن طريق الشركة الفرنسية كوفراس للإبتعاث إلى فرنسا .

مدة الإبتعاث من ٨ أشهر إلى ١٢ شهراً ، يعود بعدها المتعاقد إلى الوطن ليتولى مهمة التدريس الخاصة بصيانة المعدات الالكترونية العسكرية

شروط الإلتحاق :

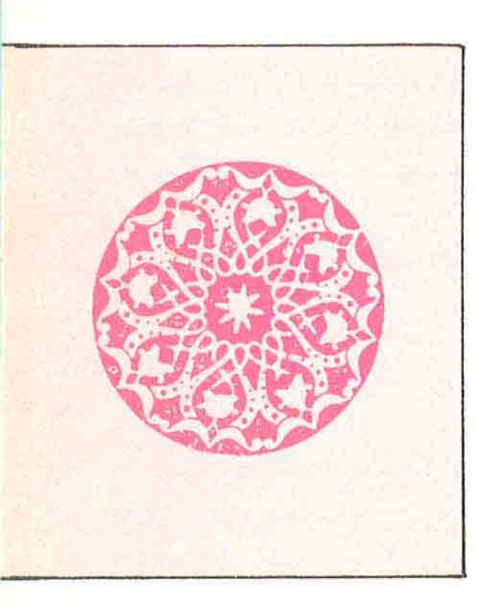
- أن يكون الطالب سعودي الجنسية .
- أن يجيد اللغة الفرنسية .

تهامة R

ولمزيد من المعلومات يرجى الاتصال بالتليفون رقم ٩٣-٣٠٠ الرياض

القيادة في الإدارة الإسلامية

بقلم : د . نواف كنعان



شهدت **الإدارة الإسلامية** في عهودها الأولى تنظيماً إدارياً متقدماً شمل جميع أجهزة الدولة ، وعرفت كثيراً من المبادىء في مجال القيادة الإدارية .

الإدارة في عهد الرسول

في عهد الرسول ﷺ : كان التنظيم الإداري يقوم في ظل حكومة مركزية قوية ومنظمة ، وكان النبي هو الرسول والمشرّع والقائد ورئيس الإدارة كلها .

واتسمت الإدارة في هذا العهد بالبساطة ، حيث كان تعيين القيادات الإدارية يقوم على الاستيثاق من مقدرة ونزاهة واستقامة الولاة ، بالإضافة إلى تمتعهم بالخُلُق القويم وسعة العلم والجدارة[1] .. فقد كان الرسول ﷺ يتخيّر عمّاله من صالحي أهله ، ويختارهم ممن يُحسنون العمل ، وكان يتابع حُسْن تنفيذهم لأعمالهم ، ويسمع ما يُنقل إليه من أخبارهم .. فقد عزل « **العلاء بن الحضرمي** » عامله على **البحرين** لأن وفد **عبد القيس** شكاه ، وولى « **أبان بن سعد** » وقال له : « **استوْصِ بعبد القيس خيراً وأكرم سراتهم** »[2] .

وكان عليه الصلاة والسلام يحثُ أولي الأمر على أن يولّوا على أعمال المسلمين أصلح من يجدونه لذلك العمل . . أثرَ عن النبي قوله : «**من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين**»[٣] . . واختيار **الأصلح** كما يقول «**ابن تيمية**» يكون باختيار **الأمثل** في كل منصب بحسبه . ويُعرف الأمثل بقوته وأمانته . . قال تعالى : «**إن خيرَ مَن استأجرت القويّ الأمين**»[٤] . . والقوة تتمثل في الحكم بين الناس بالعدل ، والقدرة على تنفيذ الأحكام ، والأمانة ترجع إلى خشية الله[٥] .

وكانت مهام الولاة ـ من حيث هم قادة إداريون ـ تستهدف إشباع حاجات موظفيهم . . يقول ﷺ : «**من ولي لنا عملاً وليس له منزل فليتخذ منزلا ، أو ليس له زوجة فليتزوج ، أو ليس له دابّة فليتخذ دابّة**»[٦] . . فقد راعى عليه الصلاة والسلام في إعطاء الأجر للموظف تأمين نفقاته وعائلته . وكان النبي يحثّ الموظفين والعمال على حُسْن الأداء . . في الحديث : «إن الله يحب من العامل إذا عمل أن يُحْسن»[٧] .

وطبّقت الإدارة في هذه الفترة أيضاً **مبدأ الأجر على قدر العمل** ، وذلك تطبيقاً لأحكام الآية الكريمة : ﴿ **ولكل درجات مما عملوا ، وليوفيَهم أعمالهم وهم لا يُظلَمون** ﴾[٨] . . كما طبّق الرسول ﷺ **الأسلوب الاستشاري** في قيادته لشؤون الدولة ، فكان يستشير أهل الرأي والبصيرة ، ومن شهد لهم بالعقل والفضل[٩] . . والسُنّة العملية مليئة بالشواهد التي تدل على أن النبي كان دائم التشاور مع أصحابه ، يكره الاستبداد بالرأي ، وكثيراً ما نزل عند حكمهم . . فقد استشارهم في اختيار المكان الذي ينزل فيه المسلمون **يوم بدر** ،وأخذ برأي «**الحبّاب بن منذر**» ، واستشارهم فيما يعمل بشأن من أُسروا في تلك الموقعة فوافق على رأي **أبي بكر** الذي أشار بالفداء . . وقبوله لرأي الكثرة حين أشارت بالخروج **يوم أُحُد** . . وعمله بمشورة السَعْدَيْن : «**ابن معاذ وابن عبادة**» إذ أشارا **يوم الأحزاب** بعدم مصالحة رؤساء **غطفان**[١٠] .

وعرفت الإدارة في عهد الرسول ﷺ **تقسيم العمل** . . فقد جعل عليه السلام له كُتّاباً للعهود إذا عاهد والصلح إذا صالح ، وكان «**حُذيفة بن اليمان**» صاحب سرّه ، وكان له كتّاب ينظمون أموال الصدقات والمغانم والمداينات والمعاملات . كما كان «**زيد بن ثابت**» ترجمانه بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية واليهودية[١١] .

الإدارة في عهد الخلفاء الراشدين

وفي عهد الخلفاء الراشدين : كان الخليفة هو الرئيس الأعلى للدولة ، وكانت أوامره ملزمة طالما كانت لا تتعارض مع أحكام **القرآن والسنة** .

وقد عرفت الإدارة في عهد **عمر بن الخطاب** كثيراً من المبادئ القيادية ، تمثلت في الأسلوب الديمقراطي لشغل الوظائف القيادية . . فقد كان عمر يشاور أفاضل الرجال في تعيين كبار موظفيه ، فقال لهم يوماً : أشيروا عليّ ودلوني على رجل أستعمله في أمر قد دهمني فقولوا ما عندكم ، فإنني أريد رجلاً إذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم ، وإذا كان فيهم هو أميرهم كان كأنه واحد منهم ، فقالوا : نرى لهذه الصفة «**الربيع بن زياد الحارثي**» ، فأحضره وولاه ، فوفّق في عمله وقام فيه بما أربى على رجاء عمر وزاد عليه . . فشكر عمر لمن أشاروا عليه بولاية الربيع[١٢] . وعندما أثيرت مسألة تعيين **جُباة الضرائب في الكوفة والبصرة والشام** ، أمر مواطني الأقاليم بأن يختاروا من بينهم الأشخاص الذين يرونهم أهلاً لهذه الثقة .

وكان عمر يشترط توافر السمات الإنسانية كالرحمة والعطف فيمن يقلدهم الوظائف القيادية ، فنراه ينزع الثقة من عامل لأنه لا يرحم أولاده . . فقد أمر بكتابة عهد لبعض الولاة ، فأقبل صبي صغير فجلس في حجره وهو يلاطفه ويقبله ، فسأله المرشح للولاية : أتقبِّل هذا يا أمير المؤمنين ؟ إن لي عشرة أولاد ما قبّلت أحداً منهم ولا دنا أحدهم مني ، فقال عمر : ما ذنبي أن الله عز وجل نزع الرحمة من قلبك ، إنما يرحم الله من عباده الرحماء . . ثم أمر بكتاب الولاية أن يمزق وهو يقول : إنه إذا لم يرحم أولاده فكيف يرحم الرعية . كما كان يختبر القادة والأمراء قبل تعيينهم ، ويستوثق من مقدرتهم واستعدادهم للقيادة ، وقلما أخطأت فراسته . . كان «**كعب بن سوار**» جالساً عند عمر فجاءته امرأة تشتكي زوجها ، فقال لكعب اقض بينهما ، فلما قضى بما عجبه وما لم يخطر له ببال قال لكعب : اذهب قاضياً على البصرة .

وكان يحث ولاته على السلوك الإداري الحسن والترفع عما يسيء إلى سمعتهم فيكتب إلى عماله : «**أما بعد فإياكم والهدايا فإنها من الرشا**» . . ويطلب منهم أن يكونوا مثالا للرعية ، وأن يتولوا بأنفسهم حل مشاكلهم . فقد كتب إلى **أبي موسى الأشعري** يقول له : « . . وافتح للرعية بابك ، وباشر أمورهم بنفسك ، واعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيته . . »[١٣] . . ويزود الولاة بعهد تعيين يتضمن الإرشادات التي يجب أن يتمثلوا بها ، والواجبات التي يجب أن يلتزموا بها ، كل ذلك بهدف توجيه سلوكهم التوجيه السليم . . فنراه يخاطب ولاته قائلاً : «ألا وإني لم أبعثكم أمراء ولا جبارين ، ولكن بعثتكم أئمة الهدى يهتدى بكم ، فأدوا على المسلمين حقوقهم ، ولا تضربوهم فتذلوهم ، ولا تحمدوهم فتفتنوهم ، ولا تغلقوا الأبواب دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم[١٤] . . » وينبههم إلى اتباع الأسلوب القيادي القائم على العدل والحق فيقول في كتاب له لأحد ولاته : «**وليس شدة السلطان قتلاً بالسيف ولا ضرباً بالسوط ، ولكن قضاء بالحق وأخذاً بالعدل** . . » .

وطبق عمر **مبدأ التظلم الإداري** فأتاح الفرصة للموظفين للتظلم من عمالهم ، فكان يستمع إلى شكاوى الموظفين وينصفهم . . قال «من ظلمه عامله بمظلمة فلا أذن له عليَّ إلا أن يرفعها إليَّ حتى أقصه منه . . » . . وكان إذا اشتكى إليه عامل أرسل «**محمد بن سلمة**» يكشف الحال .

وقد أراد عمر أن يعلم كبار موظفيه الجدَّ والإهتمام بالعمل والحرص

على الأوقات وضبط المواعيد، ويرشدهم إلى تشجيع موظفيهم على إنجاز العمل بمكافأتهم وتقدير مجهوداتهم.. فكتب إلى «أبي موسى الأشعري»: «إني قد بعثت إليك مع «**غاضرة بن سمرة العنبري**» بصحف، فإذا أتاك لكذا وكذا فأعطه مائتي درهم، وإن جاءك بعد ذلك فلا تعطه شيئاً، واكتب إليَّ في أي يوم قدم عليك..».. فعمر يقدم بذلك أعطية - كحافز - لمن أرسله إذا جدَّ فوصل إلى البلد وأنجز المهمة في الأجل المضروب.. كما نراه يشهد **لعمرو بن العاص** بحسن إدارته دليلاً على تقديره لمجهوداته[١٥]..

وعرفت الإدارة في عهد عمر **مبدأ تلازم السلطة والمسؤولية**.. فكان ينظر من الخلافة إلى القيام بأعبائها وتبعاتها لا إلى سلطانها ومظاهرها. وقد بلغ شعوره بالمسؤولية حداً لا يدانيه فيه أحد.. فهو القائل: «كيف لا يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسني ما يمسهم..»[١٦]. وكان يقسم الأعمال حسب الكفاءة والتخصص.. يقول: «**أيها الناس من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبي ابن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني فإن الله جعلني له خازناً وقاسماً..**»[١٧]. وعمر أول من دوّن **الدواوين**، فوضع **أول ديوان في الإسلام للخراج والأموال**.

ومن بدائع إدارته الحسنة أنه كان يعلم الناس ألا يكثروا من الرجوع إلى الحاكم للفصل بينهم في خصوماتهم ليصرف وقته في التفكير في أمورهم الخطيرة، وأن يعتمدوا على أنفسهم لا على صاحب السلطان.. وهذا ما أدركته الإدارة الحديثة وعملت على تطبيقه للحد من ضياع وقت المديرين في الإجراءات الروتينية، وتلافي تبديد جهودهم التي يجب أن تكون موجهة لإنجاز المهام الرئيسية.

أما المبادئ التي طبقها رابع الخلفاء الراشدين **علي بن أبي طالب** - في مجال القيادة الإدارية - فقد تضمنها عهده الذي كتبه إلى «**الأشتر النخعي**» حين ولاه أعمال مصر عام ٣٩هـ، وفيه يقول:[١٨]

«.. ثم انظر حال كتّابك[١٩] فولِّ على أمورهم خيرهم، واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكايدك وأسرارك بأجمعهم لصالح الأخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجترئ بها عليك في خلاف لك بحضرة ملأ، ولا تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك وإصدار جواباتها على الصواب عنك وفيما يأخذ لك ويعطي منك.. ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك، ولكن اختبرهم فيما ولوا للصالحين قبلك، فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثراً وأعرفهم بالأمانة وجهاً فإن ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره.. واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم لا يقهره كبيرها ولا يتشتت عليه كثيرها، ومهما كان في كتّابك من عيب فتعاميت عنه ألزمته.. وليكن كاتبك غير مقصر عن عرض مكتوبات عمالك عليك والإجابة عنها، حسن الوكالة والنيابة عنك فيما يحتج به لك عليهم من مكتوباتهم، وما يصدر عنك إليهم من الأجوبة..».

في العهد الأموي

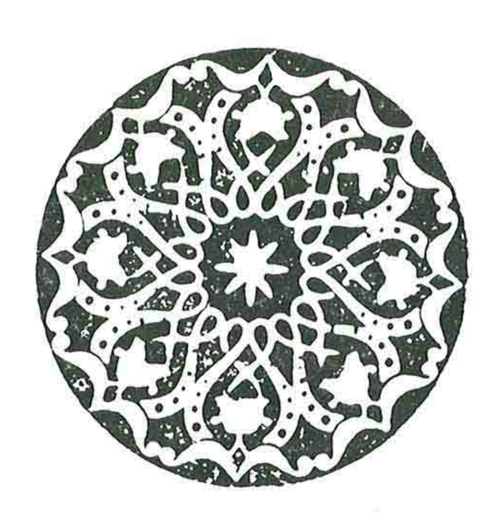
وفي عهد الأمويين: اقتضى اتساع رقعة الدولة وصعوبة الاتصالات تفويض الخلفاء الولاة في مباشرة سلطاتهم، واعطائهم - بعد التثب من حسن سلوكهم - شبه سلطة مطلقة في ولاياتهم، فعرفت الإدارة **مبدأ تفويض السلطة**. كما تشدد الأمويون في توافر سمتين هامتين فيمن يتولى المناصب القيادية هما: **المقدرة والأمانة**[٢٠].

ومما قدمته الإدارة الأموية أيضاً - في مجال القيادة الإدارية - دعوة **الخليفة عمر بن عبد العزيز** كبار موظفيه إلى تبسيط الإجراءات أثناء ممارسة مهامهم، وعدم الاكثار من المكاتبات والاستفسارات، والبت السريع في الأمور.. كتب إلى عامله في الكوفة: «.. إنه يخيل إليَّ أني لو كتبت إليك أن تعطي رجلاً شاة، لكتبت إليَّ أضأن أم ماعز، فإن كتبت بأحدهما كتبت أصغير أم كبير، فإن كتبت إليك كتبت إليَّ أذكر أم أنثى، فإذا أتاك كتابي هذا في مظلمة فاعمل به ولا تراجعني..».. وكتب ينهى أحد عماله عن الإسراف حتى في القراطيس: «.. أدقّ قلمك، وقارن بين سطورك، واجمع بين حوائجك، فإني أكره أن أُخرج من أموال المسلمين ما لا ينتفعون به..»[٢١].

في العهد العباسي

أما في عهد العباسيين: فقد شهدت الدولة نظاماً إدارياً محكماً يضم أحد عشر ديواناً بعد أن كان في عهد الإدارة الأموية خمسة دواوين. وأدت صعوبة الاتصالات إلى منح الولاة حق الإشراف التام على ولاياتهم.

ومن أهم المبادئ التي عرفتها الإدارة العباسية، تلك التي تضمنتها رسائل الخلفاء والولاة، والتي تمثل أحدث الأساليب في فن الإشراف.



وتمثل رسالة **طاهر بن الحسين** ـ أحد قواد الخليفة المأمون ـ والتي كتبها إلى ابنه عبد الله بن طاهر، مجموعة من التوجيهات لترشيد السلوك الإداري تمثلت في نصيحته لابنه بعدم المبادرة إلى اتهام الموظفين دون تحقيق فيقول: « .. **ولا تتهمن أحداً من الناس فيما توليه من عملك قبل تكشف أمره بالتهمة، فإن إيقاع التهم بالمبدأ والظنون السيئة بهم مأثم** .. » .. ويرشده إلى الرقابة الأمينة على الموظفين: « .. واجعل في كل كورة من عملك أميناً يخبرك أخبار عمالك، ويكتب إليك بسيرتهم وأعمالهم، حتى كأنك مع العامل في عمله، معاين لأمره كله .. » .. ويوجهه إلى أحسن السبل في بناء علاقات إنسانية حسنة مع موظفيه فيقول: « .. واجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك، واملك نفسك عند الغضب، وآثر الوفاء والحلم، وإيّاك والحدّة والطيرة والغرور فيما أنت بسبيله .. وأكثر مشاورة الفقهاء، واستعمل نفسك بالحلم، وخذ عن أهل التجارب وذوي العقل والرأي والحكمة .. وتفقد أمور الجند في دواوينهم ومكاتبهم، وأدر عليهم أرزاقهم، ووسع عليهم في معايشهم، فيقوى بك أمرهم، وتزيد به قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصاً وانشراحاً .. » .. وينبهه إلى كيفية إصدار قراراته فيقول: « .. وإن أردت أن تأمر بأمر فانظر في عواقب ما أردت من ذلك، فإذا رأيت السلامة فيه والعافية، ورجوت فيه حسن الدفاع والنصح والصفح فامضه، وإلا فتوقف عنه وراجع أهل البصر والعلم به، ثم خذ فيه عدته .. » .. ويحثه على إنجاز العمل والبت السريع بالأمور فيقول: « .. وافرغ من عمل يومك ولا تؤخره لغدك، وأكثر مباشرته بنفسك فإن لغد أموراً وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذي أخرت، واعلم أن اليوم الذي مضى ذهب بما فيه، وإذا أخرت عمله اجتمع عليك أمر يومين، فيشغلك ذلك حين تعرض له، فإذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت نفسك وبذلك أحكمت أمر سلطانك .. » .. وينصحه بأن يحسن مقابلة عماله فيقول: « .. **وأكثر الأذن للناس عليك، وأبرز للناس وجهك، وسكن لهم حواسك، واخفض لهم جناحك، وأكثر لهم بشرك، ولِنْ لهم في المسألة والمنطق** .. » .. ويطلب منه تفهم الأمور والمشاكل التي تعرض عليه تفهماً عميقاً قبل البت فيها، وتوقيت عمله اليومي حتى لا يضيع وقته وجهده فيقول: « .. وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتّابك، فوقّت لكل يوم وقتاً يدخل عليك بكتبه وما عنده من حوائج عمالك وأمور كورك ورعيتك، ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك، وكرر النظر فيه والتدبر له، فما كان موافقاً للحزم والحق فأمضه واستخر الله فيه، وما كان مخالفاً لذلك فاصرفه إلى التثبت فيه والمساءلة عنه .. » .

ويقول « **محمد كرد علي** » في تعليقه على هذا الكتاب، ولا أظن أن مثل هذا الكلام ـ الذي يكتب به طاهر بن الحسين إلى ابنه قبل خمسين ومائة وألف عام ـ يمكن أن يصدر اليوم أحسن منه من أكبر عالم إداري عارف بطبائع الناس وما يصلحهم.

وبهذا قدمت لنا الإدارة الإسلامية فهماً متطوراً للقيادة الإدارية، أقامته على مبادئ تضمن السلوك السليم لكبار موظفي الدولة، فاشترطت لشغل المناصب العليا توافر سمات إنسانية وذهنية وخلقية واجتماعية .. وتتمثل هذه السمات فيما أورده « الماوردي » وسماه **أوصاف الوزراء**، وهي: « .. الأمانة حتى لا يخون، وقلة الطمع حتى لا يرتشي، وأن يسلم فيما بينه وبين الناس من عداوة وشحناء، ذكوراً لما يؤديه إلى الخليفة وعنه، ذكياً فطناً، صدق اللهجة حتى يوثق بخبره، وأن يكون من أهل الأهواء .. وإذا كان الوزير مشاركاً في الرأي، احتاج إلى وصف ثامن وهو الحنكة والتجربة التي تؤديه إلى صحة الرأي وصواب التدبير .. » .

كما عرفت الإدارة الإسلامية مبدأ تفويض السلطة باسم **النيابة**، إذ كانت الإمامة ولاية عامة سواء أكانت الأعمال متعلقة بشؤون الدين أو شؤون الدنيا. ولا يتصور أن يباشر الإمام ويتصرف في كل تلك الشؤون بنفسه، فلا معدى له إذن عن الإنابة، ولا بد له من أعوان يعهد إليهم بتأدية الوظائف المتعددة التي أقيمت الدولة من أجل تأديتها .. وهذا ما عناه « الماوردي » في قوله: « ولأن ما وكل إلى الإمام من تدبير الأمة لا يقدر على مباشرة جميعه إلا باستنابة .. » .

وأقامت الإدارة الإسلامية فهمها للتحفيز الإداري على منح الموظف الأجر الذي يتناسب مع عمله، ومكافأته على كل جهد زائد، كل ذلك بهدف إنجاز العمل بروح التعاون القائم على العلاقات الإنسانية السليمة.

الهوامش

(١) مولوي . أ. حسيني، الإدارة العربية، مكتبة دار الآداب بالقاهرة، سلسلة الألف كتاب، ترجمة إبراهيم العدوي، عام ١٩٤٩م، ص: ٤٢، ٤٥، ٤٨، ٤٩.

(٢) محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية، ج ١، ط ٣، مطبعة لجنة التأليف والنشر بالقاهرة، عام ١٩٦٨م، ص: ٩٦.

(٣) رواه الحاكم في صحيحه.

(٤) سورة القصص الآية ٢٦.

(٥) أحمد بن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، مكتبة العروبة بالقاهرة، عام ١٩٧١م، ص: ١٨، ١٩.

(٦) د. مصطفى السباعي، اشتراكية الإسلام، ط٢، مكتبة العروبة بالقاهرة، عام ١٩٧١م، ص: ١٩٦، ١٩٧.

(٧) رواه البيهقي.

(٨) سورة الأحقاف الآية ١٩.

(٩) محمد كرد علي، نفس المرجع السابق، ص: ٩٦. حيث يذكر أن هيئة المشورة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يستشيرها كانت تتكون من أربعة عشر عضواً، سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار منهم: حمزة وجعفر وأبوبكر وعمر وعلي وابن مسعود وسلمان وعمار وحذيفة وأبو ذر والمقداد.

(١٠) محمد ضياء الدين الريس، النظريات السياسية الإسلامية، ط٥، دار المعارف بالقاهرة، عام ١٩٦٩م، ص: ٢٩٣.

(١١) محمد كرد علي، نفس المرجع السابق، ص: ٩٧، ٩٨.

(١٢) محمد كرد علي، نفس المرجع، ص: ١٨.

(١٣) مولوي . أ. حسيني، نفس المرجع السابق، ص: ٤٨، ٤٩، ٨٣، ١٣٣.

(١٤) أبو يوسف (يعقوب بن إبراهيم)، الخراج، ط٢، المطبعة السلفية بالقاهرة، عام ١٣٨٢هـ، ص: ٦٦.

(١٥) محمد كرد علي، نفس المرجع السابق، ص: ١١٤، ١١٧، ١٢٥، ١٣٥.

(١٦) مولوي . أ. حسيني، نفس المرجع السابق، ص: ٨٣، ٨٤.

(١٧) محمد كرد علي، نفس المرجع السابق، ص: ١٢٧، ١٢٨. ويقول المؤلف: والديوان موضع لحفظ ما تعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من العمال.

(١٨) توفيق الفكيكي، الراعي والرعية، مكتبة المعارف ببغداد، عام ١٩٦٢م.

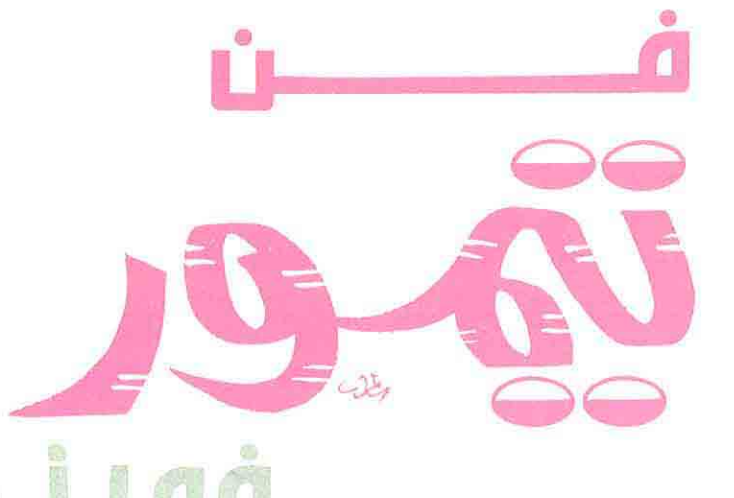
(١٩) إن الكاتب الذي يشير إليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب هو الذي يسمى الآن في الإصطلاح العرفي وزيراً، لأنه صاحب تدبير شؤون الأمير والنائب عنه في أموره .. راجع: توفيق الفكيكي، نفس المرجع السابق، ص: ١٥٤، ١٦٧.

(٢٠) مولوي . أ. حسيني، نفس المرجع السابق، ص: ٢٠٤، ٢٠٩.

(٢١) محمد كرد علي، نفس المرجع السابق، ص: ١٨٥.



★ محمود تيمور ★



في نظر الأنصار والخصوم

بقلم : د . بدوي طبانه

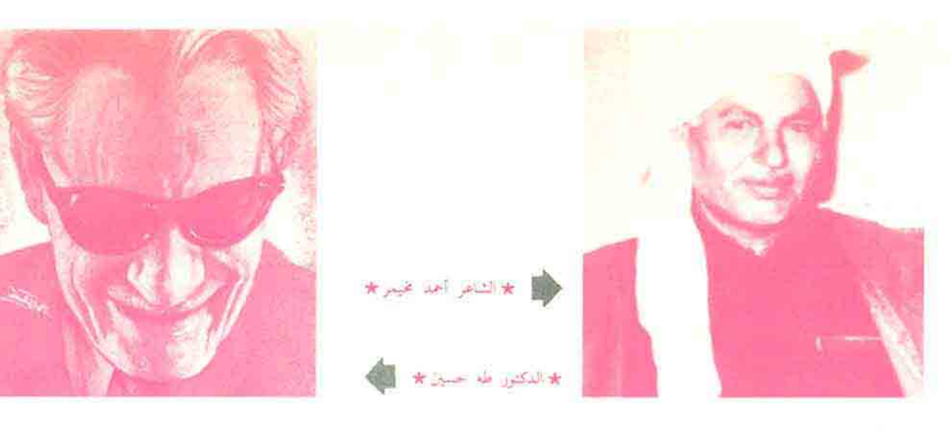
استطاع محمود تيمور أن يحظى بعناية طائفة كبيرة من النقاد ، وأن يظفر بحظ غير قليل من إعجابهم وإشادتهم بإبداعه فيما ألف من القصص التي عُد بها واحداً من كبار الرواد لهذا الفن في الأدب العربي الحديث . . ولم يحظ غيره بمثل ما حظي به من المدح والثناء الذي أذاعه كبار معاصريه من الأدباء والنقاد الذين اعترفوا له بطول الباع ، وسلامة الاختراع ، وبأنه أثرى الفن القصصي في أدبنا المعاصر بروائعه الكثيرة ، وبواقعيته التي قرّبته إلى جمهرة القارئين .

وربما كان لشخصية محمود تيمور ، ودماثة طبعه ، ولين عريكته ، أثر في شعور الرضا الذي غلب على أكثر ناقديه ، إذ كان أبعد أدبائنا عن الدعوى ، وأكثرهم نفوراً من المخاصمة ، ومن الدخول في معارك مع الأدباء أو النقاد . وتلك صفات قلّت في أعلام الأدب المعاصرين .

وحسبنا أن نورد في هذا المقام شيئاً مما قاله **الدكتور طه حسين** في فن تيمور ، وما يعكس على قرائه من الصور والأحاسيس ، إذ يخاطبه بأسلوبه المعروف قائلاً : « لا تغضب إن أنبأتك بأني أقبلت على دفاترك متثاقلاً ! ولست أدري ما الذي حبّبها إليّ ؟ وأكبر الظن أن فيها خصالاً كثيرة تحببها إلى النفوس » . . ثم يقول : « ولست أعرف كاتباً مثلك نقرؤه ، فنتأثر بعذوبة روحه . . في آثارك كلها وداعة نحسّها ، هي أشبه بذلك الحسّ الذي نجده عندما نسمع لبعض ألوان الموسيقى الهادئة العذبة ، ولكنها على هدوئها قوية ، تثير كثيراً من العواطف ، وتدعو إلى كثير من التفكير » . . إلى أن يقول الدكتور طه حسين : « أي شيء هذا الذي يسميه قدماؤنا « **السهل الممتنع** » ؟ وأي شيء هذا الذي يريد إليه قدماؤنا حين يصفون البيان بالسحر ؟ أي شيء هذا وذاك إن لم يكونا هذه البراعة التي تنحل آخر الأمر إلى القدرة على استراق النفوس واختلاب الألباب ؟ . . وأنت لا تخلب النفوس ، ولا تسحر الألباب بتزيين الألفاظ ، وزخرف القول ، والتأنق في الأسلوب ، وغير ذلك من هذه الزينة الفنيّة التي يعمد إليها الأدباء ، ولكنك تصل إلى غرضك باجتناب هذه الزينة ، والفرار منها » !

ثم يستطرد الدكتور طه إلى شيء من خصائص الفن القصصي عند تيمور ، وإلى معالم شخصيته في تأليفه ، فيقول له :

« لقد رُضْت القصص رياضة أخضعته لك إخضاعاً غريباً ، وإذا أنت تتخذه وسيلة لا غاية في كثير مما تكتب . . فالقصص عندك أسلوب من



★ الشاعر أحمد مخيمر ★

★ الدكتور طه حسين ★

أساليب العرض الفني لبعض الموضوعات والخواطر والآراء ، بحيث نقرأ القصة الصغيرة ، ونفرغ منها ، فإذا نحن لم نر قصصاً ، وإنما رأينا وصفاً رائعاً مؤثراً للون من ألوان الحياة ، وطور من أطوارها ، أو بيئة من البيئات ، أو شخص من الأشخاص ، أو عاطفة من العواطف ، أو خلق من الأخلاق » . . .

ولم يكن الدكتور طه هو الذي أثنى وحده على تيمور بمثل هذا الثناء الجمّ ، أو الثناء الضخم ، فإن كثيراً من الناقدين قد عبروا عن إعجابهم بفن تيمور بمثل هذه الحماسة ، وربما بأكثر منها .

الصدق الجارح

وليس معنى ما تقدم أن محمود تيمور كان بمنجاة من المؤاخذة ، أو أنه سلم من النقد الجارح ، إذ الحقيقة أن هذا الأديب الكبير قد تعرّض لبعض الحملات الضارية التي تتسم بالعنف ، وقد تناولت هذه الحملات أدب تيمور وفنه ، ولم يسلم منها شخصه !

ولعلّه كان في طليعة الكتاب الذين سلطوا أقلامهم ، وصوّبوا سهام نقدهم إلى شخص تيمور وإلى فنه القصصي « **حبيب الزحلاوي** » الذي خصص الفصل الأول من كتابه الذي سمّاه « **شيوخ الأدب الحديث** » **للهجوم على محمود تيمور . .**

وقد يكون من الطريف أن ينعت الزحلاوي محمود تيمور في عنوان ذلك الفصل بالقاص الأول !

وقد يكون من الطريف أيضاً أن يقول في مطلع ذلك الفصل إنه ليس بين كتّاب القصة كاتب ألّف وصنف واقتبس ونشر عدداً وافراً من القصة القصيرة والطويلة ، والروايات ، والمسرحيات ، مثل الأستاذ محمود تيمور . . ليس بين الكتّاب المعاصرين من يضارعه في إنتاجه الخصب ، ودأبه المتواصل ، وجهده في تغذية المجلات والصحف اليومية بقصصه وبحوثه الاجتماعية . . يعينه على ذلك تفرّغ تام للأدب ، وحب حيوي لقتل البطالة بالعمل ، ورزق موفور يحمل إليه ، وسياحات في بلاد الناس !

وعلى الرّغم من هذه النعوت المترادفة التي يضيفها الكاتب على « القاص الأول » كما سماه ، يصف الزحلاوي نفسه بأنه من طبقة النقاد الصادقين الذين لم يرأفوا بمحمود تيمور ، ولم يرحموه ، فقالوا في أدبه كلمة « **الصدق الجارح** » ، غير آبهين بالجريح يتأوه ، أو يئن ، أو يتألم ، ونبهوا الأذهان ، ليحذّروا القراء من هذا النوع من الأدب الرخيص ! يعني بذلك أدب محمود تيمور ، وأنه من النوع الرخيص في سوق الآداب !

وبعد أن يفيض الناقد في وصف محمود تيمور ، وطبيعة مزاجه الشخصي بأسلوبه التهكمي الساخر ، ينتقل إلى الحديث عن شيء من قصصه ، فيصفها بأن طابعها (يمتاز) بعاميته ، عامية اللفظ ، وعامية المعنى ، وعامية القصد والفكر !

ثم يقرّر أن هذه العامية ، أو العاميات ، هي توائم روح تيمور ، وهي التي تناسب مزاجه ، وتأتلف مع ذوقه !

ويقول الكاتب إن محمود تيمور بعد أن ناهز الستين أو تجاوزها ، ما برح « **الولد المدلل** » الذي يتفرج على « **صندوق الدنيا** » ! وإن رحلاته إلى كل قطر ومصر ، ومشاهدته الناس هنا وهناك ، وقراءاته المتنوعة في أدب القصة ، لم تخرجه عن طبيعة « الطفل المدلل » ! وعن رغبته القوية في التفرج دائماً على « صندوق الدنيا » ، لا على صور الحياة !

وبمثل هذه الروح ، وبمثل هذا الأسلوب الساخر يمضي الزحلاوي في نقد تيمور ، أو بالأحرى في انتقاصه ، منكراً على الرجل مواهبه الفنية وقدرته على الإبداع مخالفاً في ذلك جمهرة الأدباء والنقاد الذين احتفلوا بهذه المواهب ، وشهدوا لصاحبها بالاتقان والإبداع ، والإبداع الفني .

وينبغي أن يدخل في حسابنا في تقدير هذا النقد روح التنافس التي سيطرت على صاحبه ، فقد **كان الزحلاوي واحداً من كتاب القصة المعاصرين** ، وقد نشر مجموعات من تآليفه القصصية ، منها « **شعاب قلب** » و « **أنّات غريب** » و « **ضحكات القدر** » و « **يقظة ضمير** » و « **محنة الوسامة** » . . .

والمعاصرة والمنافسة حجابان يحولان بين أصحابها وبين رؤية حسنات معاصريهم ، أو الرغبة في إنصاف منافسيهم ، وتلك طبيعة الإنسان ، في كل زمان ومكان . . ومن هنا أطلّت ذاتية الزحلاوي وروح الصراع في نفسه من خلال كلماته المرّة ، وفي ثنايا نقده العنيف .

وأيًا ما كانت طبيعة نقد حبيب الزحلاوي لأدب تيمور ، وأيًا ما كانت بواعث هذا النقد ، فإن الناقد قد حاول فيه أن يصل بين شخصية محمود تيمور ، كما أراد أن يراها ، وكما أراد أن يصورها ، وبين تآليفه القصصية ، ليحكم الصلة بين العمل وصاحبه ، وتأثر الأديب في إنتاجه بطبيعة مؤلفه ومزاجه الشخصي . وهو اتجاه جدير بالاعتبار عند علماء الأدب ونقدة الكلام ، على كل حال !

★ ★ ★

هاتان صورتان من صور النقد الذي تناول الفن القصصي الذي برع في تأليفه محمود تيمور ، وصار به علماً من أعلام الأدب العربي في القرن العشرين . . وإن كانت كل صورة منها شديدة التباين أو البعد عن الصورة الأخرى . . فقد رأينا في الصورة الأولى معالم الرضا واضحة كل الوضوح ،



★ عزيز أباظة ★

ورأينا معالم السخط على القاصّ وعلى تآليفه واضحة كل الوضوح ، في الصورة الأخرى .

ولكنّا مع ذلك نلاحظ أن كلا الناقدين لم يتجاوز في نقده الحديث عن الفنان وأسلوبه وموضوعاته ومعانيه من وجهة النظر التي رآها كل ناقد من الناقدين .

وليس غريباً أن تختلف الأحكام والتقديرات وأن تتباعد حتى تصل إلى درجة التباين ، ما دامت الذاتية مبدأ مسلماً به ، ومعترفاً بعظيم تأثيره في الأحكام النقدية في عالم الفنون .

الأصل .. والظل

ولكن الحدث العجيب الذي يتجاوز الحدود المشروعة للنقد ، أن يطلع علينا واحد من الأدباء في هذه الأيام بنبأ غريب ، يجعل من محمود تيمور أسطورة من الأساطير ، ويجعل ما قرأته جماهير القراء من كتابات تيمور وتآليفه الأدبية والقصصية ، أوهاماً لا حقيقة لها ، فيذهب إلى أنه كان وراء تيمور من يجمع له مادة التأليف ، ومن كان يصوغها له ، ويصبها في قوالبها الفنية .

ثم لا يبقى بعد ذلك لمحمود تيمور إلا أن يدفعها إلى دور الطباعة حاملة اسمه الشريف !

وبذلك ينضم محمود تيمور إلى تلك القمم الشامخة في عالم الأدب العربي الحديث التي يحاول فرسان هذا الزمان الإغارة عليها . .

ولعل أولئك الفرسان كانوا يحلمون بتقويض هذه القمم ، وإقامة أمجاد لأنفسهم على أنقاضها . كما حاولوا أن يفعلوا مثل ذلك مع عمالقة الأدب المحدثين من أمثال **شوقي** ، **وطه حسين** ، **وهيكل** ، **وناجي** ، **وعزيز أباظة** . . وغيرهم من العمالقة الراحلين .

ولم تختلف دعاوى الفرسان في جوهرها ، أو في اختيار المعول الذي حاولوا أن يعملوه في تحطيم هذه القمم ، أو هذه القيم التي يزهو بها أدبنا المعاصر .

وخلاصة تلك الدعاوى أنه كان من وراء كل علم من هؤلاء الأعلام جنود معلومون أو مجهولون يكتبون له ، أو يفكرون له ، فيزعمون أن **سعيد عبده** كان من وراء شوقي ، وأن **فريد شحاته** كان من وراء طه حسين ، وكان **سيد نوفل** وراء هيكل ، وكان **التيجاني بشير** من وراء إبراهيم ناجي ، وكان **أحمد مخيمر** يختفي وراء عزيز أباظه . .

وبمناسبة ذكر عزيز أباظة وأحمد مخيمر في هذا السياق ، ينبغي الإشارة ، أنه كان مما أثار العجب ، أن أقرأ ويقرأ الناس جميعاً ، مقالا في **مجلة الثقافة المصرية** بعنوان « عزيز أباظة المفترى عليه » . . وأن يكون كاتب هذا المقال هو المرحوم أحمد مخيمر قبل أن يتوفاه الله بأيام . . وفي هذا المقال يضفي أحمد مخيمر ما شاء من نعوت الأصالة والعبقرية على المرحوم عزيز أباظة وعلى شاعريته ، وينفي عنه التهمة التي ضجّت منها آذان الناس فترة من الزمان !

والظاهرة المؤسفة في هذا الشأن ، أنه لم يذع هذه التهمة ولم يروّج لها إلا أحمد مخيمر نفسه ، ثم لاكتها الألسنة وبعض الأقلام ، وأنا أقرر هذا لأنني أعلمه علم اليقين ، فإنني لم أسمع هذه الدعوى الجريئة الأثيمة إلا من فم أحمد مخيمر نفسه ، وسمعها منه عشرات غيري . . وقد أنكرت عليه قوله ، وناقشته فيه . .

وكان من أسباب إنكاري عليه ، أسباب تاريخية ، أهمها أن عزيز أباظة كان شاعراً مرموقاً أيام كانت شاعرية أحمد مخيمر لم تتفتح أكمامها ، ولم تبح بمكنونها بعد ، ولأسباب فنية أيضاً ، أهمها ذلك الطابع العاطفي الآسر بموسيقاه العذبة ، وبيانه المشرق الساحر الذي ينساب في شعر عزيز أباظة ، الذي يختلف اختلافاً جوهرياً عن شعر أحمد مخيمر ، كما يبين هذا التباين أمام عين الناقد البصير !

وعلى الرغم من هذه الأسباب التاريخية والفنية ، أعترف أنني خدعت بكلام مخيمر أمام أقسامه وتأكيداته ، فهرعت إلى القلم ، وكتبت مقالا عنوانه « **سرقات هذا الزمان سرقات غير أدبية** » ! وقد نشرته إحدى المجلات العربية . وكان ذلك في حياة عزيز أباظة وحياة أحمد مخيمر رحمهما الله !

ويبقى السؤال : إذا كان عزيز أباظة مفترى عليه كما كتب مخيمر في مجلة الثقافة ، فمن الذي افترى عليه ؟ . . ولن يصعب الجواب ، بعد ما تقدم من الأسباب !

★ ★ ★

ونعود بعد ذلك إلى محمود تيمور لنلقي نظرة متأملة في الكلمات التي كتبها عنه **عباس خضر** في كتابه الذي سمّاه « **خُطىً مشيناها** » ، وقال فيها عن نفسه إنه لم يكن يعرف حاله البائسة سوى صديقه **شوقي أمين** . . وكان شوقي أمين قد اتصل بالأديب الكبير محمود تيمور ، وبدأت العلاقة بينهما ـ أي بين تيمور وشوقي أمين ـ بالإتفاق على أن يصحح شوقي أمين أصول كتابة تيمور ، ثم تطورت هذه العلاقة إلى ما هو أكثر من التصحيح !

والذي هو أكثر من التصحيح أنه رأى ملامح من قلم صديقه المكافح « شوقي أمين » تطلّ من خلال كتابات الأديب الكبير محمود تيمور !

ثم يستطرد عباس خضر إلى ذكر إحدى الوقائع التي شهدها ، وهي أن شوقي أمين جاءه يوماً ليقول له إن محمود تيمور يزمع الكتابة عن **الحجاج بن يوسف** في عمل أدبي ، وإنه عهد إليه بجمع المادة التاريخية ، وإنه يطلب العون من عباس خضر ، ثم يأتيه بالمراجع التاريخية لينقل منها أخبار الحجاج ، ويأخذ منه ما استطاع أن يجمعه من هذه الأخبار ، ثم يأتيه بأن [illegible] !

ذلك بإيجاز شديد خلاصة لما أورد عباس خضر في كتابه مما يتصل بمحمود تيمور .

وقد فهم الناس من ذلك الكلام ـ وهم معذورون في هذا الفهم ـ أن محمود تيمور ليس هو ذلك الكاتب المفنّ ، وليس هو ذلك القصصي البارع الذي عرفوه ، واستمتعوا بقصصه زمناً طويلاً . . بل إن هنالك جنوداً مجهولين ، وأدباء آخرين يتقاسمون الجهد الذي يبذل في إعداد مادة تلك القصص ، وفي صياغتها وتحريرها . . ثم يتقاضون أجر ما جمعوا وما حرّروا ، ليقرأ الناس بعد ذلك هذه القصص الشائعة منسوبة إلى محمود تيمور !

ويستطيع الناس كذلك أن يفهموا ـ وهم معذورون أيضاً في هذا الفهم ـ

أن محمود تيمور كان يشتري بأمواله علم الناس ومعرفتهم ، وأدبهم ومواهبهم الفنية ، وعندئذ لا تصبح المسألة مسألة أدب أو مواهب أو عبقرية ، وإنما هي مسألة أموال ودراهم ، أو قضية بيع وشراء !

وفي رأيي أن مثل ذلك ليس ضرباً من المستحيل الذي لا يكون ، فقد يقع مثله في دنيا الناس ، ويصحّ فيه القياس ، ولا يعدم المتتبعون مثلاً وشواهد له في تاريخ الآداب الإنسانية في القديم والحديث .

وعندي أن الذي اشترى بما كسب ، وشارك فيما وهب ، أخفّ وزراً ممن أغار وانتهب ، وسرق واستلب !

* * *

ولكن الذي نتوقف عنده في قضية تيمور لم يقدم الدليل الذي يستطيع به القارئ أن يطمئن على صحة هذه الدعوى .

ذلك أنه لم يذكر في دعواه إلا أثراً واحداً من آثار محمود تيمور على كثرة ما كتب تيمور ، وكثرة ما ألف من القصص ، وهذا الأثر هو قصة الحجاج بن يوسف « ابن جلا » التي ذكر الكاتب أنه اشترك في المعاونة فيها . وهذه القصة من أخريات أعمال تيمور . . ثم هو يذكر أن العلاقة بين تيمور وشوقي أمين بدأت بالإتفاق بينهما على أن يصحح الآخر ما كان يكتب الأول ، ثم رأى الكاتب ملامح من قلم صديقه المكافح شوقي أمين تطل من كتابات الكاتب الكبير . .

وهذه الملاحظة هي أخطر ما في كلامه ، وهي تقتضي معرفة وثيقة بطبيعة الأسلوب القصصي لتيمور قبل « ابن جلا » أو قبل أن تمتد إليه يد صديقه المكافح ، حتى تستبين له معالم التغيير . . وذلك ما لم يقدم عليه الدليل .

ولكننا إذا سلمنا بصحة هذه الوقائع كما أوردها عباس خضر لا نجد فيها ما يدعو إلى الشك في عبقرية محمود تيمور ، أو في أصالة فنه القصصي ؛ فإن تصحيح تجارب الطباعة ، أو تصحيح أصول كتاب ما لمؤلف ما استدراكاً لهنوات الكتابة ، أو هنوات الطباعة ، ليس أمراً ذا بال ، أو ليس أمراً خطيراً في إثبات أصالة المؤلف أو نفيها .

ويلي ذلك قول الكاتب إن شوقي أمين كان يأتيه بالمراجع التاريخية لينقل منها سيرة الحجاج بن يوسف ، ثم يقدم ما ينقل منها إلى محمود تيمور ، ليتخذ منه مادة قصته . . وتعقيبنا على ذلك أن جمع الأحداث التاريخية شيء ، وتأليف قصة فنية عن هذه الأحداث شيء آخر ، فإن المؤلف إذا اقتصر على رواية الأحداث كما هي أو كما وقعت ، لم يكن عمله من الفنية في شيء ، لأنه لن يعدو حينئذ أن يكون مؤرخاً أو راوياً للتاريخ . . ولم يزعم محمود تيمور أنه كتب تاريخاً للحجاج ، ولم يفهم أحد من الذين قرأوا كتابه أنه فعل ذلك !

وكانت الخطورة الحقيقية في أن يؤلف شوقي أمين شيئاً من القصص ، ثم يدعيها أو يغير عليها محمود تيمور ، ثم ينشرها في الناس حاملة اسمه ، مهما يكن الثمن ! وذلك ما لم يستطع الكاتب أن يقوله ، لأن أحداً في عالم الفكر أو في عالم الأدب لم يعلم عن شوقي أمين أنه كان في يوم من الأيام واحداً من هواة التأليف القصصي . وكل ما يعرفه الناس عنه أنه كان أحد العاملين في الحقل اللغوي ، وأنه عمل أكثر حياته محرراً في **مجمع اللغة العربية** ، حتى كافأه أعضاء ذلك المجمع بانتخابه عضواً عاملاً فيه منذ سنوات قليلة . . ولست أشك في علم هذا الرجل وفضله الذي أحلّه منزلة كريمة في قلوب عارفيه . . وقد أسرع هذا الرجل بتبرئة نفسه مما قيل ، فشفى ما في الصدور ، فأنصف نفسه ، وأنصف فن تيمور ،وأنصف الحق الذي ينبغي أن يتحراه حملة الأقلام في هذا الزمان ، وفي كل زمان .

* * *

إن كاتباً من الكتاب ، أو مؤلفاً من المؤلفين لن يستطيع الخوض في موضوع من الموضوعات إلا إذا كان على دراية به ، ومعرفة وثيقة بكليات موضوعه وجزئياته ، وإلا كان حاطب ليل ، يخبط خبط العشواء في الليلة الظلماء ، كلمة من هنا ، ورأي من هناك . . وبقدر هذا التلفيق يكون ميزانه بين الكتّاب والمؤلفين ، وفي نظر القراء والمتتبعين .

وما كان لمحمود تيمور أن يبلغ تلك المنزلة التي بوّأه إياها أدبه وفنه إذا كان من ورائه من يرفده بالمادة التي هي روح العمل ، ومن يصوغ له هذه المادة ، ويصبها في القالب الفني المناسب . . . وماذا يتبقى له بعد ذلك ، حتى يعده الناس في طليعة الرواد الذين يشار إليهم بالبنان في التأليف القصصي والإبداع فيه ؟

فإذا أراد محمود تيمور أن يكتب عن الحجاج ، فإن هذه المعرفة هي التي أغرته بالكتابة ، إذ ليس من المعقول أن يهمّ بالكتابة عن شخصية لا يعرفها ، لأن مرحلة الإرادة تأتي بعد مرحلة الشعور ، وينعدم هذا الشعور ! إذا فقدت المعرفة أو الإدراك .

ولم يكن محمود تيمور كما هو معلوم عند عامة المتأدبين وخاصتهم في حاجة إلى من يزوده بالمادة التاريخية لتعينه لكتابة قصة عن الحجاج أو غيره . . فقد كان حسبه في مكتبته الخاصة الزاخرة بنفائس الكتب في القديم والحديث ، ثم مكتبة أبيه العلامة **أحمد تيمور** التي لا يجهلها عارف بتراث العروبة وتراث الإسلام .

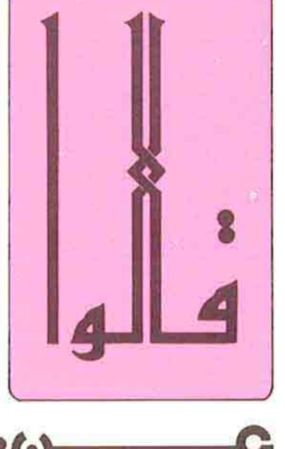
وكذلك لم يكن محمود تيمور في حاجة إلى من ينقل له ، فقد كان بين يديه من الكتبة والناسخين الذين يأجرهم ويأتمرون بأمره من يغنيه عن طلب غيرهم من النقلة أو الناسخين .

وغاية ما في الأمر أن الرجل كان في بسطة من العلم وبسطة في الرزق ، وكان يفيض بالكثير مما آتاه الله على كثير من أهل العلم والأدب الذين يرى أنهم في حاجة إلى العون على الحياة ، فيبحث جهده عن الذرائع والأسباب التي يوصل بها برّه إليهم في غير منّ ولا أذى ، فيما يصوره لهم أنه أجر مشروع على عمل من الأعمال التي كثيراً ما يكون هو في غنى عنها ، ولا تمسّ حاجته إليها .

وأنا أعرف طائفة من الأدباء كان محمود تيمور يؤثرهم ببرّه ، لا على أنه برّ أو صدقة ، بل على أنه أجر أو مكافأة على نقل أو نسخ أو إشراف على طباعة كتبه ، أو نيابة عنه في تدبير بعض أموره الخاصة . .

بل إني لأعرف أن كبار الوراقين وناشري الكتب كانوا يتوافدون على داره ، طامعين بأن يؤثرهم بنشر مؤلفاته ، ويعرضون عليه أجزل المكافآت ، ولكنه كان يعرض عن أولئك الكبار ، ويؤثر عليهم ناشراً متواضعاً في **درب الجماميز** . وكان هذا الناشر يقاسم الأدباء الذين يختارهم تيمور لمراجعة تجارب الطباعة أرباح النشر والبيع ، من غير أن يصل شيء منها إلى جيب تيمور . . وقد أثرى أولئك الأدباء كما أثرى ذلك الورّاق أو الناشر المتواضع ، وأصبح لاسمه مكان بين كبار الناشرين في الوطن العربي .

ذلك جانب معروف في حياة محمود تيمور ، وهو جانب إنساني يقدره الفضلاء من أهل العلم والأدب . . وما كان تيمور يدري أن هذا الخير سيحول شرًا ، وأن هذا البرّ سيصبح عند بعض أوليائه ، بعد وفاته ، جحوداً وكفراً . .







★★ الدبلوماسيون يفضحون كل شيء باستثناء انفعالاتهم .

فكتور هيجو

★★ في الأساس بالنسبة إلى الدبلوماسي الدهاء هو قول الحقيقة عندما نعتقد أنه لا يقولها وعدم قولها عندما نعتقد أنه يقولها .

جورج كورتلين

★★ عندما يقول الدبلوماسي « نعم » فذلك يعني ربما ، وعندما يقول « ربما » فذلك يعني « لا » ، وعندما يقول « لا » فإنه لا يكون دبلوماسياً .

هـ . ل . منـكن

★★ عندما يبدو أنهم راحلون .. يقدمون الدبلوماسيين والنساء وسرطان البحر (ابوجلمبو) .

هون ملتون هاي

★★ السفير هو رجل شريف أرسل ليكذب في دول أخرى من أجل مصلحة بلده .

هنـري ووتـن

★★ لقد اكتشفت في الاستخفاف بالدبلوماسي أقول الحقيقة وهم لا يصدقونها .

بنسو دي كافور

★★ الدبلوماسي هو الرجل القوي الذي يتأمل الدنيا بأذنيه .

★★ الدبلوماسي هو الرجل الذي دائماً ما يتذكر عيد ميلاد امرأة ولكنه لا يذكر اطلاقاً عمرها .

روبرت فروست

★★ الدبلوماسية هي أن تقول وتفعل أقدر الأشياء بألطف الطرق .

ايزاك جولريرج

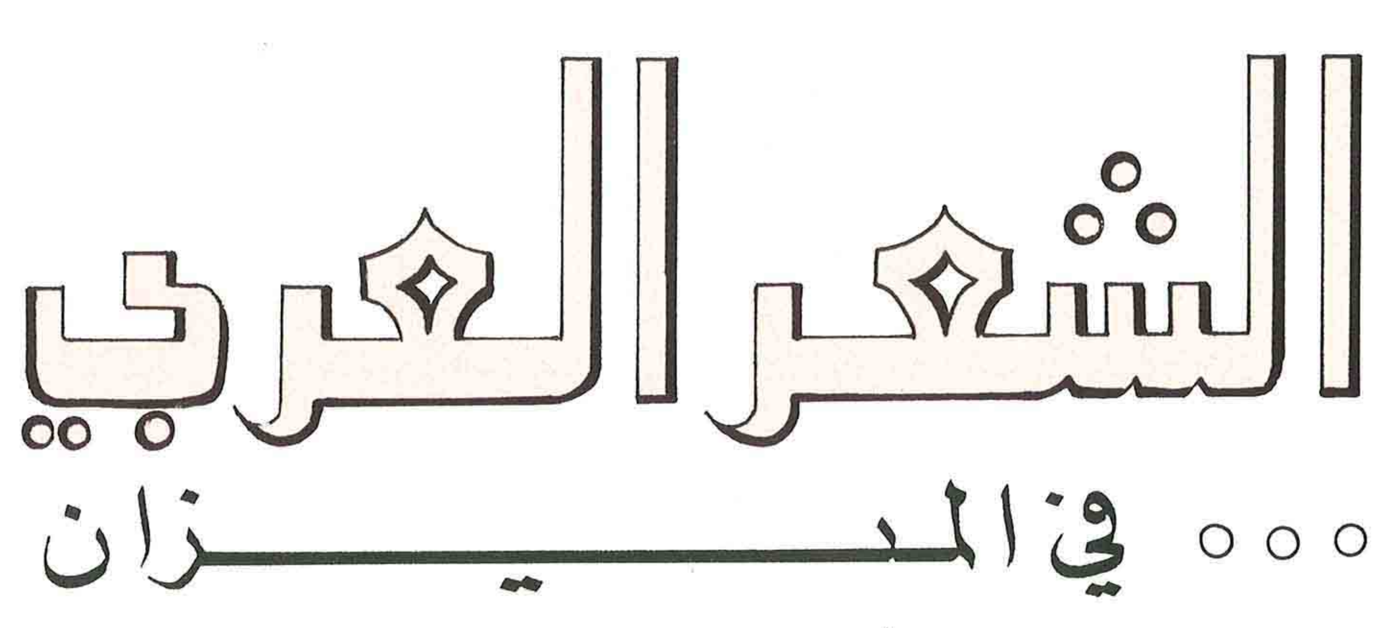
★★ دبلوماسية السلام فترة من الخداع بين فترتي حرب .

امبـروز بيـرس



★ فيكتور هوجو ★





إعداد : د. يوسف نوفل وخليل ابراهيم الفزيع

قال صاحب الأغاني أبو الفرج الأصفهاني :

«ليس أحد من العرب إلا وهو يقدر على قول الشعر ، طبعاً ركب فيهم ، قل أو كثر» .

ولقد كانت الصحف اليومية في مستهل عصرنا تفسح صفحتها الأولى لنشر إحدى شوقيات **شوقي** ، ويكفي الاستشهاد بظاهرة **المعارضات الشعرية** حيث استقطبت قصيدة :

يا ليل الصب متى غده   أقيام الساعة موعده؟

لأبي الحسن الحصري القيرواني ـ استقطبت فحول شعراء العصر الحديث فعارضوها . ولم يقتصر الأمر على معارضة شوقي فحسب ، بل نشر **عيسى إسكندر المعلوف** كتابه **(معارضات) قصيدة «يا ليل الصب»** سنة ١٩٢١ م ، وحصر التونسيان **محمد المرزوقي ، والجيلاني بن الحاج يحيى** في كتابهما **(أبو الحسن الحصري القيرواني)** سنة ١٩٦٣ م ، معارضات القصيدة . ونكاد نستغرق سطوراً عديدة لو أحصينا معارضي هذه القصيدة .

وقد نشط ديوان الشعر المعاصر بفضل الطباعة والإخراج الفني واستخدام اللون والصورة الخ ، وكثر عدد الشعراء ، وحفلت حركة الشعر بتجديدات عديدة انطلاقاً من **العصر العباسي** فالبيئة الأندلسية فالعصر الحديث .

وهناك إلى جانب الشعر يبدو الفن القصصي ، والفن المسرحي ندان قويان لفن الشعر برصيدهما الحضاري والعالمي ، **فهل طغت جماهيرية الفنين القصصي والمسرحي على رصيد الشعر فجذبت إليها شيئاً قليلاً أو كثيراً مما كان يحظى به الشعر ؟** هذا سؤال !

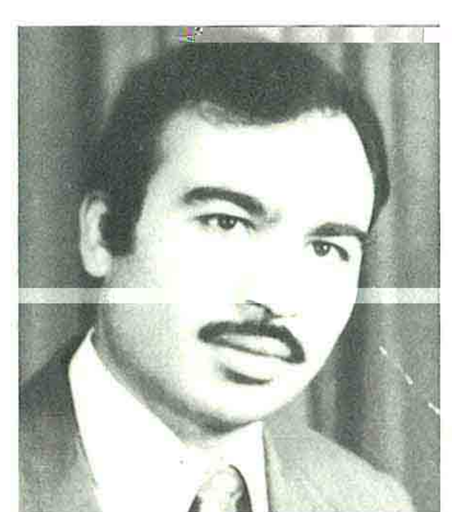
وهل احتوى هذان الفنان ومعهما المقالة الأدبية الخالصة ، هل

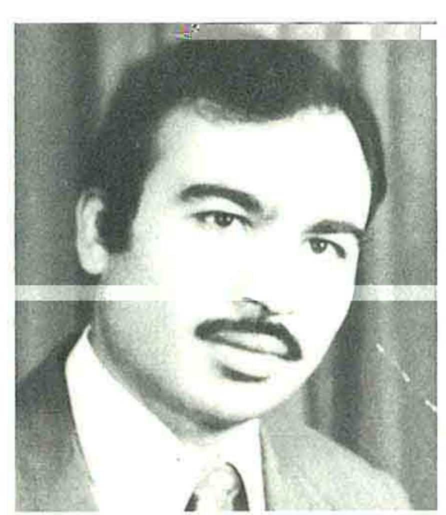


★ د . يوسف عز الدين ★



★ الأستاذ علي عبد الله خليفة ★





★ حسن عيسى أبو ياسمين ★



★ مرزوق بشير ★

احتوى كل منها شيئاً من خصائص الشعر الغنائية والعاطفية والذاتية والرومانسية فقللا من أدواته ونافساه في خصائصه ؟
هذا سؤال آخر !

فهل ما زالت للشعر مكانته بين الفنون أم انتهى زمنه وولى ؟

لقد ألقى الشاعر **السعودي الدكتور «غازي القصيبي»** محاضرة تساءل فيها هل للشعر مكان في القرن العشرين ؟ وما يزال السؤال يطرح نفسه :

هل انتهى زمن الشعر .. في وقت نشطت فيه فنون المسرح والقصة والقصة القصيرة والرواية والمقال والفن التشكيلي والموسيقى الخ .

وكثيرة هي قضايا الشعر المعاصر .. ومتعددة الجوانب والاتجاهات ، وقد حظيت هذه القضايا باهتمام الدارسين والنقاد وتعددت فيها الأقوال ، وتضاربت الآراء في هذه القضية أو تلك ، وقد رأينا في هذه الندوة أن نطرح بعض القضايا ذات العلاقة بالجوانب الفنية في الشعر وعلاقته بالقارئ ، واستفادته من المعطيات الحضارية التراثية والمعاصرة .

ومن الطبيعي ألا نتمكن من مناقشة كل الجوانب المتعلقة بهذا الموضوع لأنها كثيرة ومتشعبة ، ولكننا حاولنا أن نسلط بعض الأضواء التي يمكن أن يستفيد منها القارئ .

وكانت الأسئلة الأخرى المطروحة : **هل يمكن اعتبار الشعراء دعاة مسؤولين أم غير مسؤولين ؟ وهل يفترض أن تغطي كامل العملية الإبداعية كامل السلسلة المتعاقبة من الأصول اللاواعية للعمل الشعري إلى آخر التنقيحات أو التعديلات ؟**

والإلهام ما دوره بالنسبة للشاعر ، وهل يمكن استثارته ؟ وإلى أي مدى يمكن للرمز أن يخدم الشعر .. وهل استفاد الشعر العربي من الأسطورة ؟

لماذا تراجع الشعر المسرحي عن بقية الفنون؟ والعامية، ما مدى تأثيرها وأهميتها بالنسبة للشعر .. وكذلك الفلسفة .. والمضمون الأيديولوجي؟ وهل استطاع الشعر العربي أن يعكس روح العصر ونبضه؟

لقد طرحت بعض هذه الأسئلة على عدد من الشعراء والنقاد العرب، كما طرح بعضها على شعراء ونقاد عرب آخرين، وكانت محصلة مجموع الآراء هذه الندوة التي تناولت نقاطاً وقضايا مختلفة تتعلق بالشعر العربي.

هل انتهى زمن الشعر؟

● أجاب الباحث والناقد العراقي الشاعر الدكتور يوسف عز الدين، أستاذ الأدب العربي بجامعة بغداد، وأمين عام المجمع العراقي:

«الحياة المادية وحضارة القرن العشرين ومحاولة الوصول إلى الحياة الرافهة الرغيدة في عالم قلق مضطرب متردد بين المثل العليا، والمصالح الفردية **دعت الجيل المعاصر إلى الاتجاه نحو وجهات نظر جديدة ليغير حاضره مؤملاً أن يجد في ظلال الجديد رواء القلب، وراحة النفس الحيرى، لهذا أنكر كل قديم وتبرم به، وإن كان أصيلاً، وركض وراء كل حديث وإن كان تافهاً فجاً، واعتنق الفلسفات الغربية كالوجودية والسريالية والرمزية في الفن والأدب.** مع أن هذه المذاهب عبرت عن الغربي الحائر المضطرب في حضارة القرن العشرين. والغربي الذي لا يعرف ما يريد وبين يديه كل ما يريد، لأنه أضاع المثل الروحية، والقيم الإنسانية العالية، والسمو البشري والعطاء الروحي، فظن أن الموسيقى سوف تموت، وأن الفن الأصيل سيندثر، وأن الشعر سينتهي.

والحقيقة أن الفن خالد والشعر مستمر، لأن الفن عاطفة الإنسان وحياته والشعر مرتبط بالكلمة الحلوة الخالبة، ولن يموت الحرف وهناك عاطفة دافقة عند البشر، والإنسان جسد وروح وقد يخضع الجسد للأمور المادية، ولكن الروح لا يمكن أن تخضع لغير السمو العاطفي لأنها متى خضعت اندثر الجنس البشري كله. متى فقد العاطفة والإحساس.

البشرية كلها صائرة نحو ترك الحياة المادية ومحاولة الاستغناء عن المخترعات الحديثة وترك الآلة التي كانت لخدمة البشر، فأصبح الإنسان في خدمتها، لأنها دمرت المثل وشوهت القيم الروحية. وفي القريب سنجد ثورة جديدة تدعو إلى العودة إلى الأصالة في الفن والموسيقى والشعر، وسوف يزداد الفن ازدهاراً والحياة الروحية نماء بالعودة إلى المنابع الأصيلة والعيون الصافية، وستذهب مقولة انتهاء الأدب مع آراء **أفلاطون** عندما أخرج الشعراء من مدينته الفاضلة، لأن الشعر والفن فطرة، فلا يمكن إسكات العنادل عن التغريد والجداول عن الجريان والدنيا عن الاستمرار إلا إذا مات العندليب وجف الماء وأراد الله تعالى إهلاك البشر!!»

الشعر .. والعصر

● من البحرين يشترك الشاعر البحريني المعروف علي عبد الله خليفة في هذه الندوة، متناولاً عدة قضايا تتعلق بالشعر والشاعر فيقول:

«الشعر، كما أراه، رؤية واستشراف مستقبلي، والشاعر لا يمكن له أن يقوم بدور المصلح أو المعلم، خصوصاً في عصرنا الحاضر الذي تغيرت فيه مفاهيم الشعر كفن، وأصبحت القصيدة عملاً إبداعياً مركباً يعبر عن حالة شعورية معقدة وبالغة الدقة .. معتمداً أدوات فنية متطورة، توظف الواقع ومخزون الذاكرة في صور فنية ورموز باهرة، في سلسلة من التداعيات.

ولأن الشعر فن، مادته الانفعال والتعامل المرهف مع كل ما في الكون، فليس في مقدوره أن يخدم المصلحين والدعاة في استخدامهم المنطق والحقائق المجردة. وهذا لا يعني الشاعر من أن يؤدي دوراً بارزاً في تطور المجتمع من خلال التعبير عن همومه الحياتية، التي تكون في أغلب الأحيان هي هموم غالبية الناس. فمن خلال هذا التعبير تتبلور مواقف اجتماعية محددة، تساهم مع معطيات أخرى في كسب تعاطف قطاعات عديدة من المجتمع وتعمل على استقطابهم.

لا شك أن **القصيدة** دفقة شعورية متصلة تفرضها عملية إبداعية في فترة زمنية محددة، تنتهي ببروز عمل شعري واضح المعالم شكلاً ومضموناً. وهذه الفترة هي التي يعول عليها ويكون فيها إبداع الشاعر أكثر تحفزاً واستثارة وعطاء، لكن يظل الشاعر في درجة من تلك **الحالة الشعورية** وهو يجري بعض التعديلات.

وقد تظل **العملية الإبداعية** متصلة تغطي فترة زمنية ليست بقصيرة، وتختلف من شاعر إلى آخر. ويبقى أن ما يبدعه الشاعر في لحظة العطاء أكثر عمقاً وصدقاً.

وأتصور أن **الإلهام الشعري** مبني في كثير من حالاته على الاستثارة، وهناك فرق بين حادث يستثير الشاعر وحادث يفتعل لاستثارة الشاعر، كأن يقوم الشاعر نفسه بتحضير جو خاص للكتابة.

وفي عصرنا الحديث **التجربة الشعرية تعتمد على التركيب**، فما يثير الشاعر اليوم قد لا يعبر عنه في التو، بل تفجره فيه لحظة أخرى فيما بعد. ولا أتصور أن يقف شاعر أمام ما أثار فيه الشعر ليقول عنه في الحال شعراً. فهذا مفهوم مختلف في اعتقادي، لأن الشاعر يختزن في ذاكرته كل ما يؤثر فيه ليستفيد منه بطريقة عفوية في العملية الإبداعية. **وأتصور لحظة إبداع قصيدة كلحظة انفجار بركان، لا يمكن تحديد موعدها ولا يمكن تقديمه ولا تأخيره.**

واعتبر الرمز أداة فنية خطيرة والمجاز فني حديث يغني القصيدة ويعطيها أبعاداً وتلويناً وعمقاً إذا أجيد استخدامه بتمكن دون مغالاة أو افتعال، ويمكن للرمز أن يخدم الشعر إلى أبعد مدى يمكن تصوره فنياً في خدمة القصيدة وفي إغناء مضمونها، وإذا أمكننا تحديد مدى قدرة الذهن البشري على التصور والتفسير، يمكننا أن نحدد مدى خدمة الرمز للقصيدة.

إن مقدرة الشاعر الفنية وصدقه في التعبير عن تجربته هي التي تجعل القارئ ينفعل بالقصيدة ويتعاطف مع موقف الشاعر، **وأرى أنه يشترط في الشاعر أن يكون صادقاً مع انفعالاته أميناً في نقل ما يشعر به. ومتى ما توفر الصدق الفني لدى الشاعر توفر بالتالي في العمل الشعري.**

لقد استفاد الشعر العربي من **الأسطورة** بعض الشيء، خصوصاً في **دواوين الشعر الحديث**، لكن ظلت أساطير الشعوب وما خلفته الثقافات الإنسانية بعيدة عن متناول الشاعر العربي بسبب حاجز اللغة، فأغلب الأساطير الفنية في لغات العالم لم تترجم إلى العربية لحد الآن، فاستفاد الشاعر العربي المعاصر بما بين يديه من أساطير محلية ومترجمة.

أما **المسرح** فهو فن جديد على الأدب العربي. **والمسرح بدأ متأخراً في كل البلاد العربية، ومتى كان المسرح متخلفاً فإن الشعر المسرحي يظل جهوداً إبداعية فردية وليس حركة نشطة واضحة المعالم**، فالأعمال الشعرية المسرحية تعد على أصابع اليد الواحدة، وأبدعها فنانون رواد أبدوا مقدرة غير عادية. كما أن **سبب تخلف الشعر المسرحي هو كون الكتابة**

للمسرح علم له أصول فنية تقتضي وضع تخطيط مسبق لبناء الشخصيات ورسم الأحداث ، وهذا يتطلب مقدرة فنية ونفس شعري غير عادي .

وقد كتبت شعراً بالعامية وبالفصحى . والحقيقة أن **شعر العامية بلا مستقبل ، لأنه مرتبط بلغة المجتمع في فترة زمنية قابلة للتطور ، وبذلك تتطور لغة المجتمع وتبقى لغة شعر فترة زمنية هي غيرها فيما بعد .**

لكن إذا كانت الكتابة بالعامية ضرورة مرحلية تفرضها طبيعة المجتمعات المتخلفة ، فلا بأس ، **وإذا كانت لغة الشعر العامي هي محاولة لرفع مستوى العامية وتقريبها من الفصحى في مجالات كثيرة كالأغاني وغيرها فلا بأس . على ألا تكون دعوة لنبذ الفصحى أو التقليل من شأنها .**

والأدب عموماً فقد أشياء كثيرة من مكانته .. لأسباب أهمها تطور وسائل جذب القارئ عن القراءة ، وتعدد وسائل الإلهاء لتفريغ عقل المواطن العربي ، وتحويله عن كثير من الأمور الجادة . **فالكتاب في بلاد كثيرة ما زالت له مكانته والأدب في غير بلادنا ما زال بخير .**

وإيقاع هذا العصر أسرع من قدرة أي إنسان على استيعابه أو اللحاق به ، والشعر هو نتاج القدرة البشرية على الإبداع الفني . **والشعر العربي المعاصر** كان منسجماً مع روح العصر معبراً عنها ، وهناك كثير من النماذج الشعرية التي تؤكد هذه الحقيقة . لكن الشعر العربي المعاصر تخلف في السنوات الأخيرة عن متابعة الركب ، وأعتقد أن الفترة الزمنية الحالية التي يمر بها الشعر العربي والأدب العربي عموماً هي **السكون** الذي يسبق عاصفة ما .

والفلسفة بكل تأكيد تزيد من القيمة الفنية للقصيدة ، وكذلك **المضمون الأيديولوجي** إذا لم يكن شعارات وصراخ مبثوث في القصيدة ، أو مقحم لأي سبب كان » .

الشعر .. والتكنولوجيا والفضاء

● **ويركز الدكتور سعد دعبيس ، عضو هيئة التدريس بجامعة عين شمس ، على علاقة الشعر بمعطيات العصر الحديث ومخترعاته فيقول :**

« هل يمكن لغُربتنا في هذا العالم أن تنتهي ؟ وهل يمكن لأعاصير القلق الثائرة في أعماقنا أن تتوقف ؟ وهل انتهت صراعات العقل الباطن في لا شعورنا ؟ **أما يتملكنا الحنين كل لحظة إلى الفرار من آلية الحياة الصناعية ورتابتها إلى عالم الدهشة والغرابة .. عالم الأحلام والرؤى ؟**

إن زمن الشعر لن يمضي أبداً .. بل إن حاجتنا إليه الآن في عصر **الملاحم الصناعية والخوارق العلمية** ، لأشدُّ مما كانت في العهود الماضية ؛ ذلك لأن الشعر هو إنسانية الإنسان .. هو وهج المشاعر وإشراقها .. هو الانطلاق من الواقع المحدود إلى لا نهائية الكون ، وشمولية العالم ، ولا تستطيع أيُّ ابتكارات علمية أن تَقْتُل في الإنسان هذه القيم ، وإلا أصبح « كالأرض الخراب » التي نعاها **(ت . س . إليوت)** في قصيدته « **الأرض الخراب** » ، أو كهذه الكائنات التافهة المسحوقة في قصيدته « **الرجال الجوف** » .

يقول الشاعر الألماني **(نوفاليس)** : « الحُلْم في رأيي سلاحٌ يحمينا من أطراد الحياة ، وسيرها المعتاد ، راحة من الخيال المقيَّد ، حيث تختلط كُلُّ صور الحياة بعضها ببعض ، وتقطع الجدّية المستديمة التي يحيا فيها البالغون عن طريق اللعب الطفوليّ المرح ، لولا الحلم لشِخْنا قبل الأوان » .

ويقول أيضاً : « ربما كان من الصواب القول بأن ظهور شاعر في هذا العالم يكون لحكمة يشاؤها القدر ، لأن الأمر مع هذا الفن أمرٌ عجيب » .

ذلك لأن الشاعر في نظر (نوفاليس) : « يملأ عمق أعماق الوجدان بأفكار جديدة عجيبة محببة .. إنه يعرف كيف يثير تلك القوى الخفية الكامنة فينا كما يشاء ، ويمنحنا عالماً مجهولاً رائعاً نستوعبه من خلال الكلمات . إن العصور القديمة والمقبلة ، وجموع البشر التي لا حصر لها ، والأماكن والجهات العجيبة ، والمشاعر والإحساسات الغريبة ، تتصاعد كلها في نفوسنا ، كأنها تخرج من كهوف عميقة ، وتنتزعنا من براثن الواقع المألوف . إننا نسمع كلمات غريبة ، ولكننا نعرف مع ذلك ما تدل عليه . حكمُ الشاعر تؤثر علينا بقوة سحرية ، كذلك تخرج الكلمات المألوفة في ثوب من الأنغام الخلابة ، فتُسْكِر المستمعين المأخوذين بسحرها » .

ولا يمكن لأي قوة في الأرض ، ولا لأي حضارة صناعية ، أن تخنق في الإنسان حاجته إلى الدين ، وبالتالي لا يمكن أن تخنق في الإنسان شوقه إلى المدن الفاضلة التي يُبدعها له الشعراء .

ولعلّ التساؤل عن جَدْوَى الشعر في هذا العصر .. عصر **الأقمار الصناعية** ، وعصر **التكنولوجيا** الرهيبة ، راجع إلى توهم بعض الباحثين أن هناك تناقضاً بين التطور العلمي الرهيب الذي يخضع لقوانين غير تلك القيم الجمالية والقيم الروحية والعاطفية التي يخضع لها الأدب والفن ، وهذا التعارض الموهوم بين العلم والأدب قد أثير منذ أقدم العصور ، وما يزال يُثار حتى اليوم .

فالعمل الأدبي عند **(سقراط)** مثلاً ليس ضرباً من ضروب العلم المبني على فكر علميّ ، ولكنه نوع من الإلهام ، وهكذا الأمر عند **(أفلاطون)** فأفلاطون في محاورة (إيون) يَدَعُ « سقراط » يستدرج المُنشد إلى هذه النقطة ، وهي أن في **(هوميروس)** مواقف خاصة بصنعة الطبّ أو الملاحة ، أو فن قيادة العربات ، أو صيد السمك لا يجيد شَرْحَها المنشدُ ، وإنما يجيدها الطبيبُ والملاحُ وسائق العربة وصائد السمك ، لأن هؤلاء يتكلمون عن قواعد وفن ، أما المُنشد فهو كالشاعر ، لا يصدر إلا عن موهبة إلهية ، وأفلاطون يريد بذلك تقرير قاعدة ، وهي أن الشعر عديم الجدوى في المجال العلمي .

فإذا انتقلنا إلى العصر الحديث ، سنجد أن التساؤل عن مستقبل الشعر لم يتوقف ويكفي أن نشير هنا إلى إحدى الدراسات التي كتبها **(العقاد)** بعنوان **(ثاميرس ــ أو ــ مستقبل الشعر)** حيث يقدّم لنا « العقاد » رأي الشاعر الإنجليزي المعاصر **(تريفلان)** في هذه القضية ، ويتلخص رأي ذلك الشاعر في أن الشعر « **مُدبر** في هذا العصر ، وقد **يظل مدبراً** في العصور المقبلة لسببين : أحدهما أن الشعر كان يغنى في الزمن القديم ، ثم بطل الغناء ، فرتلوه أو ترنموا به ، ثم بطل الترتيل والترنيم فألقوه ثم بطل الإلقاء ، فقرأوه في المحافل أو الكتب وذهبت عنه طلاوة الموسيقى وفَقَد سحره القديم في الأسماع والقلوب ، وانتهى بأن صار كلاماً يعبر بالنظر وقلَّ أن يطرق الأسماع ، **والسبب الآخر** أن الطبائع في العصور الحديثة تُنكر الحماسة الشعرية وتسخر منها لاستغراقها في الواقع « **الريالزم** » وثورتها القريبة على أخيلة القدماء ، وعقائد الأولين » .

ويَرُدُّ « **العقاد** » على رأي ذلك الشاعر ، فيرى أنه مُبالغٌ في تشاؤمه بالنسبة لمستقبل الشعر ، وفي ذلك يقول : « وهنا يبدو لنا وجه الغلو في قول القائلين إن الشعر يبطل اليوم وبعد اليوم لبطلان بواعثه ودواعيه ، إذ كيف يسعنا أن نقول جادين في القول إن الناس لا يحسون اليوم كما كانوا يحسون بالأمس ، ولا يحبون ويبغضون ولا يرجون وييأسون ولا يرضون وينقمون كما كان ذلك دأبهم وكما يكون ذلك دأبهم في كل حين وبين كل قبيل » .

لكن العقاد ــ على الرغم من ذلك التفاؤل ــ يرى أن بعض وسائل الحضارة الحديثة قد زاحمت الشعر في جذب اهتمام الجماهير ، وكان لها أثرها في صرف بواعث

الشعر إلى شيء آخر ، وهو مناظر الصور المتحركة والتمثيل الماجن وأخبار الروايات وقصص الجناية ، والغرام التي تبسطها الصحف لقرائها كل صباح ومساء .

وربما كان لتشاؤم المتشائمين بالنسبة لمستقبل الشعر العربي سبب آخر وهو : المنزلقات التي انحدر إليها بعض أنصار **الشعر الحر** ، حيث انزلقوا إلى **الغموض الإبهامي** الذي لا يقدم للقارئ أي قطرة من قطرات الضوء لينفذ بها إلى دهاليز القصيدة وسراديبها ثم .. ذلك **الخواء العدمي .. وانعدام العمق الفلسفي أو السياسي** للشاعر الحر ، إن شخصيته ــ في الغالب ــ ذائبة في مفاهيم السلطة الحاكمة ، أو المفاهيم التي يظن أنها رائجة ... هذه العيوب قد عزلت الشاعر الحر عن مجتمعه .. فلم يعد الناس يفهمون هذه **(اللوغاريتمات)** التي يتحفهم بها الشعراء المتفيهقون .. ومن ثم ذاعت هذه المقولة .. هل مضى زمن الشعر ؟ وأخيراً .. فنحن متفائلون بالنسبة لمستقبل الشعر العربي .. **فأقسام اللغة العربية** في كليات الآداب والتربية كثيرة ومنتشرة .. وإن كان ينقصها شيء من الوعي برسالتها .. وتراثنا من الشعر العربي القديم ذائع ومنتشر ، ويجد إقبالا عظيماً من المثقفين والناشرين والقراء .

ولعل من الطريف أن أسوق إلى القارئ هذا الخبر الذي قدمته لنا بعض الصحف اليومية أخيراً ، الا وهو : **محاولة بعض الأطباء النفسيين علاج بعض المرضى بالإبداع الشعري** ، بأن ينظم المريض الشعر بنفسه ، أو أن يُلقى عليه الشعرُ المنظوم الذي يعبر عن مشاعره التي يجد صعوبة في التعبير عنها ، ومنها الشعور بالاضطهاد .. **وصاحب هذه المحاولة في العلاج بالشعر هو الدكتور محمد شعلان رئيس قسم الأمراض النفسية والعصبية بجامعة الأزهر** .. أليس في هذا الاتجاه صورة من صور الوفاق بين العلم والفن .. ؟ وأننا دائماً في حاجة إلى عالم الشعر والشعراء ؟

في البدء .. كانت الدهشة الكبرى .. وكانت الرؤى والأحلام .. وكانت الكلمة الشاعرة وكان الشعر هو الينبوع الأول الذي تفجرت منه سائر الفنون الأدبية ، وحسب نظرية الشعر الإغريقية ، كانت **فنون الأدب كلها شعراً** ، كانت **الملحمة** شعراً **والمسرحية** بفرعيها شعراً ، يضاف إلى ذلك **الشعر الغنائي** ، وظل الأدب الحديث في أوروبا يربط القصة والمسرحية بالشعر إلى أن حدث التطور الفني الذي أدى إلى كتابة المسرحية والقصة نثراً لا شعراً .. **فالشعر هو النبع الأول الذي امتاحت منه فنون الأدب ..** ولهذا نرى أحد النقاد الإنجليز وهو : **(تشارلتون)** ينادي بأن **القصة ضرب من ضروب الشعر** ، مثلها في ذلك مثل المسرحية والملحمة والقصيدة الغنائية ، ذلك لأن الشعر ــ في نظره ــ يتناول كل ضروب القول الذي أريد به أن يمتع لا أن يفيد ، ولأن ضروب الشعر كلها تمثل « الفعل » أصدق تمثيل وأحسنه ، لأنها تستخدم الألفاظ وسيلة وأداة ، فموضوع الشعر بكافة ألوانه هو تصوير « الأفعال » .

فلماذا انحسر هذا المد الشعري ؟ ولماذا لم تعد للشعر صدارته الأولى بين فنون الأدب؟

لعل ذلك راجع إلى عدة عوامل ؛ منها :

(ا) **التطور الصناعي الآلي في العصر الحديث** الذي جعل كثيراً من الأفراد العاديين يعيشون ضائعين مغمورين في متاهات الحياة اليومية ، والأزمات الاقتصادية المعقدة التي تخنق فيهم أشواقهم الظامئة إلى تسابيح الشعر وترانيم الفن والجمال .

(ب) **الصراع الفلسفي المذهبي** الذي يسود العالم ، والنثر أَقْدَرُ على خوض ذلك الصراع الفلسفي من الشعر ؛ ولهذا نجد الفيلسوف الفرنسي **(سارتر)** يُعْفِي الشعر من الالتزام بقضايا المجتمع ، لأن الشعر بطبيعته غير صالح للالتزام بينما النثر قادر على ذلك ، كما نرى **الواقعية** تهتم بالمسرح والقصة أكثر من اهتمامها بالشعر الغنائي ، بل إن الواقعيين لم يبدأ اهتمامهم بالشعر الغنائي إلا في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، عندما نادى **(ماياكوفسكي)** « إلى وجوب التزام الشاعر برسالة اجتماعية واقعية محددة » .

(جـ) ثم لعل ذلك راجع أيضاً **لبعض العيوب التي حاصرت الشعر الحديث** ، وعزلته عن قلوب الناس ومشاعرهم ، وجعلته أشبه بالأحاجي والألغاز وهذيان العقل الباطن .

وعلى الرغم من ذلك ، فإني أتوقع عودة القصة والمسرح من جديد إلى الامتياح من ينابيع الشعر والشعراء .. أتوقع قيادة الشعر من جديد لمسيرة الفنون الأدبية .. ذلك لأن القصة القصيرة الآن متأثرة بالشعر الحر في غموضها وإيقاعها ، ومفاجآتها وصدماتها ، وتغريبها لما هو مألوف ، وميلها للشذوذ والتمرد ، **والموضوعان المسيطران على الشعر الحر الآن ، وهما : الغربة والموت** ، يسيطران أيضاً على **مسرح العبث** وهذا أهم ما يميز مسرح **(يوجين يونيسكو) و (صامويل بيكيت)** .

إن عالم الآن .. أشبه بغابة كونية .. كل ما فيه خارق للمألوف .. والصراع الدموي في كل مكان .. والإنسان الآلي يفترس الإنسان البشري ، والقمر يصبح جزءً من الأرض ، والأرض تهبط على القمر .. ومثل هذه الأحداث انتفاضات كونية خارقة للعادة ، تتجاوز ما هو مألوف ، وتنطلق إلى غموض أسطوري أقرب إلى ذلك العالم الموغل في أعماق التاريخ .. عالم السحرة والكهنة والعمالقة .. عالم هوميروس .. وعالم أخيليوس وأوديسيوس » ... !

الشعر المسرحي ، والمسرح الشعري

● **أما الناقد القطري مرزوق بشير ، فقد شملت مساهمته في هذه الندوة عدداً من قضايا الشعر المختلفة من منظوره الخاص ، فهو يقول :**

« يتشابه الشاعر مع غيره من المفكرين والمبدعين في المجالات الأدبية والفنية والثقافية الأخرى بالالتزام بقضايا الإنسان وبهمه اليومي ، فقط أن الشاعر يختلف عن الآخرين بالتزامه بما تفرضه عليه أدوات القصيدة وقوانينها الخاصة ، فهو لا يستطيع مثلاً أن يكون صحفياً ... أو قاصاً الخ ، لا يستطيع أن يكون في النهاية إلا شاعراً ، وهذه الفرضية تلزمه بأن لا يكون مباشراً ، أو حتى خصوصياً متى طرح قضايا البشر ، وإن كانت هذه الأمور مباحة لزميله الصحفي الذي يتعامل مع المقالة والمشاكل اليومية المباشرة .

الشاعر لا يستطيع أن يكون وقتياً في طرح قضاياه وإلا انتفت عن عمله صفة الشعر . الشاعر مصلح ومسؤول ، ولكن في حدود كونه شاعراً وفي حدود قوانين وقواعد الشعر .

والعملية الإبداعية عملية متداخلة ومعقدة ، فهي أشبه ما تكون **بالعملية الكيميائية** حيث تنصهر العناصر في وجود عوامل مساعدة ، وتتفاعل ليكون في النهاية المركب الكيميائي . وفي **العملية الإبداعية** تتفاعل كل الخبرات والمشاعر والرؤى لتنصهر فيما بينها مولدة القصيدة الشعرية ، وتبقى مرحلة التهذيب والتشذيب ، وهي عملية تقع تحت مرحلة الوعي والإدراك حتى تأخذ القصيدة موقعها المناسب .

وهذا أيضاً ما يحدث في **العملية الكيميائية** السابقة ، فبعد ظهور المركب الكيميائي يخضع لعملية تنقيح وإعداد بشكل مناسب للاستعمال الإنساني .

وبعد ذلك كله نلاحظ أن العملية الإبداعية تغطي كامل السلسلة الإبداعية من ألفها إلى يائها .

والشاعر قبل أن يكون شاعراً هو واحد من البشر له ما لهم ، وعليه ما

عليهم، وهو أيضاً يؤثر ويتأثر ... **فالإنسان العادي** يتأثر بشكل أو بآخر بما يحدث حوله، ويتأثر أيضاً إذا ما استفز أو أثير، الفارق بين الاثنين أن الإنسان العادي ردود فعله سريعة ومباشرة، أما الشاعر فإنه يحتوي كل هذه المؤثرات، وبرهافته الشديدة وإحساسه وموهبته كشاعر يصوغ ردود فعله في قصيدة.

أما إذا كان المقصود هو استثارة الإلهام لدى الشاعر باصطناع مناخ معين له، فحتماً أن القصيدة ستكون في النهاية شكلاً مصطنعاً لأنه يأتي من خلال اغتصاب واستدراج غير شرعي للمشاعر وتزييفاً للواقع.

وليس الشعر الذي فقد مكانته، فالفكر العربي كله يعيش مرحلة هبوط ونكسة إذا جازت التسمية، **فالتمزق السياسي والاجتماعي** يعكس تأثيره بشكل مباشر على الفكر والأدب والثقافة، **وكثيراً ما تمر الأمة العربية والإسلامية بمراحل في حياتها يطلق عليها مراحل الهبوط والتردي، ولكن سرعان ما تتجاوز هذه الأمة العظيمة تلك المراحل نظراً لما تختزنه في داخلها من تراث وتاريخ ودين عظيم هو الدين الإسلامي**، والشعر أكثر تأثراً من غيره بما يحدث في الأمة نظراً لشفافية الشاعر وإحساسه المرهف فهو يمثل الوجدان كما يمثل المؤرخ الذاكرة، فإذا كان الوجدان ممزقاً ومحبطاً، فحتماً أن النتيجة ستكون كذلك.

الشعر العربي المعاصر وخاصة مع **ظهور الشعر الحديث**، وأيضاً فيما ينشر الآن أكثر التزاماً وارتباطاً بقضايا الإنسان العربي من الشعر التقليدي، فشكل القصيدة الجديدة حررها أيضاً من مضامينها وأغراضها التقليدية وتجاوزت حدودها المفروضة عليها والتي تكبلها، إلى مضامين وأغراض عصرية .. وإن كان الشعر المعاصر يفتقر إلى تلك التجمعات الفكرية التي كانت تؤكد حضور الشعر العربي التقليدي مثل **مدرسة أبوللو** الخ ...

وكما قلت في موقع سابق من هذا الحوار، **على الشاعر أن يبقى ملتزماً بقضايا الإنسانية والإنسان في حدود القواعد الفنية للقصيدة، وإلا تحول إلى أي شيء ليس من بينها أن يكون شاعراً**. فالفلسفة والمضامين الأيديولوجية **كم ثابت**، أما المشاعر الإنسانية فهي **كم متحرك**، فهناك التوتر والتناقض الإنساني، وهذا ما يفرز لنا القصيدة الإنسانية وليست القصيدة الأيديولوجية الوقتية، التي قد تحتوي على حقائق علمية لكنها تفتقد إلى المشاعر الإنسانية.

والشعراء الأيديولوجيون يتحولون مع الأيام إلى كتبة في دواوين الحزب يلتزمون بفلسفته وبمضامينه، شاءوا ذلك أم أبوا. تغيب عنهم كل الحقائق، ولا تبقى غير ما تمليه عليهم الأيديولوجية التي ينتمون لها، لذلك نرى كثيراً من هذه القصائد تقترب من المقالة المباشرة أكثر من كونها قصيدة فنية.

والرمز هو واحد من الصور الفنية المتعددة التي يلجأ إليها الشاعر لإثراء الفكرة الأساسية وتأكيدها وابرازها، كما **يقوم الرمز بإعطاء القصيدة بعداً ومستوى أعمق مما يثريها لدى المتلقي**، هذا أقصى ما يصل إليه الرمز، وإن كان هناك من يحمل الرمز وظائف أخرى كبديل للواقع أو هروب من حقائق معينة، بتحميل المعاني والكلمات مدلولات غير معانيها الأصلية، والتمسك بهذا المنطق، والإغراق فيه، هو الذي يؤدي إلى غموض القصيدة وتحويلها إلى طلاسم يصعب على المتلقي تفهمها، واستيعابها.

وما أقوله عن **الأسطورة** هو تقريباً ما أجبت عليه عن دور الرمز في القصيدة، والذي أضيفه على ذلك أن **الأسطورة هي أحد الأشكال الحديثة التي يلجأ إليها الشعر المعاصر**، وهناك من الشعراء من استفاد استفادة تامة من استخدام ذلك الشكل الجديد مثل **عبد الوهاب البياتي** في العراق، **وصلاح عبد الصبور** في مصر، وهناك من أصبح هذا الاستخدام يمثل عبئاً على سياق القصيدة.

وحالة النضج أو عدمه في استخدام الأسطورة في الشعر العربي حالة طبيعية، سببها أن القصيدة الحديثة عمرها الزمني قصير، ولم تستقر على تقاليد ثابتة إذا ما قورنت بالقصيدة العربية التقليدية.

يجب أن نفرق بين **الشعر المسرحي، والمسرح الشعري** ... الشعر المسرحي هو الشعر الذي يقال على خشبة المسرح، وهو في العادة ملتزم بقوانين الشعر وقواعده أكثر من التزامه بقواعد الدراما أو المسرح، وهذا يتضح في أشعار **أحمد شوقي وعزيز أباظة** الذي ينحو إلى الإطناب والتغني على ألسنة شخصيات غير درامية، فمسرحهما عبارة عن قصيدة غنائية مقطعة وموزعة بين شخصيات العمل المسرحي تجاوزاً.

أما المسرح الشعري، فهو الذي يلتزم بقواعد الدراما والمسرح وشخصياته مرسومة، وهي شخصيات درامية خالصة، ويأتي الشعر هنا تعبيراً عن طبيعة هذه الشخصية، وملتزماً بحدود الدور، وما يفرضه السلوك والتصرف والحدث الدرامي.

الشعر هنا جزء من العمل وليس خارجاً عليه، وقد نجد ملامح هذا المسرح الشعري، أقول ملامح وسمات أولى عند **عبد الرحمن الشرقاوي وصلاح عبد الصبور ويسري الجندي**، وقد يكون هناك آخرون لم أطلع على أعمالهم.

أما كيف تَرَاجَعَ هذا المسرح الشعري فيعود **أولا** إلى تراجع الفن الدرامي وانحطاطه، وغياب المحاولات الجادة في هذا المجال الفني الكبير.

إذا كان القصد أثر **الشعر العامي** على المستوى القومي سواء العربي أو الإسلامي، فهذا الشعر محدود وضيق، وبالتالي لم يكن استخدامه كلغة قومية، وهنا أدعو بتجاوزه إلى الشعر العربي الفصيح.

أما إذا ناقشنا الموضوع على المستوى الفني فإن الشعر العامي له مقاييسه وقواعده وتقاليده، وله أثره وتأثيره، ومن هذا المنطلق يجب محاسبته وتقييمه.

وعادة يلجأ كبار الشعراء إلى الشعر العامي عندما تكون القضية المطروحة تهم أجناساً أو أنماطاً معينة من البشر، وفي حدود معينة، فسرعة نفاذ الشعر العامي إلى النفس كبيرة نظراً للأمية السائدة وهذا ما فعله شاعر مثل شوقي».

● **ويشترك في الندوة الأستاذ حسن عيس أبو ياسين، المحاضر بكليتي الآداب والتربية بجامعة الرياض:**

«من المحقق هنا أن طرح هذه القضية اليوم لا يُعَدُّ جديداً في بابه، وإنما يُعَدُّ جهداً لاحقاً لجهود كثير من الباحثين والمفكرين من جمهور المشتغلين بقضية الشعر العربي الذين عالجوا جوانبها بصفة خاصة أو ضمن إطار عام لقضية أكبر، تتصل بنشوء الفنون الأدبية وارتقائها ومن ثم انحطاطها أو تأخرها وانحلالها.

والحق أن الدراسات التي نشأت حول هذه القضية لم تنته إلى رأي قاطع فيها فضلاً عن تباين مناهجها في تناولها، إذ استأنس بعض الدارسين بما انتهت إليه **الدراسات الاجتماعية والنفسية** التي تعنى برصد المتغيرات في حياة الشعوب والأمم بتتبع أطوار حياتها المختلفة، ودراسة ما طرأ عليها من أوجه التغير والتبدل سواء كان ذلك في مدارج رقيها وتحضرها، أو كان في انحدارها وتخلفها وهم بين ذلك يحصرون القول بقضية تقدم الفنون أو تأخرها.

وفريق آخر من الدارسين يرى أن الفنون والآداب – ومنها الشعر – ترقى في أمة من الأمم أو تنحط وتتأخر بصورة تلقائية، وهي

في رقيها أو انحطاطها لا تقبل تفسيراً أو تعليلاً لأنها ببساطة لا تخضع لنظم تربوية وليس يقيدها قانون أو عرف اجتماعي فضلاً عن أنها لا تعرف الانتساب العِرْقي . ويستدلون على ذلك بأنه ربما برعت أمة في طور من حياتها في فن من فنون التعبير [**النحت ـ الرسم ـ الموسيقى ـ المسرح ـ الشعر**] صار له الغلبة على بقية الفنون الأخرى ، فصبغ هذا الطور من حياة الأمة بصبغته ، وربما امتد تأثيره القوي في أطوار أخرى من حياتها وهو عَبْر هذه الأطوار المتعاقبة ينمو ويتطور وتلحق به ضروب من التجديد ، في مضامينه وأشكاله ولا يزال كذلك حتى يظهر من بين ظهراني هذه الأمة جيل له القدرة على الخلق والإبداع لفن جديد قادر على دحر أو زحزحة الفن الأول عن مكانته ، ليحل فيها وليصبغ الأمة في هذا الطور من حياتها بصبغته الفنية ، وهي في أثناء ذلك تتحلل من سيطرة الفن الأول فتتأخر مكانته .

وفريق آخر ربط بين رقي الفنون الأدبية وانتشارها وبين **الذوق العام** للأمة ، وعندهم أن الذوق العام في كل أمة هو المهيمن على حركة نشوء الآداب وارتقائها أو اندثارها وانحلالها وفقاً لما تجده هذه الفنون الأدبية لدى الذوق العام من قبول واستحسان أو رفض واستهجان .

والرأي أن قضية تأخر الشعر عن مكانته التي كانت له قديماً ، وضعفه عن مزاحمة الفنون الأخرى المعاصرة له اليوم ، لا يخضع لحكم أي من الآراء السابقة ، إذ لا يمكن أن نرد هذه القضية لرأي واحد بعينه ، مع ما يكون لهذه الآراء مجتمعة من حظ صائب في النظر إلى هذه القضية .

ومطلوب منا ونحن نُجلِّي عن الأسباب التي دفعت بالشعر إلى هذه المكانة المتأخرة بين الفنون الأدبية الأخرى أن نلتفت أولا إلى الأسباب التي هيأت للشعر مكانته الراقية المتقدمة من قبل ، وعند تعيين هذه الأسباب علينا أن ننظر فيها جيداً لنرى كم بقي منها قائماً إلى يومنا هذا وكم درج منها وأحسب أنني ذاكرها بشيء من الإيجاز .

فقد كان الشعر مجماع القيم الفنية عند **العرب** إذ لم يكن لهم في **الجاهلية** ما عرف للأمم الأخرى من فنون التصوير أو النحت أو الموسيقى ، بل اقتصر التعبير الفني عندهم على الفن القولي [**خطابة وشعر**] وكان نبوغهم في باب الشعر أقوى بكثير من نبوغهم في باب الخطابة فغلب عليها حتى صار علم العرب الأول وجريدة عصرهم حررها الشعراء نظماً كالدرر قد ضمنوه كل ما تمثل في عصرهم من قيم اجتماعية واقتصادية أو صور طبيعية . قال **أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ** : «كل أمة تعتمد في استيفاء وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب وشكل من الأشكال . وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى ، وكان ذلك هو ديوانها» . وهذا يدعونا إلى القول بأن صوت الشعر العربي ـ مع ما يتمثل به من غنائية ـ نشأ جماعياً في لغته وفي وسائل التعبير التي كان الشاعر يتوسل بها في صياغته الفنية . وهذا أوجد للشعر يومئذ وظيفة كبرى ارتبطت به هي تخليد مآثر العرب في تلك الحقبة من حياتهم وتقييد تاريخهم بكل أشكاله . ولك أن تتصور قيمة هذا الفن في عصره ، بل وقيمته بعد ذلك حين أصبح مادة الدارسين والمؤرخين والمشتغلين بصفة عامة بتاريخ العرب في الجاهلية .

وانتقلت وظيفة الشعر في **صدر الإسلام** من وظيفة اجتماعية عامة إلى وظيفة دينية متخصصة أحياناً ، إذ التفت جمهرة من الشعراء الصحابة حول رسول الله ﷺ (**حسان ـ كعب بن مالك ـ عبد الله بن رواحة ـ الخنساء وغيرهم كثير**) ، كوّنوا ما يمكن أن نسميه ـ **الجهاز الإعلامي** ـ للدعوة الإسلامية فقد وظّف شعراء الدعوة يومئذ أشعارهم لنشر مبادئ الدين الجديد والترغيب فيها كما وظفوا جانباً من أشعارهم للرد على خصوم الدعوة ، ودحض حججهم وترهيبهم . والرسول الكريم ﷺ من ورائهم يدفع بهم ويحثهم مستنصراً ألسنتهم كما استنصر من قبل سيوفهم فنصرته وهم يقول : «ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله ﷺ بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم» .

وفي **العصر الأموي** تعلو مكانة الشعر وتبلغ في ذلك شأوا بعيداً . إذ انشعبت الأمة الإسلامية في أحزاب سياسية وعقدية (**شيعة ـ خوارج ـ أمويون ـ زبيرون**) واتخذ كل حزب منها شعراء له وظفوا أشعارهم لنشر مبادئ حزبهم ، ومنافحة خصومه تماماً كما تصنع الأحزاب السياسية أو غيرها اليوم حين تتخذ لنفسها صحفاً خاصة تنطق بلسانها . **فالشاعر الأموي كان في ذلك الحين جريدة حزبه وصوتها الإعلامي الدعائي** ولذا اعتمد كثير من المؤرخين القدماء في توثيق تاريخ ذلك العصر على الشعر وليس أدل على ذلك من هذا الحشد الهائل من الشعر في كتاب **الطبري** الأم والعمدة في التاريخ حتى لا يخلو خبر عنده من اقترانه بالشعر . فهو ديوان العصر أودعت فيه الأمة أدق وثائقها السياسية والاجتماعية . بل إننا نجد الأمويين يعتمدون على الشعر في تحقيق أغراض سياسية عليا اقتضتها استراتيجية الحكم يومئذ ، إذ كان لا بد من شغل الأمة بقضايا ثانوية تصرفها عن التفكير والتدبير في قضية الحكم الأولى فعملت على اذكاء نار **العصبيات** وكان وقودها الشعر والشعراء والناظر في نقائض الثلاثة الكبار في هذا العصر يهوله ما ارتبط بها من نتائج كانت مضرّة بالجميع .

هذه فيما نحسب بعض الأسباب التي هيأت للشعر العربي مكانته الراقية والمتقدمة ونعتقد ولا نجزم أن المكانة التي كانت للشعر يومئذ جاءته من ارتباطه بغايات كبرى كان لزاماً عليه أن يتمثلها ويصل إليها ، وجماع هذه الغايات تدوين تاريخ الأمة من كل جوانبه السياسية والاجتماعية والدينية ، وتصوير طبيعة الحياة في مختلف وجوهها ولم يكن ينافس الشعر في هذه الغاية سوى الخطابة ولكنها لم تحمل من العبء إلا أقله .

والسؤال اليوم .. هل بقي للشعر مثل تلك الأسباب الكبرى التي اضطلع بحملها فهيأت له مكانة لا يرقى إليها فن قديم أو معاصر .. هل الشعر اليوم كما صنفه الجاحظ علم العرب الأول في تخليد مآثرهم وتحصين تاريخهم ؟ القضية في نظرنا يمكن أن ترد إلى ارتباط الفن بالحياة ، وقديماً كان الشعر هو الوجه الآخر للحياة ولا أحسب دارساً يمكنه القراءة في تاريخ العرب أو التعرف على أنماط معايشهم وتحضرهم أو تبديهم دون أن يكون بابه الشعر . فهل ديوان الشعر العربي المعاصر على هذا القدر من الارتباط بحياتنا ؟ لا أحسب أن ذلك كائن **ولا أحسب كذلك أن تأخر الشعر عن غيره من الفنون الأدبية الأخرى راجع لتدني قيمته الفنية أو لافتقاره إلى النابغة المبدع وإنما يرجع ذلك فيما نظن إلى أن الشعر عجز عن القيام بالدور الذي كان يقوم به سابقاً .**

قد يعود هذا لتعقد هذا الدور في ظل معطيات الحضارة الحديثة إلا أن للشعر منافذ أخرى كان يمكن له استغلالها في عواطف الناس للوصول إلى غايات جديدة وإيجاد أسباب جديدة تهيئ له مكانة رفيعة » .

ختـــــــام

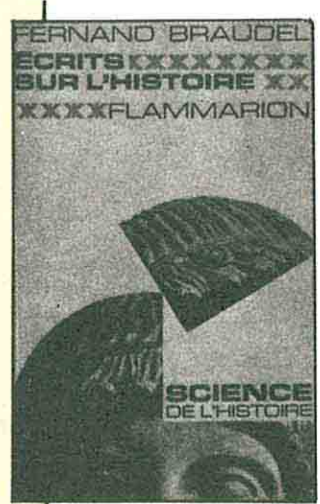
وبعـــــد ..

فما نحسب أنا قلنا الكلمة الأخيرة في هذه الندوة .

إن السؤال يطرح نفسه على شعراء العصر ونقاده في مواجهة مع تطورات الفنون عبر العصور ، واستشرافاً لآفاق المستقبل البعيد ... هل سيولد فن جديدة يمزج بين القطعة الموسيقية والقصيدة والقصة والمسرحية ؟

هذا السؤال تبقى إجابته في ضمير المستقبل ، وداخل ذاكرة الأجيال القادمة .









تأليف
فيرناند بروديل

عرض وتحليل
جمال بدران

عندما قال **ابن خلدون** عن التاريخ إنه «**فن يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم ، والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا**» .

عندما قال ذلك ، ما كان يستهدف إلا فتح الطريق لبني أرومته ، فيواصلوا البحث في الماضي والربط بينه وبين الحاضر ، كما أنه أراد بذلك أن يوجه الأنظار إلى ضرورة وضع قواعد علمية للبحث التاريخي ، وأصولا يلتزم بها الباحث .

لكن ما لم يخطر له على بال ، هو اهتمام علماء الغرب أكثر من غيرهم بفن التاريخ وفكرته .. فلم يكتب في التاريخ الإسلامي من العلماء البارزين غير **ابن عبد الحكم والطبري والإصطخري** ، أما من تناول التاريخ كمنهج وافتراضات ونتائج ، لا نكاد نعثر على أحد إلا من بين مفكري الغرب مثل **ميشليه الفرنسي وبندتو كروتشه الإيطالي وكولنجوود الإنجليزي ثم توينبي** أخيراً .. وليس في هذا تجاهلاً لمؤرخين عرب آخرين مثل **المسعودي وابن عساكر والبغدادي وابن خلكان والسيوطي** ، وقبلهم جميعاً **ابن هشام** .. فقد غلبت عليهم شهرة كتابة السير ، أما تأسيس التاريخ على الأسس المذكورة .. فابن خلدون هو الفريد بينهم .

فإذا ما قفزنا من القرون السابقة ألى عصر توينبي ، وجدنا كتابات عديدة تتكاتف لتخليص التاريخ من إسار النظرة التأملية ، والوجهة الفلسفية ، وتنظيم علاقاته بالعلوم الأخرى المهتمة مثله بالإنسان .

وبتحديد أكثر منذ أن قال **كولنجوود** في ثلاثينات القرن العشرين بأن **« التاريخ أشبه بعلم أرصاد إنسانية ، وأن التاريخ كله تاريخ فكر »** ، أتبعه **توينبي** بموسوعته الشاملة **« دراسة للتاريخ »** التي انتهى منها عام ١٩٦١ م ، حدد فيها ضرورة دراسة المجتمعات لا الأمم ـ لأن الثانية أجزاء من الأولى ـ ، ومن ثم فإن دراسة المجتمع العالمي ألزم . . لأنها أشمل وأجدى .

كما أن ظاهرة سادت البحوث التاريخية . . منذ الخمسينات حتى الآن ، **هي** النقد لآراء من أفتوا بنظرة تأملية للتاريخ ، **و**إحلال المنهج العلمي بخطواته الميدانية والمعملية محلها . . في مقدمة هؤلاء العالمان الفرنسيان **هـ . ا. مارو** ، و **فيرناند بروديل** مؤلف كتابنا الذي نقرأه معاً الآن .

الكـاتب

فيرناند بروديل هذا ، هو أستاذ كرسي تاريخ الحضارة الحديثة في الكوليج دي فرانس ، ورئيس الشعبة السادسة في البحوث المعملية للدراسات العليا . . حيث نفث فيها ـ منذ إنشائها ـ كثيراً من دفعاته ، وهو يلعب الآن دوراً رئيسياً في التاريخ الفرنسي اليوم . فضلاً عن كتابيه الضخمين **« البحر المتوسط والعالم البحرأوسطي في عصر فيليب الثاني »** ، **« الحضارة المادية والرأسمالية »** .

الكتــاب

أما « كتابات في التاريخ » هذا ، فهو تجميع لمقالات متتالية تحت عنوان . . وحدة العلوم الإنسانية . . نحا فيها منحى النقد لآراء السابقين ـ على نهج بحاث التاريخ الفرنسيين ـ ولآراء المفكرين الألمان على وجه الخصوص .

فقال إن **فندلباند** قد أخطأ عند استبدال كلمة علم الحضارة بكلمة تاريخ ، وكذلك **ريكارت** عندما نظر إلى الوقائع التاريخية على الطريقة الطبيعية باعتبارها وقائع منفصلة ، كما أن **زيمل** لم يدرك أن الماضي التاريخي يحيا في الحاضر ، أما **دلتاس** فمع أنه قد شعر بالفارق بين العلوم الطبيعية وبين العلوم التاريخية ، فإنه أفسد نظريته بجعله الحياة التاريخية تجربة مباشرة ، وليست معرفة وتأملاً وفكراً ، كما أنه بلجوئه إلى **علم النفس** لتفسير الوقائع التاريخية قد وقع في قبضة الطبيعيين من حيث لا يدري . وفي نقد المؤلف **لاشبنجلر** يقول . . ظن أن التاريخ هو تعاقب وحدات ذات وحدة ذاتية تدعى بالحضارات ، التي تتشابه في دوريات حياتها مع الكائنات العضوية ، فلها طفولة ولها شباب وكهولة ثم اضمحلال . . وهي فكرة واضحة الطبيعية **لاشبنجلر** ، إذ استعاض عن التاريخ ببنية التاريخ التي تعتمد على التحليل الخارجي .

وهنا يقف المؤلف عن مواصلة النقد لمن واصل طريق اشبنجلر من الإنجليز مثل توينبي ، حيث وضع قوانين عامة للحضارات يمكن التنبؤ بمقتضاها بالمستقبل .

ايقاع التغير العالمي

خلال السنوات الأربعين الأخيرة ، عمّت الناس في العالم موجات عارمة من الشدة ، كحروب وأزمات وثورات . . دفعتنا ، بقوة ، نحو أبعد أعماقنا ، ومن ثم نحو المشكلات المعقدة في التاريخ . . ربما يكون هذا فرصة لفتح شهيتنا . . نتحمل ونتدبر ، لنعيد وضع كلٍّ تحت مجهر البحث الدقيق . فالتاريخ يقف اليوم أمام مسؤولياته الحقيقية ، بل أيضاً أمام مهامه المثيرة للحماسة . . لأنه ـ ولا ريب ـ لم يكن قد توقف أبداً ، في اعتماده على متطلبات اجتماعية مطلقة ، وأمام موجودات بحثه ومتغيراتها . . **فالتاريخ ابن عصره** . لهذا فإن اضطراب التاريخ هو الاضطراب نفسه الذي يثقل على قلوبنا وعقولنا . فلو كانت مناهجه وبرامجه وإجاباته الأكثر ضيقاً في الحاضر والأكثر تأكيداً بالأمس ، لو أن معانيه قد كذبت جميعها معاً ، لكان هذا تحت وطأة ردود أفعالنا ، أعمالنا ، وعلى وجه الخصوص ، تجاربنا الملموسة خلال هذه السنوات الأربعين .

لنا أن نتساءل ـ بوجهة أخرى ـ لماذا اصطدم الفن الوصفي لكتابة التاريخ بالأزمة العامة لعصرنا ؟ يجيب المؤلف على هذا السؤال المطروح من الجميع . . فيقول : « إننا نتخلى عن عالم بدون أن نستمهل الوقت للتعرف أو حتى لاستكناه محاسنه ، وأخطائه ، ويقينياته وأحلامه . . ولا يصح أن ندع عالم أول القرن العشرين ، ليطرح معكوساً ، في الغالب ، أمامنا » .

ليس بالعنف وحده يتغير التاريخ

«بكل تأكيد إن طامة المصائب لا تتمثل في عوامل العنف، وإنما في نقلته غير المباشرين».. فهم دائماً في حالة استقرار عند فكرة، أو بالأحرى على شفا تجديد فكرة العالم من منطلق الثورة الفرنسية، التي كانت، لسنوات، جماع التاريخ المأسوي للعالم.. إذ أنجبت تأملات **الكونت سان سيمون**، ثم أخرى لأعدائه من المفكرين، **كأوجست كومت، وبرودون** وغيرهما، ممن لم يتوقفوا منذئذ، عن تحويل الأفكار والدوافع البشرية.

إن مثلاً بسيطاً قريب منا جداً: فخلال الشتاء الذي أعقب **الحرب الفرنسية الألمانية ١٨٧٠ ـ ١٨٧١م**.. كان الشاهد الذي لم يتطرق إليه أية ذرة من الشك، هو **يعقوب بورخاردت** أستاذ التاريخ في **جامعة بال** العظيمة، لقد عاودته الحيرة، مع ذلك كله، من شدة الاحتياج إلى تاريخ ضخم، يضم هذه الأحداث. لقد لمس ضرورة استناده في بحثه ـ نصف السنوي ـ إلى الثورة الفرنسية.. ويعلن ذلك في توقع دقيق جداً بقوله: «إنها ليست إلا فصلاً، أولا، ليست إلا رفع ستار، إلا مرحلة ابتدائية لدورة سنين، لقرن من الثورات، اتصف بذلك ليبقى، قرناً ـ في الحق ـ لا نهاية له، وسيتميز بخطوطه الحمراء في ميدان أوروبا الضيق وفي العالم أجمع. ومع ذلك، فإن توقفاً طويلاً، امتد سريعاً نحو الغرب، من ١٨٧١ إلى ١٩١٤م، لكن من ذا الذي سيقول بأن هذه السنوات الراكدة تقريباً، والسعيدة على وجه التقريب، إنها عملت على تضييق طموح التاريخ!!

ثم أعترف بكل تعاطف بأنني كنت أقرأ في عام ١٩٤٣م، آخر مقدمة **لجاستون روبنيل**، بعنوان **«التاريخ والقدر»**، وهو كتاب توهمي، قد غرق حتى منتصفه في الحلم، لكنه حث بقدر كبير من اللين على **«إعدام الإنسانيات»**!! واضطر أخيراً أن يكتب إليّ موضحاً بقوله: «لقد بدأت هذا الكتاب في أغلب أيام يوليو (تموز) الأولى عام ١٩٤٠م، حيث جئت إلى قريتي **جيفري شامبرتين**، لألقي نظرة أخيرة على الطريق الرئيسي، الدولي، الذي تدافعت فيه موجات الخروج، الخروج الشاق للناس المساكين، عربات، عجلات، مشاة، إنسانية تثير الحزن. البؤس كله في الطرقات، جموع انطلقت الفوضى بينهم، جنود عزل من السلاح.. كله رعب غامض لا تتحدد دواعيه.. كان ذلك كله هو فرنسا. كل هذا في أيام مضت لي، في تعاسات شاقة لحياتي الخاصة، ظلت تضاف إلى الشعور العام بالتعاسة، الشعور الوطني....».

إلا أنه مع لحن التعاسة هذا، لحن تأملات **جاستون روبنيل** الأخيرة، لحن التاريخ الجسيم، التاريخ المغامر، عاد يقتسم الأشرعة المنتفخة مع سلفه **ميشليه**.. فيختتم رسالته قائلاً.. «يبدو لي أن القريحة هي التي تملأ التاريخ».

مقولات في التاريخ عام ١٩٥٠م

إن عصرنا ليس بالغ الوفرة إلا في الملمّات، في العنف، في عروض المسرح، في الأعاجيب.

أما حقيقة الشيء الاجتماعي، الحقيقة العقارية للإنسان.. التي يراها الإنسان أو لا يراها.. فتنكشف مجدداً أمام ناظري، إذ إن مهنتي القديمة كمؤرخ لا تتوقف عن إثمار البرعم وإعادة الأزهار إلى أيدينا... نعم فأي تغيرات هذه!!

إن الرموز الاجتماعية كلها، كلها على وجه التقريب، وبالأخص بالنسبة لهؤلاء الذين ماتوا بالأمس من غير مناقشة كثيرة معهم، كلها على وجه التقريب قد أفرغت من محتواها. والسؤال المطروح الآن هو ما إذا كانت الحياة ستصبح ممكنة لنا، لا الحياة الفارغة، ولكن الحياة والتفكير.. ببساطة من غير أجهزتها، وبنور من مناراتها!!

كل المعارف العقلية قد تبددت أو تلاشت. فالعلم الذي نشق فيه، دنيوياً، هذا الملاذ وهذا المبرر الجديد للحياة في القرن التاسع عشر، انتقل بجدة ـ بين اليوم والغد ـ للولادة من جديد في حياة مختلفة، فاتنة، لكنها غير مستقرة، في حركة دائمة، صعبة التحقيق، ونحن ـ بالطبع ـ لن يكون لدينا مطلقاً، لا الوقت ولا الإمكان لإقامة حوار ملائم ثانية معه.

كل العلوم الاجتماعية، التي يكون دور التاريخ بينها مفهوماً، قد تطورت بشكل مماثل، بشكل أقل رؤية، ولكن ليس أقل خداعاً. ومن ثم فهذا العالم الجديد، لماذا لا يكون له تاريخ جديد؟ وهل من الأجدى كذلك أن نستدعي أساتذة الأمس وما قبله.. بقدر من الإشفاق وقليل من عدم الاحترام؟ علام نلام؟!!

ها هو الكتاب الركيك **لشارلز فيكتور لانجلوا، وشارلز سينيوبوس**.. مقدمة للدراسات التاريخية.. الذي ظهر عام ١٨٩٧م،

هو اليوم عقيم ، لكنه ، بالأمس وخلال سنوات طويلة ، كان افتتاحية حاسمة . نقطة للوقوف باهرة . فمن هذا الكتاب القديم ، المحشو بمبادئ ووصايا دقيقة ، صورة وصفية للمؤرخ في مطلع هذا القرن ، طرح خلف ظهره كل جهد - بلا إفراط . فتصوروا لوحة تشكيلية لبساتين ، في مقدمتها أشجار وبيوت وأكمات وطرقات . . هي قرية هادئة ، بحيث تمثل قبالة المؤرخ واقعاً من الماضي محققاً ، نفض عنه الغبار ، أعيد تشييده . هذه القرية ، لا شيء فات مصورها ، لا هذه الأدغال ، ولا حتى هذا الدخان . . لا شيء بغائب عنها : ومع ذلك ، لو افترضنا أن الرسام سينسى شخصيته ، باعتبار أن المتخيل ينفي الملاحظ ، تماماً كما لو ألزمناه بمباغتة الواقع دون تشتيته . . تماماً مثل التاريخ - وهو بعيد عن ترميماتنا له - ينصب على لحظة المخاض ، أي على المادة الخام ، لوقائع خالصة . فالملاحظ هنا هو مصدر الأخطاء .

وفي المقابل يجب أن يظل النقد له يقظاً . وقد كتب لانجلوا في ذلك بجدية قائلاً :

« الغريزة الطبيعية لإنسان في الماء ، هي أن يبذل كل ما يجب عليه أن يبذله لئلا يغرق ؛ يتعلم السباحة ، يكتسب عادة قهر الحركات الغريزية وإجادة الأخريات . وعلى هذا النحو ، يكون النقد ليس عادة طبيعية ؛ لا بد أن تكون مفهومة تماماً ، ولا يمكن أن تصبح آلية إلا بعد تدريبات متكررة . كذلك العمل التاريخي ، فهو عمل نقدي بإتقان ؛ عندما يطبقه المرء من غير أن يكون قد تحصن ضد الغريزة من قبل ، أغرق نفسه فيه » .

ونحن ليس لدينا شيء نقوله في نقد الوثائق والمواد في التاريخ . فالعقلية التاريخية نقدية في الأساس . لكنها ، من منطلق الآراء التي تصدر عنها ، ترميمية أيضاً . هذا ما استطاع **سينيوبوس** التوصل إليه ، فذكر - بذكائه الحاد - تعديلين أو ثلاثة . لكن بعد كثير من المحاذير . . هل كان ذلك كافياً للاحتفاظ للتاريخ بوثبة ؟

مما لا شك فيه أننا لو ابتعدنا أكثر ، إلى الخلف ، متوجهين هذه المرة إلى أصحاب العقول الكبيرة . . **كورنو ، بول لا كومب** . . كمبشيرين ، أو إلى آخرين . . **ميشليه** على وجه الخصوص ، ثم **رانك ، يعقوب بورخاردت ، فوستيل دي كولانج** ، لوجدنا أنها عبقرية تكتم الضحك . ومع ذلك . . لو أن المرء طرح عليهم أسئلتنا - بما فيهم ميشليه - أكثرهم عبقرية - الذي يُلجأ إليه في كثير من النقاط المضيئة ، لما وجدنا لديهم شيئاً حقيقياً إلا الإجابات التي لا تشبع أسئلتنا .

فيا أيها المؤرخون ، إن الإحساس بعصر آخر متوفر لدينا ، الإحساس بمغامرة أخرى للعقل . لكن مهنتنا - فضلاً عن ذلك - لم تكشف لنا أن هذا المشروع الهادئ مضمون بمبادئ دقيقة وضعت لعمل خاص وبأناة خاصة ، لم تترك لنا اليقين للإحاطة بالمادة الكاملة للتاريخ ، هذا اليقين الذي لم يصمد لأكثر من جرأتنا التجريبية . ولم يعد ، بلا شك ، من شيء غير غريب على فكرنا إلا ما ابتكره **رانك** من تعبير طريف عام ١٨١٧ م ، حين تحدث بحرارة إلى **جوته** متعجباً : « هل من قطار للتاريخ صلباً » !!

مدى الإحاطة بالتغير التأريخي

هذا الذي تغير بحق . . كيف ولماذا حدث ؟ كيف يذكر في نطاق دراستنا في بضع كلمات . . إنه لأمر شاق ، وواجب مستنكر مقدماً ، ويغرينا في ذلك ألف تفصيل .

لقد أظهر **ألبرت تيبودي** أن الانقلابات الحقيقية طفيفة دائماً على سطح العقل . فأين إذن يكمن هذا الشيء الطفيف ، أو هذا التحديث الفعال ؟ إن هذا - بالتأكيد - لخطوة في إفلاس فلسفة التاريخ ، أعدت من قبل لمدى بعيد ، ومنها لم تقبل - حتى من قبل مطلع هذا القرن - الطموحات والاستنتاجات المبكرة ، هي خطوة - من وجهة أخرى - أكبر في إفلاس علم التاريخ ، إلى فترة مرسومة .

لقد قيل بالأمس ، لا وجود لعلم إلا القادر على التنبؤ . . فعليه أن يكون تنبؤياً أو لا يكون . . ونأمل اليوم أن يصبح أي علم اجتماعي ، للتاريخ دور مفهوم فيه ، أن يصبح تنبؤياً ، وبالتالي فطبقاً لقواعد اللعبة القديمة ، لم يكن لواحد من تلك البحوث الحق في صفة تفق والعلم . . لأنها لم تتضمن تنبؤات .

الحياة والفرد والتاريخ

يبدو التاريخ لنا - كالحياة نفسها - مشهداً شارداً ، متحركاً . يحدث تشابكاً بين المشكلات المستغلقة المزج ، ويمكنه اتخاذ مائة وجه ، دورياً ، مختلف ومتعارض . فهذه الحياة المعقدة كيف يقترب التاريخ منها ، ويقسمها ليمكنه فهمها ، أو على الأقل فهم شيء منها ؟ ربما يشجعنا عديد

من المحاولات السابقة على معاودة البدء .

إن المؤلف لا يثق في تفسير من التاريخ قد بني على عامل بعينه متغلب .. إذ لا يوجد تاريخ شامل الجوانب ؛ ولا يعتقد بصراع السلالات الذي أكدت مصادماتها أو توافقاتها كل ماضي البشر ؛ ولا يقتنع بأنساق القوى الاقتصادية .. كعوامل التقدم أو الانحلال ؛ ولا يصدق التوترات الاجتماعية الدائمة ؛ ولا هذه الروحية المسهبة .. التي قال بها رانك .. وتسامى بها ـ لديه ـ الفرد والتأريخ العام ؛ ولا يكتفي بسيادة التقنية ، ولا بالضغط السكاني ، هذا الضغط المتزايد بنتائجه ، المؤدية إلى تأخر حياة الجموع .. فالإنسان ـ من وجهة أخرى ـ معقد .. وهو يصرح قائلاً :

« إننا لا نعتقد في تقديس أنصاف الآلهة هؤلاء كلهم ؛ أو ـ ببساطة ـ أكثر ـ نحن ضد قول تريتشك المتعاظم (**الناس يصنعون التاريخ**) .. لا ، فالتاريخ أيضاً يصنع الناس ويصوغ قدرهم ـ التاريخ المجهول الاسم ، إنه عميق في الغالب وصامت ، يستوجب الآن سبر غوره ، نعم هو غير مؤكد لكنه متحكم كبير » .

إنه يؤكد لنا أن الحياة هي تاريخ العالم ، فكل التواريخ الخاصة تتمثل لنا في كل سلسلة من الأحداث . وينادي بصيغة خطابية .. « اصغوا للوقائع المصغرة والدائمة المأساوية .. من معركة ، من لقاء رجال الدولة ، من حديث هام ، من خطاب رئيسي .. فهي كلها من التاريخ ابن حينه » .

وهو يخبرنا في هذا الخصوص بما قاله رانك عن .. **التاريخ الراوي** .. ذي الأضواء الخافتة لكن بلا بريق ؛ وقائع لكن بدون عنصر إنساني . ويوجه النظر إلى أن هذا التاريخ الراوي يستهدف دائماً مطلب « الأشياء كما جرت بحق » . فرانك كان يعني هذه الكلمة بعمق عندما صرح بها . وفي الحق يعتبر التاريخ تفسيراً ، لطبيعته المدارية ، كفلسفة تاريخ مشروعة .

وفي موضع آخر .. يتحدث عن تاريخ الناس في علاقاتهم المرتبطة بالأرض التي تحملهم وتعيشهم ، تاريخ أكثر بطأ من تاريخ الحضارة ، أقرب إلى عدم الثبات ؛ فهو في حوار لا يتوقف ، يتكرر للاستمرار ؛ بإمكانه التغير على السطح ، لكنه يتابع ،لزجاً ، كما لو كان خارج الدورة الزمنية ، وبعيداً عن نهشها له .

نحو تاريخ جديد

يبدأ المؤرخون اليوم في الاهتمام بتاريخ جديد ، تاريخ ثقيل لا يتطابق زمنه كثيراً مع مقاييسنا القديمة . تاريخ لا يقدم نفسه للمؤرخين كاكتشاف ميسور .. إذ إن كل شكل منه يتضمن ، في الحق ، علماً متبحراً يناسبه . أما كل هؤلاء الذين يشغلون أنفسهم بالقيم الاقتصادية ، بالمنشآت الاجتماعية ، وبمشكلات مختلفة ، بالحضارات .. كلهم يجدون أنفسهم في مواجهة بحوث أقرب لأعمال تناولتها علوم تقليدية في القرن الثامن عشر وحتى في القرن التاسع عشر بسهولة مدهشة .. ومن ثم فلا جديد فيها .

أما التاريخ الجديد ، فلا يكون ممكناً إلا بإحلال عدد هائل من العلوم الوثيقة ، لتجيب على هذه الأسئلة الجديدة . ولقد رأينا مولد ، وإعادة مولد ، منذ خمسين عاماً ، سلسلة من العلوم الإنسانية السائدة ، وكان تطورها ، في كل مرة ، يعني بالنسبة للمؤرخين ، صدمات وتعقيدات ، ثم إثراءات هائلة . فربما يكون التاريخ الجديد هو المستفيد الأكبر من هذه التقدمات القريبة .

هل يحتاج القول بدين الجغرافيا أو الاقتصاد السياسي أو علم الاجتماع أيضاً ، على التاريخ الجديد ، إلى وقت طويل ؟ إن واحداً من أضخم الأعمال إثماراً للتاريخ ، ربما حتى أكبر إثماراً من الجميع .. هو ما قدمه **فيدال دي لابلانش** ، مؤرخ الأنساب ، والجغرافي بالفطرة .. حيث قال « **أعترف بكل اقتناع ، بأن لوحة جغرافية فرنسا ، التي ظهرت عام ١٩٠٣م ، في الصفحة الأولى من كتاب التاريخ الكبير لمؤلفه إيرنست لافيس ، كانت واحدة من الأعمال العظيمة ، ليس فقط في المدرسة الجغرافية ، بل أيضاً في المدرسة التاريخية الفرنسية** » .

التاريخ وعلوم الإنسان الأخرى

عقد المؤلف فصلا من أهم ما كتب في هذا المضمار .. استهله بقوله إنها أزمة عامة في علوم الإنسان .. فهي كلها تنوء بتقدماتها الخاصة ، وليس هذا إلا بسبب تكدس المعارف الجديدة ، وضرورة إجراء عمل جماعي .. يظل فيه التنظيم الواعي دؤوباً على جمع ، مباشر أو غير مباشر ، كل ما هو ملموس .. سواء كان يريده أم لا .. عن طريق ما أنجزته هذه العلوم من تقدمات فيما بينها .

لكن هذا التنظيم ظل أسيراً لمذهب من المذاهب الإنسانية ، إما

مخادعاً أم متقوقعاً، لا يمكن استخدامه في الإطار العلمي. فكلها، بقليل أو كثير من الوضوح، لا تهتم إلا بمكانها في المجموعة الضخمة من البحوث القديمة أو الحديثة.. مما يكشف عن الحاجة إلى اتجاه موحد.

بهذه المصاعب، هل يمكن أن تخرج علوم الإنسان عن الخلط السيء ببذل قدر من الجهد المكمل.. قل أو كثر؟ ربما يكون لها في ذلك أثر.. فاليوم تتزايد الاهتمامات أكثر من الأمس.. لتحديد أهدافها ومناهجها وموقفها من سائر العلوم.

كما أن العلوم الاجتماعية سيئة الظن بالتاريخ وتميل إلى إنكاره، في الوقت الذي تكون فيه أعمال المؤرخين ـ على الدوام ـ خادمة للحقيقة الاجتماعية، يرفض رجالها أن تمتد مادة الماضي هذه إلى نسيج الحياة الاجتماعية الحاضرة، بحجة تعدد وتعارض الحقب الاجتماعية في حياة الناس.

التاريخ والحقب

إن كل عمل تاريخي يتفكك إلى أزمنة متطورة، تختار من بين حقائقها التاريخية، طبقاً لتفضيلات أو موانع أكثر معقولية. فالتاريخ التقليدي متنبّه للزمن المختصر، للفرد، للحدث.. ومن ثم كنا قد اعتدنا على روايته العجلى، المأساوية بنفس قصير. أما التاريخ الجديد ـ الاقتصادي والاجتماعي ـ فيضع في المستوى الأول من بحثه، الاهتزاز

الدوري ويضعه في زمنه: اهتم بالبرق الخاطف للبصر، وبحقيقة ارتفاعات وانخفاضات الأسعار الدورية كذلك. كما يوجد، اليوم، بجانب التاريخ الراوي أو ما يسمى «**بالإنشاد التقليدي غير الموزون**»، يوجد إنشاد مستمد من مصادفات الأمور التي تعلل الماضي في حقب طويلة، على مدى عشرات، أو عشرينات، أو خمسينات من السنوات..

ومن ثم يمكن القول بوضوح أكثر.. إن الموقع الحدثي فيه: الزمن قصير بالقياس إلى الأفراد وإلى الحياة اليومية وإلى علاقاتنا؛ وفيه صدق اهتماماتنا السريعة بالزمن ـ بفضل المؤرخ والصحفي على السواء.

وبناء على هذا.. فإن التصدع الأخير في الأنماط التقليدية لتاريخ القرن التاسع عشر، لم يكن حاوياً للزمن القصير. إذ إنه لعب دوراً، كما هو معروف، في جدوى التاريخ الاقتصادي، وفي الإضرار بالتاريخ السياسي.

وواصل المؤلف تأكيده على وجوب الإقرار بأن العلوم الإنسانية، بالذوق السليم، بالفطرة المتعمقة، ربما أيضاً بالتكوين، تميل للهرب دائماً إلى التفسير التأريخي؛ تهرب إليه بسلوكين عكسيين تقريباً: أحدهما «تحييني»، والآخر يجتاز الزمن بسيطاً نقياً بالاعتماد على تصور عبارة «**علم الاتصال**» على أنها تقنين رياضي للهياكل اللازمنية تقريباً. هذا النوع الأخير، الأكثر حداثة من الجميع، هو الوحيد ـ بوضوح ـ الذي يمكنه استمالتنا بعمق. لكن التحيين له أيضاً كثير من المشايعين باعتباره تحضير زائد لدراسات اجتماعية، مستخدماً علم اجتماع تجريبي، محدود بمعطيات الزمن القصير. وباعتبار أن وجهتي النظر متساويتان في ضرورة اختبارها دورياً.

إن الكاتب يكرر تعبير **لوسيان فيفر** في السنوات العشر الأخيرة من حياته، حيث قال: «**التاريخ علم الماضي، وعلم الحاضر**». فيعلق على ذلك بقوله: «**التاريخ هو جدل الزمان، أليس في طبيعته التفسير الاجتماعي بكل معناه؟ وفي الحاضر كذلك؟**».

اتصال ورياضيات اجتماعية

ليست النماذج إلا فروضاً علمية، وسائل لتفسيرات مترابطة بصلابة حسب شكل المعادلة أو طبيعة الخدمة: هذا يساوي ذاك، أو يحدد ذاك. فمن أية حقيقة لا تبدو بدون أن تكون أخرى غير مصاحبة لها، وبين الاثنين، تنهض روابط ضيقة ودائمة.. ومن ثم فإن النموذج المدعم بعناية سيسمح إذن بتبرير وجوده خارج الوسط الاجتماعي الملحوظ.

إن مناهج التفسيرات تختلف تبعاً للوسيلة إلى ما لا نهاية، وتبعاً لهدف المنتفعين: فهي إما بسيطة أو معقدة، نوعية أو كمية، مستقرة أو متطورة، آلية أو إحصائية. ولنا أن نرجع إلى **ليفي ستراوس** هذه الغريزة الأخيرة. الآلية.. فكأن النموذج على البعد هو بنفس ما في الحقيقة الملحوظة مباشرة، أبعاد صغيرة لا تجتذب اهتمام إلا مجموعات من الناس ضئيلة (**فهكذا اهتم علماء السلالات بالمجتمعات البدائية**). أما بالنسبة للمجتمعات الشاسعة، حيث تدخل الأعداد الضخمة، فيكون حساب المتوسطات حتمياً: إذ يقود إلى نماذج إحصائية.

أما علم الاتصال.. فكتب **ليفي ستراوس** في كتابه «**علم**

الأجناس المعماري ، قائلاً : « في كل مجتمع يجري الاتصال في ثلاثة حدود على الأقل : اتصال السيدات ، اتصال منافع وخدمات ، اتصال رسائل » . فلنصدّق أن هذا له حدود مختلفة ، لغات مختلفة . لكنها لغات . مذ ذاك ، ألن يكون لنا الحق في بحثها كلغات ، أو حتى مثل اللغة ، وفي ضمها ، بشكل مباشر أو غير مباشر ، إلى التقدم الحسي لعلم اللغة أو بالأصح لعلم الصوتيات ، الذي لا يستطيع أن يقل عن القيام بالدور المجدد نفسه ، في مواجهة العلوم الاجتماعية ، الذي كانت الطبيعة النووية ، على سبيل المثال ، قد لعبته بالنسبة لمجموعة العلوم المنضبطة ؟ هذا يقال كثيراً ، لكنه يجب أن يقال أكثر . . في بعض الأحيان . فكما أن

التاريخ يقع في شراك الحدث ، فإن علم اللغة يقع في شراك الكلمات الذي تخلص منه بالثورة اللغوية .

زمن المؤرخ وزمن عالم الاجتماع

المؤرخ لا يخرج أبداً من زمن التاريخ ، ويقول **پول لاكومب** :

« ليس الزمن في ذاته ، وإنما هو - بكل موضوعية - ليس إلا فكرة لدينا » . أما عالم الاجتماع فلا يقبل هذا التعريف البسيط ، إنه يكون قريباً جداً من جدل المدة الزمنية ، تماماً مثل الحاضر . فالزمن الاجتماعي هو ببساطة بعد خاص لحقيقة اجتماعة يتأملها عالم الاجتماع .

والتاريخ لا نعتقد أن في الإمكان تجنبه . على عالم الاجتماع أن يحترس منه . فالفلسفة (**حيث يجيء منها وفيها يبق**) لا تهيئه إلا لكي يكون معبأ بعدم الشعور بأهمية التاريخ العينية . فتقنيات البحث في الحاضر تخاطر بإتمام هذا التباعد . كل هؤلاء الباحثين في اللحم الحي ، يحصرون أنفسهم ويبلبلون من ثم المستعينين بهم ، نعم إنهم يحققون تحرزاً من الملاحظة السريعة ، لكنها ثمرة من قشور . فعلم الاجتماع الحدثي يسد

مكتباتنا . . بأوراق مقواة لبطاقات رسمية ومشروعات . . ولكن بعيداً عن التشهير والتمرد ، لي أن أتساءل ما جدواه ؟ ماذا يمكن أن يساوي بقدر من العلمية ، إن لم يسجل الاتجاه ، السرعة أو البطء ، الصعود أو الهبوط للحركة التي تجذب كل عنصر اجتماعي ، فإن لم ينجذب ثانية إلى تحرك التاريخ ، إلى جدلية الطاقة التي تنساب من الماضي إلى الحاضر وحتى إلى المستقبل ؟

إن المؤلف يعلن في ثقة عن عدم اعتقاده بعدم علم اجتماع في المستقبل ، إلا في حدود التوفيق ، تطبيق متوافق لكل موادنا المختلفة ، ويحدد كيفية هذا التوافق بقوله : « إقامتها الواحدة أمام الأخرى ، شيء سهل ، إلا أن هذا الجدل يسخر من كثير من الألحان القديمة . إنها موسيقى جديدة نحن في حاجة إليها » .

ويواصل المؤلف حديثه - بهذا الأسلوب الناقد والمتسائل دائماً . . فيتحدث عن الاقتصاد التاريخي والتاريخ المتناسق ، والتركيب العقلي والفرصة ، والفرق بين عدم الثبات والحركة ، كما يبشر بانتصار التناسق ، ويراهن على وجود تاريخ مثمر الآن ، ليصل إلى نوعية الكتابة في التاريخ . . هل هي الكتابة المسهبة أم الكتابة الجيدة ؟

وبعد إجاباته على هذه التساؤلات ينتهي إلى أمتع فصول الكتاب . . فيعقد له عنواناً هو الحاضر يفسر الماضي مثلما يفسر الماضي الحاضر . . فينتقي موقعاً لدراسته الجغرافية الحيوية . . هي **ولاية باهيانيز في البرازيل** . . التي سبق أن انتقاها **مارفن هاريس** وألف عنها كتاباً بعنوان « **المدينة والقرية في البرازيل** » . . إن مؤلفنا بروديل يناقش صاحبه في اختياراته ، ويطري ذكاءه في بعض تحليلاته واستنتاجه ، ثم

يوجه إليه نقداً متهجياً لماحاً بعد أن ذهب بنفسه إلى باهيانيز ، وأخذ يطوف القرى الست حول حاضرة الإقليم ميناس ڤيلهاس ، فاكتشف أن هذه القرى لا حول لها ولا قوة ، فأهلها لا يزرعون ما تحتاجه الحاضرة من خضروات وفاكهة ، لضعف تربة أراضيهم ، وإنما سبب ثراء الحاضرة

يرجع إلى مينيس المدينة التاريخية في قلب الحاضرة ، فهي جاذبة للسياح ، وهي على طريق السوق الأكبر في **مدن ڤيلا نوفا ، وجروتا** . ويفرع منها أن **المدينة الصغيرة حقل جيد للملاحظة في الحاضر ،** فهذه المدينة الجديدة القديمة تدافع عن حقوقها في الحياة كبقية المدن الكبرى ،

ومن ثم فإن الحضري في ميناس ڤيلهاس هذه يشعر بشعور الحضري لحماً وعظماً ، يشعر بالانتماء لمدينته أكثر من شعور انتماء الحضري في **لندن ونيويورك** إلى مدينته ، وذلك رغم إحساسه بالوفرة الأقل في المعايش . وهكذا يواصل المؤلف تدعيم التاريخ في حاضرنا ، ولا غرو فهو أستاذ الحضارات الحديثة .

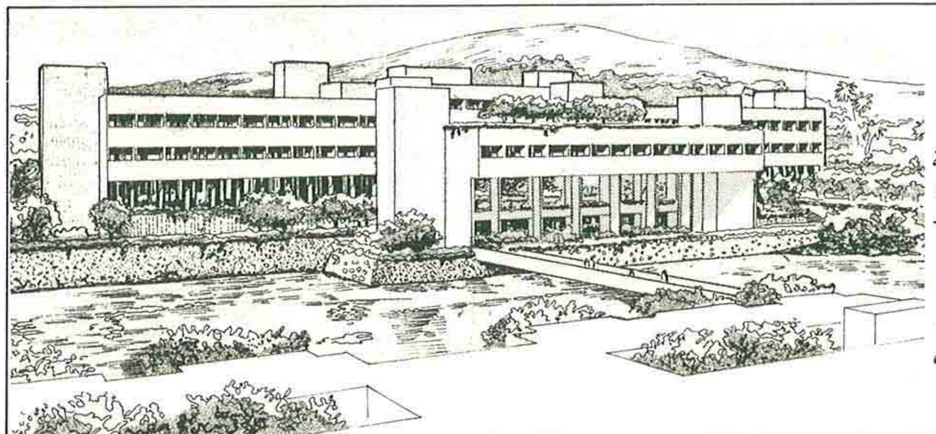
أخي المواطن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يسرّني أن أعرض على أنظاركم أن جمعيّة البرّ بالجنوب قد قررت أن تنشئ مستشفى في مدينة أبها يتسع لمائتي (٢٠٠) سرير وبه سكن للعاملين يتسع لستمائة (٦٠٠) شخص من الأطباء والممرضين والممرضات وملحق به فندق صغير لمراجعي المستشفى وسيكون العلاج فيه مجاناً للفقراء وبرسم للأغنياء والقادرين. وتقدّر تكاليف هذا المستشفى بأكثر من خمسمائة ٥٠٠ مليون ريال جُمع منها حتى الآن خمسون (٥٠) مليون بالإضافة إلى الأرض وسيطلق على المشروع (مركز أبها الصحّي) .. والجمعيّة إذ تعرض هذا الأمر على أنظاركم فإنها لا تستغني عن دعمكم ومساعدتكم له بما يجود به كرمكم وروحكم الإسلاميّة النبيلة مساعدين جمعيّتنا لتكون يداً واحدة في خدمة بلدنا ومواطنينا في سبيل رفعته وتقدّمه وتخفيف الآلام عن الذين يقاسون من أبناء أمتنا ..

والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .. وفقكم الله وهداكم إلى طريق الخير وفي انتظار ردكم .. تقبلوا أطيب تحياتي ؟ رئيس جمعيّة البرّ بالجنوب

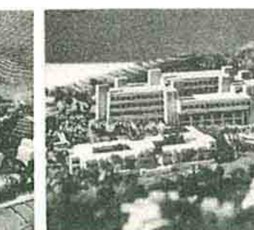
خالد الفيصل بن عبد العزيز



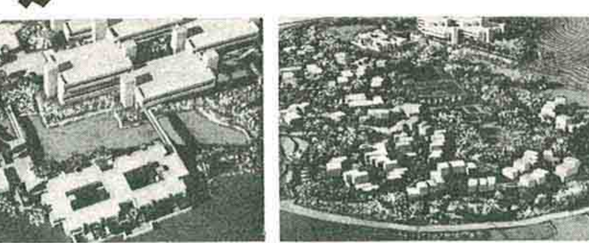
سيشمل
مركز أبها الصحي
على مايلي:

- ٢٠٠ سرير للعناية بالحالات المرضية الحادة
- ٥٠ وحدة من نوع موتيل MOTEL لحالات المعالجة والعناية طويلة الأمد
- مبنى خدمات
- مركز للبيع
- وحدات سكنية للعاملين في المركز الصحي
- مرافق عامة لتأمين خدمات مختلفة مثل معالجة المياه وتخزينها .. الخ

مشروع مركز أبها الصحّي







إن مركز أبها الصحي بفضل ما سيشتمل عليه من منشآت ومرافق، وبواسطة العاملين المتخصصين فيه، سيتمكن من تقديم العناية الصحية على نطاق واسع لسكان تلك المنطقة. وسيقدم المركز جميع خدمات الإسعاف في حالات الطوارئ، وكذلك خدمات التمريض الداخلي والعناية بالحالات ذات المعالجة طويلة الأمد. بالإضافة إلى مساكن لائقة ومؤقتة لعائلات المرضى

سيتمكن مستشفى مركز أبها الصحي من استقبال حالات الإسعاف والطوارئ وذلك لما يقارب ٣٠,٠٠٠ حالة إسعاف. هذا وسيولي المستشفى أهمية خاصة لمرضى الحالات الداخلية. وستوزع الأسرة في المستشفى على النحو التالي :

١٤٤ سريراً للمعالجة الطبية / الجراحية / أمراض النساء .
١٢ سريراً لحالات العناية المشددة / أمراض القلب .
٢٤ سريراً لحالات التوليد .
٢٠ سريراً لأمراض الأطفال .
٢٠٠ المجموع .

بالإضافة إلى ثلاثين حاضنة للرضع حديثي الولادة. بالإضافة إلى وحدات العناية بالمرضى فإن خدمات المستشفى سوف تشمل برامج متواضعة للتعليم الصحي مثل :. التدريب الصحي المساعد .: تدريب الممرضات للمعالجة السريرية .:. برامج تثقيفية للعاملين بالمستشفى .:. برامج تثقيفية لعموم المقيمين بالمستشفى وهذه البرامج سوف تساعد في المحافظة على مهارة العاملين في المستشفى بل وتحسنها ولهذه الأغراض فستقام في المستشفى قاعة اجتماعات تتسع لـ ٦٥ مقعداً وقاعة أخرى أصغر منها وكذلك عدة غرف للاجتماعات والمناقشات .. هذا وقد أخذ بعين الاعتبار عند تخطيط المستشفى، التخطيط لتوسعها في المستقبل .

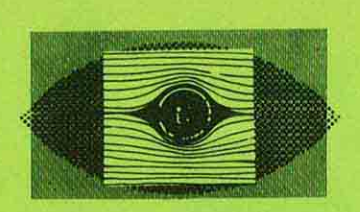
قسم الموتيلات MOTELS للمعالجة طويلة الأمد .
لقد أنشئ هذا القسم لخدمة غرضين رئيسيين أولهما تقديم السكن المناسب لعائلات المرضى أو لأصدقائهم ممن لا يقطنون تلك المنطقة بل يعيشون في مناطق بعيدة عن المستشفى مما يترتب عليهم السفر كلما أرادوا زيارة مريضهم. ولهذا الغرض فقد خصصت ٢٥ وحدة سكنية. هذا وربما نصح بعض أفراد العائلة الزائرين أن يقيموا في غرف المستشفى مثل قسم الأطفال والغرض الثاني من إنشاء هذا القسم هو تقديم السكن المناسب للمرضى الذين انتهت معالجتهم في أقسام المستشفى المختلفة ولكنهم لا يزالون يحتاجون للعناية والملاحظة بالقرب من المستشفى وعندما يتوفر لأفراد عائلة المريض وهو في هذا القسم، أن يكونوا بالقرب من مريضهم فسيقدمون له العون والمساعدة لكي ينفذ البرامج الغذائية أو غيرها مما يطلبه الأطباء المشرفون على المعالجة. ولقد خصصت ٢٥ وحدة سكنية أخرى لهذا الغرض ..

مركز البيع :. يقدم هذا المركز خدمات وتسهيلات لجميع زوار المركز وموظفيه ومرضاه ويشتمل على محل لبيع الهدايا وزاوية مخصصة لتناول القهوة والمرطبات. وبرغم أن هذا المركز لا يقع ضمن بناء المستشفى كما لا يقع ضمن بناء الموتيلات إلا أنه قريب منهما وفي متناول النزلاء والزوار جميعاً .

الموظفين والعاملين بالمركز: تشير الدراسة الأولية ان العاملين في مستشفى أبها يصنفون كما يلي :
. الأطباء والعاملون والإدارة العليا وعددهم ٧٠ - الفنيون والممرضات وعددهم ٢٠٠
موظفو الصيانة والخدمات العامة وعددهم ١٥٠ - كتبة ١٨٠ - المجموع = ٦٠٠ وتبلغ المساحة الإجمالية لمبنى المستشفى دون المباني الخاصة بسكن الأطباء، والموظفين (١٧,٨٤٥) م² سبعة عشر ألفاً وثمانمائة وخمسة وأربعون متراً مربعاً .



موضوع خاص





إن الاستجابات النفسية والعاطفية للطفل ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالوسط الاجتماعي المباشر الذي يعيش فيه ، ويجب ملاحظة هذه الاستجابات على أنها نتيجة لعزلة الطفل ، فالدور الذي يفرضه الآباء على أبنائهم قد يأتي بنتائج عكسية لما قد يتوقعه الآباء .. ونتيجة لعجز الأطفال التام ، فإنهم يجدون صعوبة في عصيان أوامر الآباء . كما أن الآباء يبدأون في تكوين آمال غير ناضجة لمستقبل الطفل حتى قبل ولادته .. وهذه الآمال غالباً ما تمثل «تعويضاً للأب نفسه» عن طموحاته التي لم تتحقق .

ألعاب التركيب

والتشخيص النفسي للأطفال

بقلم : هشام أبو عودة

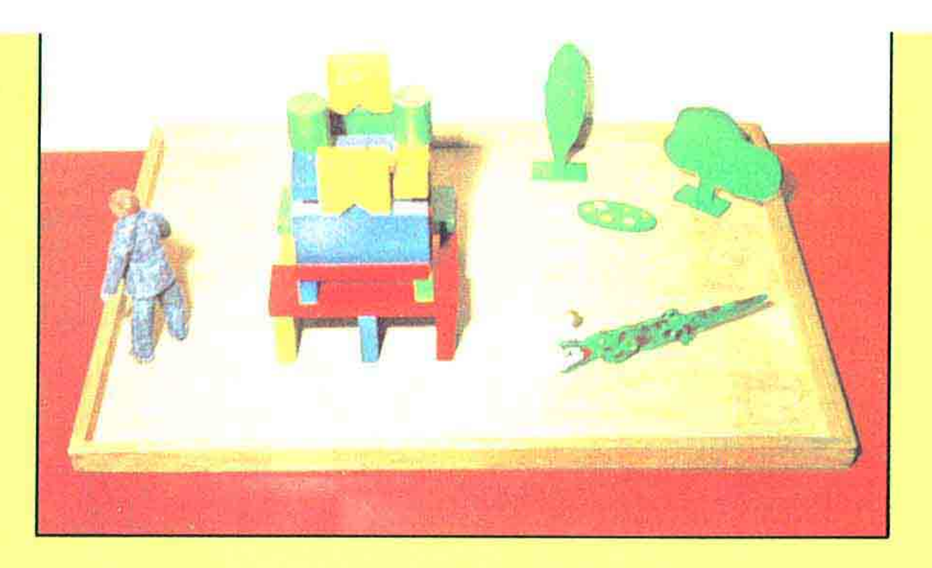
أما الأب الذي فقد شريكة حياته ، إما بالوفاة أو الطلاق ، فإنه يجعل أطفاله بديلاً للشريك المفقود . ومن هنا تنشأ علاقة مودة من نوع خاص بينه وبينهم ، وأي محاولة لإذابة تلك العلاقة أثناء فترة البلوغ ، تأتي ضد ميكانيكية دفاع عصبية عميقة الجذور .

ولقد وجد العلماء أن الأطفال الأكثر تعرضاً لأمراض عصبية واضطرابات سلوكية بحيث تسبب لهم (رجعة) نفسية إلى **مرحلة الطفولة المبكرة** ، كإجراء دفاعي نتيجة متطلبات وواجبات **فترة البلوغ** المتزايدة ، هم الأطفال الذين يرحلون إلى عوالم سحرية خيالية أكثر نظاماً في عالم ألعابهم وتسليتهم . ولخيبة آمالهم لنقص التفهم من جانب البالغين للدخول معهم في عالمهم الطفولي ، فإن هؤلاء الأطفال غالباً ما يخترعون رفقاء وأصدقاء خياليين لهم .. وهذا بدوره يعطيهم دعماً أخلاقياً في فترات الحاجة أو فترات القلق التي قد يواجهونها .

وقد يرحل الطفل بخياله إلى عالم خيالي مفعم بالنشاط ، ويكون هذا العالم بمثابة «شاشة عرض» لا متناهية ، تنعكس عليها أمانيهم وتوقعاتهم ، وتختفي فيها مخاوفهم بصورة غامضة ، لكنهم سرعان ما يعودون إلى حدود العالم الواقعي .

وقد بدأ **علم النفس التحليلي لأمراض الطفولة** في التطور إلى نظام خاص به خلال العشرينات من هذا القرن ، فقد تركزت جهود مبدئية حول طرق علاج تختلف عن طرق علاج البالغين ، تناسب

الطفل العصابي الذي يشكو من اضطرابات سلوكية . وعلى عكس البالغين ، فإن الطفل لا يعي ما قد يصيبه من اضطرابات مسلكية نفسية ، وخصوصاً إذا ما كانت هذه الاضطرابات تزوّد الطفل بما يحتاجه من الاشباع والبهجة والرضا .. ويقلق الوالدان من اضطراب أمور طفلهما ، رغم أنهما قد يكونان أحد الأسباب التي أودت به إلى هذه الحالة .



★الحالة الأولى★

دور الألعـــاب في حيـــاة الطفـل

والألعاب تمثل أسلوباً فريداً في العلاج النفسي للطفل مـواز لـلأحلام في التحليل النفسي للبالغ ، إذ إنها تمثل في تكويناتها منطقة « **العقـل الباطن** » للبالغ في حالة اللاوعي . ولهذا اعتمد **التشخيص النفسي** على دمج الألعاب والرسوم التي تحكي قصصاً .. وتترك للطفل حرية تكوين القصة التي تخترعها ، في محاولة لتبيين عن عالمه الداخلي وما يعتمل في ثنايا نفسه . كما أن الألعاب تساعد الطبيب المعالج في التغلب على الموقف الدفاعي الذي يتبناه الطفل ضد العالم الخارجي الذي يعيش فيه ويضج من حوله .

من هذا المنطلق طورت « **شارلوت بوهلر** » اختبار الألعاب القياسي العالمي ، ويتكون من ٣٦٠ عنصرا من دمى الأشخاص والحيوانات والمباني والأشياء ، والتي تمثل كل ما يمكن أن يصادفه الطفل في حياته أثناء مرحلة الطفولة .

ومنذ أكثر من ٢٥ عاماً ، طور العالم النفسي الألماني اختبار الألعاب والمناظر الذي يحتوي على ١٣٠ عنصراً من دمى الأشخاص والأشياء إلى دمى تمثل الوسط العائلي للطفل فقط . ولهذه الدمى أطراف مفصلية بحيث يمكن ترتيبها في أي وضع يرغبه الطفل ليضفي على المنظر تأثيراً حيوياً يطابق الوضع الذي يشاهده في حياته اليومية .

وأي طفل لا يستطيع مقاومة إغراء الألعاب ؟ حتى الأطفال الذين يعتمدون على أمهاتهم ، وجد أنهم يحررون أنفسهم من هذا القيد الذي فرضوه على أنفسهم بمجرد وضعهم أمام كومة الألعاب ليكشفوا ، ليس فقط ، عن موضوع عصابهم النفسي الأساسي ، بل عن وجود قابلية كامنة للتحرر من هذا القيد أيضاً .

ورفض الطفل للألعاب يدل على زعزعة مرضية خطيرة في سلوك الطفل الاجتماعي ، كالخوف أو الاضطهاد ، أو الثبوط المعنوي ، أو حتى جموح الخيال المرضي ، تهرباً من الواقع الأليم الذي يعانيه ، بالإضافة إلى الأمراض النفسية الأخرى .

إذا لم يكن المقصود من العلاج النفسي للطفل هو انتزاع الأعراض الجسدية المصاحبة للمرض (كالصداع والكآبة وسلس البول .. والربو .. الخ) ، ولتوجيهه توجيهاً عاطفياً تجاه مجتمعه ، فإنه يجب أن نضع في اعتبارنا بأن نشمل بالعلاج الأشخاص الأساسيين الذين يتصل بهم الطفل في حياته اليومية .

وقد يكون فصل الطفل عن والديه مستحب في بعض الأحوال ، مثل حالات الإصابة (**بالربو الشعبي**) كرد فعل للمرض النفسي ، إذ وجد أن ذلك هو الطريقة الوحيدة للقضاء على نوبة الربو .. وقد تعود النوبة إلى الطفل بكامل حدتها السابقة إذا ما عاد الطفل إلى ذويه مرة أخرى بعد علاج ناجح يستغرق شهوراً عديدة .

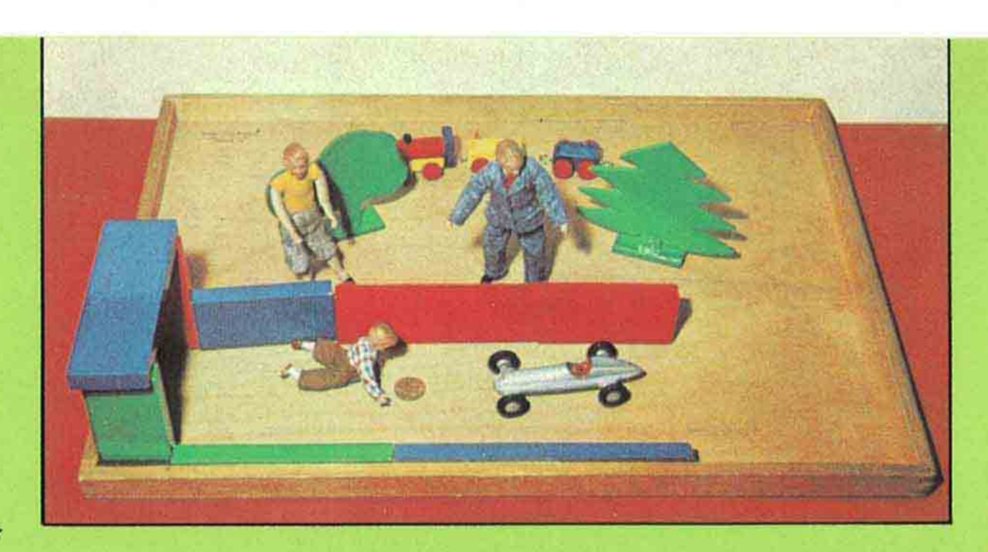
الأمراض الناتجة عن أسباب عاطفية ونفسية ، تلعب دوراً أخطر من الأمراض الناتجة عن سبب عضوي .

وفي هذا الصدد ، يقول **العالم النفسي « إيكهورن »** : إن الطبيب المعالج للأطفال اللقطاء والمشردين عليه أن يمسك دائماً بخيطين في يده .. أحدهما يوصل إلى الطفل والآخر يوصل إلى أمه أو أبيه .

ونظراً لصعوبة معرفة ما يدور في خلد الطفل المريض ، وما يختزنه في قرارة عقله الباطن من مشاكل وهموم ومتاعب بالطرق العادية التي تطبق على البالغين ، فالوسيلة المثلى لمعرفة ذلك هي ترك الطفل ليعبر عن مشكلته بالألعاب .. ثم نتركه يشرح المنظر الذي كوّنه ، ومنها نستنبط كل ما نطمح في الوصول إليه .

فالطفولة أساس الإنسانية كلها ، والتشكيل السليم لها يعتبر تشكيلاً سليماً لكل الأجيال القادمة أما إذا تركت على اعوجاجها ، فإن في ذلك وبالا على الإنسانية كلها . والخيال المبدع للإنسان لا يمكن تصوره بدون الخلفية الصلبة الثابتة من الصحة النفسية والعاطفية التي يكتسبها الإنسان في مرحلة الطفولة المبكرة .

وفي الصفحات التالية من هذا الموضوع بعض الحالات المرضية التي تم علاجها بكشف الألعاب :



★الحالة الثانية★

الحالة الأولى

طفل عمره ١٣ عاماً ، عانى من **شلل الأطفال** في ساقه اليمنى منذ طفولته المبكرة . كان يشعر بالعزلة عن رفقائه في المدرسة بعد مرضه ، وبينما كان **والده** في جبهة القتال ، طور علاقة تكافلية واعتماداً كلياً على **أمه** التي كانت صدمتها كبيرة لمرضه ، فأحجمت عن إبلاغ الوالد به . وعندما عاد الزوج إلى بيته بعد انتهاء الحرب ، كان عمر الطفل حينذاك خمسة أعوام . وقد جُوبه الأب بحرب ضروس شنها عليه الطفل لشعوره بأن أباه قد خطف منه أمه ، ولشعوره أن والده يقيد حريته .

وبقيت العلاقة ممزقة بين الأب والابن ، وكان من نتيجتها أن اتخذ الطفل موقفاً عدائياً للمجتمع منذ طفولته ، فتزايدت بالتالي صعوباته المدرسية وعانى من تراجع في دراسته ، وأصبحت تصرفاته أكثر طفولية .

وعند تطبيق **نظرية ألعاب التركيب والمناظر** عليه ، كشف الطفل عن تناقض متكرر في وصف موقفه ، فالتمساح الذي يعض ساق الطفل هو تبطين للشعور « العدواني » الذي يختمر في نفسه منذ مرضه . والمنزل المظلم والأب « الغازي » يعكسان شعور « الحرمان » الذي يلف العائلة كلها .. وأصبح الطفل يشعر أن لا مكان له في المنزل .

وعند تطبيق كشف آخر عليه ، أشاح بوجوه كل الدمى التي تمثل الأطفال في المنظر إلى الوراء ثم إلى الأمام وقال : « إنهم مشوهون .. ومثل هذه الأشياء تحدث دائماً كما تعلمون .. » . ثم عرف نفسه بهذه الدمى نادباً عاهته الجسدية التي غرست في نفسه شعوراً بعدم الكفاءة .

والخطوة الأولى في علاج هذا الطفل تمثلت في بعث روح التعاون بين أفراد العائلة ، وزيادة اهتمامات الطفل الأخرى ، **كالسباحة وركوب الدراجات** ، وتشجيعه على تحسين قدراته الجسدية .. وهكذا تمكن بالتالي من اكتساب اعجاب واحترام أقرانه في المدرسة ، كما تقدم مستوى تحصيله الدراسي .

الحالة الثانية

طفل عمره ١٢ عاماً ، يعاني من « **ربو مزمن** » . نشأ في عائلة ابتلت بداء الفصام[1] (Schizophrenia) ، فامتلأت نفسه بالوسواس والخوف من التفكير في إجراء عملية جراحية له في **الجيوب الأنفية** ، مما سبب له مرضاً نفسياً خبيثاً .

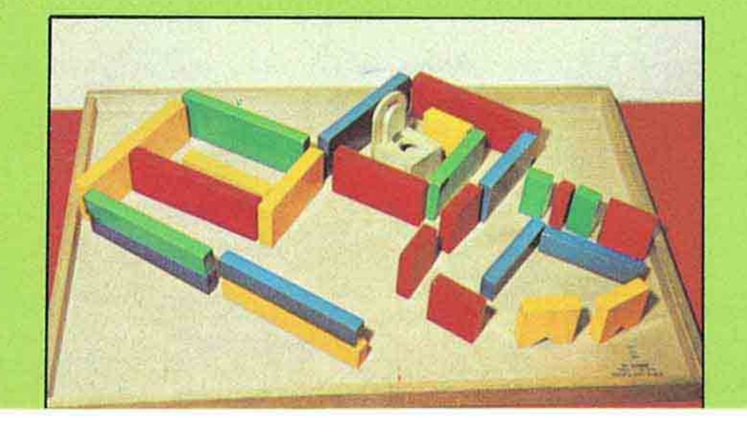
وفي كشف ألعاب التركيب والمناظر : بنى الطفل مضماراً لسباق السيارات ، وترتيبه للدمى يحكي لنا قصة طفل تسلق حاجز مضمار السباق بالرغم من تحذير والديه ليلتقط قطعة نقود في طريق السباق فصدمته السيارة . ومرّ إطارها على رأسه .. وبإعادة الكشف مرة أخرى : أعاد الطفل تركيب نفس المنظر السابق الذي يرتكز على مازوشية احباطية .

بعد إجراء العملية الجراحية للطفل .. أصابته نوبة « ربو » عنيفة جداً .

الحالة الثالثة

طفل عمره ١٠ سنوات ، نشأ وحيداً لعائلة ريفية . كان مصاباً بمرض « **سلس البول** » Enuresis . في كشف ألعاب التركيب : قيد الطفل نفسه بالحواجز والجدران ، فبنى مجموعة من الغرف ، والمواقع الخيالية ، يقع الحمام منها في المنتصف ، وخلو المنظر من الأشخاص يدل على الصعوبة التي يعانيها الطفل في الاتصالات الشخصية ، إلى جانب شعوره بالعزلة ، وأنه منبوذ ، والموقع الاستراتيجي الذي يحتله الحمام يدل على معاناة الطفل من التبول في فراشه وحاجته الدائمة للحمام في حياته اليومية .

★الحالة الثالثة★



الحالة الرابعة

فتاة عمرها ١٨ عاماً ، أدخلها طبيب العائلة مصحة لارشاد الأطفال بسبب خوفها المبالغ فيه من شعور بعدم الأمان **وعقدة التخلف** Inferiority مع الميل للتخلص من الحياة وفشل متكرر في العمل .. وتعود جذور مرضها إلى مرحلة الطفولة .. فقد رحلت عائلتها أثناء الحرب ، فوجدت الطفلة صعوبة في التكيف مع مكانها الجديد .. وكانت في ربيعها الأول عندما استدعي والدها للخدمة العسكرية في جبهة القتال . ثم قضى بعد ذلك عدة سنوات في أحد معتقلات الأسرى قبل عودته لأسرته ، وخلال هذه المدة أصبح عمرها عشرة أعوام .. وقد أصاب الوالد تلفاً في جزء من الدماغ أضعف قدرته على العمل .

وفي السنوات العجاف التي تلت الحرب ، قامت الأم بالعمل لتأمين متطلبات العائلة .. وبسبب التغير في شخصية الأب التي لم تكن في الحسبان ، نشأت الطفلة مليئة بالقلق في الجو العائلي المليء بالخصام والتشاحن . وقبل دخولها للمصحة السالفة الذكر أصابت أمها نوبات عصبية ، وقد ازداد عدم الانسجام والتآلف في العائلة بسبب تردي الأحوال الاقتصادية في هذه الفترة العجفاء التي ولدتها الحرب ، فحولت الفتاة موقفها وخوفها من عدوانية والدها المريض فيما بعد إلى موقف أشمل يضم كل الرجال في ثناياه .

وبعد تركها للمدرسة أصيبت الفتاة بعد ذلك **بنوبات صداع** عنيفة ، مما سبب لها فشلاً ذريعاً في تدريبها على إحدى الوظائف ، فتحولت إلى الدراسة التجارية ، ولكن نشأ لديها « الخوف » من المدرسة مصحوباً باضطرابات في دورتها الدموية ونوبات متكررة من الحمى . فدخلت المصحة .. وأصابتها رغبة جامحة للزواج هرباً من الشعور « بعدم الأمان » ومن الجو العائلي الممزق .

وقد ألقى **كشف ألعاب التركيب والمناظر** ضوء على ما تعانيه الفتاة ، **فالتماثل والتناسق** Symmetry في عناصر المنظر يوحي بالرغبة لحماية نفسها من الخوف ، والطريقان القطريان اللذان شيدتهما ووضعت عند تقاطعهما شرطياً يمثل الرغبة الجامحة في أمر « **الأنا العليا** » Superego لوظيفة الحماية والإرشاد التي يضفيها .. كما أنه يمثل الصديق والمعين .

لقد أبعدت نفسها عن الدمية التي تمثل جدتها ، وسدت كل الطرق الأخرى بأشخاص بالغين أو بوالديها ، ووضعت نفسها بعيداً عنهم . في **الركن العلوي الأيسر** مجموعة من الثرثارات المشغولات بالقيل والقال ، بينما تعلق على الشخصين (والديها) في **الركن السفلي الأيسر** قائلة : « من المفترض أنهما زوجان ، لكنهما لا يناسبان بعضهما البعض .. » .

وهذه الملحوظة مرتبطة قطعاً بالزواج الممزق لوالديها ، وربما حتى لجهودها الشخصية للزواج من رجل يكبرها سناً باستطاعته توفير الحماية والأمان اللذين تنشدهما .

ويبدو أن الطريق الوحيد الذي تركته خالياً يوصل إلى الفراغ وإلى المستقبل المجهول وغير المضمون الذي ينتظرها .

الحالة الخامسة

فتاة عمرها ١٢ سنة ، تعاني من **ثبوط في المزاج وفقدان للشهية** نتيجة لفقد العائلة لمسكنها وتغيير إقامتها .

في بداية الأمر كان الشك في أن فقدان الشهية سببه الاضطرابات الجسدية والنفسية المرافقة لبداية مرحلة البلوغ .. ولكن كشف ألعاب التركيب والمناظر ، كشف عن الصراع النفسي الذي تعانيه الطفلة ، والذي لم يمكن كشفه بمعرفة تاريخ حياة الطفلة الذي تم الحصول عليه من الوالدين ، أو بالتحليل النفسي المعتاد .

فحظيرة الحيوانات في وسط الصورة ترمز إلى تصارع الرغبات في نفس الفتاة .. ثم اتضحت بعد ذلك مشكلة العادة الشهرية لديها ، والتي يبدو أن أمها لم تفسرها لها .. وفي المنظر امرأة عجوز تضطجع على كرسي ، بينما رجل من نفس العمر تقريباً أدار رأسه عنها ومد يده ليتمشى مع امرأة أخرى أصغر سناً . فالصراع أصبح واضحاً هنا أثناء فترة العلاج النفسي المبدئية واتضح أكثر بواسطة المريضة ، فأمها التي صورتها هنا بالعجوز تشعر بأن زوجها يتجاهلها ، إذ إن له علاقة مع امرأة أخرى أصغر منها في منطقة أخرى منذ مدة طويلة وهذا بدوره انعكس على نفسية الفتاة .

★الحالة الرابعة★



★الحالة الخامسة★



★ الحالة السادسة ★

الحالة السادسة

طفل عمره ٨ سنوات ، نشأ وحيداً ، أحضره أبوه للعلاج من تقلص لا إرادي يصيب عضلات وجهه . يعمل **الأب** معلماً في مدينة مجاورة .. ويعمل **الجد** مديراً للمدرسة الابتدائية المحلية التي يدرس فيها الطفل نفسه .. وكلتا العائلتين تقطنان نفس البيت .. ونظراً لأنه وحيد والديه ، فقد أفسده الجميع بالتدليل فالتصق بأمه أكثر . وكان الأب يعاني من تقلصات لا إرادية لأسباب عضوية . وبقي الأب معتمداً اعتماداً كلياً على الجد المسيطر على العائلتين .. وهكذا أظهر الطفل نفس الأعراض التي يعاني منها والده .

وفي كشف الألعاب صوَّر الطفل والده في حالة تشنج بينما وقف الجد غير مهتم بما يجري .. وقد تعرف الطبيب المعالج على أن الاتصالات العاطفية المحجوبة بين الأسرتين ، هي سبب الحالات المرضية . وهكذا تم تحويل الأب أيضاً إلى طبيب نفسي .. وعندما تحسنت حالته ، اختفت الأعراض التي أصابت الطفل تلقائياً بدون أي علاج على الاطلاق .

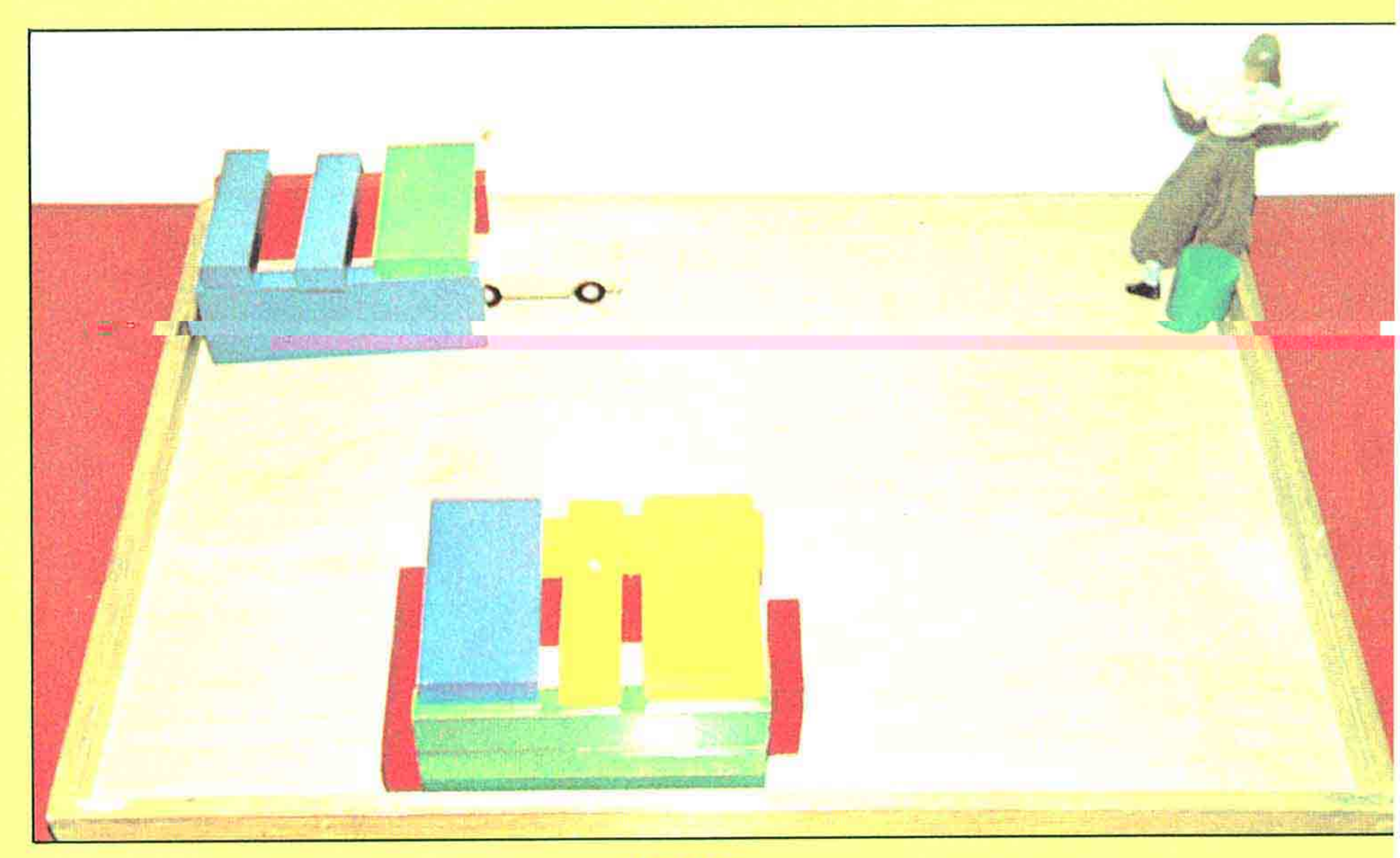
الحالة السابعة

طفلة عمرها ١٣ سنة ، تعاني من **صداع حاد** ناتج عن الصعوبات التي تعانيها في البيت ، فقد كانت كل عناية الأسرة منصبة على أخيها الأصغر المصاب **(بالتأتأة والتلعثم)** والذي يتلقى علاجاً نفسياً . ولم يحفل أحد بالفتاة سوى جدتها التي أفسدتها بالتدليل .

وأثناء العلاج النفسي للفتاة لم يتطرق أحد لموضوع الجدة ، لهذا لم يستطع أحد أن يتعرف على مشكلة الطفلة ، لكن كشف الألعاب والمناظر وضحها توضيحاً كاملاً . فترتيب الدمى يصور منزلا تسكن الجدة مع كلبها فقط ، وبينما يهددها التمساح خارج البيت فإن ثعلباً يتربص بها عند مدخله .. لقد تحولت الجدة إلى بؤرة تمثل عالم الطفلة ، وكل الشخصيات الأخرى لا وجود لها في هذا العالم .. كما أن الطفلة تفادت التعليق الشخصي على صراع العائلة فلم تضع دمية تمثلها في المنظر ، وقد كشف التحليل المتأني لهذه الحالة عن قابلية للتحول إلى شخصية عدوانية لدى الفتاة .

★ الحالة السابعة ★





★ الحالة الثامنة ★

الحـالـة الثـامنة

طفل عمره ١٣ عاماً .. ابن غير شرعي ، وبدون موافقة أبيه غير الشرعي ، أخذته أمه إلى عش الزوجية عندما تزوجت بآخر . وسرعان ما دب الخلاف بين الزوج والأم .. والطفل يشاهد ما يجري بخوف وهلع . والمنظر الذي بناه الطفل ذو أسس غير ثابتة كما هو حال زواج أمه الذي لم يتحسن حتى بعد ميلاد طفلة جديدة .

وقد أظهرت تصرفات الطفل النابعة من نضج مبكر ميولا ضد المجتمع أثناء بدء مرحلة البلوغ .. ومن العجيب أن هذا الطفل كان ذكياً وموهوباً ، فمقياس ذكائه (IQ) كان ١٤٥ حسب **اختبارات ويشسلر للذكاء** ... ورغم هذا طُرد من المدرسة ليس بسبب الفشل (لأنه كان ناجحاً في دراسته) بل لاتهامه بسرقة الدراجات . كما أن هربه من المنزل تكرر كثيراً بعد ذلك ابتعاداً عن الجو العائلي الذي لا يطاق ، وكان يستخدم **طريقة (الأوتوستوب)** في انتقاله من مكان إلى آخر عند هربه .

وكشف ألعاب التركيب يوضح الصراع الذي يعانيه الطفل ، فالشاب الذي يدير ظهره في أقصى اليمين ، وفراغ المنظر يدلان على صعوبة الاتصالات الاجتماعية في حياة الطفل .

وبعد عدة سنوات من العلاج الفردي للطفل الذي اشتركت فيه الأم مع الأطباء استطاع الطفل أن يتكيف مع المجتمع كما استطاع أن يتخرج بعد ذلك بتقدير ممتاز .



★ الحالة التاسعة ★ (أ)



▲ (ب)

(جـ) ▼



الحالة التاسعة

طفلة عمرها ٥ سنوات ، تشكو من متاعب من وجبات طعامها فلا تتناولها .. طفلة متبناة تعيش ضمن عائلة كبيرة ، حاولت أمها بالتبني أن تعالج عدم إقبالها على الطعام باجبارها على تناوله .. وببقائها في هذا الجو المشحون بتسلط الأم واستبدادها ، فإن بقية حياتها انحصرت في تلقي الأوامر ، وأصبحت كبشاً للفداء وسط العائلة ، كما آلمها التوتر العاطفي السلبي الذي تكنه الأم لها ، التي لم تكن راضية عن تبني الطفلة . وهكذا اتخذت الطفلة وضعاً دفاعياً سلبياً ضد الأم يتمثل في رفضها للطعام .

وقد انكشفت معاناتها وحاجتها للحنان من خلال **المناظر الثلاثة** التي كونتها بألعاب التركيب : فكما نشاهد ، طفلة صغيرة تجلس معزولة عن حركة النشاط ، والحياة التي تدور حولها في برج يكون مغطي في بعض الأحيان **(صورة ا)** ، وتكون الطفلة منهمكة مرة في أداء واجبات دراستها ومرة أخرى في (واجب) الأكل .. كما أن وضع منفضة السجاد بجوار السبورة **(صورة ب)** يدل بوضوح على « العقاب » . وليأسها من ايجاد مكان لطفلتها الدمية فإن الطفلة لا تجد أي ترحيب من الأم الجالسة على الكرسي (صورة ج) .

الحالة العاشرة

طفل عمره ٦ سنوات ، لم يلتحق بالمدرسة بعد ، مصاب بمرض **التبول في الفراش** (سلس البول) ، وأخوه الأكبر نسبياً يعاني من صعوبات دراسية .. وكان الأب قادراً على تذكر مراحل طفولته المبكرة حيث عانى من الخوف والإحباط .. كما أنه لم يستطع أداء واجبات عمله كمدرس ثم كمدير لمدرسة مهنية إلا بصعوبة بالغة .

أما أم الطفل فقد أعطت انطباعاً عن كونها قلقة وغير ثابتة ، وكان أبوها وأخوها يعملان في سلك التدريس ... وقد كان للعائلة أيضاً طفلة صغيرة قضت عدة أشهر من حياتها في عيادة للأطفال للعلاج من اضطرابات في تغذيتها ، وهذه الأخت أصبحت فيما بعد بؤرة ينصب عليها اهتمام الوالدين وعطفهم .

وقبل قدوم هذه الطفلة للحياة كان الطفل عادياً ، لكنه بعد ولادتها أصبح نادراً ما يحتفظ بفراشة جافاً .

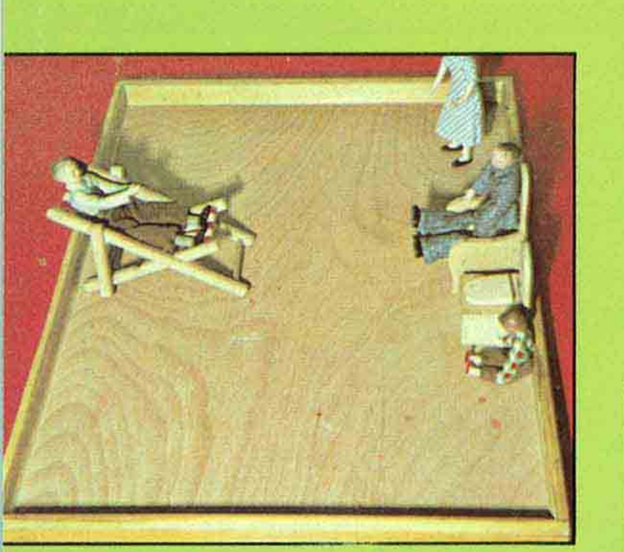
والمنظر الذي كونه الطفل بألعاب التركيب ، يصور بوضوح والديه وهما يأخذان الطفلة في نزهة للغابة وقد أدارا ظهريهما للأولاد الذين يلعبون وبقية الأشخاص . والصعوبة التي يعانيها الطفل في مدرسته ظهرت للنور باختياره لشخصية رجل الشرطة لتمثيل والده (المدرس) أما المرأة الجالسة على الكرسي فهي ترمز إلى العمة التي تزور العائلة من حين لآخر والتي يحبها الأطفال جداً .

الحالة الحادية عشرة

طفل عمره ٦ سنوات يعيش مع **أخت** تصغره في بيئة عائلية يرأسها **أب عصابي** أهمل عائلته فكان ذلك مصدر قلق للأم والأطفال على حد سواء ، كما أن كل شيء في حياة الأسرة كان يدور في فلك الأب المريض المتسلط ، وحول أمور علاجه ، حتى أصبح كأنه الطفل الثالث للأسرة .

وفي كشف الألعاب أظهر الطفل ، بمبالغة رمزية واضحة ، المكانة المسيطرة التي يحتلها الأب المريض إذ مثّله في نفس المنظر مرتين ، مرة وهو جالس على أحد المقاعد الوثيرة ، ومرة أخرى جالساً على كرسي بحر . كما أن الطفل وضع نفسه جالساً على الأرض ويفصله عن والده شيء فسره الطفل على أنه موقد الطبخ ، لكنه في الحقيقة مرحاض كما يقصد به صانعو الألعاب .

وحطاً من منزلة **الأم** فقد أوقفها في **أقصى الركن العلوي الأيمن** ، بينما لم يضع الطفل دمية للدلالة على **أخته الصغرى** (بدافع الغيرة) . وعند علاج الطفل اشتركت الأم مع الفريق المعالج فصرفت نصف وقتها لطفلها ، وعملت نصف الوقت المتبقي في مهنة التدريس ، وهكذا حازت على اعجاب وتقدير ابنها الذي وصفها سابقاً كما في المنظر بأنها (نكرة ولا قيمة لها) .. كما استطاعت أن تحوز على اعجاب زوجها الذي انتزع نفسه من فراش مرضه وبحث عن عمل .



★ الحالة الحادية عشرة ★

★ الحالة العاشرة ★



الحالة الثانية عشرة

فتاة ريفية عمرها ١٣ سنة ، تعتمد اعتماداً كلياً على **أمها المريضة بالقلق** ، والتي لم تطلع طفلتها على حقائق الحياة ، فكان حدوث **العادة الشهرية** لها بمثابة الصدمة في الوقت الذي كان فيه **مدرس الأحياء** في المدرسة يشرح لهم درس **الجهاز التنفسي** ، مركزاً بشكل درامي على **حالة الاختناق** ، فأصابتها موجة هستيرية مصحوبة باضطراب في التنفس .. فأخذها الأبوان المجزوعان إلى غرفة نومهما وأحاطاها بستار من الحنان .. ثم أصابتها تقلصات عضلية فنقلت إلى المستشفى .. وبعد شفائها عادت الفتاة إلى المنزل فعادت لها حالتها الأولى بتأثير الأم القلقة . وفي الفترة الثانية لها في المستشفى خضعت الفتاة لكشف ألعاب التركيب .

في المنظر أدارت الفتاة ظهرها لوالديها الكبيرين في السن وتعلق على ذلك بقولها :

ــ « هذه الطفلة ذاهبة إلى خارج العالم .. إنها مسرعة .. تقول وداعاً .. » .

وعند العلاج أخذت هذه الرغبة « الكامنة » في الابتعاد عن والديها في الحسبان ، فبعد إخراجها من المستشفى أرسلت الفتاة الى **مدرسة داخلية للعلوم** بعيدة عن مكان إقامة والديها ، فاختفت أعراض مرضها تماماً ، ولم تعاودها حتى بعد عودتها إلى منزل الأسرة .



★ الحالة الثانية عشرة ★



★ الحالة الثالثة عشرة ★

الحالة الثالثة عشرة

طفلة عمرها ٦ سنوات ، أفسدها تدليل **جدتها** التي توفيت في حادث سيارة قبل سنة من مرض الطفلة .. ففقدت الطفلة الاهتمام الذي كانت تجده من جدتها ولم تجد من يعوضها عن ذلك الاهتمام .

وفي الوقت الذي رسمت فيه الطفلة هالة من الحب لجدتها ، فإن والديها لم يسمحا لأي كان بدخول غرفة الجدة التي وضعت فيها ذكرياتها وأشياءها .. وبعد سنة من هذه الحادثة بدأت الطفلة تعاني من **القلق العصابي** ، تُرجم فيما بعد إلى خوف من المدرسة . وفي كشف الألعاب أدلت الطفلة باعترافاتها المكبوتة :

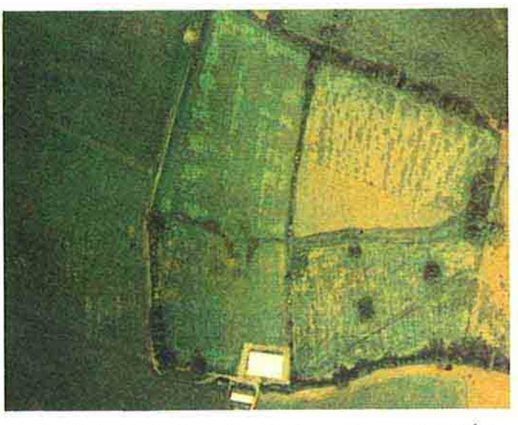
نتيجة لشعورها بالاضطهاد ، وضعت الفتاة كل أفراد العائلة ثم وضعت جسد الجدة الميتة في منتصف المنظر مسجى على السرير .. أما **التمساح** فهو رمز لعدوانية الطفلة .

وعند العلاج ، نصح الأطباء الأبوين بأن يسمحوا لها باللعب في غرفة جدتها حيث تمارس **الرسم** . فكان لهذا أثر كبير في شفاء الطفلة وإقبالها على الدراسة .

الهوامش

(١) راجع مجلة « **الفيصل** » ، العدد ١٨ ، ذو الحجة ١٣٩٨ هـ ، ص ١٥٣

يشهد علم الآثار تطوراً علمياً هذه الأيام . ويقوم علم الآثار تقليدياً بالكشف عن الأشياء التي صنعها الإنسان ، والتنقيب عن الآثار والأماكن التي عاش فيها ، بالإضافة إلى منتجات الصناعة لمجموعة من البشر ، وبناء تسلسل زمني يمكن به تأريخ تلك الآثار والمنتجات الصناعية التي تركوها .





★ هاتان الصورتان عبارة عن مزرعة في مقاطعة Berkshire بجنوب بريطانيا تحتوي على أدلة كثيرة على وجود العصر الحديدي حوالي ١٠٠٠ عام قبل الميلاد ، ولقد أخذت الكاميرا الصورتين في وقت واحد ، الصورة الموجودة في الجانب الأيسر أخذت على فيلم ملون عادي ، بينما الصورة الأخرى أخذت على فيلم لتسجيل الأشعة تحت الحمراء . إن العلامات المبهمة التي لا ترى من على سطح الأرض يمكن رؤيتها بوضوح قرب مخزن الحبوب . فالصورة اليمنى توضح العلامات المبهمة باللونين الأحمر والأزرق . إن هذه العلامات نتجت عن قنوات الري التي ملأت بالتربة منذ زمن بعيد وتعتبر أكثر خصوبة من بقية المناطق المحيطة ، لذلك فإنها تعكس الأشعة تحت الحمراء أكثر من سواها ★

الأساليب التقنية في... علم الآثار

ترجمة : د . احمد عبد القادر المهندس

والواقع أن هذه الطرق التي يقوم بها علم الآثار ما تزال طرقاً حيوية ، ولكنها غدت أكثر شمولا واكتمالا باستخدام بعض الأجهزة والأساليب التقنية المأخوذة من مجموعة كبيرة من العلوم .

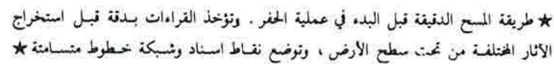
إن التسلسل الزمني يمكن أن يكون أكثر دقة باستخدام طرق التأريخ العلمي للزمن ، **ويمكن بتحليل التركيب الكيميائي للأشياء المصنوعة القديمة أن تعرف مصادر موادها الخام ، ويعتبر هذا شيئاً ضرورياً لمعرفة التقنية والتجارة القديمة .**

ويمكن استخدام علمي **الحيوان والنبات** لمعرفة البيئة التي عاش فيها أسلافنا ، وكذلك معرفة مدى استفادتهم من النباتات والحيوانات الموجودة في عصرهم .

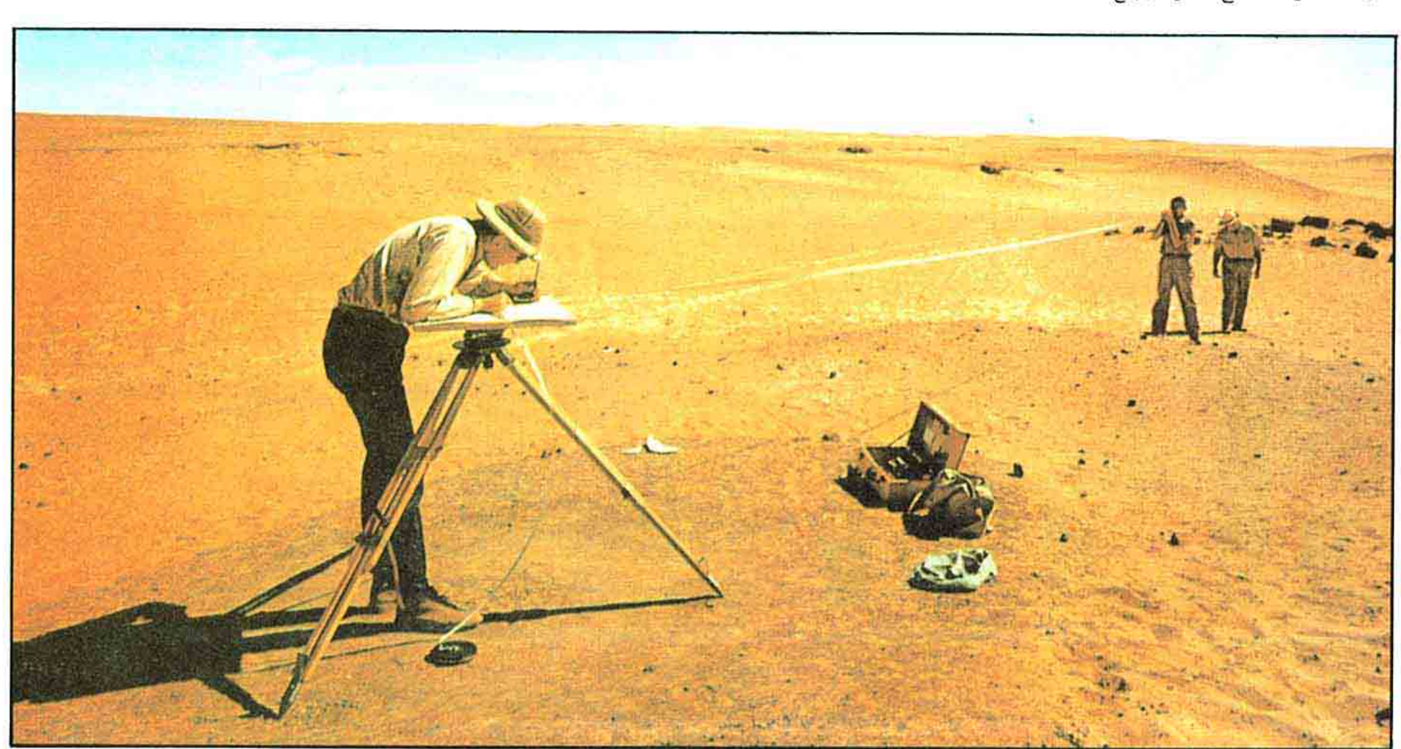
إن طرق الحفر والتنقيب عن الآثار قد أصبح أكثر فعالية وسرعة باستخدام الطرق العلمية لتعيين الأماكن على سطح الأرض ، وكذلك للتطورات في **التسجيل الفوتوغرافي** ، بالإضافة إلى استخدام **الحاسب الآلي** لخزن المعلومات .



★هذه الصورة توضح نظام المقاومة المربع ، حيث يمر تيار كهربائي خلال زوج من الأرجل لجانب واحد ومنها إلى التربة المحيطة ، أما المقاومة فيمكن قياسها خلال زوج الأرجل الأخرى . والخريطة الموضحة تبين ماسورة غاز موجودة داخل جدار غير مكشوف ولا يحتمل وجود بناء في المنطقة ولكن كشف المسح الكهربائي في هذه المنطقة عن وجود فيلا رومانية والخريطة المرفقة عملت بواسطة الحاسب الإلكتروني ، ويلاحظ أن عدد النقاط متغير طبقاً لعدد القراءات ★



★طريقة المسح الدقيقة قبل البدء في عملية الحفر . وتؤخذ القراءات بدقة قبل استخراج الآثار المختلفة من تحت سطح الأرض ، وتوضع نقاط اسناد وشبكة خطوط متسامتة★



اكتشاف الأماكن الأثرية

لقد أظهر **التصوير الفوتوغرافي الجوي** عديداً من الأماكن الأثرية الجديدة . ذلك لأن **أعمال الحفر** لا تستطيع أن تظهر كل التفاصيل الدقيقة للآثار ولكن يمكن رؤية هذه التفاصيل من أعلى عندما تكون **أشعة الشمس** ساقطة بزاوية صغيرة حيث يمكن رؤية الحروف المرتفعة من الأرض والتجاويف بالإشارة إلى الظلال الواضحة . وتكون بعض الأماكن غير مرئية إطلاقاً من على سطح الأرض ، ولكن تحت ظروف مناسبة من المناخ والمزروعات يمكن لهذه الأماكن أن ترى بواسطة علامات المحصول أو الغلة . أما الحفر **وقنوات الري** المملوءة بالتربة العليا الجيدة فإنها تحتفظ بالرطوبة ، لذلك فإن **الغطاء النباتي** فوقها ينمو بصورة أكثر خضرة وطولا ، أما الطرقات المدفونة والجدران فهي تعطي تربة مستنزفة ، وغير خصبة مما يوقف نمو النباتات .

وعندما تقطع أعمال الحفر بعض المظاهر الأثرية ، مثل قنوات الري أو الجدران ، فإن التربة العليا يمكن أن تصبح ملونة بالمواد المأخوذة من هذه المظاهر الأثرية . لهذا فإن المكان الأثري سوف يظهر كعلامات تفيد في التعرف على الآثار .

وقبل عملية الحفر ، فإنه من الضروري أن تحدد بدقة **المظاهر الأثرية على سطح الأرض** بواسطة عدد من الأجهزة التي طورت لهذا الغرض . **فمثلاً عدادات المقاومة** (Resistivity meters) يمكن أن تستخدم لقياس مقاومة التربة لمرور **التيار الكهربائي** . ويمكن لسطح الأرض أن يكون موصلاً جيداً للكهرباء عندما يحتوي على ماء به **أملاح ذائبة** . لذلك فإن التربة المستنزفة يكون لها مقاومة أكبر للتيار الكهربائي عن التربة الأقل استنزافاً . ونجد أن هذه المظاهر

الأثرية المدفونة سوف تحتفظ بدرجات مختلفة من الرطوبة والتي يمكن الكشف عنها بالمقاومة الكهربائية المتباينة من مكان لآخر .

وعند القيام بمسح كهربائي لمنطقة يمكن وضع **قضبان حديدية** متساوية الأبعاد في داخل الأرض على شكل خط مستقيم ، ثم إمرار تيار كهربائي متردد خلال القضيبين الخارجيين ، أما المقاومة فيمكن قياسها عند القضيبين الداخليين . ويمكن تحريك القضبان الحديدية خلال المنطقة في سلسلة من التنقلات الموازية لقياس التغيرات الكهربائية .

وهناك طريقة أخرى يمكن بها الإسراع في **المسح الكهربائي** وذلك بوضع عداد المقاومة على **طاولة** لها أربع **مجسات** حديدية حادة كأرجل ، ويمكن إمرار تيار كهربائي خلال زوج من المجسات وقياس المقاومة خلال الزوج الآخر .

ولقد تطور **العداد المغناطيسي البروتوني** (Proton Magnetometer) لقياس التغيرات الصغيرة في **المغناطيسية** ، وبهذه الطريقة يمكن الكشف السريع عن المظاهر الأثرية في الأماكن التي لا يوجد بها أبراج للأسلاك الكهربائية ، والتي تؤثر على القياس المغناطيسي ، وأيضاً في الأماكن التي يؤخذ القياس مباشرة فوق صخور الأديم .

إن معظم الصخور والتربة تحتوي على جزيئات أكاسيد حديد صغيرة ومبعثرة . وهذه الجزيئات تكون موجهة عشوائياً وتلغي بعضها البعض مغناطيسياً . وعندما تسخن هذه المواد الخام التي تحتوي على جزيئات أكاسيد الحديد إلى درجة حرارة أكبر من ٧٠٠° م ، فإن الجزيئات تفقد مغناطيسيتها ، وعندما تبرد فإنها تتمغنط مرة أخرى في اتجاه المجال المغناطيسي الأرضي .

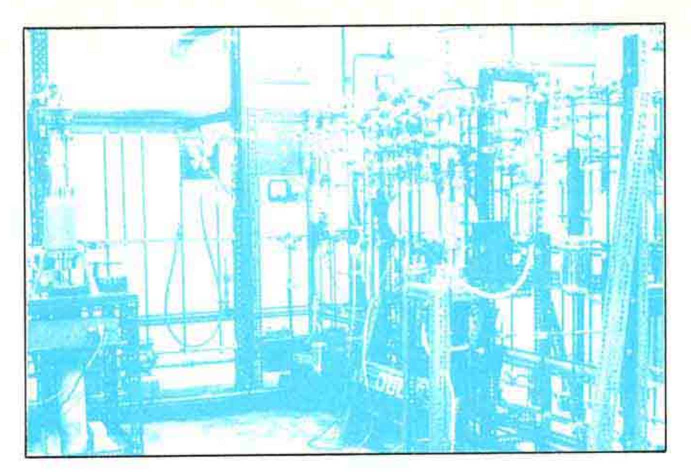
إن هذه الجزيئات المغناطيسية سوف تدعم بعضها البعض ، لذلك فإن **المجال المغناطيسي للمادة** سوف يزداد تبعاً لذلك . ولهذا السبب فعندما تُسخن الأرض التي تحتوي على المواقد والمدافئ والأفران وسواها من مواد حديدية فإنه يمكن اكتشافها بتأثيرها المغناطيسي القوي نسبياً . أما الحفر وقنوات الري المملوءة بالتربة العليا فيكون لها مجال مغناطيسي قوي حيث إن جزيئات أكاسيد الحديد تصطف مع المجال المغناطيسي للأرض إلى درجة معينة ، حتى بدون عملية التسخين الآنفة الذكر ، بالإضافة إلى أن عملية الاحتراق المصاحبة للنشاط الإنساني تميل إلى تحويل أكاسيد الحديد الأقل مغناطيسية إلى أنواع أكثر مغناطيسية .

وليس لأجهزة الكشف الفلزية قيمة كبيرة في علم الآثار على الرغم من الاعتقاد السائد . فإذا قام عالم آثار بالحفر بطريقة صحيحة فإن الآثار القديمة التي تحتوي على الفلزات يمكن التقاطها بطريقة عادية دون حفر ثقوب صغيرة لالتقاط هذه الآثار الفلزية من محيطها الأصلي الذي يشكل قيمة مهمة عند عالم الآثار .

طرق القياس الزمني

كان لاختراع طريقة القياس الزمني بواسطة الكربون المشع أثراً عميقاً على طرق التأريخ الزمني للآثار المختلفة . ذلك لأن كميات صغيرة من النظير المشع للكربون (كربون ١٤) تتكون في الغلاف الجوي الأعلى عندما تصطدم ذرات النتروجين الموجودة في الهواء بالأشعة الكونية . ويحتوي **غاز ثاني أكسيد الكربون** على هذا النظير المتكون حديثاً الذي يتوزع خلال **الغلاف الجوي للأرض** ، والذي تأخذه النباتات في عملية تنفسها ، ثم تمرره إلى الحيوانات المختلفة عندما تأكلها .

وتحتوي جميع المواد الحية كميات صغيرة من **الكربون ١٤** ، والتي تأخذه باستمرار من المستودع الكبير الذي يوجد في الغلاف الجوي الأعلى . وعند الوفاة فإن كمية الكربون ١٤ لا تتجدد بل تقل تدريجياً بمعدل ثابت تقريباً حيث إن **الكربون ١٤ غير مستقر ويتحلل تدريجياً إلى النتروجين** . ولذلك فإن



★جزء من جهاز تحديد العمر بواسطة الكربون المشع . إن الأسطوانة القائمة في الجزء الأيمن من الصورة عبارة عن قنبلة الاحتراق والتي تتبخر فيها العينة المراد تعيين عمرها . وينقل ثاني أكسيد الكربون المنطلق خلال أنبوبة زجاجية إلى الجهاز الموجود في الجزء الأيسر لكي يتحول إلى اسيتيلين ثم إلى بنزين سائل وتقاس بعد ذلك درجة نشاطه الإشعاعي ★

كمية الكربون ١٤ الموجود في عينة **الخشب** أو العظام سوف تنسب إلى عمر تلك العينة .

وحيث أن النظائر تكون متشابهة كيميائياً للذرات المنسوبة لها ، فإنه من الصعب في الواقع أن نعزل الكربون ١٤ ، ولكن يمكن حساب الكمية الموجودة بقياس النشاط الإشعاعي للعينة المراد حساب عمرها . ويمكن عمل هذا عادة بتحويل العينة إلى غاز **كالميثان** (CH_4) مثلاً ثم قياس النشاط الإشعاعي **بعداد جيجر** الحساس والمدرع بصفائح سميكة من الرصاص للوقاية من الإشعاعات الموجودة في الغلاف الجوي .

وهناك طريقة أخرى يمكن بها تحويل العينة إلى **سائل البنزين** (C_6H_6) وقياس الإشعاع بواسطة كمية الايماض أو التألق . ويمكن حساب الزمن بدقة بمعرفة النشاط الإشعاعي للعينة بالإضافة إلى النشاط الإشعاعي لها أصلاً ونسبة التحلل (أو عمر النصف) للكربون ١٤ .

وفي المراحل الأولى لتطور طريقة الكربون ١٤ أمكن حساب النشاط الإشعاعي بفرض أن كمية الكربون ١٤ في الغلاف الجوي ، وفي المادة الحية يبقى ثابتاً لمئات من السنين الماضية ، ولكن ثبت أن هذه الفرضية غير صحيحة ، وذلك بقياس كمية الكربون ١٤ في الأشجار . وتنمو الأشجار بإضافة حلقة حديثة من الخشب إلى محيط الجذع سنوياً ، وفي السنة التي يكون فيها نمو الشجرة جيداً فإن الحلقة المضافة تكون عريضة ، بينما في السنة التي يكون فيها نمو الشجرة سيئاً فإن الحلقة المضافة تكون صغيرة ورفيعة .

إن حلقات الشجر يمكن رؤيتها تقريباً في أي **قطعة** من الأخشاب ، وإذا كان هناك شجرتان تتقاربان في العمر فإنه يمكن أن نرى الحلقات السميكة والحلقات الرفيعة في كلتيهما . ويمكن بهذه الطريقة أن ننشيء سلسلة زمنية طويلة من عينات الخشب ، حيث يمكن أن نقيس الزمن في حلقات الأشجار المتشابهة **في البيئة** .

وفي أميريكا ، أمكن قياس الزمن حتى **٧٠٠٠ سنة** ماضية بواسطة سلسلة من حلقات الأشجار وذلك باستخدام **شجرة الصنوبر** التي تعيش طويلاً . كما أمكن باستخدام شجرة الصنوبر دراسة كمية الكربون ١٤ لكل حلقة مفردة من جذوع الأشجار ، وأظهرت الدراسات أن كمية الكربون ١٤ الموجودة في الغلاف الجوي للأرض قد تغير إلى حد ما بحيث أن هذا قد يسبب أخطاءً كبيرة في قياس الزمن . فمثلاً وجد أن تأريخ الكربون ١٤ لبدء الزراعة في **شمال غربي أوروبا** كان تقريباً ٣٠٠٠ عام قبل الميلاد ، ولكن تأريخ هذا الزمن بالاعتماد على دراسة حلقات شجر



★ أصبح علم آثار البحار مهماً لأنه يكشف عن تركيب السفن القديمة وما تحمله من بضائع . وفي الصورة بقايا من سفينة قديمة قبل العصر الروماني وجدت بالقرب من جزيرة صقلية ★

الصنوبر المذكورة آنفاً يعود إلى حوالي **٣٥٠٠ عام** قبل الميلاد .

إن علم تاريخ الشجر يعتبر أسلوباً علمياً قيماً في حد ذاته . ولقد استخدم هذا الأسلوب العلمي في الحفريات التي جرت في مدينة روسية من القرون الوسطى تسمى «نوفجورود Novgorod » حيث إن الظروف الرطبة كانت مسؤولة عن الاحتفاظ بمجموعة قيمة من خشب الطرقات والبناء . ولقد أمكن معرفة الأعمار المطلقة للدعامات الخشبية في **الكنائس** المعروف زمن تأسيسها ، وذلك بمقارنة عرض الحلقات في مجموعة كبيرة من عينات الخشب .

إن آخر حلقة من الدعامات الخشبية تؤرخ للفصل الذي يقع قبل زمن تأسيس الكنيسة تماماً ، وبهذا فإن حلقات الأشجار لجميع أخشاب نوفجورود Novgorod يمكن تأريخها إلى آخر سنة عند قطع هذه الأشجار .

ولقد عُرف التأريخ بواسطة **التألق الحراري** Thermoluminescence لأول مرة في **مدينة أكسفورد ببريطانيا** في عام ١٩٦٨ م حيث يمكن بهذه الطريقة تحديد الزمن للمواد المحروقة مثل **الفخار** .

إن الدقائق المشعة المنطلقة بواسطة تحلل النظائر الموجودة في أي مادة متبلورة تميل إلى طرد **الإلكترونات** من ذراتها ، وتحبس بعض هذه الإلكترونات داخل الشوائب الموجودة بالتركيب البلوري ، وتتجمع هذه الإلكترونات المحبوسة بمرور الزمن .

وعندما تسخن المادة المتبلورة ، فإن الالكترونات تنطلق ، كما أن الطاقة تعطى على شكل ضوء ، وشدة هذا الضوء أو الوهج يمكن نسبته إلى الزمن الذي انقضى منذ تسخين الإنسان القديم لهذه المادة .

إن الحبيبات الصغيرة لمعدن **الكوارتز** توجد تقريباً في جميع أنواع الخزف ، وتستخدم هذه البلورات عادة في عملية التأريخ بواسطة التألق الحراري . **وقد ثبت أن للتألق الحراري قيمة كبيرة في عالم الفن الدقيق حيث إن هذه الطريقة تعتبر سريعة وناجحة لتمييز الخزف القديم من الخزف الحديث المزوّر .**

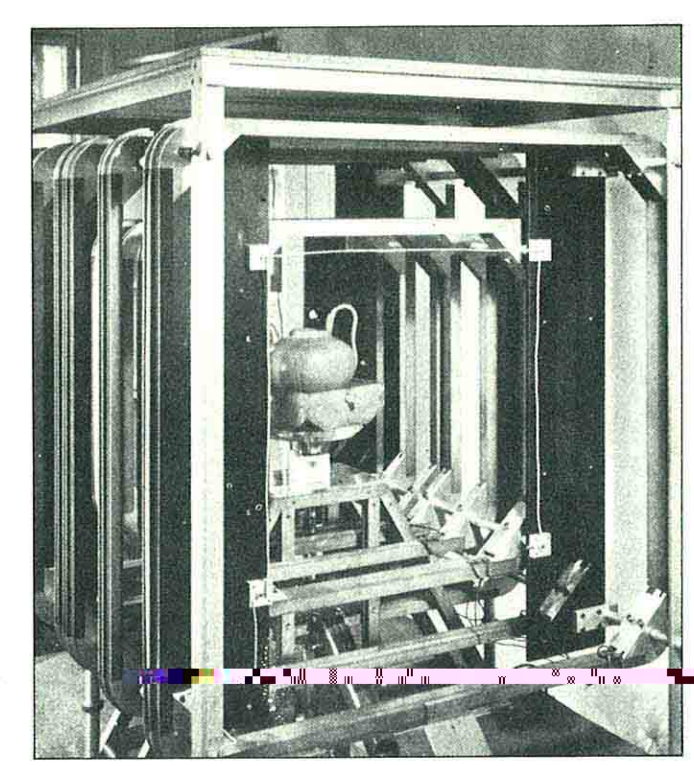
تحليل الآثار المصنوعة

تستخدم المجاهر (**الميكروسكوبات**) غالباً في دراسة تركيب الآثار المصنوعة التي أبدعها الإنسان في تاريخه القديم والحديث . وبفحص قطاعات شفافة من الأدوات الصخرية التي استخدمها الإنسان ، يمكن معرفة نوع الصخر الذي صنعت منه تلك الأدوات . وبمقارنة التفاصيل المعدنية والنسيج الصخري لهذه الأدوات بالصخور الموجودة حالياً يمكن معرفة الصخر الأصلي الذي أخذت منه تلك الأدوات الصخرية بدقة .

وفي **بريطانيا** ، أوضح برنامج البحث الطويل عن العصر الحجري المتأخر ، بأنه كان هناك نقل واسع للصخور من مكان لآخر في ذلك العهد البعيد . وفي **غربي بريطانيا ونيو مكسيكو** انتقلت بعض أنواع الفخار قبل التاريخية لمسافات بعيدة بالطرق التجارية بالرغم من الاعتقاد السائد بأنها محلية .

إن الفحص المجهري للآثار الفلزية المصنوعة لا تعطي أية معلومات عن الأصل ، ولكن شكل وعلاقة البلورات الفلزية يمكن أن تساعد في فهم تقنية صنع الأدوات الفلزية .

إن التحليل الكيميائي للآثار المصنوعة يمكن القيام به بواسطة **«التحليل**



★ عندما يحرق قدر في الفرن ، فإن الجزيئات المغناطيسية الموجودة داخله سوف ترتب نفسها بحيث تقع في اتجاه المجال المغناطيسي الأرضي والذي يتغير مع الزمن ، ويوضع القدر داخل ملفات عداد مغناطيسي وعندما يمر تيار مغناطيسي داخل الملف فإن اتجاه المجال المغناطيسي الأصلي للقدر يمكن تعيينه . وإذا كان اتجاه القدر في الفرن معروفاً فإن عمره يمكن تحديده ★





★ الصورة العليا تبين قطعة من الخزف أو الصخر وهي تصقل ويقلل سُمكها بواسطة ماكينة التجليخ . وتستمر الماكينة في الصقل حتى تصبح قطعة الخزف أو الصخر حوالي ٠,٠٣ مم في السمك وشفافة تقريباً ، وتفحص بعد ذلك تحت المجهر ، ويمكن أيضاً أخذ صورة فوتوغرافية كما في الصورة الموضحة على اليسار . وتبين هذه قطاعاً من قدر صنع في العصر الحديدي بمقاطعة Herefordshire ببريطانيا . ويمكن رؤية شظايا من الحجر الجيري ، وفي المركز يمكن رؤية عقدة من طحالب متأحفرة ★

الطيفي البصري Optical emission spectroscopy » ، وفي هذه الطريقة تحرق كمية صغيرة من العينة بين قضبان كربون يمر بها تيار كهربائي ، ويفصل الضوء الناتج بواسطة مناشير ثم يصوّر الطيف الناتج . ويدل موضع الخطوط السوداء في اللوحة الفوتوغرافية على العناصر الموجودة ، وعلى كمياتها . ويمكن بهذا التحليل الكيميائي أن نميّز بين مجموعات من الآثار المصنوعة ذات التركيب الكيميائي المتشابه واحتمال تشابه أصلها أيضاً .

ولقد أمكن احراز نجاح بارز باستخدام **الأوبسيديان** وهو زجاج بركاني طبيعي لصنع أدوات صخرية حادة في أماكن متفرقة من العالم . **ويوجد الأوبسيديان في مناطق قليلة** ، كما أوضحت الأبحاث في **شرقي البحر الأبيض المتوسط** بأن الأوبسيديان الموجود في المناطق الصخرية المختلفة يحتوي على كمية مميزة من العناصر الثانوية .

إن المكتشفات من الأماكن الأثرية يمكن أن تعزىٰ إلى صخر الأصل بعد التحليل ، ويمكن إنشاء صورة تبين متى استغلت المصادر المختلفة وكيف نقلت تلك المنتجات من مكان لآخر لمسافات طويلة تقدر بمئات الكيلومترات . ولقد استبدل **التحليل الطيفي البصري** إلى حد كبير بواسطة **التحليل التنشيطي النيوتروني** Neutron Activation Analysis ، وهذا التحليل ليس تحللاً هداماً بالإضافة إلى دقته المتناهية . وبهذه الطريقة ، تُعرِّض عينة صغيرة لسيال من **النيوترونات** في **مفاعل ذري** حيث يتحول عديد من العناصر الموجودة إلى نظائرها المشعة . ويمكن قياس **أشعة جاما** الناتجة عن التحلل الذري للعناصر المختلفة ، كما يمكن معرفة كمية العناصر الموجودة بدقة . **ولا توجد طريقة منافسة في الوقت الحالي لطريقة التحليل التنشيطي النيوتروني حيث إنها تعطي معلومات دقيقة عن العناصر النادرة والقليلة جداً** ، ويمكن بهذه الطريقة تمييز المواد المختلفة مثل الفخار والأوبسيديان .

دراسة البيئة

إن دراسة **البقايا البيولوجية** من الأماكن الأثرية لا يحتاج عادة إلى أجهزة دقيقة . ويمكن إثارة عينة من التربة في الماء باستعمال **آلة التعويم أو الطفو** . وهكذا فإن البذور الصغيرة وشظايا الفحم النباتي والعظم والقواقع وبقايا الحشرات ستطفو على السطح . وتعطي هذه الطريقة بعض المعلومات عن الغذاء والنباتات ، بالإضافة إلى المناخ السائد في ذلك الوقت .

وتعتبر حبوب اللقاح مقاومة إلى حد كبير ، ولذلك تبقى محفوظة غالباً في وحل البحيرات والأراضي البور ، وفي مستنقعات فحم البيت . وتعتبر هذه البيئات مهمة لأنها تحتوي على حبوب اللقاح التي تعطي فكرة عن النباتات الموجودة وعن التغيرات المناخية التي حدثت عندما كانت المستنقعات تتكون . ويمكن استخلاص حبوب اللقاح بإذابة أو التخلص من المواد العضوية والمعدنية بواسطة **الحوامض القوية** . ولا تؤثر هذه المعالجة الكيميائية على حبوب اللقاح التي يمكن جمعها على شكل بقايا يمكن فحصها بواسطة المجهر .

ويمكن أن تدل التربة إلى حد ما عن المناخ القديم والغطاء النباتي حيث إن أنواعاً مميزة من التربة تتكون في بيئات مختلفة . إن المظاهر الرئيسية للتربة يمكن دراستها في الحقل ، أما بقية المعلومات الأخرىٰ فيمكن الحصول عليها في المعمل من دراسة حجم الحبيبات والنسيج بالإضافة إلى التركيب الكيميائي والمعدني .


إلى الشباب السعودي الطموح
سلاح المدرعات
بالجيش العربي السعودي
يدعوك... ويحقق لك المستقبل الزاهر
شروط ومزايا الالتحاق :
١- أن يكون سعودي الجنسية .
٢- أن لا يقل عمره عن ١٦ سنة ولا يزيد عن ٢٥ .
٣- حامل شهادة أقل من رابعة ابتدائي يتخرج براتب إجمالي ٢٥٥٠ ريالاً .
٤- حامل شهادة رابعة ابتدائي وأعلى يتخرج براتب إجمالي ٢٧٣٠ ريالاً .
٥- حامل الشهادة الابتدائية وأعلى يتخرج براتب إجمالي ٣٢٣٠ ريالاً .
٦- حامل الشهادة الثانية المتوسطة يتخرج براتب إجمالي ٣٣٥٠ ريالاً .
٧- حامل شهادة الكفاءة المتوسطة يتخرج براتب إجمالي ٣٧٨٠ ريالاً .
مدة الدراسة من ٤ إلى ٢٠ أسبوعاً فقط .
مميزات أثناء الدراسة :
تأمين الإعاشة .
تأمين السكن .
تأمين الملابس العسكرية .
تأمين العلاج للطالب وعائلته .
مكافأة شهرية تتراوح بين ٦٠٠ - 750 ريالاً .
مزايا كثيرة للطالب بعد التخرج :
يمنح راتب شهرين بدل تعيين .
يمنح الرتبة والراتب والعلاوة الفنية التي تناسب مستواه الثقافي .
إتاحة الفرصة له بدخول دورات عسكرية وفنية داخل المملكة وخارجها .
تأمين السكن له ولعائلته ضمن مشاريع إسكان وزارة الدفاع والطيران .
العلاج المجاني له ولمن يعولهم شرعاً .
إتاحة الفرصة له لاستكمال دراسته المدنية .
أجازة سنوية مع إركابه وعائلته على طائرات الخطوط الجوية السعودية لمكان قضاء الأجازة داخل المملكة .
بعد إكمال الخدمة النظامية فله الخيار في الاستمرار أو الاستقالة .
يصرف للفرد المخصصات التقاعدية بعد استكمال مدة الخدمة النظامية .
بادر بمراجعة المنطقة العسكرية التي تسكن فيها.. أو قيادة سلاح المدرعات بحلم في المنطقة الوسطى
ولمزيد من المعلومات يرجى الاتصال بالتليفون رقم ٤٠٤٢٨٨٢/٥٨٢ أو رقم ٣٠٠٩٣ الرياض .
سلاح المدرعات

★ فور انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وفض التحالف العالمي ضد النازية ، انقسم العالم مرة أخرى إلى معسكرين متضادين لكل منهما فلسفته الخاصة ، وايديولوجيته المحددة ، ومصالحه الخاصة التي يدافع عنها بالأنياب والأظافر .

وأفضى هذا الانقسام إلى صراع دولي من نوع لم يسبق أن عرفت البشرية مثله في تاريخها الحضاري ، وأهم ما يلفت النظر ويجذب الاهتمام اختلاف طبيعة التسابق ، فالدول المتصارعة لم تشتبك في معارك النار والدخان ، بل دلفت إلى صراع سلمي من خلال ساحة العلم . وتحولت المعامل وقاعات البحث والدراسة إلى حلبة التنافس ، وتحت مظلة الهدوء والسلام النسبي الذي ساد العالم بعد الحرب ، أحرز العلماء انتصارات علمية سحرت العقول ، وأخذت بالألباب وأرهبت الأفئدة ★

نقل التكنولوجيا بين الأحلام والواقع

بقلم : د . محمد نبهان سويلم

وانعكست آثار هذه التراكمات العلمية على مجالات **التقنية** ، فبينما كانت تكنولوجيا الأمس مجرد عمليات ميكانيكية محددة الدلالة ، نراها اليوم وقد بلغت من الرقي مبلغاً عظيماً ، وتطورت تطورات ساحقة على أسس صلبة وقواعد ثابتة من الاكتشافات الدقيقة التي تتناول طبيعة المادة والطاقة . وبفضل هذا التطور المذهل **أصبحت التكنولوجيا صنواً للعلم . أو أصبح العلم صنواً للتكنولوجيا** أو أضحى كلاهما وجهان لعملة واحدة .

والصراع العالمي الدائر الذي أفرز هذا الرقي ، وأفصد هذا التطور إليه يعزى الفضل في هدم **نظرية الاستعمار العسكري** بظلاله الكئيبة التي امتدت على **إفريقيا وآسيا** خلال القرنين الماضيين وأغلب الفترة المنصرمة من القرن الحالي . وأكدت مجريات الأمور بعد الحرب حتمية حصول الدول المستعمرة على استقلالها مهما طال الزمن ، وباعدت بينها وبين الاستقلال الشقة . ولم تمض سنوات . . حتى ظهرت على خريطة العالم دول حديثة الاستقلال ، تحمل على كاهلها تركة مثقلة بالغة السوء من مشاكل هي الميراث الطبيعي لتلك الحقبة السوداء في تاريخها .

وفي فرحة الاستقلال وعشية نواله طغت المشاكل الموروثة جنباً إلى جنب مع رغبة الدول الجامحة في النماء والتطور تطلعاً إلى مستقبل ومعيشة أفضل . . . وعلت الأصوات المخلصة في الدول حديثة الاستقلال ، ودرست الدول وبحثت ووجدت نفسها أقرب إلى الحيرة منها إلى اليقين من أمرها ، فهي لا تستطيع غض البصر عن النمط الأوروبي في التنمية تحت دعوى **الاصالة** أو تحت **شعار إحياء تراث السلف** واتباع خطواتهم الرشيدة على درب الحياة . . . وعندما اقتربت من نمط التنمية الأوروبية اكتشفت أن آمالها في التنمية تصطدم بفجوة حضارية هائلة يجب عليها اجتيازها .

وحاولت الدول الجديدة البحث عن معين ، والتقت في مؤتمرات جمعتها سوياً سعياً وراء طريق الخلاص ، لكن هذه المؤتمرات أوضحت أن نوعية المشاكل تختلف من بلد لآخر ، ومن مجتمع إلى مجتمع ، وأنه ليس بالإمكان ولا يوجد حالياً حل واحد شامل أو نظرية عامة يسهل تطبيقها في تنمية هذه المجتمعات المتباينة . وعلى ضوء هذه الحقائق دعت الحاجة إلى ايجاد مفاهيم مشتركة توصف **التقسيم الاجتماعي الاقتصادي** في مجموعة **دول العالم الثالث** وبيان مدى حظها من عوامل التقدم والتخلف .

مفهوم التقدم والتخلف في المجتمعات

تحمل كلمات مثل **الفقر والغنى أو التقدم والتخلف** معنى نسبي ودلالة غير محددة تتوقف على المعايير المستخدمة في القياس وعلى بيئة الدارس أو الباحث . ولذا حاول **علماء الاجتماع** الاتفاق على معايير واضحة . وهم في هذا الشأن يقسّمون الدول أو المجتمعات إلى ثلاثة أقسام أطلقوا عليها **المجتمعات التقليدية - الانتقالية - والحديثة** . ولكل مجتمع خصائصه

المميزة وسماته الخاصة .

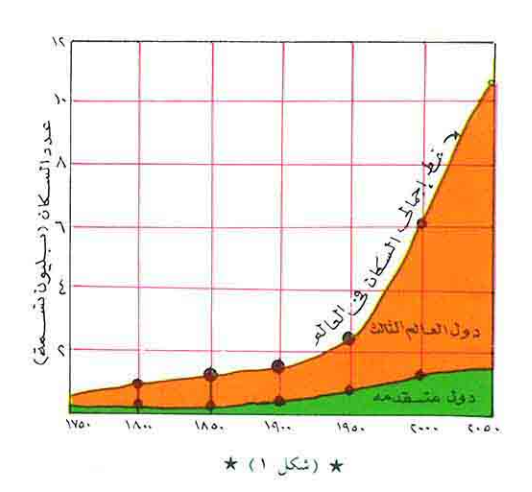
المجتمع المتخلف أو التقليدي يميل إلى **الإنتاج الزراعي النمطي** ذو الإنتاجية المحدودة والعائد القومي الضحل ، كما يتصف بكثافة سكانية عالية مضطردة الزيادة ، مما يجعل متوسط الدخل القومي للفرد لا يكاد يفي باحتياجاته من الغذاء والكساء والعلاج والتعليم ، ومثل هذه المجتمعات تعاني من أمراض اجتماعية شبه مزمنة ، وتتفشى بين أفرادها **الأمية التعليمية والأمية الثقافية .**

وعلى النقيض من ذلك تماماً تتشكل **المجتمعات والدول الحديثة المتقدمة** ، التي يعتمد اقتصادها في المقام الأول على التكنولوجيا . . تدير دفة انسياب المجتمع على مجرى الحضارة . . وتدار في مجمل أنشطته اليومية ، نراها في **الصناعة** ، ونلمسها في **الزراعة** ، ونحس بها وندركها من **الإعلام والإدارة والتعليم والتربية البدنية .** ويكاد نبض المجتمع كله يسير وفق خطط مدروسة واضحة الأهداف ، محددة المعالم ، مميزة الأبعاد ، تتصف برؤية مستقبلية وفق استراتيجية شاملة ، لها مسار منهجي مدروس .

ويقع **المجتمع الانتقالي** وسطاً بين التقدم والتخلف ، ويعتمد على تصدير خاماته الأولية إلى جانب عناصر من التخلف والتقدم . ويندرج تحت مظلة المجتمع الانتقالي معظم دول العالم الثالث والتي يبلغ عددها ١٤٠ دولة . **وتقع معظم دول المنطقة العربية في قطاع الدول الانتقالية الحديثة ولديها موارد مالية من النقد الأجنبي .**

وقد حسمت **الأمم المتحدة** مرونة التعاريف الأكاديمية وعلى هدي دراسات واسعة في **الدول النامية** ، فقدرت أن الحد الأدنى لمتوسط دخل الفرد يجب ألا يقل عن ٣٠٠ دولار في السنة من الدخل القومي .

ويتبادر على الفور تساؤل . . . وهل يحقق الأفراد في كثير من الدول النامية هذا الحد الأدنى ؟ والإجابة . . دون لف أو دوران . . لا . . وأشير على قارىء **مجلة الفيصل** الكريم أن يطوّف بصره على **ثلاثة أشكال** خطية . يوضح **الأول** منها **الانفجار السكاني** المنتظر في العالم وعلى الأحرى في دول العالم الثالث . كما يوضح **الشكل الثاني** علاقة **متوسط الدخل بعمر الفرد** والمستخدم كأحد معايير معرفة رفاهية الدول . **والشكل الثالث** يتضح منه علاقة **دخل الفرد بنسبة المواليد** لكل ألف مواطن في الدول النامية .



★ (شكل ١) ★

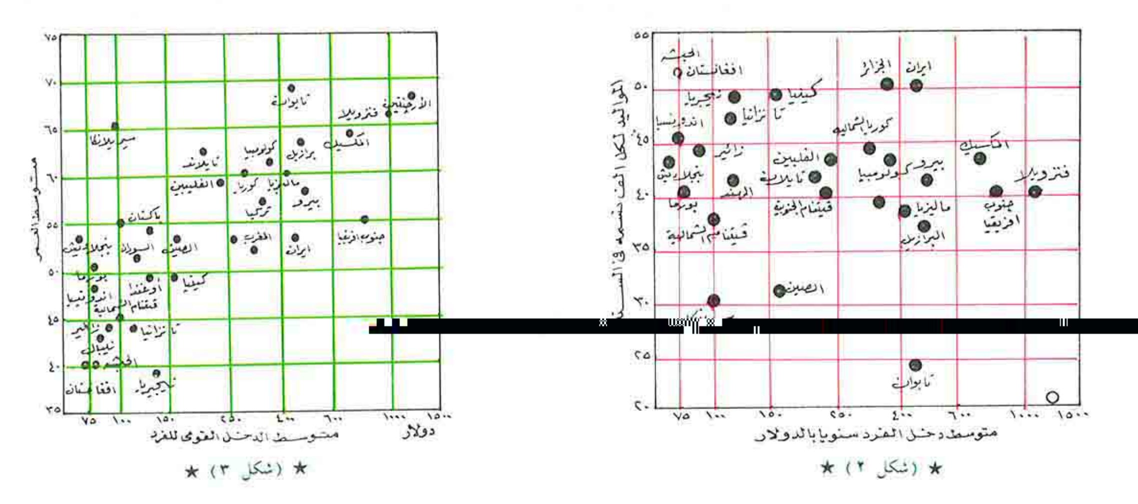
لا بديل عن التنمية بنقل التكنولوجيا

ونرد على السؤال **وما الطريق إلى التنمية** ؟ والإجابة باختصار شديد لا بديل عن التنمية ونقل التكنولوجيا ؟ ويقول **الدكتور سعيد محمد المهدي** : إن الدول النامية غنية بمواردها الطبيعية والبشرية ولكنها تفتقر إلى **الخبرة الفنية** اللازمة لتشييد الصناعات وميكنة الزراعة وتصنيع المواد المنتجة من الأرض للاستهلاك المحلي وتصنيع الفائض للتصدير . وفي كل هذا نعتمد على الدول المتقدمة .

ويؤيد هذا الاتجاه في الدول النامية المعلق الاقتصادي الألماني **الفن بروك ..** ويدلل تأكيداً لرأيه ، بأنه لولا نقل المعرفة المتطورة لما حدث الانفجار السكاني ، حيث أدى نقل المعرفة الطبية إلى انخفاض نسبة الوفيات التي أوصلت العالم إلى **الثورة الصناعية** ، التي أفضت إلى رفع مستوى المعيشة ، ولولا الأساليب العلمية الحديثة في الصناعة والزراعة وتوفير الطاقة ووسائل النقل والتخزين لما استطاع العالم مواجهة مشكلة توفير الغذاء للبشرية . ويقول الفن بروك . . على هدي هذه التجربة العالمية الفريدة يجب على الدول النامية السعي جاهدة إلى زيادة مساهمتها في التجارة الدولية ومن حقها المطالبة بدخول التكنولوجيا الحديثة إلى أراضيها .

ويؤكد **جونار ميردال** في كتابه « **الدراما الآسيوية** » على ضرورة اسراع الدول النامية في نقل التكنولوجيا على القائم من الهياكل الإنتاجية سيان كانت زراعية ، صناعية أو خدمات . . لأن ديناميكية العلم والتكنولوجيا حققت تقدماً مذهلاً قد يأتي بأبلغ الأضرار على اقتصاد الدول النامية . ويعطي جونار ميردال بعض الأمثلة قائلاً : إن **رقائق البلاستيك** أحلت بديلاً عن أكياس الجوت والخيوط الصناعية التي شاع استخدامها في صناعة الحبال ، وينتظر أن تدفع المصانع قريباً **شاي صناعي وكاكاو** لم يسبق زراعتها ، بل زرعا بين جدران الآلات ، وبن صناعي ، وكل هذه منتجات تأتي بآثار خطيرة على **اقتصاد دول جنوب شرقي آسيا** والتي تحصل على أغلب دخلها القومي من تصدير ٧٣,٧ ٪ من **الشاي** ، ٦٨,٤ ٪ من **الجوت** ، ٦٣,١ ٪ من **الكاكاو** . . من إجمالي صادرات العالم .

ويناقض الآراء السابقة ما يردده علماء آخرون .. يرفعون



★ (شكل ٢) ★

★ (شكل ٣) ★

أصواتهم تحذيراً من خطر نقل التكنولوجيا بأنها تخلق مشاكل اجتماعية جديدة مثل تغيير العلاقات في المجتمع وادخال مفاهيم جديدة على مجتمعات ساكنة نسبياً ، كما لا يمكن إهمال الأضرار الناجمة عن تلوث البيئة .

لكن الدول النامية فاضلت بين المزايا والعيوب ، ورأت في النهاية أن المنافع تفوق الأخطار ، وأن الإقدام على التجربة خير من التردد ، ودخول المعترك مبكراً أفضل من الانتظار .. فالهوة تزداد .. والمسافات على درب الرخاء تتباعد ومن ثم وضعت الخطط الطموحة للتنمية ، وبدأ طرق أبواب الدول المتقدمة .

نقل التكنولوجيا .. بين الإنسانية والأحلام

الدول النامية عندما طرقت الأبواب ساندها في ذلك أمران .. **الأول** قناعة ذاتية بأنه من الممكن تكرار النمط الأوروبي الغربي في التنمية واعتماده أساساً على نقل التكنولوجيا من **انجلترا** . **والأمر الثاني** تمثل في أن دعوى نقل التكنولوجيا رفع لواءها مفكرو العالم في إطار المسؤولية الدولية للدول المتقدمة على تنمية الدول الفقيرة ، بما يكفل لها قدراً من الرخاء ويبعد عن شعوب العالم الفقير المنحدر الذي تكاد تتردى فيه تحت ضغط الحاجة والفقر .

ويبدو أن دول العالم الثالث تطيرت بقناعتها الذاتية ، فهذه القناعة لم تلاق في الأوساط المتقدمة كثيراً من الترحاب ، فقد رددوا أن لا أحد ينكر بأن انجلترا هي رائدة الثورة الصناعية وإليها يرد الفضل في تطور اقتصاد أوروبا الغربية وأميريكا ، فقد التقطت هذه الدول اكتشافات الانجليز وطورتها بحيث كاد التطور يحقق الأفضل . وإذا شاءت الدول النامية اتباع نفس الطريقة فإنها تطرق باباً صعب المراس . فالدول الغربية تقع تقريباً تحت نفس المناخ ونفس الظروف الحرارية ، كما أنها تملك رأس مال ضخم ، ولم تستدن في نموها ما يزيد عن ٣ ٪ .. وتملك أسواقاً هائلة ضاربت فيها انجلترا ، ولا تعاني من مشاكل زيادة السكان أو فقر الدعامة العلمية والفنية للأفراد فالجميع أبناء الحضارة الأوروبية الحديثة .

هذا من جانب النقطة الأولى .. أما عن **الدعوى الإنسانية للتكافل الدولي** ، فقد عقب عليها بعض أهل الاقتصاد وقالوا إنها دعوى تحمل قدراً لا بأس به من الرحمة ، لكن ، لا يشترط وجود دافع إنساني يدعمها ، والمرجح أنها رد فعل حقيقي للمشاكل الاقتصادية التي تتعرض لها الدول المتقدمة الاحتكارية ، وذلك لفشل النظام الاقتصادي العالمي المبني على اصرار الدول الصناعية على استحلاب خامات وثروات دول العالم الثالث والابقاء عليها مجرد أسواق للسلع التي تنتجها .

ورغماً عن هذه التناقضات الحادة .. عقدت مؤتمرات عديدة للتعاون الدولي ، منها ما عقد في جهات متفرقة من العالم ، وأخرى عقدت تحت سقف وعلم الأمم المتحدة ، وحضر جانب من هذه المؤتمرات بعض رؤساء الدول النامية ، في محاولة مخلصة لاكساب فكرة التكافل الدولي مزيداً من الأنصار .

ولم تحقق المؤتمرات ما كان يرجى منها وكانت بمثابة كشف الغطاء عن النوايا ، وكشفت عن ثلاث من نقط القصور يتحتم على الدول النامية الإعداد لها والعمل على تلافيها .

●● **الأولى** : اتضح **أن غالبية الدول النامية في مسيس الحاجة إلى رؤوس أموال ضخمة** يلزم انفاقها في إرساء البنية الأساسية مثل (الطرق ـ الموانىء ـ محطات توليد القوى ـ خدمات الاتصال المحلية والدولية .. الخ) ، فالتجربة دلت على أنه لا توجد دولة نامية حصلت بطريق أو بآخر على نقل تكنولوجيا الإنتاج إلى أراضيها وحققت هذه الصناعات المستهدف منها في غيبة البنية الأساسية .

والدول النامية لا تجد سبيلاً عن **القروض الطويلة والقصيرة** لمجابهة مثل هذه الإنشاءات الضخمة ذات العائد غير المباشر وغير السريع مما يثقل من كاهل **ميزان المدفوعات** ويضيف عليه أعباء فوق أعباء .

●● **الثانية** : على الدول النامية تدبير **عمالة ماهرة** بداية من المدير الذي يحسن اتخاذ القرار وإحكام القيادة ، وإعداد العامل المدرب تدريباً عالياً ، فتكنولوجيا اليوم بالغة التعقيد باهظة التكاليف وتتطلب مواكبة بين العلم والتقنية

●● **ثالثاً** : وهو الأهم والأخطر .. فشراء التكنولوجيا ـ إن وافقت عليه الدول المتقدمة ـ سيتم من مراكز احتكارية ، وهي بذلك تظل سيدة الموقف إلى أمد ليس قريب . **قطع الغيار** ستمر إن شاءت من بين قبضتها ، **المواد الوسيطة** سوف تتحكم في أسعارها بما يناسب مصالحها .. **براءات الاختراع** وحق المعرفة والتطوير ستحكم عليها سيطرتها وكلها أمور تصبح رهن العلاقة بين الدول النامية والدولة المتقدمة .

من يبيع التكنولوجيا وماذا يطرح في الأسواق ؟

كل المداولات الدولية أكدت الطبيعة الاحتكارية والجموح إلى السيطرة على الدول النامية ذات الموارد الاستراتيجية الهامة . وقد لوحت بعض الدول المتقدمة إلى استعدادها للتعاون لكنها لم تعلن عن نوعيات التكنولوجيا التي تطرحها في الأسواق . . ولم تتحمس كثير من الدول في التعاون الحقيقي رغم ما قيل تحت الأضواء في المؤتمرات الدولية السبعة التي انعقدت تحت قبة الأمم المتحدة وكان أخطرها المؤتمر المنعقد في سبتمبر (أيلول) عام ١٩٧٥ م ، ومنه اتضحت المعالم الأساسية للسيطرة .

والدول التي تحمست تعرض التعاون في مجالات الصناعات الغذائية والصناعات التحويلية ، كما تقبل تصدير تكنولوجيا وسط بين القديم والحديث منها ، وهي في هذا الصدد تبغي تفريغ مجتمعاتها من مشاكل العمال والنقابات والتلوث والحصول على ثمن هذه المعدات القديمة من دم أبناء الدول النامية . كما طرحت الدول المتقدمة مشاريع المشاركة للتمتع بمزايا الاعفاء الضريبي والجمركي وتشغيل عمالة رخيصة وتوفير نفقات نقل المنتجات .

ورأت **فرنسا وألمانيا** مثلاً ، التعاون في **تكنولوجيا الشمس** وتشجع الشركات الألمانية والفرنسية هذا الاتجاه وترحب به لأن هذا معناه فتح أسواق جديدة واسعة لأجهزة **الطاقة الشمسية** وحتى شركات البترول شجعت هذا النحو في التبادل . . فليس عندها ولاء شخصي للبترول ، فإذا كانت طاقة الشمس هي ميدان الربح في المستقبل فلا يوجد ما يمنع من الاتجاه إليها .

وخلال المؤتمرات شعر المؤتمرون الفقراء أن الدول المتقدمة لا زالت تخشى الطفرات الإنتاجية للعالم الثالث ورخص منتجاتها النسبي ومنافستها الشديدة في الأسواق العالمية ، وأنهم يخشون تكرار « درس » دخول **سنغافورة وكوريا وتايوان** السوق العالمي .

كما أن الدول المتقدمة تشترط شروطاً غاية في الاجحاف من حيث التدريب والبحوث ، كما تبدي كثيراً من التحفظات الشديدة تجاه المفارقات التجارية .

والدول النامية حيال كل هذه الملابسات تقف بين المحظور عليها أصلاً والحذر من المعروض أساساً . . فليس كل ما يباع يشترى . . بل يتحتم على الدول النامية الخروج من دراسة جوانب المشكلة برؤية واضحة والاسراع في إقامة المشاريع الإنمائية المشتركة بين دول العالم الثالث ذاته . وهي دول تحتوي على تشكيلة واسعة . . منها من هو غني بالمال . . ومنها من اكتسب خبرة تكنولوجية إلى حد كبير وطرق إنتاجيتها تلائم العمالة الكبيرة الأعداد ، ومنها مناطق تضم عمالة مكثفة ورخيصة ، وعلى امتداد العالم الثالث منح الخالق أرضها ثراءاً طبيعياً زراعياً وصناعياً بلا حدود .

الدول العربية .. والمشكلة

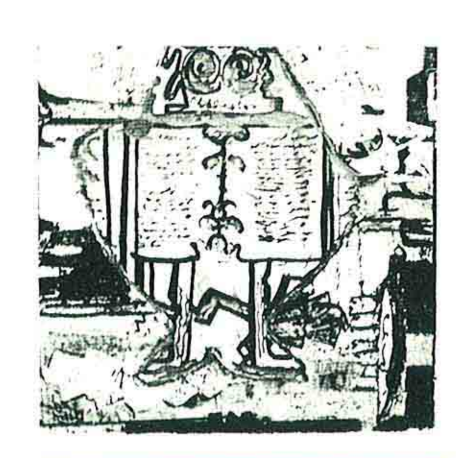
ويجيء الدور على **الدول العربية** قلب العالم الثالث به تتأثر وفيه تؤثر . . والمشكلة تهمها بالدرجة الأولى . . ولأجلها عقدت مناقشات وندوات ومؤتمرات كان آخرها **المؤتمر الهندسي العربي الرابع عشر** الذي عقد في مدينة **دمشق** في أبريل (نيسان) ١٩٧٨ م . وطرح المؤتمر حصيلة النقاش على هيئة توصيات يضعها أمام الدول العربية ، وتشير التوصيات بضرورة تغيير أنماط التعليم العربي ، **والاهتمام بالتعليم الحرفي والمهني** . كما توصي بشدة **بالأخذ بالأنظمة الإدارية الحديثة** . وحذرت التوصيات من مغبة الاستمرار في استيراد المنتجات الحضارية ، وعدم استيراد تكنولوجيا لا تلائم ظروف الدول العربية الاجتماعية والاقتصادية . وربط ما يستورد بالمدارس العلمية العربية والعالمية **ودعم البحث العلمي العربي الموحد الاتجاه والهدف** .

* * *

وقبل كل شيء . . وبعد كل شيء علينا أن نمتثل إلى قول الحق سبحانه وتعالى : **﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾** .

هوامش

١ ـ د . جيهان أحمد رشتي ، نظم الاتصال في الدول النامية .
٢ ـ الموارد والإنسان ، مجموعة دراسات صادرة عن دار نشر فريمان .
٣ ـ د . سعيد المهدي ، مجلة الدوحة ١٩٧٧ م .
٤ ـ اقتصاديات البيئة ، مجموعة دراسات صادرة عن دار نشر فريمان .
٥ ـ جونار ميردال ، الدراما الأسيوية .
٦ ـ د . محمد نبهان سويلم ، مجلة المهندس العدد ٢٤ .
٧ ـ مطبوعات الأمم المتحدة حول السكان والتنمية .





بعض الحديث ... في الكتب

محمد حسين هيكل

قبل عشرين سنة تقريباً رحل عنا الأديب والمفكر العربي **الدكتور محمد حسين هيكل** رحمه الله ، وهو أشهر من أن يذكر بالتفصيل ولكن دواعي ما كتب عنه بعد رحيله توجب على القراء أن يلتفتوا إلى ما قيل عنه ، ولا غرابة أن يهتم حملة الأقلام العربية بدكتورنا هيكل كفاء ما قدم للفكر العربي الحديث إنتاجاً ثراً وعلماً وافراً جماً . من ذلك رسالة الماجستير التي أصدرها **الدكتور طه وادي** بعنوان : « هيكل حياته وتراثه الأدبي » ، ثم رسالة ماجستير أخرى **للدكتور عبد العزيز شرف** عن « فن المقال الصحفي في أدب هيكل » ، وهناك دراسة للباحث الألماني الشاب **بابريوها نزن** نال بها درجة الدكتوراه عام ١٩٦٥ م ، من جامعة برلين الحرة تحت عنوان « رؤية الدكتور هيكل للشرق والغرب كواحد من الليبراليين المصريين » . وأخيراً وفي الذكرى الحادية والعشرين لوفاة الدكتور هيكل أصدر الدكتور عبد العزيز شرف كتابه في سلسلة (اقرأ) ، الذي يحتوي أربعة فصول وهي على النحو الآتي :

١ ـ السيرة .

٢ ـ الكاتب .

٣ ـ الدكتور هيكل والقضية الوطنية .

٤ ـ الدكتور هيكل وبعض القضايا الفكرية .

وهي فصول من المنظور للقارىء أنها قد شملت حياة الدكتور هيكل وفكره وأدبه خاصة من الناحية السياسية كصحفي ومن الناحية الأدبية كمفكر .

وإذا ما نظرنا إلى الناحية الأولى وجدنا الدكتور محمد حسين هيكل ذلك الصحفي الثائر لوطنه مصر في زمن مر بمصر يعتبر من أسوأ الأزمنة والعصور المتأخرة . ولقد كانت تئن تحت وطأة الاحتلال الانجليزي .. فالفرنسي أو بالأصح هو العكس الفرنسي فالانجليزي ، يوم كانت مصر محكومة من قبل أعدائها الغربيين ، وكان الصراع على أشده لحصولها على الاستقلال .

في تلك الفترة الحاسمة ، كان الدكتور محمد حسين هيكل يجاهد بقلمه الصحفي من على منبر صحيفة « **السياسة** » فصحيفة « **السياسة الأسبوعية** » ، التي ترأس تحريرها فيما بعد ، وازاء ذلك كانت قد بدأت سمعته تخترق الوسائل الإعلامية والأوساط الأدبية والفكرية خاصة وهو لم يكتف بالكتابة الصحفية وإنما أردف قلمه من الناحية الأدبية بالكتابة والتأليف الفكري . وهذه هي الناحية الثانية التي أشرت إليها من قبل .

وفي هذه الناحية نجد الدكتور هيكل بادىء ذي بدء أديباً ثائراً ـ إن صح التعبير ـ ولعل ذلك يعود إلى الارهاصات السياسية التي دفعته إلى الكتابة الصحفية ، من على منبر (السياسة الأسبوعية) . فقد أصدر أول قصة أو رواية أدبية في الأدب العربي الحديث **(زينب)** وراجت هذه القصة ونجحت . ثم أصدر كتابه **(ثورة الأدب)** كشظايا فكرية تتحدث عن ما يكنه الوضع الأدبي للأمة العربية في عصرها الحديث والمعاصر وما يعانيه هذا الوضع من جمود وركود وتدهور .

والمعروف في هذا الصدد وأثناء الفورة الفكرية التي حملها الدكتور هيكل كان معجباً بالمنهج الغربي في الثقافة وفي ميادين الحضارة والأدب والتاريخ فألف **(تراجم شرقية وغربية)** و **(في أوقات الفراغ)** .

ومن بعد ذلك رأينا هيكل يدخل في باب جديد من التأليف وهو **التاريخ الاسلامي** فألف **(حياة محمد)** و **(الصديق أبو بكر)** و **(الفاروق عمر)** ، ولو أمهله الزمن لأكمل السلسلة كما يقول الدكتور عبد العزيز شرف لكن الوفاة عاجلته إلى العالم الآخر .

وبغض النظر عن الخلفية الفكرية من نتائج هذا التأليف بما عرف عن الدكتور هيكل أو كما يجب أن يعرف عنه ، من تتبع تبعاً لاعجابه بالغربيين والمستشرقين في المنهج ، والتأليف في التاريخ العربي والحضارة الإسلامية وما يخالط هذه الطريقة في التأليف من أخطاء سلبية ، فإن أمراً ما كان يجب أن يفوت مؤلفنا الدكتور شرف وهو يشير إلى كتاب **(من منزل الوحي)** ، الذي يعتبر آخر تأليف أصدره الدكتور هيكل رحمه الله وذلك بعد عودته من حج بيت الله العتيق بمكة المكرمة ، وناهيك بما تحدث فيه المؤلف هيكل في هذا الكتاب من تراجع واعتراف عما قد سلف من خطأ فكري صدر منه رحمه الله وهذا ما لم يتطرق إليه الدكتور عبد العزيز شرف في كتابه (محمد حسين هيكل في ذكراه) ....!!

فاروق صالح باسلامة
مكة المكرمة



التفاؤل بالاسم

★ سأل عمر بن الخطاب رجلاً أراد أن يستعين به على عمل، عن اسمه واسم أبيه، فقال الرجل:

– «ظالم بن سُراقة»، فقال: تظلم أنت ويسْرق أبوك ؟! ..

ولم يستعن به عمر في شيء ★

في الغدر .. والاعتذار

★ رُبّ ملوم .. لا ذنب له.

الأحنف بن قيس

★ «قد أغناك الله بالعذر عن الاعتذار، وأغنانا بحسن النية عن سوء الظن».

جعفر بن يحيى

★ إن كان وجه العُذر ليس ببيّن
فإنّ أطّرح العذر خيرٌ من العذرِ

محمود الوراق

★ عَذيريَ من طول البكا لوعةُ الأسى
وليس لمن لا يَقبل العُذْرَ من عُذْرِ

أبي عمر أحمد بن محمد
ابن عبد ربه الأندلسي

أوائل

★ أول مولود بالمدينة المنورة – بعد الهجرة – كان **عبد الله بن الزبير**.

ويحكى أنه عندما وصل المهاجرون إلى المدينة، وأقاموا فيها، لم يولد لهم مولود، وظلوا على هذه الحال لفترة، وعندما ولد عبد الله بن الزبير، كبّر الناس تكبيرة ارتجت لها المدينة من الفرح، وكانت ولادته في شوال لعشرين شهراً من الهجرة، وأمر رسول الله ﷺ أن يؤذن في أذنه، فأذن أبو بكر ★

★ أول مولود من الأنصار، هو **النعمان ابن بشير** .. وكان ذلك لأربع وعشرين شهراً من الهجرة ★

★ أول من أخّر «**النيروز**»، المتوكل، والنيروز هو أول يوم من أيام السنة الشمسية، وهو يعتبر يوم للفرح عموماً ... وقد قال البحتري شعراً يمدح فيه المتوكل ويذكر تأخير «النيروز»:

لك في المجد أول وأخير
ومساع صغيرهن كبير
إن يوم النيروز عاد إلى العهد
الذي كان سنه أزدشير
أنت حولته إلى الحالة الأو
لى .. وقد كان جائراً يستدير
وافتتحت الخراج فيه فللأ
مة في ذلك مشهد مذكور

أصغر

أصغر مؤلف في العالم:

● يروى أن «جانيه ايتشيسون» البريطاني الجنسية، هو أصغر كاتب نُشر له، حيث استطاع أن يؤلف روايته: «قصة القبطان» وعمره خمس سنوات ونصف (!!!!)

أصغر خط:

● كتبه – حفراً على المعدن – الدكتور «**أنتوليكولا ديلسنكي**»، وهو فنلندي الأصل.

● تمكن من حفر ١٨٥ حرفاً في المليمتر المربع الواحد.

أسرع

أسرع كاتب ومؤلف في العالم:

● الكاتب الأمريكي «ايرل ستانلي جاردنر» ١٨٨٩ – ١٩٧٠م، يروى أنه أسرع مؤلف في العالم .. وهو مؤلف المسلسل التلفزيوني المشهور «بيري مايسون» الذي عرض في أغلب بلاد العالم.

ويحكى عن هذا الكاتب أنه كان يملي عشرة آلاف كلمة في النهار، ويؤلف بمساعدة معاونيه سبعة كتب في الوقت نفسه، ألّف ١٤٠ كتاباً، باع منها مليون نسخة.



الرسم على الزجاج

★ لوحة تصور البطل الأسطوري الشعبي «**عنترة بن شداد**» قام برسمها على الزجاج الفنان السوري «**أبو صبحي التيناوي**»، الذي ذاعت شهرته خارج حدود سورية، وقد ورثت أسرته وأولاده الفن الشعبي الذي يمتاز بالأصالة .. وإحياء تراثنا العربي، والشعبي، ولا تزال أسرة الفنان تتوارث هذا الفن ..

ولكن الغريب أنها تقوم بتوقيع الرسومات باسمه تقديراً منها للمجهود الذي بذله ★

□ أخبارهم □

الإعجاب بالكلام

★ دخل رجل على «**سليمان بن عبد الملك**»، فتكلم عنده بكلام أعجب سليمان، فأراد أن يختبره لينظر أعقلُه على قدر كلامه أم لا، فوجده مَضْعوفاً فقال: فضل العقل على المنطق حكمة، وفضل المنطق على العقل هجنة، وخير الأمور ما صدّق بعضها بعضاً، وأنشد:

وما المرء إلا الأصغرانِ لسانه
ومعقوله والجسم خَلْق مصوَّر
فإن تَرَ منه ما يروق فربما
أمرَّ مذاقُ العود والعود أخضر

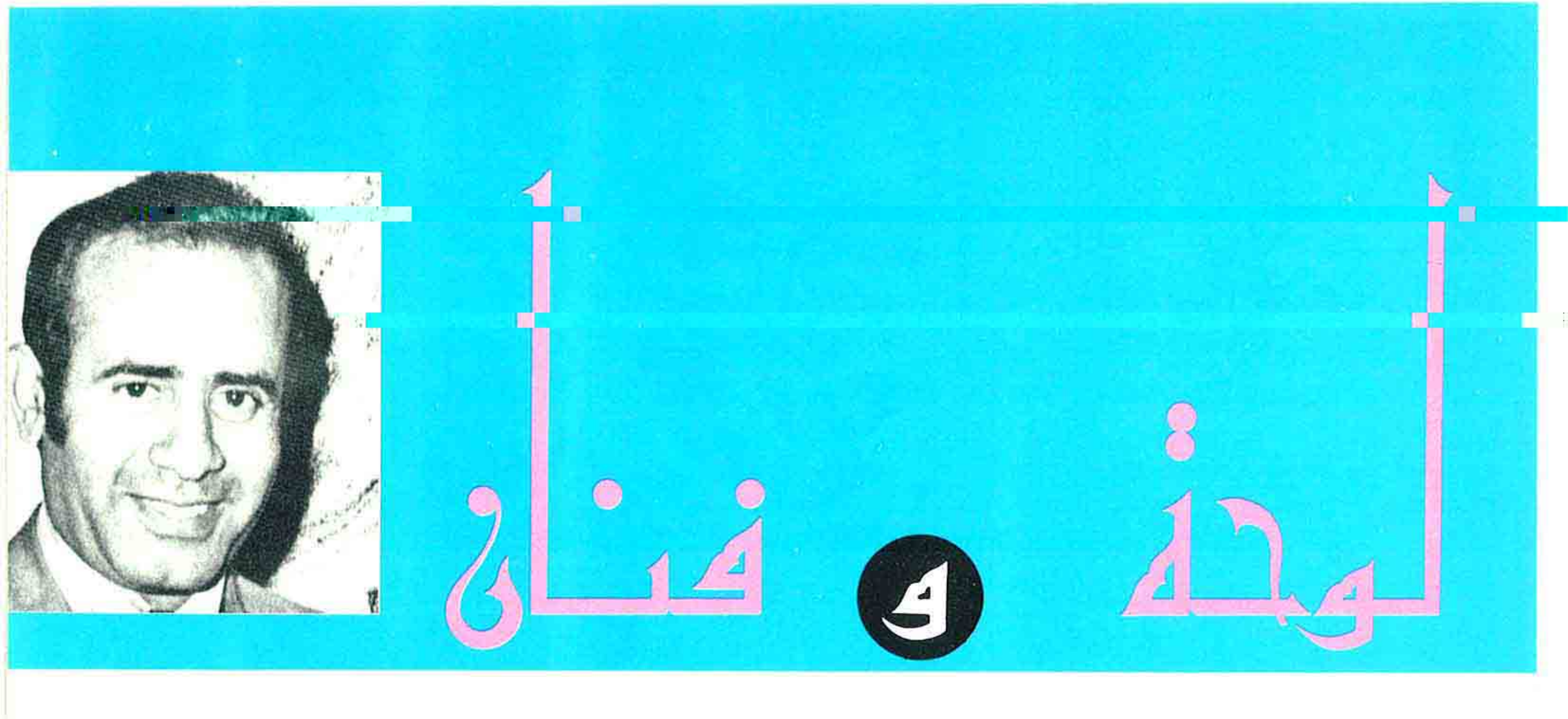
اكتساب صفة «الرادار» للشخص الذي لا يبصر!

★ إن الشخص الغير مبصر، يكتسب مع مرور الوقت حساً شبيهاً بالرادار، يوجهه في حركة السير، بحيث يجعله يتجنب الحواجز التي تصادفه دون الاصطدام بها .. وقد أثبتت الاختبارات العلمية، أن اكتساب هذا الحس يعود إلى حاسة السمع عنده، فالشخص غير المبصر، يطلق أصواتاً مختلفة مثل الصفير أو الغناء .. أو غيرها من الأصوات التي يعود صداها إلى أذنه بعد انعكاسه على الحاجز الذي سيعترضه، فيهديه في سيره .. وهذا هو مبدأ الرادار القائم على أن الأشياء تعكس صدى نوعياً، يختلف باختلاف طبيعة هذه الأشياء ★

□ السطور الأخيرة □

★ أفضل المعرفة، معرفة الرجل لنفسه ★

قس بن ساعدة



● عبد الله احمد المحرقي ●

● ولد في المنامة ، عاصمة البحرين ، في شهر آب (أغسطس) ١٩٣٩ م .

● كان والده ربان سفينة للبريد تبحر بين البحرين وشواطئ السعودية .

● نشأ وترعرع على الشاطئ وأعجب بالحياة البسيطة .

● اصطحبه والده في سفينة قبل أن يبلغ الخامسة من العمر إلى السعودية ، وفي إحدى المرات زلت قدمه فسقط الطفل في البحر قرب (رأس تنورة) مما أثار مشاعر الرعب عنده ، وأوجدت لديه هذه التجربة المروعة (عقدة البحر) .

● أدخله والده أحد (الكتاتيب) ليتعلم ، لكنه لم يأخذ من (الكتَّاب) سوى القليل .

● دخل المدرسة الابتدائية وعندها لاحظ الفرق الكبير بين المدرسة و(الكتَّاب) من حيث النظافة والدقة وحسن المعاملة ، وهكذا فتح قلبه لها منذ اليوم الأول .

● حصل على الشهادة الثانوية في البحرين عام ١٩٥٦ م ، ثم التحق عام ١٩٥٧ م ، بكلية الفنون الجميلة في جامعة القاهرة ، وتابع دراسته العالية في جامعة دمشق ــ سورية ، وتخرج بمرتبة الشرف عام ١٩٦٦ م .

● عاد إلى البحرين حيث تم تعيينه مستشاراً للفنون في وزارة الإعلام البحرينية ، ثم شغل منصب رئيس قسم الفنون في الوزارة .

● قام بتصميم الكثير من طوابع البحرين ، وكذلك في الإمارات العربية المتحدة . وهو مسؤول عن تصميم الأوسمة في البحرين .

● أول معرض أقامه في لندن عام ١٩٧٠ م .

● فاز بالجائزة الأولى للفنون التشكيلية في البحرين عام ١٩٧٣ م .

● قام بعرض مشترك مع بقية الرسامين في البحرين في (الاليانس فرانسيز) حيث أثار اهتمام محبي الفنون من العرب والأجانب .

● يقوم بالرسم (الكاريكاتوري) لجريدة أخبار الخليج المحلية .

● سباق الهجن ●

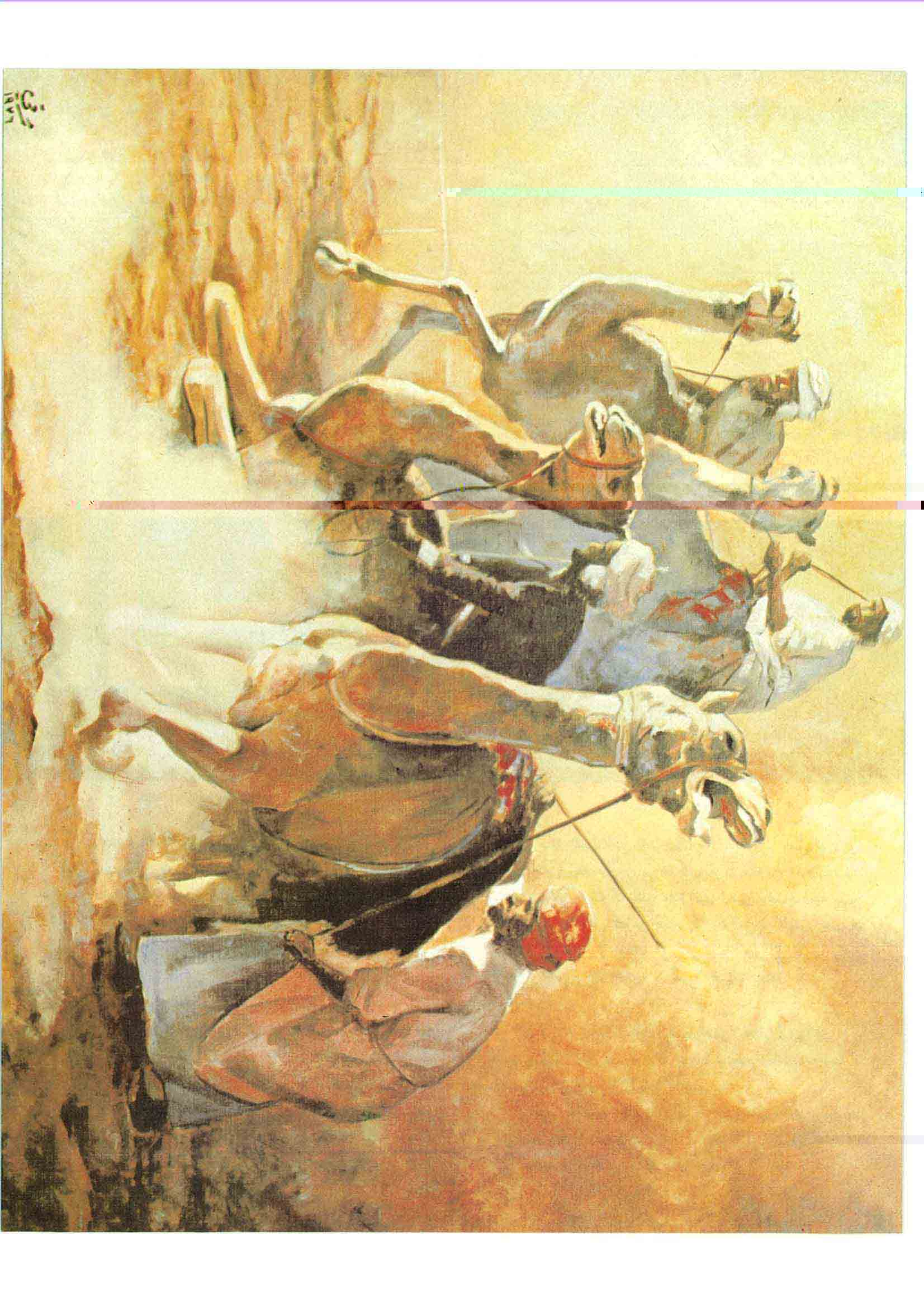
● من العادات القديمة المتوارثة لدى العرب وحتى وقتنا الحاضر ، سباق الهجن ، المعروف بعراقته منذ القدم في الخليج والجزيرة العربية .

● اللوحة تعكس الاستعداد للسباق وما يتصف به من خفة الحركة .

● كما تظهر ارتباط الفنان ببيئته ليس في هذه اللوحة فحسب ، بل في أكثر لوحاته مثل الشاطئ ، والصيد ، وعمل السفن والقوارب ، والغوص بحثاً عن اللؤلؤ .

● استخدم الفنان الألوان التي ساعدته في بروز اللوحة من تباين ، حيث إنه تأثر بألوان الجو المحيط به ، ومدى ارتباط اللون بالبيئة التي يعيش فيها حيث يغلب على اللوحة اللونين البني والأصفر تأثراً بالصحراء التي تحيط به .

● اللوحة تجسد جمال التكوين ، وصفاء اللون ، والتباين في الحركة وأسلوبه الواقعي الذي يربطه بالبيئة التي يعيش فيها .





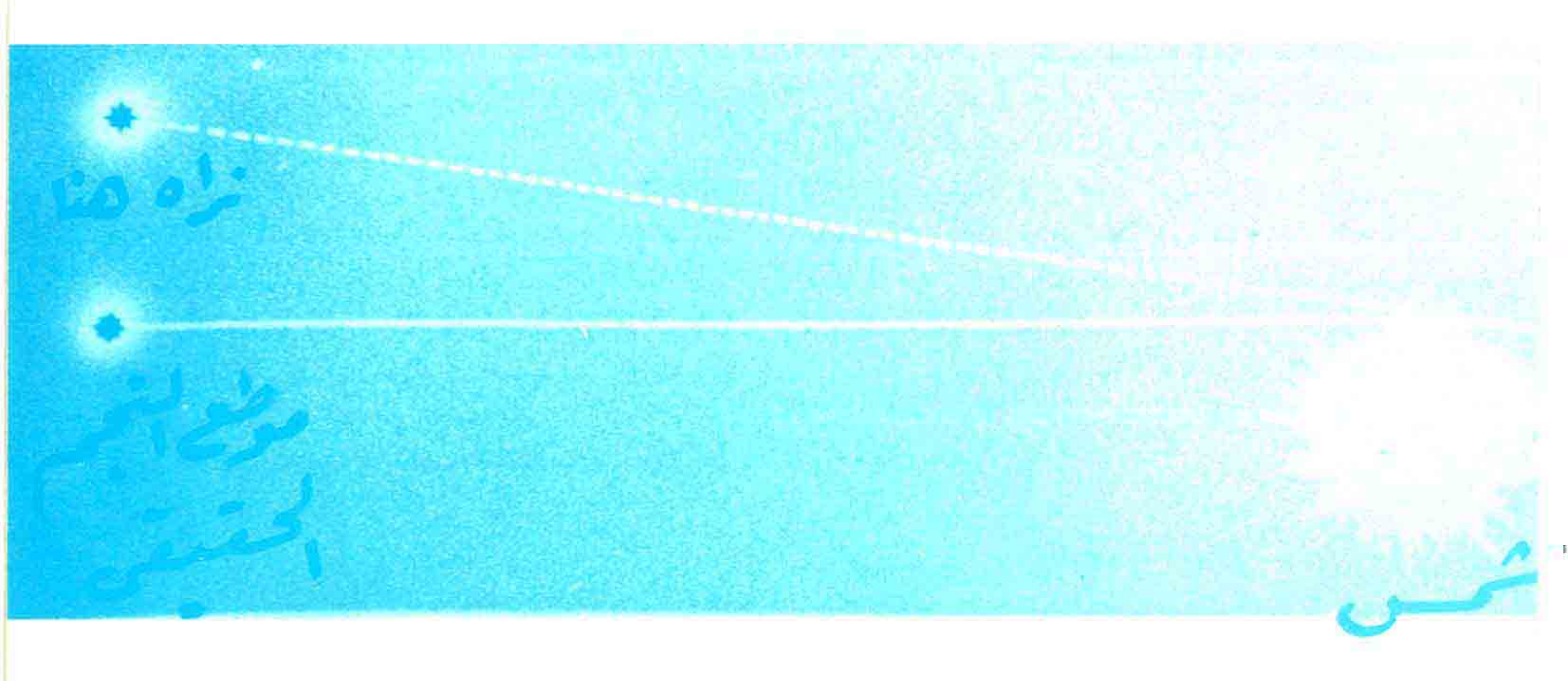
قام العلم في الأصل على دراسة المظاهر الطبيعية ، وبعد أن فهمها العلماء واستوعبوها وضعوا لها **القوانين** التي رأوا أن هذه المظاهر تسير عليها . وقد أخذ الغرور عند البعض ، فأصبحوا يتوهمون بأن العقل ، وقد اكتشف هذه القوانين ، هو الشيء الذي يجب الإيمان به . وتوهموا أيضاً بأن على مظاهر الطبيعة أن تخضع لهذا القانون أو ذاك ، ما دام قد أصبح هناك قانون .

ولكن زيادة الدراسة وكثرة البحث أخذت تدل على أن هذه القوانين التي وضعها العقل الإنساني ، لم تعد تنطبق في هذه الحالة أو تلك . ومظاهر الطبيعة قد تعطينا مجالا واسعاً نفرح فيه ، إذ نجد قوانيننا تنطبق عليها . لكنها تصدمنا فجأة بأن قانوننا خاطئ ، أو أنه لا يستطيع أن يفسر حالة من الحالات .

من صفة القانون الذي يفسر مظاهر الطبيعة على الأقل أن يكون جازماً قاطعاً . وإذا خرق مرة من المرات ، أو في حالة من الحالات ، فإنه لا يصبح قانوناً . يجب أن نطلق عليه اسم آخر . **فالجاذبية** مثلاً قانون . . وكل شيء يسقط من يدنا ، إذا كان أثقل من الهواء ، يجب أن يهوي إلى الأرض ، وفي اللحظة التي نرمي فيها حجراً إلى الأرض ونراه يرتفع إلى أعلى ، فإن الجاذبية لا تصبح قانوناً . وهكذا . . .

ومما لا شك فيه أن العقل الإنساني الذكي **(نيوتن)** هو الذي وضع قانون الجاذبية . لكنا يجب أن نتأكد من أنه لم يصنع الجاذبية ، وعلينا أن لا يقودنا الغرور إلى الخلط بين الحقيقتين .

إن دراسة الجاذبية ووضع قانون لها هو الذي جعل (نيوتن) يعتبر من أكبر العبقريات العلمية في التاريخ ، (بالإضافة إلى قوانينه الأخرى) . لكن الجاذبية نفسها ظاهرة موجودة في المادة قبل أن يخلق (نيوتن) .





ويجب أن نعرف أنه اكتشف قوانين الجاذبية ، لكنه ليس هو الذي أوجد الجاذبية .

إن الخلط بين هاتين الحقيقتين في عقول بعض المثقفين ، هو الذي يجعلهم يؤمنون بالعقل الإنساني أكثر مما يستحق ، عن طريق خاطئ . ولكن زيادة الدرس والاطلاع ستثبت مم مثلاً ، بأن قانون الجاذبية العظيم ، يصبح عاجزاً عن تفسير دورة (عطارد) حول الشمس . وعندئذ ، نجد أن قانوناً آخر يفسره ، وهو **(قانون جاذبية أينشتاين)** . ويجب عليهم عندئذ أن يراجعوا مفهومهم من الأساس ، وأن يظلوا على اعتبار (نيوتن) عبقرياً ، ضمن الحدود الصحيحة عن مفهوم العبقرية .

لقد تحدثنا في مقال سابق عن « **الكون الواسع** »[1] ، ورأينا أنه واسع جداً في الحقيقة . إذ يقطعه الضوء ــ الذي يسير بسرعة ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر في الثانية ــ في عشرة آلاف مليون سنة من الزمن ، من الطرف إلى الطرف الآخر . أو على الأقل هذا هو المدى الذي يستطيع أن يراه **مرقب جبل بالومار الأميريكي** .

هذه هي سعة الكون كما يعرفها العلماء حالياً ، وأما ما وراء ذلك فإنهم لا يعرفون شيئاً ، ولا يستطيعون أن يضعوا احتمالات عن وجود شيء .

ولكن العلماء لا يكتفون بهذه الحقائق ، وإنما يريدون أن يعرفوا ما هو شكله ، وكيف تكون حدوده إن كانت له حدود . وقد حاول الكثير منهم أن يعطي النموذج الذي يمكن أن يكون عليه الكون في تصوره . وما دام العالم منهم قد عرف الكثير من قوانين الطبيعة ، وبلغ درجة كبيرة من العلم ، فلماذا لا يحاول أن يتطرق إلى بحث الكون كله ، ويعرف النموذج ويضع القوانين التي تفسره ؟

وسوف نرى أنهم كلهم يبدأون من فكرة معينة ، فإذا بهم يضيعون في متاهات لا نهاية لها . فبعد أن يكمل العالم منهم رسم النموذج ووضع القوانين ، يجد من الواقع الموجود أمامه ما ينقض كلامه ، أو يجعله ناقصاً بشكل رهيب .

ومع أن هناك كثيراً من العلماء قد بحثوا هذا الموضوع ووضعوا نماذج له ، وسنتحدث هنا عن المشهورين منهم فقط .

الكون عند نيوتن

قال (نيوتن) عن الفضاء ، بأنه متناسق متجانس في جميع نواحيه ، وعلى ذلك فإن **المجرات** تسبح في **الأثير** الذي يملأ هذا **الفضاء** . أما ما وراء المجرات ، فإن الفضاء خال من أي شيء . وبناء على هذا الوصف نستطيع أن نعتبر أن الكون جزيرة متناهية تقع في محيط الفضاء الذي لا نهاية له .

وهذه النظرية طبعاً لا ترضي العلماء . فهي تعني أن الضوء والحرارة

اللذين يشعان من المجرات سوف يذهبان إلى الفضاء الفارغ من غير رجعة ، وأن العالم يفقد الطاقة باستمرار ، وهو سائر في طريقه إلى الفناء .

هذا بالإضافة إلى أن (نيوتن) يتركنا في حيرة بشأن الفضاء الواسع الفارغ الواقع وراء المجرات ، فلا يتحدث لنا عن طبيعة هذا الفضاء ولا عما هو موجود خلفه .

ومع أننا نعترف (لنيوتن) بالمقدرة العلمية في **قوانين الجاذبية وقواعد الحركة** ، وفي آرائه التي تتناول القريب ، إلا أننا عند هذا الكلام يجب أن نأخذ كلامه على أنه متعة فكرية لا أكثر ولا أقل . أحب أن يوسع مفهومه عن الفضاء فمده إلى ما لا نهاية . وكأنه يقول لا أدري .

الكون عند أينشتاين

جاء **(أينشتاين) بالنظرية النسبية** ، فقلب مفاهيم **الفيزياء** ، أو على الأصح جعلنا نستريب في أصول وقوانين الفيزياء التي كنا نعتبر أنها ثابتة راسخة لا تتزعزع .

كان الإنسان يدرك الكون على أنه مكون من ثلاثة أبعاد ، هي **الطول والعرض والارتفاع** ، وأن هذه الأبعاد تسير في مجرى زمني واحد ، له طبيعة تختلف عن الأبعاد الثلاثة الأولى . فجاء **(أينشتاين)** ، وقال إن العالم ذو أربعة أبعاد ، وأخذ يحسب **البعد الزمني** بالإضافة إلى الطول والعرض والارتفاع . ولم يكتف بذلك فقط ، بل أخذ يدخل البعد الزمني في حساباته مع الأبعاد الثلاثة الأخرى .

فالفضاء ذو الثلاثة أبعاد في مفهوم (نيوتن) أصبح عند (أينشتاين) بأربعة أبعاد ، وهو بالإضافة إلى ذلك ، ليس متناسقاً منسجماً في جميع نواحيه ، وإنما هو محدب ، وهو في محلات ومواضع أكثف منه في محلات ومواضع أخرى . إن الفضاء نفسه يتحدب حول الكتل الكبيرة . نعم ، الفضاء الذي قد يكون فيه شيء كالشمس أو الأرض ، وقد لا يكون فيه شيء فهو فارغ خلو ، ومع ذلك فهو محدب . وبما أنه يتكون من أربعة أبعاد ، فهو محدب بأبعاده الأربعة . **قد نستطيع أن نفهم تحدب الأبعاد المكانية مثل الطول والعرض والارتفاع ، ولكن كيف لنا أن نفهم أن الزمان محدب ؟** هذا ما لا يستطيع أن يفهمه حتى أينشتاين صاحب النظرية .

وبناء على مفهوم (أينشتاين) في الفضاء ، كان عليه أن يصف لنا تصوره للكون ، وأن يرسم لنا النموذج الخاص بهذا المفهوم .

وقد اختار (أينشتاين) أن يضع النموذج بحيث تكون فيه الأبعاد الثلاثة المكانية محدبة ، أما البعد الزمني فغير محدب . وقال بما أن الفضاء يتحدب حول الكتل الكبيرة كالشمس وبقية النجوم ، فإنه سيكون محدباً حول المجرات . وهذا التحدب الجزئي حول المجرات يعطي في النتيجة تحدباً كلياً للكون كله . فالكون إذن محدب على نفسه .

وقد وضع (أينشتاين) نموذجه هذا سنة ١٩١٧ م ، وهو لا يأتي بسيرة لما وراء حدود كونه الأحدب . ويستنتج المرء أن الكون ثابت ، وهذا مخالف لِلُبَابِ نظريته التي تقوم على الحركة . وبالثبات نعني أن المجرات ثابتة في مواضعها ، أو أنها تتحرك حركات عفوية في الفضاء الثابت .

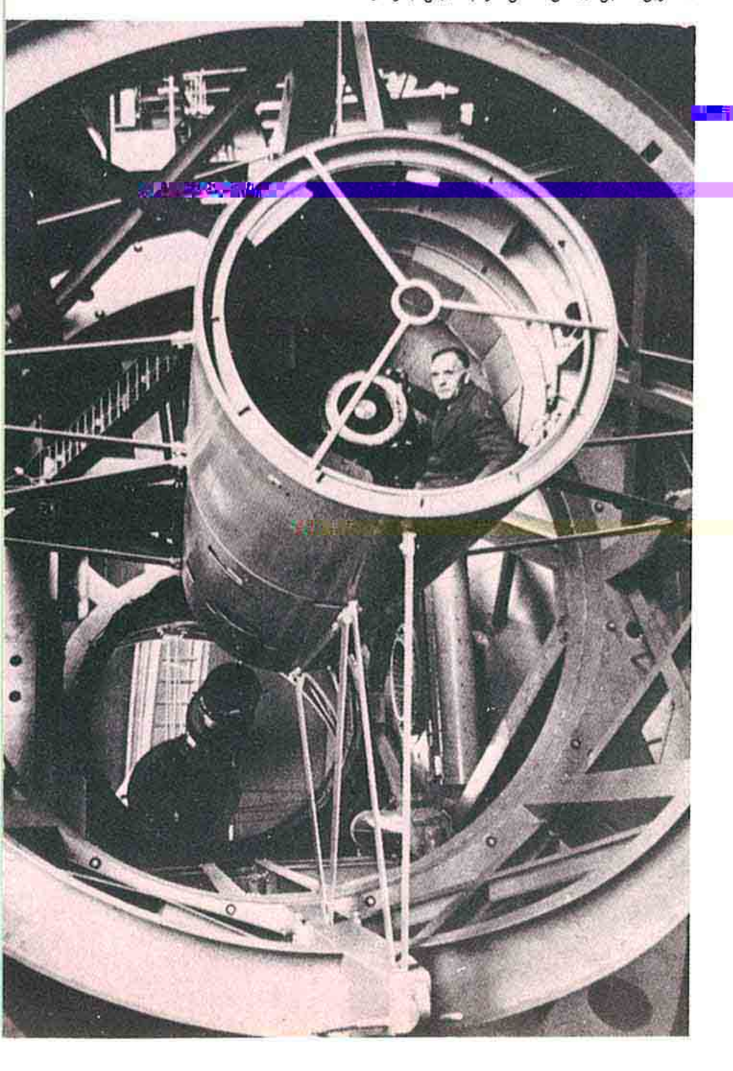
وقد استطاعت نظريته هذه أن تثبت لمدة ثماني سنوات . تثبت لا بمعنى أن تقف ضد الحجج ، ولكن بمعنى أنها مقبولة ، لأنه لا يوجد نظرية غيرها ، لا سيما وأن الفيزياء التي جاء بها قد غطت على فيزياء نيوتن الكلاسيكية .

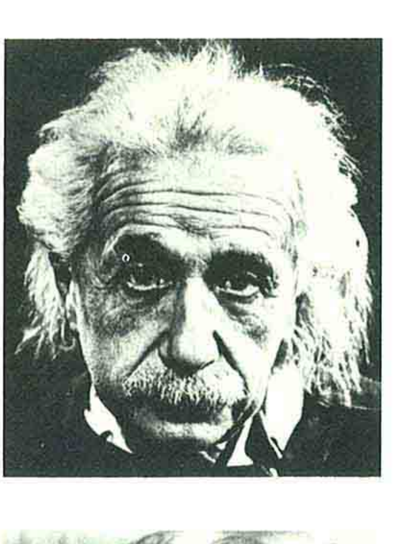
لكن في سنة ١٩٢٥ م ، طلع علينا فلكي شهير بحقيقة فلكية نسفت كل النماذج المعطاة للكون . وهذا العالم الفلكي اسمه **(أدوين هابل)** .

حيود الطيف نحو الأحمر

كان من جملة وسائل الرصد التي يستعملها الفلكيون لرصد الأجرام السماوية ، وسيلة تسمى « **التحليل الطيفي** » . فإذا أتيت بموشور من زجاج **(والموشور هو قضيب قصير من زجاج قاعدته مثلثة)** وسلّطت عليه شعاعاً من الضوء ، تجد أن الضوء يخرج من الجهة الأخرى من الموشور وقد تحلل إلى ألوان بالضبط كألوان **قوس قزح** . وهذه الألوان الجميلة يختلف كل لون عن اللون الآخر في طول موجته

★ ادوين هابل يجلس داخل مرقب جبل بالومار ★





★ ألبرت أينشتاين ★



★ العلامة هارلو شيبلي ★

★ أسرع مجرّة في الابتعاد عنّا ، هي مجرّة 3C 295 ، وهي المشار إليها بالسهم في الصورة . يبلغ ابتعادها سرعة مذهلة ، ٣٦ ٪ من سرعة الضوء . أي إنها تبتعد بسرعة ١٠٨٠٠٠ كيلومتر في كل ثانية ★

الضوئية . **فالفيزيائيون يعرفون أن الضوء ذو موجات ولكل موجة طول معين . وأطول الموجات التي نراها هي الموجات الحمراء ، وأقصرها الموجات البنفسجية** ، والألوان الأخرى بينهما هي ما بين ذلك .

وقد صنعت في الفلك (وفي غير الفلك) آلة على هذا النمط لكي ترصد الضوء الآتي من الأجرام السماوية . توضع في المرصد بدل العين وتصور الطيف القادم لها .

كان **(أدوين هابل)** يسجل الأطياف من المجرّات البعيدة ، ووجد أن الطيف ينزاح إلى جهة الأحمر بمقادير معيّنة . وانزياح الطيف كله إلى هذه الجهة يدلّنا على أن موجات الضوء قد طالت عن الطول المعروف للموجات . وبالمثل لو انزاح الطيف إلى جهة البنفسجي فإننا يجب أن نفسره بأن موجات الضوء القادم قد قصرت ، لكنها انزاحت إلى جهة الأحمر ، وسمّي هذه الظاهرة « **الحيود نحو الأحمر** » .

وحيود الضوء إلى هذه الجهة ، الذي معناه أن الموجة الضوئية قد طالت ، لا يحدث إلا إذا كان الجرم الذي يرسل هذا الضوء يبتعد عنا .

وقد قاس (هابل) أطياف مجرات عديدة فوجدها كلها تحيد نحو الأحمر ، أي إنها كلها تبتعد عنا .

ومن مقدار الانزياح في الطيف نحو الأحمر يستطيع العلماء أن يقدروا سرعة الابتعاد . وقد جاءنا (هابل) ومن قام بعده بهذه القياسات من العلماء بأرقام للابتعاد لا تكاد تصدّق . فبعض المجرات تبتعد عنا بسرعة ٢٥,٠٠٠ ميل في الثانية ، وبعضها يبتعد بسرعة ٤٠ ألف ميل في الثانية ، أي أكثر من ٠,٢ من سرعة الضوء .

وقد وجد العلماء أن المجرّة كلما كانت أبعد كانت سرعة تباعدها أكثر . لكنها كلها تبتعد عنا دون استثناء .. وليس هناك من تفسير لهذه الظاهرة الغريبة إلا أن الكون يتمدد .. لكن كل العلماء السابقين ، بما فيهم (أينشتاين) قد أعطونا نماذج لكون ثابت . فأين تذهب هذه النماذج . ليس هناك إلا الترقيع .

على أية حال ، فإن الحيود نحو الأحمر ، ظاهرة غريبة قلبت كثيراً من مفاهيم العلماء . وقد جرت ، ولا تزال تجرى ، محاولات لايجاد تفسير آخر لها غير الابتعاد ، ولكن حتى الآن لم يأت تفسير مقنع .

نظرية الخلق المتواصل

إزاء ظهور اكتشاف (هابل) ، الحيود نحو الأحمر ، ومعرفة أن الكون يتمدّد ، ظهرت نماذج جديدة للكون .

فقد رأى العالمان البريطانيان **(بوندي) و(جولد)** ، أن الكون إذا كان سيتمدد باستمرار على الشكل الذي نستنتجه من الحيود نحو الأحمر ، فمعنى هذا أنه سيتلاشى بالتدريج ، إذ تتوزع المادة الموجودة فيه على مساحات واسعة جداً ، بحيث نصل إلى أن لا يكون هناك مادة تذكر في الفضاء . يجب أن يكون هناك تعويض من المادة بدل تلك التي تخلخلت وتوزعت . يجب أن تكون هناك مادة تخلق باستمرار لكي تملأ الفراغ الذي يحدث نتيجة التمدد . . وقد ساند هذا الرأي الفلكي البريطاني **(فرد هويل)** الذي يعتبر أشهر فلكي على قيد الحياة هذه الأيام .

وهؤلاء العلماء عندما يتكلمون عن حاجتهم لعملية الخلق لكي تكمل لهم نظرياتهم ، لا يتكلمون عن الخالق ، وإنما يبنون فعل الخلق للمجهول ، جرياً على العادة السائدة عند كل العلماء العقلانيين .

على أية حال ، فإن مختلف النماذج التي تظهر إنما هي تكهنات يقوم بها العلماء ، وهي تختلف بحسب المكتشفات الحديثة في العلم ، وتبني العالم واضع النموذج لهذا الاكتشاف أو ذاك . قد تكون متعة فكرية محاولة فهم النظرية المكتشفة ، ووضع بعض المعادلات والحسابات ، لكنها لا تصل بنا إلى نتيجة .

الجوهر الأسمى

قد يكون الأستاذ **(هارلو شيبلي)** من أبرز الفلكيين في القرن العشرين ، (توفي قبل بضعة أعوام) **وكان أستاذ الفلك العملي في جامعة (هارفارد) في أميريكا** ، وقد كتب في الفلك وفلسفته كثيراً ، وكان من جملة أعماله أنه حدد موقع النظام الشمسي من مجرتنا ، وله كتاب «**عن النجوم والإنسان**» وفيه تعليق رائع عن موضوع حديثنا . يقول ما خلاصته :

« إن العلماء يشغلون أنفسهم بأفكار وأبحاث عن جغرافية الكون ، وبعض الفلاسفة يهتمون بعلم الكون . لكن هؤلاء كلهم نتيجة دراستهم للعالم الفيزيائي يجدون آخر الأمر أنهم يبحثون العلم كله ويتعرفون على حقائقه من خلال أربعة جواهر أساسية . هذه الجواهر هي **الزمان والمكان والكتلة والطاقة** . والحقيقة أن أي علم تجريبي لا يبحث إلا من خلال هذه الجواهر الأربعة ، أو من تداخلها مع بعضها البعض . فالحركة والسرعة والدورات الحيوية كلها من خلال هذه الجواهر » .

ولكن قد تكون هناك جواهر أخرى لم نعرفها بعد ، وقد تكون لها أهمية أكثر من هذه التي نعرفها وأسمى منها . ونحدد السؤال فنقول : « أليس هناك جوهر أساسي لتسيير هذا الكون » ؟ ولأضع السؤال بقالب آخر : « إذا كان لديك القوة الكاملة والفرصة المناسبة والرغبة ، وأعطيت هذه الجواهر الأربعة الأساسية ، المكان والزمان والمادة والطاقة ، فهل تستطيع أن تشكل كوناً مثل هذا الكون ؟ أو أنك ستشعر بأنك عاجز عن ذلك وتحتاج أيضاً إلى جوهر خامس لكي ينظمه لك » ؟ . .

ويواصل حديثه هذا فيقول (وهذا في مقدمة الكتاب) : « قد أكون أجهدتك أيها القارئ ، ولكن هذا الجوهر الخامس الذي يبدو فيه بعض الغموض العلمي ، يجب أن يشار إليه أكثر من مرة فيما يلي من حديث في هذا الكتاب . أما أن يكون هذا الجوهر الخامس موجوداً ، فهذا ما لا يكاد يكون هناك شك فيه . هل هو **الجوهر السيد ؟** ربما كانت ضرورته أكثر من المكان والزمان ، ومن المحتمل أنه يشملهما ، فهو جوهر يختلف اختلافاً كاملاً عن الأربعة التي ذكرناها فيما سبق . وهل هو **الصمد** (تعريب كلمة Indispensable الذي لا غنى عنه) ؟ ذلك الذي يبعث الوميض في عالم من النجوم والكائنات والقوانين الطبيعية التي لولاها هي كذلك لما كان هناك كون » ؟

« قد يفكر بعض القراء أنني بهذه الكلمة أعني الله ، لكننا يجب أن لا نستعجل في هذه القضية العميقة بعيدة الغور . يجب أن لا نستعمل هذه الكلمة المهمة الشاملة ، لجزء واحد من العالم فقط ، أو لمفهوم ندركه فهماً بدائياً بسيطاً . إن من يبحث في حقل علم الكون ، سيدهشه أن يجد مميزات للعالم خبيئة ، تسير ديناميكية العالم سيراً مستقلاً وتوجهه وتشكله وتدفعه ، ولها القدرة على كل شيء . أي إنها قوة واعية . لكنها بهذه الصفات لا يقتصر مداها على ما هو موجود على الأرض وحسب ، بل تشمل الكون كله ، باتساعه العريض » (انتهى قول هارلو شيبلي) .

وهكذا نرى أن عالماً مثل هذا العالم ، قضى عمره في دراسة الفلك والمجرات وأقاصي أنحاء الكون ، يصل إلى نتيجة أصبحت ظاهرة لديه ، وهي وجود قوة مسيطرة على كل الجواهر التي يعرفها العلماء ، ويحاول أن يثبت وجود الله علمياً . لكنه يكتب بهذه الطريقة المقيدة ، لأنه يعرف الذين يتكلم لهم ، فهم بعيدون عن الإيمان . وهو يستطيع أن يخاطب هؤلاء بالعلم والعقل . قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾ .

الهوامش

(١) **المجلة** : طالع العدد ٢٤ من مجلة الفيصل ، الصادر في شهر جمادى الآخرة ١٣٩٩ هـ / مايو / أيـار ١٩٧٩ م .

المراجع

١ ــ الكون الأحدب ، الطبعة الثانية ، الدكتور عبد الرحيم بدر .
٢ ــ بدائع السماء ، تأليف جيرالد هوكنز ، ترجمة الدكتور عبد الرحيم بدر .
٣ ــ Harlow shapley: of stars and Men
٤ ــ George Gamow: The Creation of the Universe
٥ ــ Isaac Asimou: The Universe

الماء والشمس والهواء الطلق تعني المرح
ولكنها تعني أيضًا الخطر على بشرتكِ
تصبح البشرة متشققة وخشنة



ليس في ذلك ما يثير العجب فالماء
والريح والشمس تزيل الزيوت
الطبيعية والنداوة التي يجب أن
تتوفر في البشرة لتبقيها ناعمة
وجميلة.
ولذلك يُعتبر **نيڤيا ميلك** أفضل
طريقة للعناية ببشرتكِ.
فهو سهل الاستعمال وتمتصّه
البشرة بسرعة ويتميز برائحة
منعشة وممتعة.
يُعطي بشرتكِ ما تحتاج إليه من
زيوت طبيعيّة ونداوة. العناية
المنتظمة مع **نيڤيا ميلك**
تعني أن بشرتكِ ستبقى
دائمًا ناعمة وجميلة
في سائر أنحاء
الجسم.

نيڤيا ميلك

من أجلِ بشرة
ناعمة جميلة
للجسم كلّه.



أزيلي
خشونة يديكِ باستعمال أتريكس
غسل الأطباق ،
تنظيف الخضار ، زراعة الأزهار
والإعتناء بها ، أو مسح الأحذية ، هذه جميعها
تجعل أجمل الأيدي وأطراها خشنة متشققة .
تحتاج الأيدي التي تضنيها الأعمال المنزلية إلى
أتريكس المزدوج الفعاليّة .
يحمي السّيليكون الموجود في أتريكس
يديكِ وكأنه قفّاز خفي
يُبعد عنهما الأذى .
الزيوت المغذية للبشرة تتسرّب
إلى أعماق الجلد وتحفظ
يديكِ ناعمتين ونديتين .
أتريكس
المزدوج الفعاليّة
كريم أتريكس
للعناية باليدين
يحميها ويجمّلها .
double action
atrix
hand-care cream
protects and beautifies
كريم لليدين

مع أن التمثيل الدبلوماسي بين الدول ليس إلزامياً ، فإنه يحق لكل دولة ، إذا رأت مصلحتها في ذلك ، أن توفد البعثات الدبلوماسية وتقيم السفارات ، وتعين المعتمدين الدبلوماسيين لها لدى الدول الأخرى . وتعامل الدول الأخرى بالمثل ، فتسمح لها بإيفاد البعثات الدبلوماسية ، وتعتمد الممثلين الدبلوماسيين لديها ، بحسب حقوق الدول المختلفة في القانون الدولي ، الضامن لبقاء الجماعات الدولية ، والمهيمن على العلاقات المتكونة بين الدول[١] .

الحقيبة الدبلوماسية

بقلم : عيسى حسن الجراجرة

ومن مقتضيات قيام البعثات الدبلوماسية والسفارات بمهامها ، أن يكون لها كامل الحرية بالاتصال بالجهات التي تتطلب أعمالها التخاطب معها . ولا يكون لهذه الحرية قيمة عملية ، إلا إذا لازمها حماية المراسلات الصادرة من البعثة ، أو التي ترد إليها ، من التعرض لها ، أو الاطلاع عليها ، وكشف سريتها . وقد أكدت اتفاقية « فيينا » للعلاقات الدبلوماسية ، هذه الحرية وما تتطلبه من ضمانات في المادة (٢٧) . فقضت أن تسمح الدولة المعتمد لديها البعثة الدبلوماسية ، بحرية الاتصال ، من أجل الأغراض الرسمية كافة ، وأن تحمي هذه الحرية ، والبعثة في اتصالاتها . وللبعثة أن تستخدم جميع وسائل الاتصال المتاحة ، من رسل دبلوماسيين ، ورسائل اصطلاحية ورمزية (شيفرة) ، وحقيبة دبلوماسية[٢] .

ماهية الحقيبة الدبلوماسية ؟

الحقيبة الدبلوماسية حقيبة أو حافظة أو مظروف أو ما شاكلها تستخدمها الدولة في تبادل رسائلها مع بعثتها الدبلوماسية في مقرها بالخارج . والحقيبة الدبلوماسية تشملها الحصانة التي تتمتع بها البعثة ، وتمتد إلى كل ما يلزم البعثة للقيام بأعمالها بما في ذلك الأمتعة والمحفوظات والرسائل ، وهذا الضمان كان مفروضاً بالنسبة للمراسلات البريدية عامة ، ولكنه لا يتوافر دائماً كما في حالة فرض الدولة الرقابة البريدية ، ولا ينصب هذا الضمان على المكاتبات التي ترسل بالوسائل الخاصة .

وقد نص **القانون الدولي على « أن حرمة المراسلات الرسمية للبعثة مصونة ... وأن الحقيبة الدبلوماسية لا يجوز فتحها أو حجزها .. وأن الرسول الدبلوماسي يكون في حماية الدولة المعتمد لديها ، ويتمتع بالحصانة الشخصية ، ولا يجوز إخضاعه لأي إجراء من إجراءات القبض والحجز »** ، كما نص على أن **الحقيبة الدبلوماسية يجب أن تحمل علامات خارجية ظاهرة ، تدل على صفتها** ، ويمتد هذا الالتزام إلى الدولة أو الدول التي تمر بها المراسلات في طريق وجهتها النهائية ، فقد نص القانون الدولي على « **أن تكفل الدول الأخرى للمراسلات الدبلوماسية وغيرها من طرق الاتصال الرسمية التي تمر عبر إقليمها ، بما فيها الرسائل الاصطلاحية أو المحررة بالشفرة ، ذات الحرية والحماية التي تكفلها لها الدولة المعتمدة لديها البعثة** » .

ولأسباب خطيرة ، يجوز للسلطة المحلية الدبلوماسية ، بإذن من وزارة خارجية الدولة صاحبة الإقليم ، وبحضور مندوب عن البعثة صاحبة الشأن ، كما في حالات الاعتقاد بأن الحقيبة قد استخدمت في أغراض غير مشروعة ضارة بحقوق الدولة أو مخلة بقوانينها[٣] .

الحقيبة الدبلوماسية قديماً وحديثاً

كان اتصال الحكومات في الأزمان الغابرة ، يتم بممثليها وسفاراتها عن طريق رسل موفدين من قبلها ، ويحملون الرسائل والوثائق في حقائب ، لها حرمة خاصة ، وعنها تطورت حصانة الحقيبة الدبلوماسية فيما بعد .

وكان الرسل **الذين ينقلون حقائب البريد الدبلوماسي ، يسمون كوريه** (Corriers) ، أو ساع خاص ، أو ما سمي فيما بعد

«الساعي الدبلوماسي»، أو «حامل الحقيبة الدبلوماسية»[٤].

وكان لهؤلاء الرسل الدبلوماسيين، امتيازات خاصة معترف بها، مثل **الحصانة الدبلوماسية، وحق الإعفاء من فض الرسائل**. وكان دليل **الامتيازات الدبلوماسية** هذه، هو جواز السفر الدبلوماسي الخاص، الذي كان زود به هؤلاء السعاة الدبلوماسيون. وكان **البريطانيون** في القديم، يوكلون - في بعض الحالات - أمر نقل الحقائب الدبلوماسية إلى ربابنة (**قباطنة**) بعض البواخر الموثوقين، بعد تزويدهم بجوازات سفر خاصة في تلك السفرات[٥].

يوم الحقيبة الدبلوماسية

ولأنه كان من حق رجال البعثات الدبلوماسية البريطانية في الخارج، بفضل الحقيبة الدبلوماسية، الحق في إرسال وتسلم، لا رسائلهم الخاصة فحسب، بل أيضاً كمية كبيرة من الحاجيات. وإن ضيقت الخارجية البريطانية اليوم حجم هذه المزايا وحصرتها كثيراً، فقد كان في ذلك الوقت يوم إرسال الحقيبة الدبلوماسية، أو يوم وصولها، يوم نشاط دائم كثير في البعثات الدبلوماسية البريطانية في الخارج، ويسمى «**يوم الحقيبة**».

البريد العادي.. والحقيبة الدبلوماسية

ومن الواضح أن اتباع طريقة الحقيبة، في إرسال الحكومات لرسائلها وإجراء اتصالاتها مع مبعوثيها، كان يكلف هذه الحكومات نفقات باهظة، إذ إن الرسول حامل الحقيبة والساعي الدبلوماسي «يجب أن يكون موظفاً موثوقاً به، ويجب أن يحوط سفره وسائل الراحة والطمأنينة، كما يحافظ على الرسائل التي يحملها، وكان عليه أن ينزل في الفنادق الكبرى الموثوق بها. وكان من واجب الدول، المحافظة على حياته كل المحافظة من يوم دخوله حدودها، إلى ساعة مغادرته لبلادها». ولكن، وبعد أن تقدمت المواصلات والاتصالات التقدم الملحوظ في العصور الحديثة، وبعد أن زاد عدد السفارات والبعثات الدبلوماسية لكل دولة زيادة كبيرة وانتشرت في أطراف الدنيا الأربعة، عمدت الدول إلى استعمال البريد العادي في اتصالاتها وإرسال الرسائل والوثائق، أو إبراق البرقيات السلكية واللاسلكية، خاصة ما يتطلب السرعة من تلك الرسائل والبرقيات ولا شك أن في ذلك ضماناً كافياً، وبعداً عن التكاليف الباهظة للحقيبة الدبلوماسية وحامليها، من السعاة الدبلوماسيين، فضلاً عن سرية المكاتبات العادية بين الأفراد في أوقات السلم، تلك السرية التي تتضمنها كل القوانين الوضعية للدول، فإن القانون الدولي العام، يؤكد تلك السرية للمكاتبات والرسائل البريدية، الخاصة بالأفراد والحكومات والدول سواء بسواء، ويؤيدها ويعتبر نقضها مخالفة صريحة لأحكامه ولروحه.

وبالرغم من هذين الضمانين لسرية المكاتبات، ضمان القوانين الوضعية الخاصة في كل دولة من الدول، وضمان القانون الدولي العام، ولا سيما الرسائل المهمورة بأختام دبلوماسية، فإن التاريخ السياسي والدبلوماسي مشحون مع الأسف بحوادث كثيرة، انتهكت فيها حرمة الرسائل الدبلوماسية، وطبعاً الخاصة، أكان ذلك علناً أو سراً.

ويجب أن يبقى في الذهن الطريقة العلنية لفض الرسائل وفتحها **أيام الحرب** والتي تهدد سرية المكاتبات والرسائل الدبلوماسية، ففي **أوقات الحرب يفض الرقيب الرسائل كافة، دون تمييز بين الدبلوماسية منها وغير الدبلوماسية**. ومعروف أنه من حق الدول المحاربة، إذا كانت سلامتها في خطر أن تفض الرسائل أياً كان نوعها دبلوماسية أو غير دبلوماسية، لأن سلامة الأمم والشعوب، ومصلحتها العليا، يجب أن توضع فوق كل الاعتبارات.

أما الطريقة السرية لفض الرسائل وخاصة الدبلوماسية، واختراق جدار السرية الذي تتشح به، وتحصن من ورائه فتتلخص بوجود ما عرف في تلك الفترة **بالغرف السوداء** (Cabinets Noirs) في بعض وزارات خارجية الدول المعنية، مهمتها، فض الرسائل دون أن تشعر السفارات أو المفوضيات في البلد المضيف، حيث إن الغرفة السوداء تحتوي على آلات خاصة، وأجهزة، ومواد كيماوية، يمكن بواسطتها «**شف الأغلفة**» والاطلاع على ما بداخلها وقراءة الرسائل دون فتحها.

كما أن هناك طرقاً مختلفة، لفض الرسائل، حتى ما كان منها مبصوماً بخاتم الدولة، أو مغلقاً بالشمع ويصعب فتحه دون تدميره، وإعادة كل شيء إلى ما كان عليه من قبل، بعد تصوير الرسالة، أو الاكتفاء بقراءتها إذا كانت ذات أهمية وتستحق عناء التصوير.

ولعل هذه الأخطار السرية منها والعلنية، التي كانت تتهدد سرية الرسائل والاتصالات والوثائق الدبلوماسية، هو ما حدا بكثير من الدول للعودة إلى نظام حامل الحقيبة الدبلوماسية، والسعاة الدبلوماسيين، وإلى تطوير نظام الحقيبة الدبلوماسية التي ينقلها السعاة الدبلوماسيين، إلى نظام إرسال الحقائب الدبلوماسية الحديث، أي بدون رسل يصحبونها، بعد إغلاقها إغلاقاً دقيقاً سرياً محكماً. ومع مرور الزمن أصبح نظام الحقيبة الدبلوماسية غير المصحوبة بمن يحملها، من الرسل أو السعاة الدبلوماسيين، نظاماً دولياً يعترف به المجتمع الدولي، ويعقد الاتفاقيات لتنظيمه وإرساء قوانينه وقواعده المرعية، ومن أشهر هذه الاتفاقيات المرعية دولياً هي:

١ - اتفاقية فيينا للعلاقات القنصلية لعام ١٩٦٣م[٦].

٢ - اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية (١٨ نيسان (ابريل) عام ١٩٦١م).

وتنص الأولى منها، أي اتفاقية فيينا للعلاقات القنصلية لعام ١٩٦٣م على ما يلي:

١ - تسمح دولة الإقامة وتحمي حرية مواصلات البعثة القنصلية للغايات الرسمية. وفي اتصالاتها مع الحكومة، ومع البعثات الدبلوماسية والبعثات القنصلية الأخرى للدولة الموفدة أينما وجدت، يمكن للبعثة القنصلية أن تستعمل جميع وسائل المواصلات المناسبة، بما في ذلك حاملي

الحقيبة الدبلوماسية أو القنصلية والرسل والمراسلات الرمزية والشيفرة . على أن البعثة القنصلية لا يحق لها أن تقيم وتستعمل جهاز راديو مرسل إلا بموافقة دولة الإقامة .

٢ ــ لمراسلات البعثة القنصلية الرسمية حرمة مصانة . ويقصد بتعبير (المراسلات الرسمية) جميع المراسلات العائدة للبعثة القنصلية ووظائفها .

٣ ــ لا يجوز فتح أو حجز الحقيبة القنصلية على أنه إذا كان لدى السلطات المختصة في دولة الإقامة ، أسباب جوهرية للاعتقاد بأن الحقيبة تحتوي على أشياء أخرى غير المراسلات والوثائق والأشياء المدرجة في الفقرة الرابعة من هذه المادة ، يحق لهذه السلطات أن تطلب فتح الحقيبة بحضورها من قبل ممثل معتمد للدولة الموفدة . وإذا أعربت سلطات الدولة الموفدة عن رفضها لهذا الطلب ، تعاد الحقيبة إلى مصدرها .

٤ ــ يجب أن تحمل الطرود التي تتألف منها الحقيبة القنصلية ، علامات خارجية ظاهرة تدل على طبيعتها ، ولا يمكن أن تحتوي إلا على المراسلات الرسمية والوثائق والأشياء المخصصة حصرياً للاستعمال الرسمي .

٥ ــ يجب أن لا يكون حامل الحقيبة القنصلية من رعايا دولة الإقامة ولا مقيماً فيها بصورة دائمة ، ما لم توافق دولة الإقامة على ذلك ، إلا إذا كان من رعايا الدولة الموفدة . وفي ممارسة مهام وظيفته ، يتمتع حامل الحقيبة بحماية دولة الإقامة ، كما يتمتع بحرمة شخصه ولا يمكن أن يخضع لأي من أشكال التوقيف أو القبض عليه .

٦ ــ يحق للدولة الموفدة ولبعثتها الدبلوماسية أو القنصلية أن تعين **حاملي حقائب خاصين** (Ad hoc) . وتطبق في هذه الحالة أحكام الفقرة الخامسة من هذه المادة ، مع مراعاة أن الحصانات المبينة فيها تتوقف عندما يسلم حامل الحقيبة القنصلية إلى المرسل إليه .

٧ ــ يمكن أن يعهد بالحقيبة القنصلية إلى قبطان سفينة أو طائرة تجارية تصل إلى نقطة دخول مسموح بها . ويجب أن يحمل هذا القبطان وثيقة رسمية تبين عدد الطرود التي تتألف منها الحقيبة ، ولكنه لا يعتبر حامل حقيبة قنصلية ، ويمكن للبعثة القنصلية أن ترسل أحد أعضائها ليتسلم الحقيبة من يد قبطان الباخرة أو الطائرة مباشرة وبكل حرية ، بالاتفاق مع السلطات المحلية المختصة .

شروط استعمال الحقيبة الدبلوماسية

ولأن الحقيبة الدبلوماسية ، هي وسيلة اتصال ذات أهمية قصوى بين الدول وبعثاتها الدبلوماسية وسفاراتها ، فإنها تبقى مغلقة ومختومة ولا يجوز فتحها من قبل السلطات المحلية ، في البلد المقيمة فيه البعثة الدبلوماسية أو السفارة . وإذا أرسلت مع موفد ، فيجب عليه أن يحمل ما يثبت شخصيته وصفته ، ويتمتع بالحصانة الدبلوماسية[٧] .

ومع أن الحقائب الدبلوماسية ، بحسب القانون الدولي والاتفاقات الدولية ، التي أشرنا إليها سابقاً ، معفاة من كل رقابة وتفتيش ، غير أنه يجب مراعاة استخدامها في الغرض الذي وضعت من أجله ، وهو احتواؤها على الوثائق والمكاتبات الرسمية فقط . وفي حالة الشك في استعمالها في أغراض غير مشروعة ، كما حصل مراراً كثيرة ، اعتماداً على ما يسمى « **المجاملة الدولية** » ، والتوسع في تطبيق هذه القاعدة الدولية ، عندما احتوت الحقائب ، زجاجات الشمبانيا والخمور المعتقة ، والكافيار ، والأقمشة والملابس ، بحجم وكميات وصلت أحياناً إلى حد الاتجار بها . . . ففي حالة الشك بحدوث مثل هذه الحالات غير المشروعة ، فإنه من حق السلطات المحلية بالدولة المضيفة ، أن تفتح الحقيبة الدبلوماسية المشكوك في أمرها بعد استئذان وزارة الخارجية ، وفي حضور رئيس البعثة للدولة صاحبة الحقيبة الدبلوماسية المشكوك فيها ، أو من ينوب عنه . أما إذا رفض فتح الحقيبة ، من الجهات المعنية في البعثة الدبلوماسية التي يرتاب في احتواء حقيبتها للممنوعات ، فإن صلاحيات سلطات الدولة المضيفة لا يتعدى ، في هذه الحالة ، إعادة الحقيبة دون فتحها من حيث أتت[٨] .

تضاؤل دور الحقيبة الدبلوماسية وأهميتها

ويرى أغلب الدبلوماسيين في عصرنا ، عصر التقنيات ، والاتصالات والمواصلات السريعة ، أن أهمية الحقيبة الدبلوماسية ، المتأتية عن ، خاصيتي السرعة والسرية ، قد أخذت تتضاءل شيئاً فشيئاً مع تقدم وسائل المواصلات والاتصالات المختلفة ، ومع تقدم أنظمة التراسل الرمزية ، ومنها الشيفرة على وجه الخصوص ، مما حدا ببعض هؤلاء الدبلوماسيين إلى القول : إن الحقيبة الدبلوماسية تعيش غروب عصرها الذهبي ونهاياته ، بعد أن تحولت إلى إجراء روتيني لا يسمن ولا يغني من جوع ، ويحمل في جوفه سقط المتاع من المراسلات والتقارير والوثائق ، خاصة بعد أن سدد له ، شيوع التقليد الدولي ، « دعوة السفراء والمعتمدين للتشاور » مع المسؤولين في بلدانهم ، ولنقل الوثائق المهمة ، بفعل سرعة الانتقال الحديثة ، ضربته القاضية إلى دور الحقيبة الدبلوماسية وأهميتها .

الهوامش

(١) ص ٣ ، ص ٤٨٩ : الدكتور فؤاد شباط ، الحقوق الدولية العامة ، دمشق ، المؤلف ١٩٦١ م .

(٢) ص ١١١ : من الوثائق المنشورة للدورة الدبلوماسية الثالثة بالكويت عام ١٩٧٢ م .

(٣) ص ٤٧٢ : أحمد عطية ، القاموس السياسي ، القاهرة ، مكتبة دار النهضة العربية ، ١٩٦٨ ، ط٣ .

ص ١٥٣ : حسان الكاتب . الموسوعة الموجزة ، دمشق المؤلف ١٩٧٤ م .

(٤ ، ٥ ،) ص ٢٠٣ : محمد مختار الزقزوقي ، دراسات دبلومسانية ، القاهرة ، مكتبة الانجلو مصرية ، (د . ت) .

(٦) ص (٦٥١ ـ ٦٨٦) المادة (٣٥) ، الفقرات (١ ـ ٧) من اتفاقية فيينا لعام ١٩٦٣ م .

من كتاب الدليل العام للبعثات الدبلوماسية الأردنية . أعده الدكتور نجيب حجا (سفير ومدير سابق للدائرة القنصلية في وزارة الخارجية الأردنية ـ عمان سنة ١٩٧٥ م) والكتاب من منشورات وزارة الخارجية الأردنية الخاصة .

(٧) ص ١٥٢ : الدكتورة عائشة راتب . التنظيم الدبلوماسي والقنصلي . القاهرة ، مكتبة دار النهضة العربية ، ١٩٦٣ م .

(٨) سهيل فريجي ، العلاقات القنصلية والدبلوماسية ، بيروت ، المؤلف ، ١٩٧٠ م . وكذلك اعتماداً على نصوص اتفاقية فيينا لعام ١٩٦٣ م .

كانت الطرق وما زالت عنصراً عظيم الفعالية في نشاط الإنسان وفي حياته ، فالطريق عندما تصل بين المراكز البشرية ، تسهل تبادل الأفكار بينها ، إضافة إلى تبادل المنتجات ، كما أنه يلقي بذور الحياة على جانبيه ، فتنمو هذه البذور وتنقلب من محطات صغيرة تزود القوافل ببعض حاجاتها من ماء وزاد وراحة ، إلى مراكز بشرية قد تتطور لتصبح قرى ومدناً كبرى .

الخط الحديدي الحجازي

ماضيه .. وحاضره .. ومستقبله

بقلم : وجيه الحنيمي

وطرق القوافل ، أقدم الطرق البرية ، حيث كانت تمتد مسافات بعيدة مخترقة الصحارى والشعاب الجبلية والأودية . أما وسائط النقل فقد كانت **الحيوانات** المعروفة .

وفي مطلع **القرن التاسع عشر الميلادي ،** ظهرت واسطة نقل جديدة ، كان لها أثر كبير في الحياتين الاقتصادية والبشرية ، تلك هي **القطار** الذي سيطر على المواصلات خلال القرن الماضي ، وما تزال له أهميته حتى اليوم .

لقد كان نشوء القطار وامتداد نشاطه ، يتبع تحسن أداء العمل في **الآلة البخارية ،** ثم المحركات **(الديزل والكهرباء)** . وعندما ظهرت **السيارة** في مطلع القرن العشرين ، بدأت منافسة حامية بين الوسيلتين ، امتدت زمناً وما تزال ، فلمن ستكون الغلبة ؟

لا أعتقد أنه ستكون غلبة تامة لإحدى الوسيلتين .

فعلى الرغم من التكاليف الكبيرة للخط الحديدي وما يتبعه ، يبقى مردوده أكبر من مردود السيارة ، وأسباب ذلك تعود إلى سرعة الحركة واستمراريتها ، وضمان الاتصال المريح الدائم ، والتوقيت المضبوط ، وتوفر النظام ، وكثرة الركاب والحجم الكبير للبضائع المنقولة . ثم إن العالم اليوم يشهد أنواعاً مختلفة من القطارات التي تقوم بخدمة البشرية . فهناك **قطارات لنقل البضائع ، وقطارات لنقل الركاب ، أو للبضائع والركاب معاً ، وهناك قطارات للنقل البعيد وأخرى للنقل القريب .** كما تزداد كهربة القطارات انتشاراً في العالم ، فقد وصلت في **سويسرا** إلى أكثر من ٩٥ ٪ من مجموع قطاراتها ، وفي **المملكة المغربية** تستخدم القطارات الكهربائية بشكل واسع . وفي **اليابان** تسير **قطارات هيكاري** بمحركات نفاثة تصل سرعتها إلى حوالي ٥٠٠ كم / سا ، وكذلك في **ألمانية الاتحادية** (الشكل رقم ١) .

وفي نفس الوقت تعمل الدول المتقدمة على تصميم **سيارات سريعة مريحة اقتصادية** (قليلة الكلفة) للنقل الداخلي والخارجي على السواء ، تصل سرعتها إلى نحو ٢٥٠ كم / سا ، كما تعمل بعض الشركات على إنتاج **سيارات عديمة الفضلات ، تسير بوساطة التيار الكهربائي المخزون بالبطاريات .**

ومع ذلك تتوقف اقتصادية الخط الحديدي على نشاط المناطق التي يخدمها في نقطتي البداية والنهاية ، وفي النقاط الوسطى ، وكثيراً ما يستلزم نشاط النقل على الخط الحديدي ، أن تتفرع عنه خطوط فرعية ثانوية تؤمن للمحور الرئيسي أكبر مساحة من المناطق التي يمكن أن تخدمه ، وليصبح مردوده رابحاً أو أكثر ربحاً ، **وقد تهمل فكرة الربح عندما تكون الأهمية السياسية والعسكرية للخط أكثر من أهميته الاقتصادية .**

أولا ـ الحجاز وسياسة عبد الحميد الثاني (١٢٩٣ ـ ١٣٢٧ هـ) (١٨٧٦ ـ ١٩٠٩ م)

اهتمت الدولة العثمانية اهتماماً كبيراً بتمديد الخطوط الحديدية ، ويرجع اهتمامها بالحجاز إلى سياسة السلطان عبد الحميد الإسلامية واحتضانه لفكرة **الجامعة**



★ محطة (هدية) وظهر فيها خزانا الماء ومأخذ للماء ★

★ محطة المدينة المنورة وظهر فيها القطار الكامل الذي أوقف ، وكذلك منارة الجامع الذي أنشأه الخط الحجازي بجانب المحطة ★

★ منظر للخط بقرب محطة الحضيرة شمال المدينة المنورة ★

★ نموذج للقطار «ترانس رابيد ـ ٥» وهو أول قطار في العالم يسير على مخدة مغناطيسية ★

الإسلامية، تلك الفكرة التي كان السيد **جمال الدين الأفغاني** ١٨٣٩ ـ ١٨٩٧ م ، رائدها وداعيتها الأكبر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . كان الأفغاني يؤمن بقوة الوحدة الإسلامية ، ويسعى إلى إقامة حكومة إسلامية قوية تنضوي تحت رايتها جميع الشعوب الإسلامية ، بهدف مقاومة الأطماع الأوروبية في العالم الإسلامي والتخلص منها .

وفي إطار هذه السياسة حظي الحجاز بصفته **مركز الحرمين الشريفين** ، باهتمام السلطان وعنايته ، ويتجلى ذلك في عدة أمور منها :

١ ـ إنشاء الخط الحديدي الحجازي .

٢ ـ رصد مبالغ لإصلاح الحرمين الشريفين .

٣ ـ زيادة الأعطيات للبدو والنازلين على طول طريق الحج .

ولا يخفى أن الغرض من إنشاء الخط الحديدي ، كان خدمة الحجاج وتسهيل وصولهم إلى الديار المقدسة ، باعتبار أن الحج فريضة دينية فحسب ، بل هو كذلك بمثابة مؤتمر إسلامي سنوي كبير يلتقي فيه المسلمون من كافة أرجاء الأرض ، حيث يتعارفون ويتباحثون في الشؤون الإسلامية ، وبالتالي وضع الخطط ورسم الطرائق للدفاع عن الإسلام والمسلمين .

كان الحجاج يقصدون بيت الله الحرام ، ويلاقون في سبيل ذلك مشكلات وصعوبات ، ولنعد إلى الوراء في التاريخ نحو ثمانين عاماً لنرى كيف كان موكب الحج يخرج من دمشق ، حيث يتجمع فيها معظم حجاج آسيا ، وكيف يصلون إلى المدينة المنورة ثم مكة المكرمة .

كان الحجاج كما قلت ، يلاقون صعوبات ومشقات في ذهابهم وفي إيابهم إلى الديار المقدسة ، ومع أن **دمشق** لا تبعد عن **مكة المكرمة** كبعد الأقطار الإسلامية الأخرى ، فإن **الحاج الشامي كان يستغرق أربعين يوماً من دمشق إلى المدينة المنورة ، وعشرة أيام إلى مكة المكرمة** . خمسون يوماً يقضيها في الطريق ، ثم عشرين يوماً يقضيها في قضاء المناسك والزيارة ، ثم تبدأ رحلة العودة فيقضي خمسين يوماً في عودته . أي إنه يقضي أربعة أشهر كاملة ، تبدأ من أول شوال وتنتهي بنهاية محرم ، فكيف بالحاج المغربي أو الهندي أو التركستاني . ؟ أضف إلى ذلك ما كان يضطر إلى صرفه من النفقات الباهظة ، وأهم من ذلك كله ما كان يتعرض له الحجاج من مخاطر الطريق بسبب فقدان الأمن .

هذه الأمور جعلت تمديد الخط الحديدي الحجازي ضرورة ماسة ، والبدء به من دمشق حيث كان الحجاج المسلمون يتوافدون إليها ، ويجتمعون فيها انتظاراً لسفر موكب الحج منها .

كان موكب الحج يسير من دمشق متجهاً نحو الحرمين الشريفين ، تحت إدارة حاكم عثماني يلقب بأمير الحج ، مسؤول عن تنظيم انتقال هذا الموكب الذي يتألف من نحو عشرة آلاف نسمة ، بين مشاة وفرسان وهجانة ، وكانت طاعة أمير الحج واجبة على الجميع ، ليسهل عليهم قطع هذه المسافة (أكثر من ١٥٠٠ كم) المملوءة بالأخطار والمصاعب الطبيعية والبشرية ، جفاف ورمال وشمس محرقة وتعديات من البدو الذين يعيشون على طول الطريق ، وكان السلطان يتألفهم بإرسال الهدايا والأعطيات إلى الشيوخ والأفراد .

كانت العادة أن **تبدأ مسيرة الموكب من دمشق** في أول شوال بحماية وحدات من الجيش العثماني وكانت حفلة الوداع تتم بمراسم عسكرية واحتفالات ضخمة يشترك فيها كبار الموظفين ، ويتوقف الموكب بضعة أيام في قرية **القدم** (أصبحت حياً من أحياء دمشق) ، ثم يتجه نحو قرية (**الكسوة**) (حيث يجري الاحتفال بتسليم كسوة الكعبة الشريفة) ، ويتابع الموكب سيره إلى **المزيريب** حيث توجد بحيرة صغيرة يستريح الحجاج حولها بضعة أيام .

بعد المزيريب تبدأ مخاوف الحجاج من تعديات البدو ، ولذلك يبدأ عمل الجند ، فيقسمون إلى **مقدمة** تسير أمام الحجاج **وميسرة** على يسارهم **وميمنة** على يمينهم ، وفي كل صباح ومساء تطلق ثلاث طلقات نارية إعلاماً بالمسير أو الوقوف . وكان هذا الركب يمتد نحو أربعة كيلومترات ، يسير على طريق عادية عبدتها حوافر الدواب وأقدام المشاة خلال مئات السنين ، **وكانت المسافة بين دمشق ومكة المكرمة تقدر بأربعمئة وتسعين ساعة من المسير ، تقسم إلى أربعين مرحلة .**

يتجه الركب نحو بلدة « **المفرق** » ثم « **عين الزرقاء** » ثم « **عمان** » **فالقطرانه** ، وهنا يبدأ الطريق الصعب ، ذلك لأن المنطقة غاصة بالقبائل البدوية بالإضافة إلى قلة الماء ، وقد يتعرض الركب للسيول الجارفة إذا كان موسم الحج في الشتاء .

وفي **معان** يستريح الحجاج يسيراً ثم يتابعون المسير فيمرون في منطقة شديدة الوعورة تجبرهم على السير مشاة ، فيعتلي أمير الحج أرضاً مرتفعة يشرف منها على مرور الحجاج ثم يصلون « **المدورة** » وبعدها « **تبوك** » **فمدائن صالح .**

في هذه المناطق القاحلة الجرداء ، يوزع أمير الحج المياه المحمولة على مئات الجمال ، يوزعها على الحجاج مجاناً ، ويبقى الخوف مسيطراً على الجميع ، ذلك أن أي خلاف يقع بين أمير الحج وبين شيوخ القبائل ، كان الحجاج يدفعون ثمنه من أرواحهم أو متاعهم وأموالهم . وتختلف الطريق بعد المدائن عن الطريق السابقة ، حيث تصبح المنطقة جبلية يخترقها الركب متبعاً الأودية التي توجد فيها بعض الواحات .

وأخيراً يصل الحجاج إلى **مدينة رسول الله** ﷺ فينسون مخاوفهم وتعبهم وما كابدوه ، إلى حين ، ذلك أن هناك مسافة أخرى يجب قطعها إلى مكة المكرمة ، ولم تكن تخلو من مخاطر .

هكذا كان الحجاج يقطعون الطريق خائفين وجلين ، ولذلك كانوا يودعون أهلهم وأصدقاءهم عندما يعزمون على قضاء فريضة الحج وكأن الموت يتربص بهم عند كل خطوة .

إلى جانب **الغرض الديني** من إنشاء الخط الحديدي الحجازي ، كان هناك **هدف سياسي عسكري** يتمثل في إزالة مظهر الدولة العثمانية بمظهر العاجز أمام الدول الأجنبية وخاصة تلك الدول التي تحكم شعوباً إسلامية ، وأمام الثورات التي تقوم بها الشعوب المحكومة ويهمنا هنا اليمن خاصة .

لقد ظل الحكم العثماني مقتصراً على الجهات الساحلية في **اليمن** ، حتى افتتحت **قناة السويس** للملاحة (١٢٨٦ هـ ـ ١٨٦٩ م) ، وبعد ذلك بثلاث سنوات استطاع العثمانيون السيطرة على اليمن عن طريق الحملات العسكرية التي أرسلوها عن طريق البحر ، واستعانوا بذلك عن مساعدة **شريف مكة** لهم . وعندما وقعت القناة في يد بريطانيا (١٣٠٠ هـ ـ ١٨٨٢ م) ، أصبح مرور الجيوش العثمانية في القناة خاضعاً للوضع السياسي القائم بين الدولتين العثمانية والبريطانية ، ولذلك كانت السفن العثمانية تقف في قناة السويس (أحياناً) لمدة أربعين يوماً بحجة الحجر الصحي ، وكان الجنود يصابون بالأمراض من جراء هذا التوقف ، وعندما يسمح لهم بالسفر كانوا يصلون إلى اليمن منهوكي القوى .

ولهذه الأسباب فكرت الدولة العثمانية بطريق يغنيها عن قناة السويس ، فكانت فكرة إنشاء الخط الحديدي الحجازي هي البديل عن القناة ، كما أنها يمكن أن تؤثر على دخل القناة من الناحية الاقتصادية لو تم الربط بين **البحرين المتوسط والأحمر** ، إذا علمنا أن قطع الطريق من ساحل بلاد الشام إلى ساحل الحجاز كان يستغرق حوالي اثني عشر يوماً في البحر ، بينما أصبح يستغرق في البر بين أربعة وخمسة أيام ، بل إن الحجاج وصلوا من دمشق إلى المدينة المنورة خلال يومين عن طريق الخط الحديدي بعد إنشائه .

ثانياً ـ متى بدأت فكرة إنشاء الخط ؟

بدأت هذه الفكرة في عام (١٢٨١ هـ ـ ١٨٦٤ م) ، (أثناء العمل في فتح قناة السويس) حيث تقدم **الدكتور زامبل الأميركي** (ألماني الأصل) باقتراح تمديد خط حديدي يربط بين دمشق والبحر الأحمر ، وفي عام (١٢٩٨ هـ ـ ١٨٨٠ م) ، وافق وزير الأشغال العامة العثماني على هذا المشروع ، ولكن المتنفذين في وزارته قالوا بتعذر إنشائه وحجتهم أن المنطقة التي يجب أن يخترقها الخط تنزلها قبائل بدوية لا يؤمن جانبها ، ثم إن المواصلات البحرية أقل كلفة .

ولكن عندما بحث المشروع بشكل جدي وبتدخل من السلطان ، تبين أن نفقات إدارة الحج تكلف الدولة نحو ١٥٠ ألف ليرة عثمانية ، يضاف إليها نحو ٦٠ ألف ل . ع ، قيمة هدايا وأعطيات للبدو . كما كان أمل السلطان كبيراً بوصول مبالغ عظيمة من العالم الإسلامي دعماً للمشروع ، وقد تحقق أمله .

ثالثاً ـ البدء بالمشروع

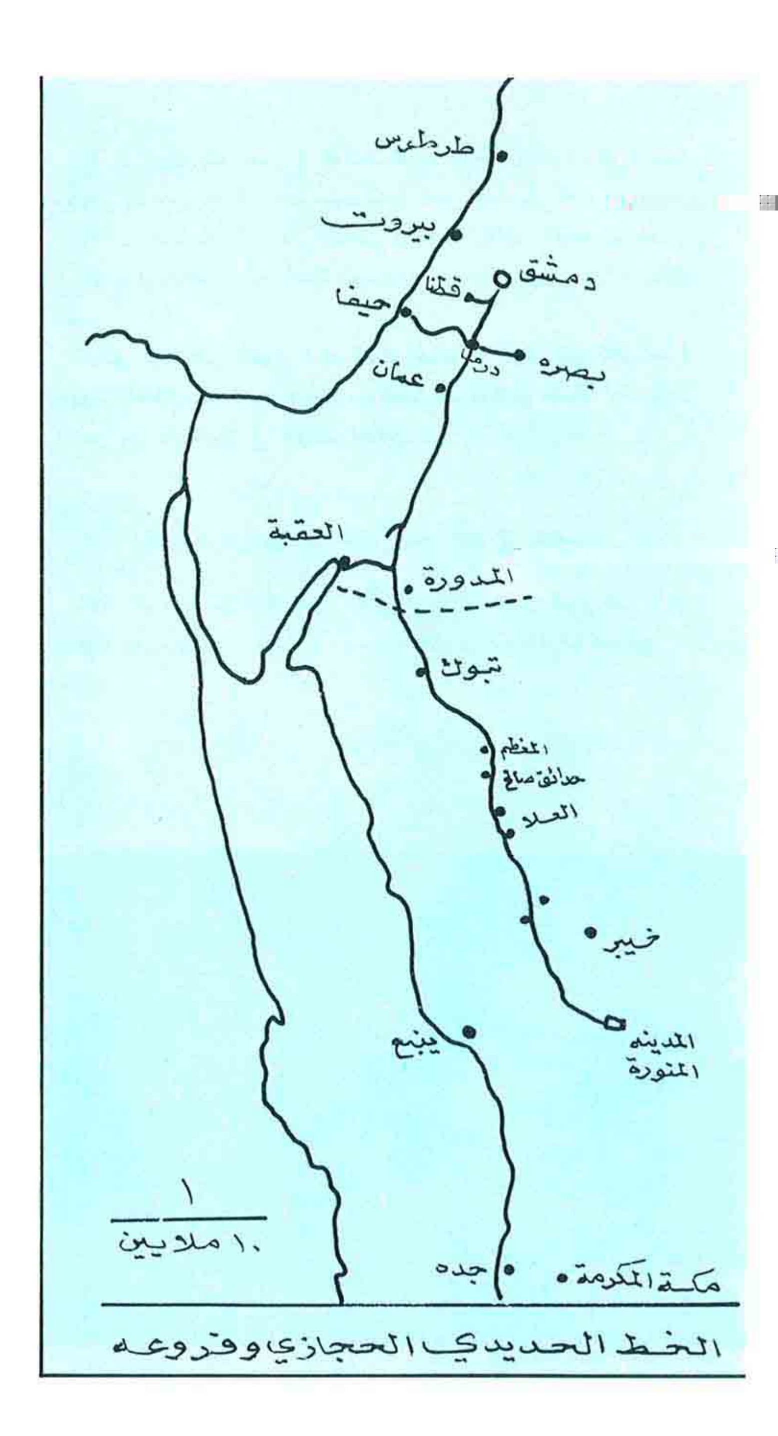
أعلن السلطان عبد الحميد الثاني عن المشروع في أوائل سنة (١٣١٨ هـ ، نيسان ١٩٠٠ م) . وأقام دعاية واسعة حوله في العالم ، من حيث أنه سيسهل سفر الحجاج ويؤمن راحتهم وأنه مشروع ديني خيري يجب على المسلمين أن يعملوا على إنشائه .

تحقق رجاء السلطان وبدأت الاكتتابات ترد من جميع البلاد الإسلامية ، وقد افتتح السلطان هذه الاكتتابات حيث تبرع بمبلغ ٣٢٠,٠٠٠ ل . ع ، وتبرع **شاه إيران** بمبلغ ٥٠,٠٠٠ ل . ع ، وتبرع **خديوي مصر** بكمية عظيمة من المواد ، وتشكلت جمعيات عديدة لمساندة المشروع ، ففي **الهند** وحدها تشكلت ١٦٦ جمعية لمساندته وجمعت التبرعات له ، فقد أرسل أهالي **مدينة لكناو** ٣٢,٠٠٠ ل . ع ، وأهالي **رانغون ومدراس** ٧٣,٠٠٠ ل . ع ، وأرسل الميرزا علي من كلكوتا ٥,٠٠٠ ل . ع ، وأرسل **مدير جريدة الوطن في لاهور** ٥,٠٠٠ ل . ع ، من اكتتابات قراء جريدته في **الهند والصين والترنسفال** .. كما تبرع عدد من الناس بآلاف الليرات العثمانية دون ذكر أسمائهم .

ثم أعلن السلطان عن منح **أوسمة وألقاب وشارات** لمن تبرع للخط ، فتبرع أحد النمسويين بمبلغ ٢١٠٠ ل . ع ، لنيل **لقب باشا** ، كما وضعت بعض الضرائب لمنفعة الخط ، وتبرع الموظفون براتب شهر كامل ، ثم تقرر حسم ١/١٠ راتب الموظفين مرة في العام لمنفعة الخط ، وأحدثت طوابع تذكارية له ، وجمعت جلود الأضاحي وبيعت لمصلحة الخط ، كما أوقفت عليه مشروعات وأراضي ، منها **منطقة مياه الحمة المعدنية ، ومرفأ حيفا .**

ولقد نجح المشروع نجاحاً كبيراً لم يكن المتفائلون يتوقعونه ، ولولا تبدل الأوضاع السياسية (خلع السلطان عبد الحميد خاصة) لوصل الخط إلى مكة المكرمة وينبع وجدة ، كما خطط له المشرفون عليه آنذاك .

كان المختصون يعتقدون أن مبلغ خمسة ملايين ل . ع ، هو الحد الأدنى اللازم لتمديد الخط ، ولكن الواقع كان أفضل من اعتقادهم ، ذلك أن الإعانات التي



الخط الحديدي الحجازي وفروعه

وردت من البلاد الإسلامية كانت ٧٥٠,٠٠٠ ل. ع ، كما وفرت الضرائب مورداً سنوياً قدره ٢٥٠,٠٠٠ ل. ع ، فاعتمدت الإدارة على الإعانات في شراء المواد اللازمة ، واعتمدت على الضرائب في تسديد نفقات الإنشاء .

كان المتفائلون ، يحسبون حساباً لطول المسافة وفقدان الماء وفقدان الأمن ووعورة المسالك وفقر الدولة وضعفها الإداري والفني ولكن مشيئة الله ذللت كل هذه الصعاب ، ووفقت القائمين على إدارة المشروع ، فأنجز بسرعة غير متوقعة ، ليكون صلة وصل بين بلاد الشام والديار المقدسة ، وليسهل على الحجاج والزوار قضاء فريضتهم .

رابعاً ـ إنشاء الخط

سار تمديد الخط بشكل سريع ، فقد تجاوزت المسافة المئة كيلومتر في بعض السنوات رغم الصعوبات ، **بدأ العمل في شهر أيلول (سبتمبر) (١٣١٨هـ ـ ١٩٠٠م) ، (بعد الإعلان عنه بنحو نصف سنة) من محطة المزيريب باتجاه درعا بسبب وجود خط سابق من المزيريب إلى دمشق ،** ثم رأت الإدارة أن يكون لها خطها الخاص من دمشق ، فبدأ العمل من القدم ودرعا في وقت واحد ، وافتتح القسم الأول من دمشق إلى درعا في أيلول (سبتمبر) ١٩٠٣م ، بطول ١٢٣كم ، وبعد نحو شهر افتتح القسم الثاني إلى عمان وعلى بعد ٢٢٣كم من دمشق وفي نهاية ١٩٠٣م ، وصل الخط إلى بعد ٣٠٠كم ، وتم في أول أيلول (سبتمبر) ١٩٠٤م ، افتتاح القسم الثالث إلى معان بطول ٤٥٩كم عن دمشق .

بعد معان يسير الخط في **أرض صحراوية ،** ثم يهبط نحو بطن **الغول ،** المنطقة الجميلة طبيعياً ، المخيفة بشرياً ، حيث كان الأمن غير معروف هناك . وفي عام ١٩٠٦م ، وصل الخط إلى **المدورة** على بعد ٥٧٢كم ، وفي أول أيلول (سبتمبر) ١٩٠٧م ، وصل إلى **تبوك ،** ثم وصل **المدائن ،** ثم **العلا وهدية ،** وأخيراً وصل إلى **المدينة المنورة** الواقعة على بعد ١٣٢٠كم من دمشق .

وصل أول قطار إلى المدينة المنورة في الثاني والعشرين من شهر آب (أغسطس) سنة (١٣٢٦هـ ـ ١٩٠٨م) خلال يومين ، بعد إعادة إعلان **الدستور العثماني** بنحو شهر (أعيد إعلان الدستور في ٢٤ تموز (يوليو) ١٩٠٨م) ، وجرى الاحتفال في أول أيلول (سبتمبر) (ذكرى جلوس السلطان) .

وعندما وضع حجر الأساس لبناء **الجامع الحميدي** قرب المحطة ، جرى احتفال آخر عظيم دعي إليه ممثلون عن الصحف الأجنبية ، كما حضره نحو ثلاثين ألفاً ، ويبدو أن السرعة في إقامة الحفل جعلت المهندس يخطئ في حساب اتجاه القبلة فجاء المحراب منحرفاً قليلاً ، ولعل الجدار أصلح الآن .

بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني في ٢٧ نيسان (أبريل) ١٣٢٧هـ ـ ١٩٠٩م ، حاول **الاتحاديون** الذين سيطروا على الدولة العثمانية ، الاتفاق مع **الشريف حسين ،** على تمديد الخط إلى **مكة المكرمة وجدة ،** لكنهم لم يفلحوا رغم الضغوط الشديدة التي مارسوها ورغم الإغراءات المالية التي عرضوها ، ذلك أن الثقة بين الأتراك (خاصة الاتحاديون) والعرب كانت مفقودة بسبب سياسة التتريك التي بدأها الاتحاديون .

خامساً ـ الخط الحديدي الحجازي في الحرب العالمية الأولى (١٣٣٣ ـ ١٣٣٧هـ) (١٩١٤ ـ ١٩١٨م)

استخدمت الدولة العثمانية هذا الخط في تنقلات جيوشها وعتادهم ، ولذلك كان هدفاً عسكرياً ، عمل **لورنس الإنكليزي** على تخريبه عندما شارك في الثورة العربية ، ولم يكن هدف لورنس من تخريب الخط عسكرياً بحتاً ، بل كان يهدف إلى تحطيم الخط ليقطع الاتصال نهائياً بين بلاد الشام وشبه الجزيرة العربية ، لأن هذا الخط في نظر الإنكليز المسيطرين على قناة السويس آنذاك ، يمكن أن يكون منافساً أو بديلاً لقناة السويس فيما لو تم تمديده إلى البحر الأحمر ، ثم إنه واسطة اتصال بين الإخوة وهذا ضد رغبات الاستعمار الإنكليزي خاصة .

وقد تحقق للإنكليز ما أرادوا ، وها قد مضى على تخريب الخط أكثر من ستين عاماً ولم يعد إلى العمل [1] .

سادساً ـ الخط بعد الحرب العالمية الأولى

حاولت الحكومة العربية في دمشق إصلاح الخط ، فأنشأت **مديرية عامة** له ، عملت مباشرة على إصلاحه بين دمشق ودرعا وعمان ، وأثناء العمل بإصلاح القسم الثالث إلى معان دخل الفرنسيون دمشق ، ثم انفصلت أراضي **شرقي الأردن** عن

سورية .

قبل ذلك استطاع الفنيون في إدارة الخط ، رغم ضعف الإمكانات ، تسيير الخط بين المدينة المنورة ودمشق ، وقد وصل القطار فعلاً في أواخر عام (١٣٣٨ هـ ــ ١٩١٩ م) ، إلى دمشق وجاء فيه **الأمير علي بن الحسين** (الملك علي فيما بعد) زائراً أخاه فيصلاً في دمشق ، ولكن سير القطار لم يكن منتظماً ، وفي عام ١٩٢٢ م ، أصدر **الملك حسين** أمراً بتأليف لجنة تشرف على إصلاح الخط ، فبدأت عملها من الأراضي الأردنية وأصلحت بعض الجسور معتمدة على إعانات تحسم من رواتب الموظفين ، ومن واردات الطوابع ، ورغم ضعف الموارد استطاعت اللجنة إعادة الخط إلى العمل وبدأ سير القطر عليه بشكل رسمي ونقل إلى المدينة المنورة في تلك الفترة أكثر من أربعة آلاف زائر .

وعندما تقاسم المستعمرون بلاد الشام ، تقاسموا أيضاً الخط وما يتبعه من معامل وقاطرات وشاحنات رغم كونه وقفاً إسلامياً له موارده الخاصة ، وبقي ما في الحجاز من نصيب الشريف ثم السعودية ، ثم ألغى الفرنسيون في سورية إدارة الخط الخاصة وألحقوه بالشركة الفرنسية المشرفة على الخطوط الأخرى في سورية ولبنان (٢) ، وفي شرقي الأردن تعاقدت الحكومة مع إدارة خطوط فلسطين على استثمار الخط الواقع في الأراضي الأردنية .

سابعاً ــ نفقات إنشاء الخط الحجازي

بلغت نفقات تمديد الخط الأصلي وفروعه حتى عام (١٣٣٧ هـ ــ ١٩١٨ م) ، مبلغ ٥,٠١٢,٣٩٨ ليرة عثمانية ذهبية ، ويبدو الرقم زهيداً عندما يتذكر الإنسان الصعوبات الكبيرة التي صادفت تمديد الخط ، ويعلل هذا الانخفاض في التكاليف بالأمور التالية :

١ ــ عد الناس هذا المشروع مشروعاً دينياً يجب عليهم الاشتراك في إنجازه بل والتعاون في سبيل إنجازه بأسرع ما يمكن .

٢ ــ اشترك جنود الجيش في عمليات التمديد وخاصة جنود فرقتي دمشق وبغداد ، وقد مات عدد كبير منهم بسبب مشقة العمل وعدم توفر الحماية الصحية .

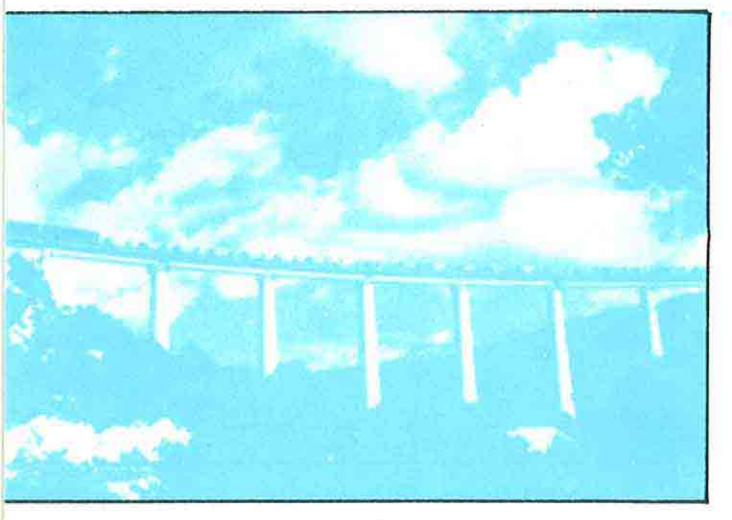
٣ ــ اشترك عدد كبير من الفلاحين في مختلف الأعمال المتعلقة بالخط .

٤ ــ قدم الكثيرون مواداً مختلفة بدون مقابل ، بل إن بعضهم لم يشأ أن يذكر اسمه .

وعلى هذا يمكن القول : إن الخط الحديدي الحجازي كان ثمرة جهود الأقطار الإسلامية جميعها ، ويمكن أن يكون مثالاً للتعاون المثمر بين المسلمين في الوقت الحاضر .

ثامناً ــ مراحل مباحثات إعادة الخط إلى العمل

طالب المسلمون عن طريق اللجان والأفراد ، بإعادة الخط إلى العمل نظراً لما له من فوائد معنوية ومادية ، ودعيت الدول ذات العلاقة إلى عدة مؤتمرات كان أولها :



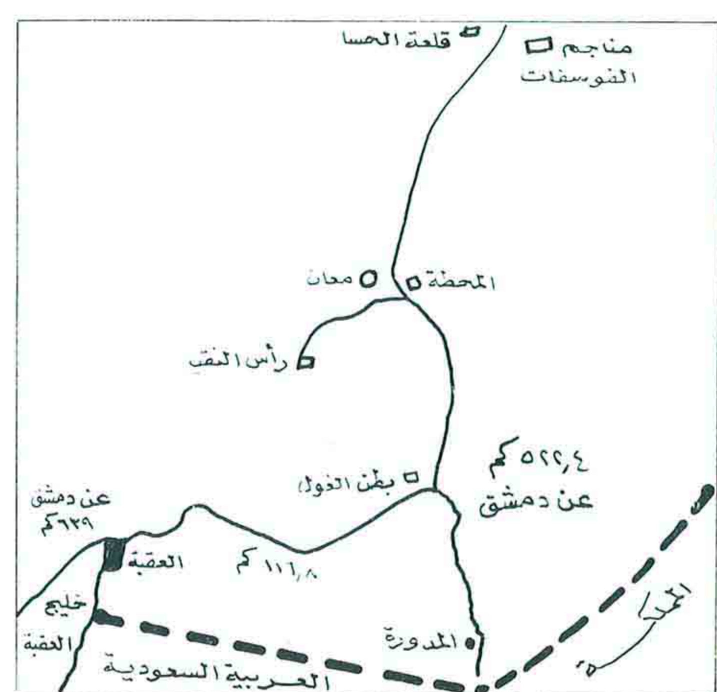
★جسر للخط الحديدي الجديد بين اللاذقية وحلب في سورية★

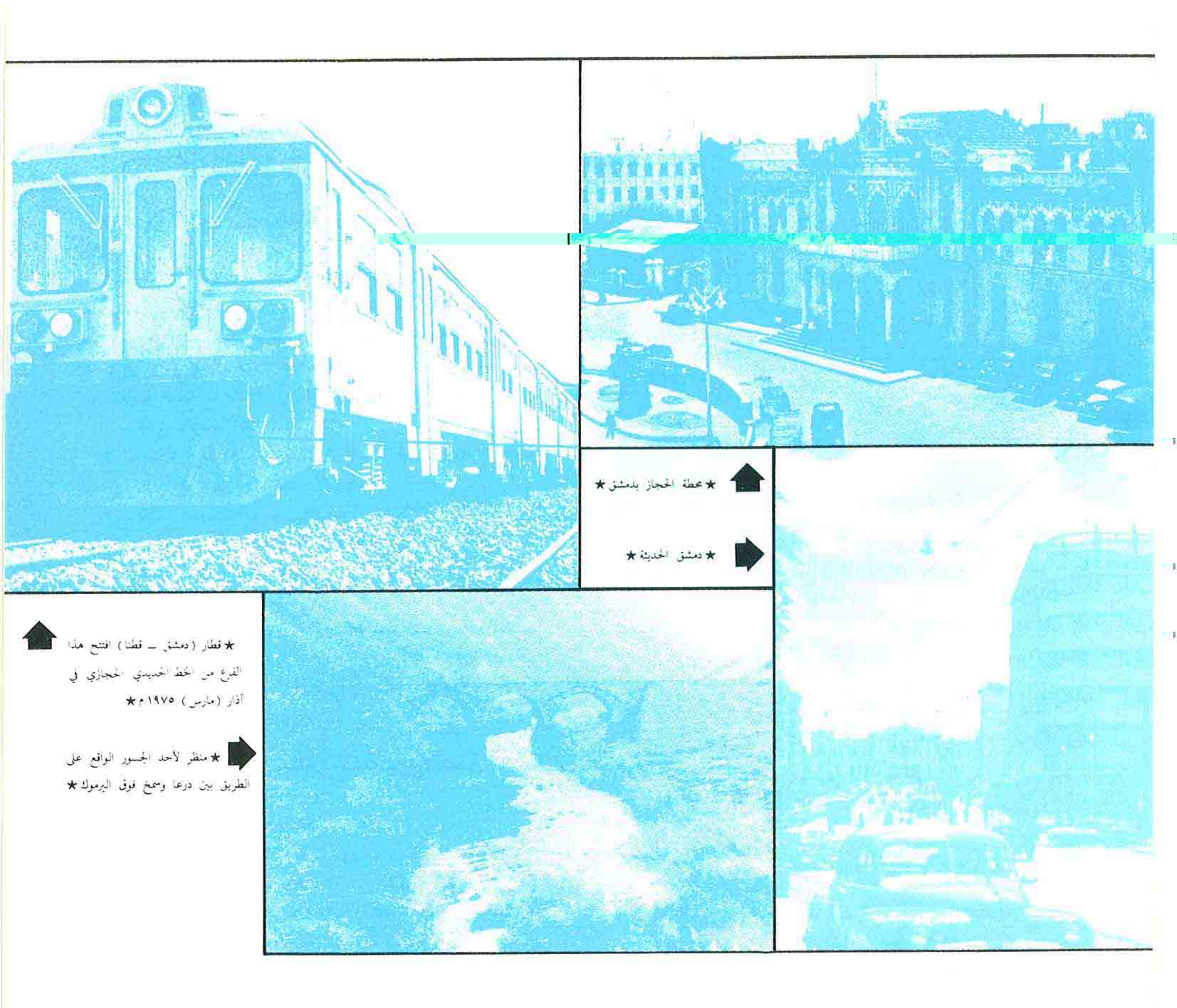
مؤتمر حيفا (١٣٤٨ هـ ــ ١٩٢٩ م) ، وقد فشل المؤتمر لأن المندوبين الفرنسي والإنكليزي رفضا طلب **الجانب السعودي** الذي كان يمثله السيدان **خالد الحكيم وعبد الله الدملوجي** ، اللذان طلبا الاعتراف بوقفية الخط الحجازي للعالم الإسلامي ، واعتباره وحدة كاملة يمتلكها العالم الإسلامي أجمع ، ولأنه في الواقع من عمل المسلمين ، ولأن الغاية الأساسية منه تسهيل قضاء فريضة الحج على المسلمين .

ثم عقد مؤتمر آخر عام (١٣٥٣ هـ ــ ١٩٣٤ م) ، تقرر فيه العمل على إصلاح الأقسام المخربة ولكن لم يتحقق أي إصلاح .

وعندما قامت **جامعة الدول العربية** ، دعت إلى **مؤتمر للمواصلات عقد في صوفر بلبنان** ، بتاريخ ١٩٤٦/٨/١ م ــ ١٣٦٦ هـ ، وانتهى المؤتمر بتكليف الدول العربية ذات العلاقة بدراسة أحوال الخط والاتفاق على إعادته للعمل ، ولبت الدول الثلاث الدعوة وعقد الاجتماع في **دمشق** بتاريخ ١٩٤٧/٤/١٨ م ــ ١٣٦٧ هـ ، وقد تم في هذا المؤتمر الاتفاق على تأليف لجنة ثلاثية

الجزء الأردني من الخط الحديدي الحجازي الذي جرت تقويته وتجديده إلى العقبة





★ محطة الحجاز بدمشق ★

★ دمشق الحديثة ★

★ قطار (دمشق ـ قطنا) افتتح هذا الفرع من الخط الحديدي الحجازي في آذار (مارس) ١٩٧٥م ★

★ منظر لأحد الجسور الواقع على الطريق بين درعا وسمخ فوق اليرموك ★

تقوم بالكشف على الأقسام المخربة ، وتقديم تقرير عن الخط ، كما دعت اللجنة حكومة فلسطين للاشتراك في اللجنة [٣] .

توالت اجتماعات اللجنة خلال عامي (١٣٦٧ ـ ١٣٦٨ هـ ، ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ م) ، وقامت هيئة فنية خلال هذه الفترة بالكشف على الخط ، ووضعت تقريراً مسهباً بما رأته ، وقدرت نفقات الإصلاح اللازمة بمبلغ ١٥ مليون ليرة سورية ، يمكن تخفيضها إلى نحو ١١,٤ م . ل . س تقسم كما يلي :

٣,٥ ملايين ليرة سورية نفقات إصلاح الخط في المملكة الأردنية الهاشمية .

٧,٩ ملايين ليرة سورية نفقات إصلاح الخط في المملكة العربية السعودية .

وقبلت سورية مبدأ المساهمة في دفع التكاليف إيماناً منها بالروابط الأخوية مع القطرين العربيين الأردني والسعودي .

ثم جاءت كارثة فلسطين وتوقفت الأعمال حتى عام ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٣م ، في ذلك العام زار المرحوم **الأمير سعود** (الملك سعود فيما بعد) سورية في نيسان (أبريل) من عام ١٩٥٣ م ، قبل وفاة والده **المرحوم الملك عبد العزيز** ببضعة أشهر ، وقابلته بعض الوفود والهيئات طالبة منه العمل على إعادة الخط الحجازي إلى العمل ، كما عقد في المدة بين ٧ ـ ١٠ أيار (مايو) من نفس السنة في دمشق ، **مؤتمر الغرف الاقتصادية العربية** ، واتخذ عدة قرارات منها : مناشدة الحكومات العربية الثلاث المعنية بالخط ، العمل على إعادة تسيير الخط الحديدي الحجازي .

وبناء على ذلك عادت الاتصالات بين الدول الثلاث وتم الاتفاق على السير وفق اتفاقية عام ١٣٦٧هـ ، ١٩٤٧م ، وتقرر :

١ ـ إجراء كشف جديد على الخط ، لأن التخريب يزداد مع الأيام .

٢ ـ تأليف لجنة تنفيذية خلال شهر مهمتها تنفيذ الإصلاح .

٣ ـ يدار الخط بعد توحيده من قبل مديرية عامة واحدة ،

يشرف عليها مجلس إدارة تتمثل فيه الدول الثلاث .

كما وضع المؤتمر نظام هذا المجلس ، وبقيت أمور ثلاثة تحتاج إلى بحث ، وهي :

١ ـ تقرير تمويل المشروع .

٢ ـ تعيين توزيع نسبة العجز في موازنة الخط الموحد على الدول الثلاث .

٣ ـ وضع الخط في سورية وفائدة سورية من توحيده ومن إعادته إلى العمل .

ثم عادت الأمور فتوقفت إثر الانقلاب على **أديب الشيشكلي** في سورية ، ومضت فترة ، أعادت خلالها الهيئات الإسلامية مراجعة الملك سعود ، راجية منه دعم المشروع من جديد ، وتمت فعلاً **دعوة وزراء المواصلات في الدول الثلاث إلى مؤتمر** عقد في الرياض في شتاء ١٩٥٥ م ، ضم إلى جانب الوزراء أعضاء اللجنة التنفيذية ، وقد تم في هذا المؤتمر اتخاذ عدة قرارات :

١ ـ تأكيد الارتباط باتفاق نيسان ١٩٤٧ م .

٢ ـ رصد مبلغ مليوني ليرة سورية لتأمين نفقات القيام بالدراسات المتعلقة بإصلاح الخط ، وقد تبرعت بها الحكومة السعودية .

٣ ـ تكفلت الدول الثلاث بتأمين نفقات الإصلاح التي ارتفعت إلى ٤٠ مليون ليرة سورية .

٤ ـ إعفاء الخط من جميع الرسوم والضرائب .

وقد صدقت الحكومة الأردنية هذا الاتفاق في ١٩٥٥/٣/١٩ م ، وصدقته سورية في ١٩٥٥/٤/١٩ م ، وصدقته السعودية في ١٩٥٥/٥/٥ م ، الموافق ٢ شوال ١٣٧٥ هـ .

وبعد نحو شهر ونصف ، أي في ٢٢ حزيران (يونيو) ١٩٥٥ م ، اجتمعت اللجنة التنفيذية في عمان واتفقت على ما يلي :

١ ـ قبول التعديلات التي طلبتها السعودية فيما يتعلق باللجنة التنفيذية ونظامها .

٢ ـ اعتبار اتفاق الرياض نافذاً .

٣ ـ الطلب من الحكومات الثلاث تحويل السلف المقرر سابقاً تسليفها إلى اللجنة التنفيذية للانفاق على المكتب الفني .

٤ ـ تعديل دفتر الشروط الذي وضعته الهيئة السورية لتلزيم أعمال الدراسة والعهدة إلى رئاسة اللجنة بترجمته إلى اللغتين الفرنسية والإنكليزية ، ووضع هذا العمل في مناقصة دولية على أساس دفتر الشروط المذكورة .

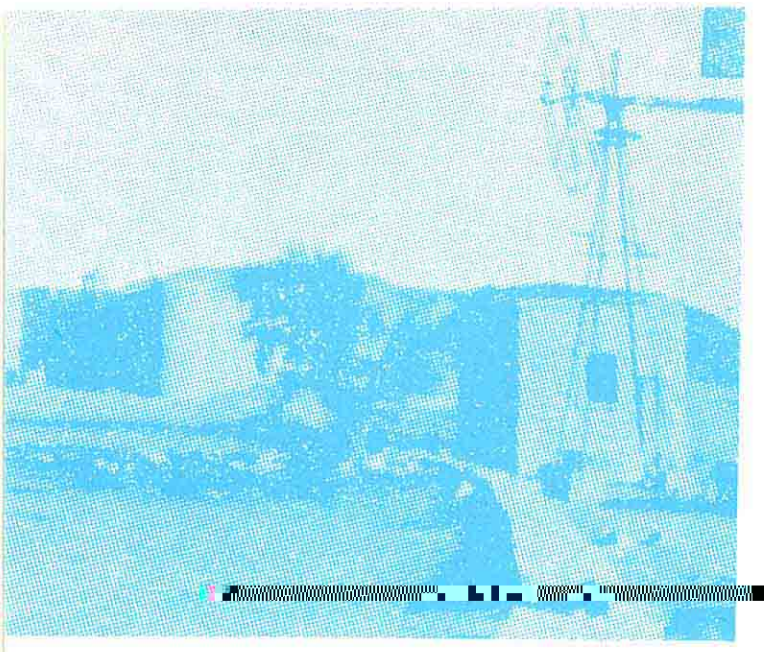
٥ ـ الطلب بوضع مبلغ المليوني ليرة سورية الذي تبرعت به السعودية تحت تصرف اللجنة التنفيذية لرصده لتلزيم الدراسة .

سارت الأمور على ما يرام ، لكنها عادت إلى التوقف بسبب الأحداث السياسية الداخلية والخارجية . . كانت العلاقات الاقتصادية وما زالت خاضعة وتابعة للأحداث السياسية .

بقيت الأمور تراوح في مكانها ، رغم إيمان الجميع بفائدة إعادة الخط إلى العمل ، وجاءت الستينات فتحرك المشروع في أوسطها تحرك النائم ثم عاد فخمد .

في أوائل السبعينات سرت في كيان الأمة العربية روح التضامن العربي ، وكان من نتائجها المشرقة **حرب رمضان** أو تشرين الأول (أكتوبر) ، كما كان من نتائجها التقارب بين القطرين العربيين ، الأردن وسورية ، واتفق القطران على بحث موضوع الخط الحديدي ، ورأت اللجنة التي بحثت الموضوع أن تعريض الخط وتمديده إلى **العقبة** فيه فائدة للقطرين الشقيقين ، خاصة أن دمشق ستتصل خلال بضع سنوات بخط عريض مباشرة مع **ميناء طرطوس** ، وبذلك يتم الاتصال عبر هذا الخط الجديد بين **البحرين المتوسط والأحمر** . وعندما علمت المملكة العربية السعودية بهذا المشروع أبدت رغبتها في المشاركة فيه ، لأنها تفكر في إعادة الخط الحجازي إلى العمل ، وعقدت اجتماعات بين وزراء المواصلات في الدول الثلاث خلال عام (١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م) ، وأوائل (١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م) ، وتم الاتفاق على إنشاء خط عريض جديد يربط الأقطار العربية الثلاثة ببعضها ، وتقدم عدد كبير من الشركات لدراسة المشروع ، اختار منها وزراء المواصلات عدداً محدوداً سيصار إلى تكليفها بدراسة المشروع خلال فترة تزيد عن السنة قليلاً . ثم يبدأ التنفيذ بإذن الله .

فهل يتحقق الأمل ؟ نرجو الله .



★ محطة (بركة المعظم) وظهرت فيها طاحونة الهواء التي ترفع الماء إلى الخزانات ★

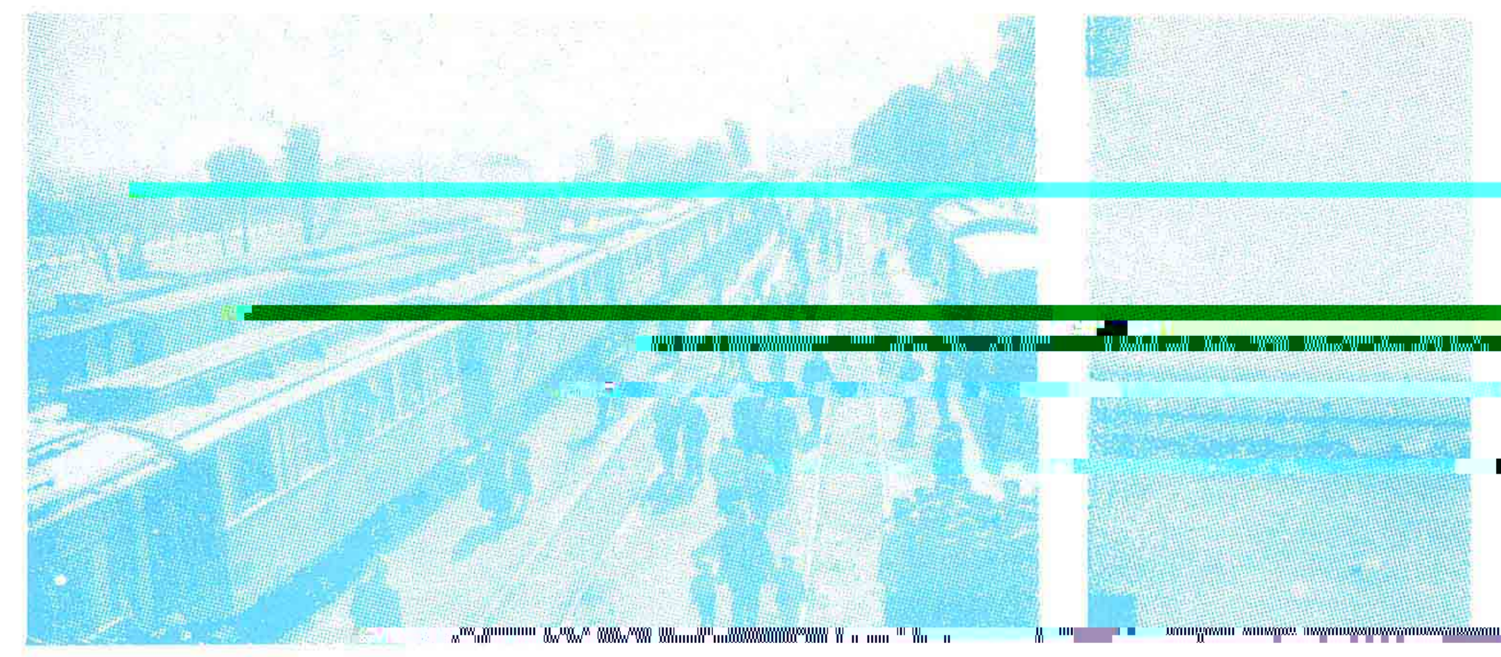
تاسعاً : فروع الخط الحديدي الحجازي

تعد **محطة درعا** محطة هامة بالنسبة للخط إذ يتفرع عنه في درعا :

●● **خط درعا ـ بصرى الشام** : بطول ٣٨,٦٠ كم . وتشتهر بصرى بما تضمه من آثار من عهود **الأنباط والغساسنة والرومان ثم العهود الإسلامية** من **أموية وأيوبية ومماليك وعثمانيين** ، إن هذا الفرع يوضح الناحية العسكرية والسياسية للخط فهو يصل إلى حدود جبل العرب **(جبل الدروز)** حيث كان سكانه في ثورة شبه دائمة ضد الحكم العثماني .

●● **الفرع الثاني والمهم هو درعا ـ حيفا : يعد ميناء حيفا** ، الميناء الطبيعي لمنطقتي **دمشق وحوران** المفصولتين عن الساحل بسلسلتين من الجبال ، مع ملاحظة نوع وسائط النقل في ذلك الحين ، وكان ربط الخط الحديدي الحجازي بالساحل أمراً ضرورياً لنقل المعدات والأدوات المستوردة وللتخلص من دفع الرسوم لشركة **ميناء بيروت** والخط الحديدي بيروت ـ دمشق .

لذلك منح السلطان امتياز مرفأ حيفا للخط الحجازي وقررت إدارة الخط تمديد فرع من درعا إلى حيفا ، وقد بدأ العمل فيه عام ١٩٠٢ م ، وانجزته خلال ثلاث سنوات رغم الصعوبات الطبيعية التي اعترضت تمديده ، ذلك أنه يبدأ من ارتفاع ٥٣٠ م ، عند درعا ليهبط إلى ما دون المئتي متر عند جسر **المجامع على نهر الأردن** ، ثم يعود إلى الصعود حتى ٨٠ م ، في **مرج ابن عامر** ثم يهبط ثانية إلى مستوى البحر عند حيفا . لقد كان هذا الفرع نشيطاً جداً وبقي كذلك حتى كارثة



★ محطة درعــا ★

فلسطين، حيث نسف الصهيونيون أحد الجسور الكبيرة التي يمر عليها فوق نهر اليرموك، وكان يؤمن نقليات التجارة الأردنية خاصة، بمعدل ستة قطارات في الذهاب ومثلها في الإياب يومياً وكان له فرعان الأول من العفولة إلى نابلس بطول ٧٧كم، والثاني من بلد الشيخ إلى عكا بطول ١٧كم.

●● **فرع العقبة**: عندما وصل الخط الحديدي الحجازي إلى معان، رأى المشرفون على تمديده ضرورة ربطه بميناء العقبة، لكن المسؤولين في الدولة أرادوا بذل الجهود الأساسية للخط الأساسي الأصلي، ثم إن خط درعا ـ حيفا يجري العمل فيه بشكل سريع وحيفا أصلح من العقبة كميناء للخط.

وفي عام ١٩٤٢م، عندما وصل روميل إلى العلمين وهدد الإسكندرية خشي الإنكليز على قناة السويس وفكروا بإمكانية اغلاقها، لذلك أرادوا أن يكون لديهم الطريق البديل الذي حاربوه سابقاً، بل عملوا على تخريبه، وأسرعوا بتمديد الخط الحديدي من معان باتجاه العقبة معتمدين على القضبان الحديدية القديمة الممددة باتجاه المدورة، وساروا في ذلك مسافة ٤٣كم، إلى نقب اشتر، أو رأس النقب، ثم انقلبت الأحوال وارتد روميل فتوقفوا عن العمل.

رأت **مؤسسة الخطوط الحديدية الأردنية** أنه من الأفضل تمديد فرع للخط من محطة بطن الغول (حطية) باتجاه العقبة، وتم ذلك في عام (١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م)، بطول ١١٧كم، كما قامت المؤسسة بتجديد وتقوية الجزء من الخط الحجازي الواقع بين محطتي بطن الغول ومناجم الفوسفات في الحسا وطوله ١٥٤كم. كما عمدت المؤسسة إلى تجديد الخط القديم من بطن الغول إلى المدورة في عام (١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م)، أملاً في إتمام إصلاح الخط في الأراضي السعودية.

بدأ استثمار الخط الحديدي إلى العقبة في أواخر عام (١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م)، وتبلغ طاقته الحالية ١,٦ مليون طن من الفوسفات و٠,٢٥ مليون طن من البضائع، وتعمل المؤسسة على رفع طاقته إلى ٣,٧ ملايين طن سنوياً في نهاية عام (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م)، كما أنه من المتوقع أن يتم نقل البضائع عليه إلى عمان قبل نهاية عام (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م)، وسيتبع ذلك تسيير قطارات للركاب عليه.

●● **فرع دمشق ـ قطنا**: وهو فرع جديد أيضاً، أنشأته سورية وقد افتتح في عام ١٩٧٥م، وهو قليل الأهمية في الوقت الحاضر.

نشاط الخط الحديدي الحجازي

أصدرت الإدارة العثمانية للخط عدة إحصاءات عن نشاط الخط قبل الحرب العالمية الأولى، نأخذ منها النموذج التالي:

● نقل الخط في عام ١٩٠٩م، من سورية إلى المدينة المنورة ٩١,٦٢٦,٣١٦ طناً من المواد الغذائية والصناعية.

● ونقل في عام ١٩١٠م، من سورية إلى المدينة المنورة ١١٢,٠٠٧,١١٢ طناً من المواد الغذائية والصناعية أي بزيادة ٢٠,٣٨١ طناً عن السنة الماضية وهذا دليل خير.

● بلغت موارد الخط قبل الحرب العالمية الأولى بعد تنزيل كافة النفقات مبلغ ٣٢,٧٦٨ ليرة عثمانية ذهبية.

وبعد أربعين عاماً نأخذ النماذج التالية مع ملاحظة أن نصف الخط معطل.

● نقل الخط في عام ١٩٥٠م، من سورية إلى الأردن ٢٠,٣٦٤,٠٠٠ طن كيلومتري.

وفي عام ١٩٥١م، ١٦,٧٦١,٠٠٠ طن كيلومتري.

وفي عام ١٩٥٢م، ٢١,٧٧٢,٠٠٠ طن كيلومتري.

وفي عام ١٩٥٣م، ٢٣,٤٠٦,٠٠٠ طن كيلومتري.

وفي عام ١٩٥٧م، ١٧٣,٦٣٣ طناً، منها ٥٢,٦٩٩ طناً من الفوسفات.

أما في مجال نقل الركاب، فقد كان نشاطه في تلك الفترة كما يلي:

● نقل الخط في عام ١٩٥٠م، من سورية إلى الأردن ٥,٣٩٩,٠٠٠ راكب كيلومتري.

وفي عام ١٩٥١م، ٦,٠٢٣,٠٠٠ راكب كيلومتري.

وفي عام ١٩٥٢م، ١٠,٥٦٢,٠٠٠ راكب كيلومتري.

وفي عام ١٩٥٣م، ١٥,٢١٩,٠٠٠ راكب كيلومتري.

ندرك من ملاحظة هذه الأرقام ومن الأرقام التي سترد فيما بعد أن الفائدة المادية للخط مؤكدة لا ريب فيها.

في مجال التجارة بين الدول الثلاث ذات العلاقة يمكن أن نأخذ النموذج التالي :

من سورية وإليها	تصدير إلى السعودية	استيراد من السعودية	تصدير إلى الأردن	استيراد من الأردن
١٩٥٦	١٩,٣٠٩,٠٠٠ ل. س ١٨,٣٧٥ طناً	٤٣,٧٠٤,٠٠٠ ل. س ٢٦٥,١٥٤ طناً	١٥,٠٨٩,٠٠٠ ل. س ١٦,٨٦٣ طناً	١٥,٠٨٥,٠٠٠ ل. س ٤٥,٦٧٩ طناً
١٩٥٧	٢٢,٣٤٢,٠٠٠ ل. س ١٤,٨١٣ طناً	٣٠,٧٨٢,٠٠٠ ل. س ٢٣٥,٨١٠ أطنان	١٧,٧٦٧,٠٠٠ ل. س ٢٤,٣٢٣ طناً	١٢,٥٨٩,٠٠٠ ل. س ٤٦,٠٣٤ طناً

وفي مجال عدد الإخوة العرب الذين زاروا سورية من البلدين الشقيقين نجد أنه :

في عام ١٩٥٥ م، من السعودية ٧٧٧٦ نسمة، ومن الأردن ٧١٩٠٦ .

وفي عام ١٩٥٦ م، من السعودية ٩٤٢٣ نسمة، ومن الأردن ١٠٦١٠٣ .

وفي عام ١٩٥٧ م، من السعودية ٩٧٨٩ نسمة، ومن الأردن ١٢٤٩٤١ .

مع ملاحظة عدم وجود طريق معبد يصل بين السعودية والأردن في تلك الفترة، فكيف يكون الحال عندما يكون القطار سريعاً مريحاً .

كما أن سورية تستفيد من تجارة المرور (**ترانزيت**) إلى القطرين الشقيقين والمثال التالي يعطينا فكرة عن هذه التجارة .

	إلى المملكة الأردنية الهاشمية		إلى المملكة العربية السعودية	
	١٩٥٦ م	١٩٥٧ م	١٩٥٦ م	١٩٥٧ م
من ألمانية الاتحادية				
القيمة	١٣,٢٩٠,٠٠٠ ل. س	١٨,٤١٩,٠٠٠ ل. س	٩٢٧,٠٠٠ ل. س	٢,٩٦٤,٠٠٠ ل. س
الكمية	٢٧,٥١٧ طناً	٣٤,٤٣٧ طناً	٨٠٢ طن	١٥٧٣ طناً
من بريطانيا				
القيمة	٣,٨٥٢,٠٠٠ ل. س	١٧,٣٣٢,٠٠٠ ل. س	١,٢٧٧,٠٠٠ ل. س	١,١٧٨,٠٠٠ ل. س
الكمية	٦٠٤٦ طناً	١٧,٠٦٣ طناً	١٠١٩ طناً	٦٣٢ طناً
من الولايات المتحدة الأمريكية				
القيمة	١١,٩٢٩,٠٠٠ ل. س	٢٦,٥٥٨,٠٠٠ ل. س	٩,٤٤٥,٠٠٠ ل. س	٦,٧١٦,٠٠٠ ل. س
الكمية	١٥,٧٦١ طناً	٢٧,٥٣٣ طناً	٢٩٦٢ طناً	٢٣١٢ طناً

ولنقفز عشرين سنة إلى عام ١٩٧٦ م، ونأخذ نموذجاً آخر عن العلاقات التجارية بين الدول الشقيقة الثلاث .

	١٩٧٥ م		١٩٧٦ م	
	استوردت سورية	صدرت سورية	استوردت سورية	صدرت سورية
من الأردن وإليها	٥١,١٠١,٠٠٠ ل. س	٤٨,٧٤٤,٠٠٠ ل. س	٩٢,٧١٤,٠٠٠ ل. س	٧٧,١٠٣,٠٠٠ ل. س
من السعودية وإليها	١٠,١٥٩,٠٠٠ ل. س	٨٦,٤١٥,٠٠٠ ل. س	٦٠١,٩٧٧,٠٠٠ ل. س	٢٠١,١٥٢,٠٠٠ ل. س

من ملاحظة هذه الجداول نرى أن حجم التجارة بين الأقطار الشقيقة يحتاج إلى وسائط نقل يمكنها أن تقوم بهذا العبء الكبير، ولا شك أن القطار أهل لتحمل هذا العبء المفيد والمتزايد .

★ مدخل النفق قرب محطة مستبقة جنوب تبوك ★



ونموذج أخير عن تجارة المرور عبر سورية (ترانزيت) إلى البلدين الشقيقين* .

بلد المقصد	بلد المنشأ	١٩٧٥ م		١٩٧٦ م	
		القيمة مليون ل . س	الكمية ألف طن	القيمة مليون ل . س	الكمية ألف طن
الأردن	لبنان	١٢٣	٧٢	٩٢	٧١
	ألمانيا الاتحادية	١٠٦	١٤	٣٤٧	٣٣
	مصر	٦	٤	٤	٤
	تركية	٣٥	٢٧	٦٩	٧٠
	بلاد أخرى	٣١٤	١٥٢	٤٤٤	١٦٧
	المجموع	٥٤٩	٢٤٢	٨٨٧	٢٧٥
السعودية	لبنان	٦٧٩	٣٦٣	٤٦٩	٣٥١
	ألمانيا الاتحادية	٨٨٢	٨٧	١١٨٤	١١١
	بريطانيا	٢٤٠	٢٦	٥٥٢	٥٤
	بلاد أخرى	١٢٦٨	٢٧١	٢٠٦٧	٦٣٠
	المجموع	٣٠٦٩	٧٤٧	٤٢٧٢	١١٤٦

يدل هذا الجدول على أهمية تجارة المرور وعلى الوفر الكبير في النفقات التي يمكن أن تنشأ عن الفرق الكبير في أجور النقل بين السيارة والقطار .

نتساءل الآن هل تستفيد المملكة العربية السعودية داخلياً من إعادة تسيير الخط الحجازي أو إعادة إنشائه من جديد ؟ وأيها أفضل للمملكة اعتمادها على السيارات أم اعتمادها على الخط الحديدي ؟

إن التطور الكبير والسريع في المملكة يستدعي الاستفادة من الوسيلتين، وقد رأينا مزايا كل وسيلة، والملاحظات التالية[4] تؤكد ضرورة إعادة إنشاء الخط الحديدي بل وتمديد فروع له في أنحاء المملكة العربية السعودية :

١ ـ لقد زادت حركة المرور على الطرق في المملكة زيادة كبيرة، حيث بلغت نسبة التزايد خلال **الخطة الخمسية الأولى** للمملكة ٩٠ ـ ٩١/ ٩٤ ـ ١٣٩٥ هـ، بمعدل ١٢ ٪ سنوياً، ثم ارتفعت في مطلع **الخطة الخمسية الثانية** إلى أكثر من ١٥ ٪ وازداد حجم النقل التجاري المحلي في المملكة ١٠٠ ٪ أو أكثر خلال فترة الخطة الخمسية الأولى، وأصبح النقل البري بوساطة السيارات وسيلة النقل المهيمنة، حيث ازداد عدد سيارات الشحن التجاري من ٣٥,٠٠٠ سيارة عام ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م، إلى ٩١,٠٠٠ سيارة عام ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م، وزاد عن المئة ألف سيارة في نهاية الخطة الخمسية الأولى .

٢ ـ رغم التوسع الكبير في **الموانئ السعودية**، فقد تجاوز الضغط فيها طاقتها مما زاد في زمن انتظار السفن، ويؤدي هذا إلى دفع غرامات التأخير التي تنعكس على أسعار الحاجيات المستوردة، مما اضطر الدولة في بعض الأحيان لاستخدام الطائرات العمودية لتفريغ السلع المستوردة من على ظهر السفن مباشرة .

٣ ـ تزداد **نسبة الواردات في المملكة** بشكل مطرد ومثال ذلك : زادت الواردات في عام ١٩٧٣ م، بنسبة ٢٧,٥ ٪ عن عام ١٩٧٢ م، وهذا يستدعي زيادة في وسائط النقل .

٤ ـ ارتفاع عدد **سكان المملكة**، وحسب عام ١٩٧٤ م، كانت **المنطقة الغربية** من المملكة تستأثر بـ ٥٨ ٪ من عدد السكان أي ٣,٨٨٥,٥٠٧ نسمة، ونجد في المنطقة الغربية أربعاً من المدن الكبرى في المملكة :

مدينة جدة ٥٦١,١٠٤ نسمة .

مدينة مكة المكرمة ٣٦٦,٨٠١ نسمة، بينما تضم إمارة مكة المكرمة ١,٧٥٤,١٠٨ نسمة .

مدينة الطائف ٢٠٤,٨٥٧ نسمة .

المدينة المنورة ١٩٨,١٨٦ نسمة، بينما تضم إمارتها ٥١٩,٢٩٤ نسمة .

يضاف إلى هؤلاء سكان المنطقة الواقعة بين المدينة المنورة والحدود الأردنية، وفي **موسم الحج** يجب أن نضيف مليون نسمة على الأقل إلى سكان المنطقة الغربية .

٥ ـ تهتم **وزارة الزراعة والمياه** بتمديد طرق المواصلات لأنها من أهم العوامل التي تساهم في تنمية الإنتاج الزراعي وتقدمه .

٦ ـ **تجارة المملكة مع لبنان :** يتبين لنا من مراجعة الإحصاءات المتعلقة بالتجارة أن **لبنان** يأتي في الدرجة الثالثة بين الدول المصدرة إلى المملكة حسب عام ١٩٧٤ م، فقد احتلت **الولايات المتحدة** الدرجة الأولى بنسبة ١٧,١٠ ٪، **واليابان** ١٥,٩٣ ٪، **ولبنان** ١٥,٢٤ ٪، ومن حيث القيمة ١,٥ مليار ريال سعودي، بينما صدرت المملكة إلى لبنان بمقدار ٢٠٤,٣٣٥,٠٠٠ ريال سعودي . ومعظم الواردات من لبنان هي من تجارة المرور (ترانزيت)، أو البضائع التي أعيد تصديرها من لبنان وخاصة المستوردة من دول أوروبا الشرقية .

هذه الملاحظات تؤكد الحاجة الملحة إلى القطار، لأنه يحل العديد من مشكلات النقل، كما يخفض من تكاليف البضائع المستوردة خاصة .

ولكن هل يستعمل السعوديون القطار والعديد منهم يملك سيارته الخاصة ؟

نأخذ المثال التالي من **سكة حديد الرياض ـ الدمام :**

كان **عدد ركاب** الخط لجميع المحطات في سنة ١٣٨٤ هـ، ٧٤,٧٧٤ راكباً، ثم ارتفع في سنة ١٣٩٣ هـ، إلى ١٦٩,٥٩٧ راكباً .

وكانت **البضائع المنقولة** في سنة ١٣٨٤ هـ، ٨٤٥,١٩٦ طناً، وأصبحت في سنة ١٣٩٣ هـ، ١,١٢٦,٥٤٤ طناً .

إنهم يستخدمون القطار إذن وبشكل متزايد، وطالما أنه مريح وسريع وأمين



★ إحدى قاطرات الخط الحديدي في المدينة المنورة ★



★ منطقة الحمة ونهر اليرموك ★

ورخيص ، فمن ذا الذي لا يستخدمه ؟

ندرك مما تقدم أن الفوائد الاقتصادية لإعادة تسيير الخط الحديدي الحجازي أو إنشائه مجدداً مؤكدة ، بإذن الله ويمكن القول إنه :

●● يؤدي إلى تنمية **التبادل التجاري** بين الأقطار العربية .

●● يساهم في سرعة **التقدم الصناعي** بسبب ازدياد الاستهلاك .

●● يحفظ جزء كبيراً من **الثروة العربية** ، بسبب الفروق الكبيرة بين استهلاك السيارة والقطار .

●● يساعد على **توسيع الرقعة الزراعية** في المملكتين الأردنية والسعودية .

●● يساعد على **استثمار الثروات الباطنية** .

●● يسهل زيارة المناطق الأثرية **(وادي موسى ، مدائن صالح ، والقرية)** .

●● ازدياد **العمران** حول المحطات التي يملك الخط جزء من الأراضي حولها .

وتبقى الفائدة الأولى والأهم ، التقاء الإخوة ، وتسهيل هذا اللقاء .

الهوامش

١ ــ بقيت شبه الجزيرة العربية منعزلة عن بلاد الشام والعراق حتى النصف الثاني من القرن العشرين ، ولم يكن هناك أي طريق معبد يربط بين السعودية والكويت والعراق والأردن ، وظل الأمر كذلك حتى عام ١٩٥٨ م ، حيث بدأت المملكة العربية السعودية بإنشاء الطريق بين تبوك والمدينة المنورة (٦٧٤) كم ، على مراحل ، وانتهى العمل في هذه الطريق عام ١٩٦٥ م ، ولم تكتمل حتى ١٩٧٠ م ، إلى الحدود الأردنية .

أما في المنطقة الشرقية فقد بدأ إنشاء الطريق في عام ١٩٥٩ م ، إلى الكويت ثم إلى العراق .

٢ ــ تشكلت إثر ذلك لجنة الدفاع عن الخط الحديدي الحجازي وظلت تطالب بإعادة الإشراف على الخط إلى الأوقاف ، لكنها لم تفلح حتى تم استقلال سورية ، بادرت إلى سن قانون اعتبر فيه الخط مع املاكه وحقوقه ومصالحه وقفاً إسلامياً له شخصية حقوقية مستقلة .

٣ ــ دعيت حكومة فلسطين لأن للخط الحجازي أملاكاً هامة في فلسطين أهمها ميناء حيفا وينابيع الحمة المعدنية ، إضافة إلى الخط الحديدي في فلسطين التابع للخط الحجازي .

٤ ــ هذه الملاحظات اعتمدنا فيها على كتابي جغرافية المملكة العربية السعودية للأستاذ حسين حمزة بندقجي ، والدكتور عبد الرحمن صادق الشريف .

★ هذه الأرقام مأخوذة من المجموعات الإحصائية السورية للأعوام المذكورة .

مصادر البحث

١ ــ رسالة جامعية عن الخط : أحمد رأفت مرادني .

٢ ــ النشرات الاقتصادية لغرفة تجارة دمشق .

٣ ــ خطط الشام : محمد كرد علي .

٤ ــ دمشق في أوائل القرن العشرين : أحمد حلمي العلاف .

٥ ــ تاريخ الثورة العربية الكبرى (عدة مؤلفات) .

٦ ــ جغرافية المملكة العربية السعودية : الأستاذ حسين حمزة بندقجي .

٧ ــ جغرافية المملكة العربية السعودية : الدكتور عبد الرحمن صادق الشريف .

٨ ــ مجلات ونشرات مختلفة .

بسم الله الرحمن الرحيم

مطلوب ٣٠ طالبًا

لبعثة دراسية إلى فرنسا

سلاح المدرعات

بالجيش العربي السعودي



يدعو حملة الثانوية الصناعية للتقدم لهذه البعثة وفق الشروط التالية :

١ - أن يكون طالب الإلتحاق سعودي الجنسية .
٢ - أن لا يقلّ عمره عن ١٦ عامًا .
٣ - أن يكون من حملة الثانوية الصناعية في مجالي : الكهرباء والميكانيكا .

مزايا يحصل عليها المتقدم :

١ - يعيّن المتقدم أولاً كطالب بمدرسة الصيانة بالطائف بمكافأة شهرية قدرها ٩٠٠ ريال طول مدة دورة التأهيل التي لا تزيد عن ١٢ شهرًا .

٢ - يعيّن المتقدّم بعد تخرجه من دورة التأهيل برتبة رقيب فني براتب لا يقلّ عن ٤٤٢٠ ريالاً .

٣ - يحصل على راتب شهرين كبدل تعيين .

٤ - مدة البعثة الدراسية في فرنسا ٣ سنوات .

٥ - يؤمّن للمتقدم السكن العائلي المريح ضمن مشاريع وزارة الدفاع للمتأهلين ، وكذلك السكن المريح للعزّاب .

بادر بمراجعة قيادة سلاح المدرّعات إذا كنت في المنطقة الوسطى ، أو قيادات المناطق العسكرية في المناطق الأخرى .

لمزيد من المعلومات :
يرجى الاتصال : تليفون ٦٢١٧٧ - ٣٠٠٩٣ الرياض .
والتليفونات : ٦٢٠٥٥ / ٦٢٠٨٨ / ٦٢٠٣٣ / ٦٢١١١
التوصيلة ١٦٩ أو ١٦٠ الرياض .
أو : ٢٣٥٠٠ الطائف .

R



للشاعر الهندي العالمي رابندرانات طاغور
ترجمة : اليس مرجان

بائع الفاكهة

ابنتي « ميني » ذات الخمسة أعوام لا تستطيع أن تكف عن الحديث أبداً .... لا تمضي دقيقة واحدة من عمرها في صمت ...

وكثيراً ما تغضب أمها من هذه الثرثرة وتنهاها عن كثرة الكلام .... لكني لا أفعل ذلك أبداً أن أرى « ميني » هادئة .... شيء غير طبيعي .... لا أستطيع تحمل صمتها طويلاً ... لذلك فمناقشاتنا تنضح دائماً بالحيوية والفرحة .

... ذات صباح ، وبينما أنا مشغول بكتابة الفصل السابع عشر من روايتي الجديدة .. تسللت « ميني » إلى حجرتي ووضعت يدها الصغيرة في يدي ، قائلة :

أبي ... إن حارس البوابة ينعق مثل الغراب ... إنه لا يفهم شيئاً .... هل يفهم ... ؟!

... وقبل أن أبدأ في الشرح لها اختلاف لغته عن لغتنا .... كانت قد بدأت تتحدث في موضوع آخر .. ! .. **ماذا تعتقد يا والدي ؟! صديقتي تقول إن هناك فيلاً بين السحاب ... يدفع الماء من خرطومه .... فتسقط الأمطار !!**

قالت ذلك ثم جلست عند قدمي قرب المائدة تلعب في هدوء .

— كنت أركز في الفصل السابع عشر من روايتي ... حيث أمسك البطل البطلة بين ذراعيه ... كانا على وشك الهروب من القلعة ... عندما تركت « ميني » لعبتها فجأة ... وجرت إلى النافذة صائحة ..

« بائع الفاكهة ... بائع الفاكهة » .

... كان بائع الفاكهة يمر أسفل النافذة ... يمشي ببطء يحمل فوق ظهره حقيبة ... وبين يديه أقفاص العنب .

... لا أستطيع أن أصف شعور ابنتي لرؤية هذا الرجل ... لقد بدأت تنادي عليه بصوت مرتفع ... وتأكدت أنه سوف يأتي « **ولن ينتهي أبدأ الفصل السابع عشر من روايتي** » .

.. في هذه اللحظة نظر بائع الفاكهة إلى طفلتي ... عند ذلك انتابها الفزع ... وهرعت إلى أمها تحتمي بها فقد كان لديها إيمان قوي أنه بداخل تلك الحقيبة التي يحملها ذلك الرجل الضخم طفلتين أو ثلاثة .

... دخل بائع الفاكهة من بوابة المنزل .. واقترب من مكاني يحييني بوجه مبتسم .

... « كان وضع البطل والبطلة في روايتي قلق ، حتى أصبح دافعاً

لي للتوقف عند هذا الحد من الرواية » لشراء بعض الأشياء ، خاصة أن « ميني » قد نادت عليه . . .

اشتريت منه بعض الأشياء . . . ثم بدأنا مناقشة بعض الموضوعات .

. . . وعندما أوشك الرجل على الرحيل سألني . . . **أين الصغيرة يا سيدي ؟!**

واعتقدت أن « **ميني** » ستتخلص من مخاوفها الوهمية فناديت عليها . . . فجاءت ووقفت بجوار مقعدي تراقب « **بائع الفاكهة** » وحقيبته .

. . . قدم البائع لها « **جوزهند** » و« **زبيب** » . . . لكنها لم تتحرك بل تعلقت بي محتمية أكثر . . . وأخذت مخاوفها تزداد . . . **وكان هذا أول لقاء لها .**

. . . وذات صباح ، بعد عدة أيام ليست كثيرة . . . وعندما كنت أهم بالخروج . . . رأيت « **ميني** » جالسة على مقعد قرب الباب . . . وتضحك وتتحدث مع « **بائع الفاكهة** » الضخم . . . وهو جالس عند قدميها .

. . . كان يبدو أن صغيرتي وطوال حياتها لم تجد مصغياً إليها . . . صبور . . . مثل هذا الرجل ووالدها . وكان طرف « **الساري** » الذي ترتديه محشواً « **باللوز والزبيب** » .

قلت للرجل : **لماذا أعطيتها كل تلك الأشياء ؟!**

وأخرجت بعض النقود وأعطيتها له . . . فقبلها الرجل دون تردد ووضعها في جيبه . .

لكن عند عودتي وجدت تلك النقود التي أعطيتها للرجل قد سببت المتاعب لابنتي . . . فقد أعطى البائع النقود « **لميني** » . . وعندما رأت أمها النقود تلمع بين يديها انقضت عليها تسألها من أين حصلت على النقود ؟!

قالت « **ميني** » بمرح : أعطاها لي « **بائع الفاكهة** » .

. . . [illegible] « **بائع الفاكهة** » !!

وبدخولي أنقذت ابنتي من كارثة وشيكة .

. . . لقد تغلب « **بائع الفاكهة** » على مخاوف « **ميني** » وأوهامها بعصير التوت اللذيذ . . . وجوزالهند واللوز . . . وأصبح الاثنان الآن من أخلص الأصدقاء .

. . . كان لهم معاً طرائف نادرة يتبادلونها معاً . . مما زاد تعاونهما ومرحهما .

كانت تجلس أمامه بكل رقتها . . . ناظرة إلى شكله العملاق وقد امتلأ وجهها بالضحك والفرح متسائلة . . . **ماذا معك ؟ . . . ماذا أحضرت في حقيبتك ؟**

فيجيبها بلهجة أهل الجبل : **أحضرت معي « فيلاً » . . .**

. . . ربما لا يسبب هذا الرد كل الفرحة التي بها « **ميني** » . . لكن كان لهما متعتهما المشتركة وسعادتهما معاً بكل ما يقال .

« كان حديث طفل مع رجل كبير . . . . غريب بعض الشيء . . . به سحر خاص » .

. . . يضحك « **بائع الفاكهة** » . . ويقول للصغيرة : **حسناً يا صغيرتي . . . ومتى تذهبين إلى « بيت حماك » . . . « أبو زوجك » ؟!**

« كان أغلب الفتيات الصغيرات يسمعن منذ زمن بعيد عن بيت « الحمى » . . . ولكن نحن أبناء اليوم قد تناسينا مثل هذه الأمثال والأحاديث وحجبناها عن صغيرتنا » .

كان لهذا السؤال تأثير السحر على ابنتي « **ميني** » ـ لكنها لا تظهر هذا الأثر ـ وتجيب بهدوء . . . **هل ستذهب أنت إلى هناك ؟!**

« من المعروف بين البائعين الجائلين لهذه الكلمات « منزل الحمى » أكثر من معنى . . . لقد كانت تستعمل بينهم بديلاً عن كلمة « السجن » حيث يعتنى بالمرء بلا مقابل » .

. . . لذلك كان البائع يأخذ سؤال ابنتي بهذا المعنى . . . فيجيبها ملوحاً بقبضته لرجل البوليس الذي يتخيله أمامه « **سأحطم بيت حماي** » .

وعندما تسمع « **ميني** » ذلك . . . وتتخيل هذا الرجل المسكين ، تندفع في قهقهة عالية من الضحك مصحوبة بضحكات صديقها العجوز .

. . . وذات صباح . . . في يوم من أيام الخريف . . . ذلك الوقت من السنة حيث لا أحرك أنا فيه ساكناً . . فلا أترك ركني الصغير . . بل أسمح لعقلي فقط أن يتجول في أنحاء العالم كله . . . وعند ذكر اسم أي بلد آخر يقفز قلبي معه إليه . . . وكلما رأيت « **أجنبياً** » في الشوارع أفشل في منع تحريك أحلامي المتشابكة . . الجبال والوديان . . الغابات [illegible] والطبيعة . . . وكلما رأيت هذا البائع المتجول . . أسرح بخيالي فجأة عند أقدام الجبال التي تخرج منها طرق ومضايق ملتوية تصل إلى قممها . . . وأستطيع أن أرى شريط « **الجمال** » تحمل البضائع . . . يسوقها التجار « **المعممين** » يحملون أسلحة نارية قديمة . . غريبة الشكل . . . وبعض من رماحهم التقليدية . . . متجهين إلى السهل .

. . . وتدخل والدة « **ميني** » قائلة : **« احذر هذا الرجل . . . »**

« إن زوجتي سيدة خجولة جداً . . . لكنها متشائمة » . . فعندما تسمع صوتاً في الشارع . . أو ترى أناساً قادمين تجاه البيت . . . تقفز إلى ذهنها فكرة أنهم . . . إما لصوص . . . أو سكارى .



«إلى الآن ... وبعد كل هذه السنوات لا تستطيع أن تتغلب على **مخاوفها**» لذلك فهي مملوءة بالشك تجاه ذلك «**البائع المتجول**» ... تتوسل أن أضع عيني عليه دائماً ... وأن أراقبه ... وأنا أحاول دائماً أن أضحك من مخاوفها وأبعدها عنها ... لكنها تلتفت إلي بجدية وتسألني بلهجتها الحازمة قائلة : «**ألا تعرف أن هناك رجالا يخطفون الأطفال ؟! ... ألا يحتمل أن يحمل هذا العملاق طفلاً صغيراً**» ؟!

فأطمئنها وأخبرها أن ذلك ليس مستحيل ولكنه محتمل جداً .. ولكن هذا ليس كافياً لأن يحدث ... وتظل مخاوفها .

.. ولأن مخاوفها ليست على أساس فلا داعي أن أمنع الرجل من المجيء إلى البيت ... بل لقد أصبحت زيارته للبيت شيئاً مألوفاً جداً .

... مرة كل عام في منتصف يناير (كانون الثاني) .. اعتاد «**برهان**» بائع الفاكهة العودة إلى بلده .. وكلما اقترب ميعاد العودة أكثر «**برهان**» من التجول من بيت إلى بيت يجمع نقوده ... لكن هذا العام ... كان البائع يجد الذي يستطيع فيه أن يرى «**ميني**» .

وكانت زياراته تبدو لمن يراقبها من الخارج غريبة .. فعندما لا يستطيع أن يحضر في الصباح فلا بد أن يحضر في المساء .

... كان يزعجني قليلاً أن أرى فجأة هذا الرجل العملاق ... ذو الرداء المفكوك والحقائب الكثيرة ... جالساً في ركن من الحجرة .

وعندما تقبل «**ميني**» مسرعة مبتسمة صارخة «**البائع المتجول .. البائع المتجول**» ثم يستكين الاثنان ... بكل الفارق بينهما ... يندمجان في ضحكاتها ... وفكاهاتها ...

وعندما أرى ذلك ... أستعيد ثقتي .. ويزول عني القلق ... وأشعر بالأمان والثقة فيه .

★ ★ ★

.. وذات صباح .. وقبل عزم «**برهان**» على الرحيل بأيام قليلة ... وبينما كنت أرتب أوراقي في مكتبي .. والجو شديد البرودة وأشعة الشمس تدخل الحجرة لتلامس أقدامي .. سمعت ضوضاء في الشارع نظرت خارجاً .. فرأيته «**برهان**» مقيداً بين اثنين من رجال الشرطة ... محاطاً بكثير من الأطفال .. كانت ملابس «**برهان**» ملوثة بالدماء .. وأحد رجال الشرطة يحمل سكيناً .

أسرعت إلى الخارج أستفسر ... من بعض الأشخاص .. ومن واحد وآخر استطعت أن أجمع المعلومات «**واحد من المدينين لبرهان بثمن شال أنكر أنه اشترى منه شيئاً**» .

... وفجأة .. وبينما «**برهان**» في انفعاله .. وعصبيته .. يسب ويشتم .. ظهرت «**ميني**» من نافذة المنزل .. ظهرت باستفساراتها الدائمة .

... **أيها «البائع المتجول» ... «أنت أيها البائع المتجول» ...** وأضاء وجه «**برهان**» والتفت إليها . ولم يكن يحمل حينذاك حقيبته ... لذلك لم تستطع «**ميني**» أن تناقشه في موضوع «**الفيل**» ، فقفزت إلى السؤال الآخر : «**هل ستذهب إلى منزل حماك**» ؟!

ضحك «**برهان**» .. وقال ... **فعلاً .. هذا تماماً ما أنا ذاهب إليه .. !!**

وعندما رأى أن إجابته لم تسعد الطفلة رفع يديه المكبلتين قائلاً :

آه ... نعم .. يجب أن أحطم ذلك «الحمى العجوز» ... لكن يداي مقيدتين .

★ ★ ★

وبتهمة التهجم ... والشروع في القتل .. حكم على «**برهان**» بسنوات سجن طويلة .

... ومر زمان ... وأصبح «**برهان**» منسياً .. والحياة تلهينا .. والتفكير في رجل الجبل الذي كان حراً ذات يوم ... والذي يقضي سنوات في السجن نادراً ما يخطر على بالنا حتى «**ميني**» رقيقة القلب - فأنا خجل أن أقول - إنها نسيت صديقها العجوز ... فأصدقاء جدد ملأوا حياتها .. وكلما كبرت أصبحت تقضي وقتها مع البنات ... وأصبح نادراً ما نلتقي معاً .... أو نتبادل الحديث .

★ ★ ★

... ومرت السنوات .. وعاد الخريف مرة أخرى .. وأخذنا نستعد لزواج «**ميني**» فقد كان متفقاً أن يتم في موسم الإجازات ...

كان لزواج «**ميني**» أثر مؤلم على نفسي ... فسيرحل النور برحيلها من منزلنا ... وسنبقى أنا وأمها لنعيش في الظل .

... كان صباحاً مشرقاً .. بعد ليلة مطيرة .. وكان الجو جميلاً مبتسماً .. وأشعة الشمس تشبه الذهب النقي ... أشعة ساطعة تنتشر حتى على الحوائط الصلبة .

... منذ الصباح الباكر وأبواق الزفاف تعزف ... وعند كل مقطع كان قلبي يرتجف ... ويزداد إحساسي بألم الفراق ... فابنتي ستتزوج هذه الليلة .

... منذ الصباح الباكر .. والأصوات تملأ البيت .. وفي الفناء كان السرادق ..

كانت هناك حركة نشاط كبيرة .. مثيرة .. وأنا أجلس في حجرة مكتبي ألقي نظرة على قائمة الحساب ... دخل شخص وحياني باحترام .. ثم وقف أمامي .. إنه «**برهان**» البائع المتجول ... لكن لم أستطع أن أتعرف عليه من أول نظرة ...

فلم يكن يحمل حقيبته .. وليس له شعر طويل .. ولا رائحته التي تعودت أن أشمها عند رؤيته ... **متى جئت يا «برهان» ؟!**

الليلة الماضية ... أطلق سراحي .

... وقعت كلمات «**برهان**» قاسية على أذني ... فلم يسبق لي أن تحدثت مع شخص يستطيع أن يؤذي صديقه ... وزميله في الإنسانية .

... قفز قلبي عندما فكرت في هذا الخاطر ... لأني أحسست أن اليوم لا بد وأن يكون سعيداً .

قلت : اليوم نحتفل ... وأنا مشغول جداً ... فهل تأتي في يوم آخر ؟!

... على الفور استعد الرجل للرحيل ... لكن عندما اقترب من الباب تردد قليلاً ، ثم قال :

هل يمكن أن أرى السيدة الصغيرة .. يا سيدي ؟! ولمدة دقيقة واحدة ؟!

... إنه ما زال يعتقد أن «**ميني**» ما زالت صغيرة ... كان يتصورها تجري نحوه كما كانت تفعل .. لتناديه .. «**أيها البائع المتجول .. أيها البائع المتجول**» .

.. إنه ما زال يتخيل أنه يمكن أن يضحك ... ويتحدث معها كما كان يفعل في الماضي .... حين كان يحضر لها اللوز .. والزبيب ... أيام كانت صغيرة ... لكنها اليوم كبرت .

قلت : اليوم .... يوجد في المنزل حفل ... ولن تستطيع أن ترى أحداً .

ملأ الحزن وجه الرجل ... وأخذ ينظر إلي بنظرات زائغة ... ثم قال :

أسعد الله صباحك يا سيدي ... ثم ذهب خارجاً ... لكنه عاد

من تلقاء نفسه .. واقترب ممسكاً بلفافة قدمها لي قائلاً : «**لقد أحضرت هذه الأشياء القليلة الصغيرة يا سيدي ... هل تسمح أن تعطيها اياها ؟!**» .

... أخذت اللفافة ووضعت يدي في جيبي لأدفع له الثمن ... لكنه أمسك يدي قائلاً :

أنت رجل حنون يا سيدي .. أرجو أن تتذكرني ... وتحفظني في ذاكرتك ... لا تقدم لي نقوداً .. لك بنت صغيرة .. وأنا أيضاً لي ابنة مثلها ... في وطني ... في بيتي هناك !!

لقد فكرت في ابنتي ... وأحضرت الفاكهة لابنتك !!

... ثم وضع يده في جيب جلبابه وأخرج قطعة ورقة صغيرة بالية ... وبعناية شديدة فردها ... وبرفق وضعها بكلتا يديه على مكتبي ..

كانت تحمل آثار يد صغيرة ... ليست صورة وليست رسماً ... كانت أثراً ليد ملونة بالحبر ... موضوعة على الورقة .... كانت أثر لمس يد ابنته الصغيرة .

... كان الرجل يحمل هذا الأثر قريباً من قلبه كلما ترك موطنه .. ليبيع بضاعته .

... تدفق الدمع من عيني ونسيت أنه رجل فقير ... أنه بائع يتجول .. يبيع الفاكهة .. بينما أنا ... لكن لا .. هل أنا أفضل منه ؟! هو أيضاً أب .. !!

.. وهذا الأثر ... ليد ابنته الصغيرة في بيتها الجبلي البعيد ذكرني بابنتي «**ميني**» ... وفي الحال أرسلت أدعوها من الداخل .

... وأثارت كثير من الاعتذارات لكني لم أعبأ لأي عذر ... وصممت على ضرورة حضورها ...

.. وأتت «**ميني**» مرتدية ثوب الزفاف الأحمر الحريري ... مزينة بأحلى الحلي ... كعروس صغيرة جاءت .. ووقفت أمامي في خجل شديد .

... وترنح «**بائع الفاكهة**» عند رؤيتها وتأكد أنه لا أمل في استعادة صداقتها القديمة ... أخيراً ابتسم وقال :

يا صغيرتي ... هل أنت ذاهبة إلى بيت «حماك» !

... لقد كبرت «**ميني**» الآن ... وفهمت معنى هذه الكلمات .. لكنها لم تستطع أن ترد عليه كما كانت تفعل في الماضي .. بل احمرت خجلاً من السؤال ووقفت أمامه تنظر إلى أسفل .. وتذكرت اليوم الذي التقت فيه «**بالبائع المتجول**» ... تذكرت أول لقاء لهما وشعرت بالحزن .

... عندما تركتنا وذهبت ، تنهد «**برهان**» بعمق ... وجلس على الأرض ... وتذكر ابنته فجأة ... إن ابنته أيضاً قد كبرت خلال هذه السنوات ..

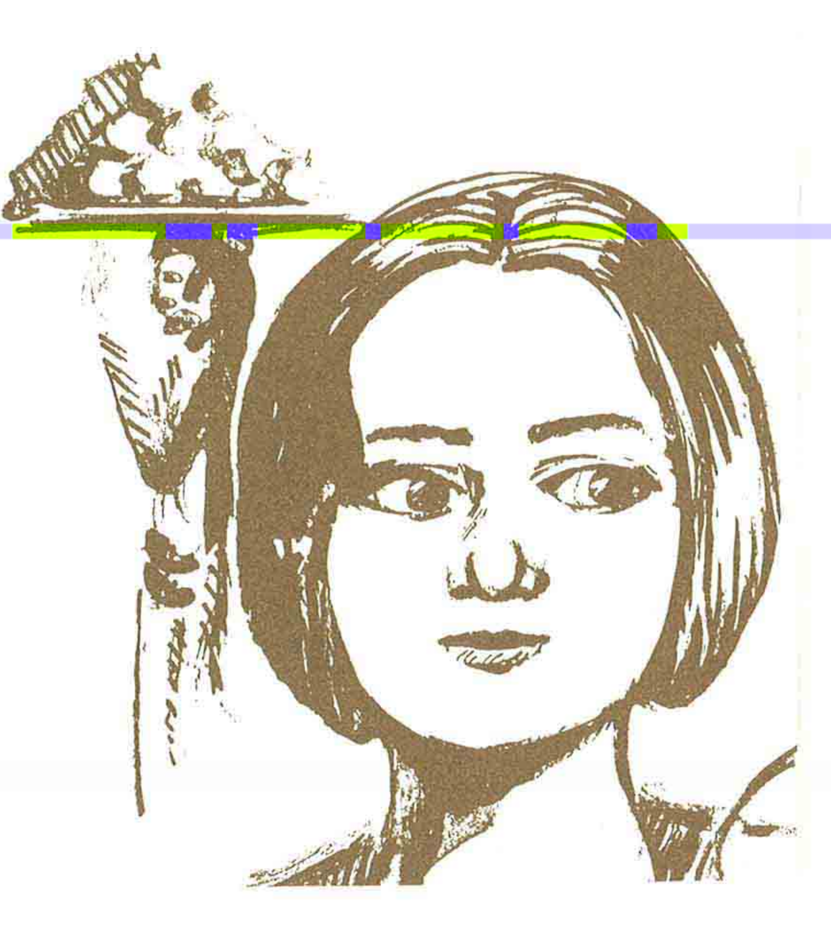
يجب أن يعود ليكون صديقاً لها ... فلن يجدها صغيرة كما تركها .. وأخذ يسأل نفسه : ماذا طرأ عليها ؟! .. ماذا حدث لها خلال هذه السنوات ؟!

.. عزفت الموسيقى .. وكان «**برهان**» ما زال جالساً بيننا .. لكنه ينظر بعين خياله إلى الجبال العالية ... أخرجت ورقة مالية وأعطيتها له قائلاً :

— عد إلى ابنتك يا «برهان» .. عد إلى بلدك .. إلى وطنك .

... حاولت أن أختلي بنفسي هرباً من ضوضاء الموسيقى .. والأضواء ... وحزن نساء العائلة لفراق العروس ... حاولت أن أختلي وقلبي تملأه السعادة ...

فإن هناك في أرض بعيدة كان لقاء جميلاً بين أب طال غيبته ... وابنته الوحيدة .





بقلم : فهد العريفي

زهرة من برشلونة

اقتعدت كرسياً على ناصية شارع **(الرملا)** بعد أن هدني التعب إثر مشوار طويل بدأته في الصباح الباكر من الميدان الكبير متجهاً شرقاً ، ثم عرجت نحو اليمين لأسير بمحاذاة الساحل حتى وصلت إلى هذا المكان .

يا له من مكان جميل يفتح النفس المغلقة ويدخل عليها البهجة ويبدد وحشة الغربة ويزيل قتامها !! مجموعات متفرقة من المقاهي المنسقة بعناية وبساطة تفصلها عن بعضها مباسط لبيع الزهور الطبيعية والصور الملونة واللوحات الزيتية التي تمثل مختلف الأماكن السياحية في **(إسبانيا)** .

وطلبت فنجاناً من القهوة ، ولم أكد أرشف منه رشفة واحدة حتى رأيتها تنتصب أمامي واقفة كأنها الرمح الرديني ووجهها الضاحك الصبوح يشرق بالود ، وعيناها الواسعتان تبحر فيهما أحلام العشاق وزوارق آمالهم ، والأنف الأشم آية أبدعتها يد الخالق العظيم ، والشعر الحريري ينتثر على كتفيها برقة ودلال ، نطقت ببضع كلمات وهي تحمل بيدها اليمنى أطواقاً من زهور **(الفل)** ، وباقات الياسمين والنرجس .

ولم أدر ما قالت .

كررت ما قالت ولكن بالإنجليزية هذه المرة : **هل تود شراء هدية تطوق بها عنق حبيبتك ؟**

قلت : لو فعلت لذبلت زهورك قبل أن تصل إلى عنقها !

قالت : أوه أهي بعيدة إلى هذا الحد ؟

قلت : في قلب الجزيرة العربية بيني وبينها آلاف الأميال . هل سمعت بها ؟

قالت : **أجل .. أنا في الأصل منها .**

وعقدت الدهشة لساني وبصعوبة قلت : وكيف ذلك ؟

قالت : **أنا من جزيرة (بني سعد) بإسبانيا جاء أجدادي من بلادكم قبل قرون عديدة وسكنوها ولا تزال تحمل اسمها حتى اليوم ، وقد اختلطت دماؤنا العربية بالدماء الأجنبية ولكن - للأسف - لا نجيد من لغة الأجداد شيئاً !**

لونة...

قلت : إن اللغة الإسبانية تحتوي - كما يقول علماؤها - على خمسة وعشرين ألف كلمة عربية نتيجة للروابط القوية التي جمعت العرب بالإسبان .

قالت : **أوه أحقاً ما تقول ؟**

قلت : سلي الراسخين في العلم منهم . . أما أنا فلا أفقه منها شيئاً .

قالت : **إن أكثرهم ينكر ، بل ويتنكر ، لتلك الصلات وإذا شاء أن يشير إليها قص عن سلبيات العرب ، وروى أشياء مخجلة .**

لقد رووا لنا أن العرب طردوا فيلسوفهم **(ابن رشد)** وكان الأحرى بهم

أن يحاوروه ويناقشوه ، فلربما أعاد النظر بالكثير من نظرياته الفلسفية التي لا يقرونه عليها ولا تتفق مع معتقداتهم ، وكانوا يتحدثون عن **(ابن زيدون)** وعن حبيبته **(ولادة بنت المستكفي)** وغيرها .

قلت لها : لقد كان للعرب في هذه البلاد فضائل حضارية لا تزال ماثلة أمام الناس ولهم عيوب ومواقف سلبية أدت إلى فقدهم لفردوسهم ، لكن أنت كفتاة من أصل عربي يتحتم عليك أن تبحثي عن الحسنات وتدعي ما سواها للحاقدين الجاحدين .

قالت : **وكيف أستطيع ذلك ؟**

قلت : ابحثي عن الكتب المترجمة من العربية إلى الإسبانية .

قالت : **يا حسرتي !! أنا لا أجيد القراءة والكتابة .**

قلت : هذا مستحيل !!

قالت : بل هي الحقيقة بعينها لقد ابتلع أحد مناجم الفحم والدي قبل عشر سنوات وجلست مع والدتي نصارع الحياة ونبحث عن لقمة العيش بشرف ، وتعلمت من السواح بعض الكلمات الانجليزية التي نفعتني في ترويج تجارتي البسيطة وتنميتها . . أما أمي فهي مريضة بالصدر تجلس طوال يومها على الرصيف الآخر تكح وتتابعني بنظراتها الحنونة وتزودني بنصائحها بين وقت وآخر . وبمشقة وعسر قد نتمكن آخر النهار من جمع ما يقيم أودنا ليوم أو بعض يوم ويحفظ لنا كرامتنا ونعود إلى كوخنا وقد عصرنا التعب وأتلف أعصابنا !!

قلت : لماذا لا تتزوجين وأنت بهذا القدر من الجمال ؟

قالت بصوت تخنقه العبرات : ووالدتي ؟ لمن أتركها أصلح نفسي وأهمل قطعة من روحي وقلبي ، لقد شقيت من أجل تربيتي وتعذبت لكي تحميني من ذئاب البشر الضارية التي تتلذذ على جثث الأيتام والأيامى ، ثم إن الجمال في إسبانيا أكثر من الهم على قلوب المعذبين في الأرض وليس نادراً تتحدث عنه الركبان وتنظم المعلقات !!

قلت : أتقرنين الهم بالجمال وتجعلينهما في صف واحد ؟!

قالت : هو أشد من ذلك في بلاد يغتال ضدان متضامنان هما الفقر والمال كل قيمها وأخلاقها !!

واشتريت عشرة من أطواق (الفل) . فقالت بعد أن وضعت الثمن في محفظتها الصغيرة : هل لك صديقة هنا في (برشلونة) تريد أن تهديها إليها ؟

قلت : **لا بل لي ابنة عم أعز عندي من كل الصديقات .**

قالت : أين هي ؟ أهي في (مدريد) ؟

قلت : **لا . إنها في هذا المكان ، ورفعت الأطواق ووضعتها في عنقها الجميل .**

وافتر ثغرها الساحر عن ابتسامة آسرة وهي تقول : يا إلهي إنها أول مرة في حياتي أنال فيها هدية !!

قلت وأنا أمد لها يدي مصافحاً : أرجو أن تصححي معلوماتك عن العرب .

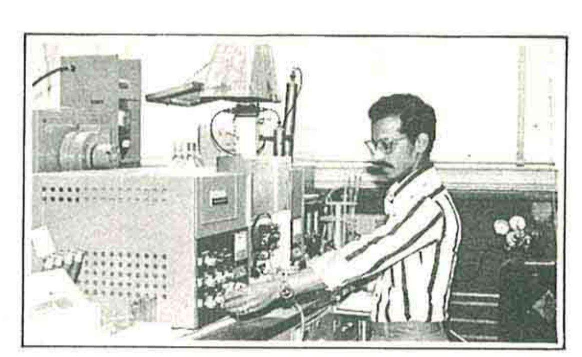
وابتعدت كعنود الريم وشرائط الحرير الناعم تتراقص فوق اكتافها المتناسقة ، وهي تنادي بصوت رقيق على بضاعتها ؟

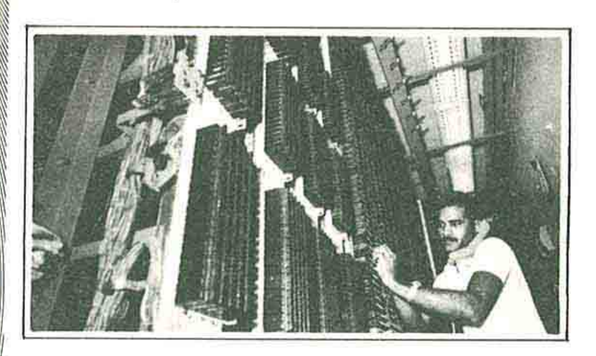
من أجل مستقبل أفضل

إذا كنت تطمح في تأمين مستقبل أفضل وتطلعات أوسع

فالتحق بأرامكو

التي هي أكبر شركة منتجة للزيت وسوائل الغاز الطبيعي في العالم





فأرامكو لديها وظائف شاغرة لحملة الشهادة المتوسطة أو الثانوية وكذلك للذين لم ينهوا دراساتهم الجامعية في جميع المجالات. وهي تتطلع بثقة إلى مساهمة الشباب في إنجاز مشاريع التنمية والتطور.

إن أمام هؤلاء الشباب السعوديين مجالاً للالتحاق بوظائف مليئة بالحوافز، ومجالاً لتطوير كفاءاتهم وتنمية طاقاتهم الفكرية واكتساب الخبرات الفنية والإدارية بالإضافة إلى إتاحة الفرص لهم للدراسات العليا والابتعاث.

إن فرص كسب الدخل المحترم، وتطوير المهارات الفنية ضرورية لدفع عجلة التنمية في المملكة العربية السعودية متوفرة لدى **أرامكو** في المجالات التالية:

- التنقيب عن الزيت وتطوير حقول الزيت.
- أعمال الزيت
- تكرير الزيت.
- الغاز وسوائل الغاز الطبيعي.
- إدارة المشاريع والإنشاء.
- الخدمات العامة في الشركة.
- العلاقات الصناعية.

وتشمل العوائد الأخرى التى توفرها **أرامكو** للملتحق بها:

- رواتب عالية
- زيادات في الرواتب على أساس الجدارة
- راتب شهر إضافيًا كل سنة.
- سكنا بإيجار مخفض لكل ملتحق بالشركة - إذا كان مسكن والديه يبعد ٥٠ كيلومترًا من مقر العمل، وسوف تقوم الشركة في هذه الحالة بتوفير وسائل النقل مجانًا.
- علاجًا طبيًا مجانيًا له ولأفراد عائلته وأبويه اللذين يعولهما.
- مرافق للترفيه.
- نظام ادخار.
- برنامج تملك البيوت.

هذه فرصة ثمينة أمامك

للالتحاق بأرامكو

حيث مجالات التقدم فيها متوفرة.

بادر من الآن بالاتصال بمكاتب أرامكو للتوظيف في أي من الأماكن التالية:

الظهران - مكتب أرامكو لتوظيف السعوديين - مقابل معرض صناعة الزيت تلفون ٥٣٠٣٨ ٨٧ الظهران

الخبر - بناية عبدالهادي ناصر القحطاني - الدور العلوي - شارع الظهران بالخبر

الرياض - مكتب أرامكو لتوظيف السعوديين - الناصرية - مقابل مستشفى الملك فيصل التخصصي - تلفون ٤١٠٥٥ - ص.ب ٣١٩

جدة - مكتب أرامكو لتوظيف السعوديين - شارع عثمان بن عفان تلفون ٥٣١٩٨ - ص.ب ٧٣

الأحساء - مكتب أرامكو لتوظيف السعوديين - مدينة المبرز - ت ٢٢٨٢٣ - ص.ب ٦٠٢

القطيف - مكتب أرامكو لتوظيف السعوديين - شارع المدارس - مقابل بنك الرياض تلفون ٥١٨٨٢

الطائف - مكتب أرامكو لتوظيف السعوديين - مقابل مستشفى الملك فيصل تلفون ٦١٤٦٤ - ص.ب ٩٤٢

أبها - مكتب أرامكو لتوظيف السعوديين - الشارع العام المؤدي إلى خميس مشيط تلفون ٥٩٨٢ - ص.ب ١٥٥

عرعر (بدنه) - مكتب أرامكو لتوظيف السعوديين - التابلاين بجوار المستشفى - ت ٥٨٣

الجوف - مكتب أرامكو لتوظيف السعوديين - شارع السوق العام.

نجران - مكتب أرامكو لتوظيف السعوديين - شارع الخزان - ت ٥٢٢١٧٨٢ - ص.ب ٧١

حائل - مكتب أرامكو لتوظيف السعوديين - شارع المطار - عمارة عبدالعزيز الجربوع تلفون ٥٣٢١٧٣٠

بريدة - مكتب أرامكو لتوظيف السعوديين - شارع الخبيب - عمارة السلمي ت ٣٠٣١٧٦٥

أرامكو







تأليف : مكي بن أبي طالب القيسي ٣٥٥ ـ ٤٣٧ هـ

تحقيق : ياسين محمد السواس ● عرض وتقديم : حسان الكاتب

الكتاب الذي نحن بصدده من الكتب المتفردة في مادتها وأسلوبها ، إذ يبحث **فيما أشكل من إعراب القرآن** ، فيفسره ويذكر علله ، معتمداً السهولة والإيجاز ، ليكون كما يقول المؤلف خفيف المحمل ، سهل المأخذ ، قريب المتناول ، لمن أراد حفظه والاكتفاء به .

وقد ذكر الكتاب في كتب التراجم بأسماء مختلفة مثل : **شكل إعراب القرآن** [1] ــ **إعراب القرآن** [2] ــ **تفسير إعراب القرآن** [3] ــ **إعراب مشكل القرآن** [4] .

كما ذكره المؤلف في كتابه « **الكشف** » بعناوين مختلفة أيضاً ، مختصرة ومطولة ، هي : تفسير مشكل إعراب القرآن [5] ــ مشكل الإعراب [6] ــ تفسير مشكل الإعراب [7] .

وقد اختار المحقق الفاضل الأستاذ **ياسين السواس** أن يكون عنوانه « **مشكل إعراب القرآن** » لأسباب كثيرة من أهمها : ما وجده في النسختين المعتمدتين : **التيمورية والأحمدية** ، وفي باقي النسخ الأخرى ، وما ذكر أيضاً في « **طبقات القراء** » نقلاً عن مكي نفسه ، وفي « كشف الظنون » ، وأمالي ابن الشجري ، يُضاف إلى ذلك عناوين السور نفسها . وهذا كله يؤكد عند الأستاذ المحقق شهرة الكتاب بهذا الاسم دون غيره [8] .

وللكتاب سمات كثيرة من أهمها أنه الأول في طريقته ونهجه ، فهو يتناول مشكلات القرآن الإعرابية ، دون غيرها من الإعراب ، وقد صرّح المؤلف بذلك في مقدمته ، وانتقد من سبقه في اطالتهم الإعراب ،

والتفاتهم إلى السهل منه وإهمالهم لكثير من مشكلاته .

وتتلخص طريقته بأنه يأخذ سور القرآن الكريم مراعياً ترتيبها في المصحف ، فيعرض لما أشكل من الإعراب في كل سورة ، مع مراعاة أيضاً لنسق الآيات وترتيبها في أكثر الأحيان . وعند ذكره لمشكل إعرابي يتناوله بشكل موجز ، مكتفياً بالإشارة المختصرة الدالة على المراد ، مختاراً الوجوه التي يراها دون اسهاب أو اطناب ، فغايته الأولى الإيجاز وعرض المشكلات الإعرابية فقط ، ولهذا نراه يخص بكتابه من بلغ في النحو درجة جيدة ، ولا يخص به من « لا يعلم من النحو إلا الخافض والمخفوض ، والفاعل والمفعول ، والمضاف والمضاف إليه .. الخ » .

الكتاب يقع في مجلدين أصدره **مجمع اللغة العربية بدمشق** عام (١٣٩٤ هـ) (١٩٧٤ م) ، المجلد الأول تم طبعه في (٤٥٦) صفحة من القطع الكبير في **مطبعة (الحجاز) بدمشق** ، والثاني تم طبعه في (٥٥٩) صفحة في **مطبعة (دار الكتاب بدمشق)** والطبعة أنيقة ومتقنة .

اعتمد الأستاذ ياسين في تحقيق الكتاب على النسخة التيمورية وجعلها بمثابة الأم بالنسبة للنسخ الباقية ، لكنه اضطر للاعتماد على النسخة الأحمدية كنسخة مساعدة بسبب النقص الموجود في أول النسخة التيمورية وقابل هذا مع النسخ الأخرى (**نسخة الظاهرية ـ نسخة الأسكوريال بإسبانيا ـ نسخة المدينة المنورة ـ نسخة آل عبد القادر**) كما قام الأستاذ المحقق بعمل فهارس متنوعة للكتاب اتماماً للفائدة .

واختم الأستاذ المحقق مقدمته بشكره لرئيس مجمع اللغة العربية بدمشق الأستاذ **الدكتور حسني سبح** وللأستاذ **الدكتور شكري فيصل** أمين عام مجمع اللغة العربية لما كان لهما من فضل الرعاية والتشجيع والحرص على نشر التراث ، مشيداً بما كان من توجيه الأستاذ **الشيخ شعيب الأرناؤوط** ذاكراً للجنة التراث في المجمع الموقر يدها الفضلى .

وقد استهل المؤلف كتابه بمشكل إعراب سورة الحمد نقدمها للقارئ من أجل الفائدة وكنموذج .

١ ـ مشكل إعراب الاستفتاح

كسرت الباء من ﴿ **بسم الله** ﴾ لتكون حركتها مشبهة لعملها . وقيل : كسرت ليفرّق ما يخفض ، ولا يكون إلا حرفاً نحو : « الباء » و « اللام » ، وبين ما يخفضُ ، وقد يكون اسماً نحو : « الكاف » .

وإنما عملت الباء وأخواتها الخفض ؛ لأنها لا معنى لها إلا في الأسماء ، فعملت الإعراب الذي لا يكون إلا في الأسماء ، وهو الخفض ، وكذلك الحروف التي تجزم الأفعال ؛ وإنما عملت الجزم لأنها لا معنى لها إلا في الأفعال ، فعملت الإعراب الذي لا يكون إلا في الأفعال[٩] وهو الجزم .

وحذفت الألف من الخط في ﴿ بسم الله ﴾ لكثرة الاستعمال .

وقيل : حذفت لتحرّك السين في الأصل ؛ لأن أصل السين الحركة ، وسكونها لعلة دخلتها . وقيل : حذفت للزوم الباء هذا الاسم .

فإن كتبت « باسم الرحمن » أو « باسم الخالق » حذفت الألف من الخط أيضاً عند **الأخفش والكسائي** .

وقال « **الفراء** »[١٠] لا تحذف إلا في ﴿ بسم الله ﴾ فقط ؛ فإن أدخلت على « اسم » غير الباء ، من حروف الخفض ، لم يجز حذف الألف عند أحد ، ونحو قولك : ليس اسمٌ كاسم الله ، وقولك : لاسم الله حلاوة .

وموضع « بسم » موضع رفع عند **البصريين** ، على اضمار مبتدأ تقديره : ابتدائي باسم الله ، فالباء على هذا متعلقة بالخبر الذي قامت الباء مقامه ، تقديره : ابتدائي ثابت أو مستقر باسم الله ، أو نحوه ، ولا يحسن[١١] تعلق الباء بالمصدر الذي هو مضمر ؛ لأنه يكون داخلاً في صلته ، فيبقى الابتداء بغير خبر .

وقال **الكوفيون** : « بسم » في موضع نصب على اضمار فعل تقديره : ابتدأت باسم الله ؛ فالباء على هذا متعلقة بالفعل المحذوف .

واسمُ أصله « سِمْوٌ » وقيل سُمو . وهو عند البصريين مشتق من : سما يسمو ، ولذلك ضُمت السين في أصله في « سُم » . وقيل : هو مشتق من : سَمَى يسْمَى .

ولذلك كسرت السين في « سِم » ثم حُذف آخره ، وسكّن أوله اعتلالا على غير قياس ؛ ودلّ على ذلك قولهم : « سُمَيّ » في التصغير . وجمعه أسماء ، وجمع أسماء أسامي .

وهو عند الكوفيين مشتق من السِّمة ؛ إذ صاحبه يعرف به ، وأصله : « وَسْمٌ » ثم أعِلَّ بحذف الفاء ، وحرّكت العين على غير قياس أيضاً .

ويجب على قولهم أن يصغّر فيقال « وُسَيْمٌ » ولم يقله أحدٌ ؛ لأن التصغير يردُّ الأشياء إلى أصولها ، ولهم مقال يطول ذكره ؛ وقولهم أقوى في المعنى ، وقول البصريين أقوى في التصريف[١٢] .

وحذفت الألف في الخط من اسم ﴿ الله ﴾ استخفافاً ، وقيل : حذفت لئلا تشبه هجاء « اللات » في قول من وقف عليها بالهاء ، وقيل : لكثرة الاستعمال وكذلك العلة في حذف ألف ﴿ الرحمن ﴾ .

والأصل في اسم ﴿ الله ﴾ جل ذكره « إلاه » ، ثم دخلت الألف واللام فصار « الإلاه »[١٣] فخففت الهمزة بأن ألقيت حركتها على اللام الأولى ، ثم ادغمت اللام الأولى في الثانية ، ولزم الإدغام والحذف للتعظيم والتفخيم . وقيل : بل حذفت الهمزة حذفاً ، وعوض منها الألف واللام ، ولزمتا الاسم .

وقيل : أصله « لاهٌ » ثم دخلت الألف واللام عليه ولزمتا للتعظيم ، ووجب الإدغامُ لسكون الأوّل من المثلين ، ودلّ على ذلك قولهم لهي[١٤] أبوك ، يريدون : لله أبوك ، فأخروا العين في موضع اللام لكثرة استعمالهم له . ويدل عليه أيضاً قولهم : لاه ابن عمتك ، يريدون : لله .

وقد ذكر **الزجّاج** في بعض أماليه عن **الخليل** : أن أصله « ولاهٌ »

ثم أبدلت من الواو همزة لانكسار ما في وشاح . والألف في « لا » منقلبة من ياء دلّ على ذلك قولهم : لَهْيَ أبوك ، فظهرت الياء عوضاً عن الألف فدلّ على أن أصل الألف الياء[١٥] .

وإنما أسبقنا الكلام في هذين الاسمين ليقاس عليهما شِبْهُهُما مما لعلّنا نغفل ذكره .

وكذلك نفعل في كل ما هو مثل هذا فاعْلَمْهُ ، إن شاء الله والله المستعان[١٦] .

مشكل إعراب سورة ﴿ الحمد ﴾[١٧]

٢ ـ « **السورة** » يحتمل أن يكون معناها الرفعة ، من سورة البناء . فكأنها بمنزلة شرف[١٨] فلا يجوز همزُها ، ويحتمل أن يكون معناها قطعة من القرآن ، من قولهم : أسْأرت في الإناء ، أي : أبقيت فيه بقية ، فيجوز همزها على هذا ؛ وقد أجمع القراء على ترك همزها فتحتمل الوجهين[١٩] جميعاً[٢٠] .

٣ ـ قوله تعالى : ﴿ **الحمد** ﴾

رفع بالابتداء ، و« لله » الخبر . والابتداء عامل معنوي غير ملفوظ به ؛ وهو خلوٌّ لاسم المبتدأ من العوامل اللفظية . ويجوز نصبه على المصدر .

وكسرت اللام في « لله » كما كسرت الباء في « بسم » ؛ العلة واحدة . وقد قال **سيبويه** : إن أصل اللام أن تكون مفتوحة بدلالة انفتاحها مع المضمر ؛ والإضمار يردُّ الأشياء إلى أصولها ، وإنما كسرت مع الظاهر للفرق بينها وبين لام التأكيد . قال أبو محمد[٢١] وفيها نظر يطول ذكره[٢٢] واللام متعلقة بالخبر المحذوف الذي قامت اللام مقامه ، كما كانت الباء في « بسم » تقديره : الحمد ثابت لله ، أو مستقر ، وشبهه .

٤ ـ ويجوز نصب[٢٣] ﴿ **رب العالمين** ﴾ على النداء أو على[٢٤] المدح ، ويجوز رفعه على : هو ربُّ العالمين .

٥ ـ وكذلك ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ مثله و« يوم الدين » ظرف جُعل مفعولا على السَّعة[٢٥] فلذلك أضيف إليه « ملك » ؛ وكذلك في قراءة من قرأ : « مالك »[٢٦] بألف .

فأما من قرأ : « مالك » ، فلا بد من تقدير مفعول محذوف[٢٧] تقديره : مالك يوم الدين الفصل أو القضاء ، ونحوه لأنه متعدّ .

وجمع « مالك » : مُلاكٌ ومُلّكٌ . وجمع « مِلك » : أملاك ومُلوكٌ . وقد قرأ[٢٨] **أبو عمرو** « مَلْك » باسكان اللام ، كما يقال : فخْذٌ وفَخِذٌ ، وجمعه على هذا : أمْلُك[٢٩] وملوك . وقد يجوز النصب في « مَلِك » على الحال أو على النداء ، وعلى المدح ، وعلى النعت لرب ؛ على قول من نصبه[٣٠] .

وإنما نذكر هذه الوجوه ليعلم تصرُّفُ الإعراب ، ومقاييسه ، لا لأن يقرأ به ؛ فلا يجوز أن يقرأ إلا بما روي وصح على الثقات المشهورين عن الصحابة والتابعين ـ رضي الله عنهم ـ ووافق خطَّ المصحف[٣١] .

مكي بن أبي طالب القيسي
٣٥٥ هـ ـ ٤٣٧ هـ
٩٦٦ م ـ ١٠٤٥ م
صاحب كتاب مشكل اعراب القرآن

هو مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي ، أبو محمد : **مقرئ ، وعالم بالتفسير والعربية** . من أهل **القيروان** . ولد فيها ، وطاف في بعض بلاد المشرق ، ثم عاد إلى بلده ، وأقرأ بها . ثم سكن **قرطبة** عام (٣٩٣ هـ) ، وخطب وأقرأ بجامعها ، وتوفي فيها . له كتب كثيرة ، منها « مشكل إعراب القرآن » والكشف عن وجوه القراءات وعللها (**مخطوط**) و« الهداية إلى بلوغ النهاية ـ **مخطوط** » بضعة أجزاء من سبعين جزء في معاني القرآن الكريم وتفسيره ، و« التبصرة في القراءات السبع ـ **مخطوط** » و« **المنتقى** » في الأخبار ، أربعة أجزاء ، و« **الايضاح** » في الناسخ والمنسوخ و« الموجز في القراءات » و« الايجاز ـ **مخطوط** » في الناسخ والمنسوخ و« الرعاية ـ مخطوط لتجويد التلاوة » و« فهرس » جامع لرحلته ، مشتمل على مروياته وتراجم شيوخه وأسماء تآليفه .

٦ ـ **قوله تعالى : ﴿ إياك نَعْبُدُ ﴾ .**

« إيّا » عند الخليل وغيره اسم مضمر أضيف إلى الكاف ، وهو شاذ ، لا يُعلَمُ اسمٌ مضمرٌ أضيف غيره . وحكى **ابن كيْسان** أن الكاف هو الاسم ، « وإيا » أتي بها لتعمدَ الكاف عليها ؛ لا تقوم بنفسها .

وقال **المبرّد** : « إيّا » اسم مبهم أضيف للتخصيص ، ولا يعرف اسم مبهم مبنى أضيف غيره ؛ ومن أصل المبهم إذا أضيف أن يكون نكرة ، وأن يعرب ، نحو : « **غير** » و« **بعض** » و« **كل** » .

وقال الكوفيون : ﴿ إيَّاكَ ﴾ بكماله ، اسمٌ مضمرٌ ، ولا يُعرف اسمُ مضمرٌ يتغير آخره ـ فنقول فيه : « **إياه** » و« **إياكم** » ـ غير هذا . وهو منصوب بـ « **نعبد** » مفعول مقدّم ، ولو تأخر لم ينفصل ، ولصار كافاً متصلة فقلتَ : نعبدك .

٧ ـ **قوله تعالى : ﴿ نستعين ﴾**

وزنه : نستفعِلُ ، وأصله : نَسْتَعْوِنُ ، لأنه من العون ، فألْقيت حركة الواو على العين فانكسرت العين ، وسُكِّنت الواو ، فانقلبت ياء لانكسار ما قبلها ؛ إذ ليس في كلام العرب واو ساكنة قبلها كسرة ، ولا ياءٌ ساكنة قبلها ضمة ؛ وإنما أعِلّ لاعتلال الماضي .

والمصدر « استعانة » وأصله استعوان ، فألقيت حركة الواو على العين ، وقلبت الواو ألفاً ، وحذفت إحدى الألفين لالتقاء الساكنين ؛ قيل : الأولى ، وقيل : الثانية ، ودخلت الهاء عوضاً من المحذوف . ويجوز كسر النون والتاء والألف في أوّل هذا الفعل ، وفي نظيره في غير القرآن ، ولا يحسن ذلك في الياء[٣٢] .

٨ ـ قوله تعالى : ﴿ اهدنا ﴾

طلب وسؤال ، ومجراه في الإعراب مجرى الأمر ، لكنه مَبْني عند البصريين ؛ حذف الياء منه بناء ، ومعربٌ عند الكوفيين ؛ حذفُ الياء جَزْمٌ .

والألفُ ألف وصل كُسِرت في الابتداء لسكونها وسكون ما بعدها ، لأنها اجتُلِبَت ليبتدأ بها ، ولاحظ لها[٣٣] في الحركات . وقيل : كسرت بكسر الثالث وهو الدال ، ولم تُضم لثقل الخروج من ضم إلى كسر ، ولم تفتح لئلا تشبه ألف المتكلم . وهذه علّة ألف الوصل حيث وقعت في الأفعال والأسماء . فإن كان الثالث من الفعل مضموماً ضُمَّت الألف للاتباع ، فحركتها لالتقاء الساكنين ، واختيرت الضمة لانضمام الثالث ، نحو : « ادْخُلْ » « اخْرُجْ » ، فأما ألفُ الوصل التي مع لام التعريف في : « الرجل » و« الغلام » ، فهي مفتوحة في الابتداء ؛ للفرق بين دخولها على الأفعال والأسماء ، ودخولها على الحروف .

وهذا[٣٤] يتعدى إلى مفعولين ، ويجوز الاقتصار على أحدهما ، وهما في هذا الموضع « نا » و« الصراط » .

٩ ـ قوله تعالى : ﴿ المستقيم ﴾

أصله : الـمُسْتَقْوم ، واعتلاله في الاسم والمصدر كاعتلال ﴿ نستعين ﴾ .

١٠ ـ قوله تعالى : ﴿ المستقيم ﴾

بدلٌ من « **الصراط** » الأول . و« الذين » اسم مبهم مبني ناقص يحتاج إلى صلة وعائد ، فهو غير معرب في الواحد والجمع ، ويعرب في التثنية ، لصحة التثنية ؛ إذ لا تختلف ولا تأتي في جميع الأسماء إلا على مثال واحد ، وليس كذلك الجمع .

وعلة البناء في « الذي » أنه شابه الحروف لإبهامه ووقوعه على كل شيء فمنع الإعراب كما مُنعته الحروف . وقيل : إنما بني لأنه ناقص يحتاج إلى صلة ، فهو كبعض اسم ، وبعض الاسم / مبني أبداً ، لأن الإعراب إنما يكون في أواخر الأسماء والأفعال . وقد قيل : إن « الذين » اسم للجميع ، وليس يجمع .

وواحد الذين « لذ » ، كعم ، فلما دخلتْه الألف واللام ولزمنا ، عادت الياء كما تعود في « قاضٍ » فقلت : الذي ، وأصله أن يكتب بلامين ، إلا أنهم حذفوا إحدى اللامين لكثرة الاستعمال تخفيفاً ، وجرى الجمع على الواحد ؛ إذ هو مبني مثله ، وإذ هو أقرب إليه في الإعراب ، وكتبت التثنية بلامين على الأصل ، وصلة « الذين » قوله : ﴿ **أنعمت عليهم** ﴾ ، والهاء والميم تعود عليهم .

١١ ـ قوله تعالى : ﴿ غير المغضوب ﴾

« غير » : اسم مبهم ، إلا أنه أعرب للزومه الإضافة . وخفضُه على البدل من « الذين » أو على النعت « لـ ـ هم » .

إذ لا يقصد بـ « هم » قصد أشخاص بأعيانهم ، فجرى مجرى النكرة ، فجاز أن تكون « غير » نعتاً لـ « هم » ومن أصل « غير » أنها نكرة ، وإن أضيفت إلى معرفة ؛ لأنها تدل على شيء معيّن . وإن شئت خفضت « غيراً » على البدل من الهاء والميم في « عليهم » .

الهوامش

(١) طبقات القراء ٣٠٩/٢ وكشف الظنون ١٢/١ .

(٢) معالم الإيمان ٢١٣/٢ ، وطبقات ابن قاضي شهبة (مخطوط) ٥٠٤ ، والوافي بالوفيات (مخطوط) .

(٣) نفح الطيب ١٧٩/٣ .

(٤) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص ٢٣٨ .

(٥) الكشف ١٦٠/ب ، ٢٣٣/أ .

(٦) الكشف ٦٣/ب ، ١٩٥/أ .

(٧) الكشف ٩٥/ب ، ١١٧/أ ، ١٢٨/ب ، ١٢٩/أ .

(٨) انظر مقدمة الأستاذ ياسين السواس محقق الكتاب .

(٩) عبارة « وإنما عملت الجزم . . في الأفعال » ساقطة في نسخة الظاهرية .

(١٠) معاني القرآن ١/١ ـ ٢ .

(١١) في النسخة الأحمدية مطموسة ، وقد أثبت المحقق ما في نسخة الظاهرية .

(١٢) الإنصاف ٤/١ ـ ١٠ ، وتفسير القرطبي ١٠٠/١ ، والبحر المحيط ١٤/١ ، واملاء ما من به الرحمن للعكبري ٣/١ .

(١٣) في النسخة الأحمدية « اللال » والتصحيح من نسخة الظاهرية .

(١٤) في النسخة الأحمدية « لاه » وأثبت ما في نسخة الظاهرية .

(١٥) انظر تفسير ابن كثير ٣٧/١ ، وتفسير القرطبي ١٠٢/١ ، والبحر المحيط ١٤/١ ، والمجيد للسفاقسي الورقة ٦ مخطوطة الظاهرية ، وقد ذكر الأخير مادته في أربعة أوجه : إما من : لاه يليه ، بمعنى ارتفع ، ولذلك قيل للشمس ألهة ، بكسر الهمزة وفتحها . والثاني من : لاه يلوه [illegible] احتجب . والثالث : من اله ، بمعنى مفعول ، كالكتاب بمعنى المكتوب . والرابع من : وله ، بفتح الواو وكسر اللام ، بمعنى طرب .

(١٦) قوله : « **إن شاء الله والله المستعان** » ، ساقط في نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق .

(١٧) في هامش النسخة الأحمدية عبارة « بلغ مقابلة . . » .

(١٨) في نسخة الظاهرية « فإنها منزلة شرف » .

(١٩) انظر مجاز القرآن ٢٠/١ ، وتفسير الطبري ١٠٤/١ .

(٢٠) في هامش نسخة الظاهرية ٣/أ : (سورة القرآن) أجمع على ترك همزها في الاستعمال ، واختلف في أصلها ، الهمز أم لا ، فقيل : أصلها الهمز ، فهي من أسأر إذا بقيت له قطعة من الشيء . فالسورة قطعة من القرآن . وقيل أصلها : ألا تهمز ، فهي كسورة البناء ، وهو ما بني منها ، شيء بعد شيء ، فهي الرتبة بعد الرتبة .

(٢١) كنية المصنف رحمه الله .

(٢٢) اختلفوا في أصل اللام ، فذهب قوم إلى أن أصلها الكسر كما هو شأنها في « بسم الله » ، وذهب آخرون إلى أن أصلها الفتح بدلالة انفتاحها مع المضمر في (لك ، وله ، ولنا ، ولهم . .) وما شابه ذلك ، يضمونها أو يكسرونها مجانسة للحرف الذي قبلها ، كما روي عن ابن أبي عبلة أنه قرأ ﴿ الحمد لله ﴾ بضم الدال واللام . انظر تفسير القرطبي ١٣٦/١ .

(٢٣) النصب قراءة زيد بن علي وطائفة ، والجر قراءة الجمهور ، على النعت لله . البحر المحيط ٩١/١ ، والمجيد ٩/ب .

(٢٤) في نسخة الأحمدية « وعلى » .

(٢٥) أي اتسع في الظرف فنصب نصب المفعول به .

(٢٦) قرأ بالألف عاصم والكسائي ويعقوب وخلف ، وقرأ الباقون بغير ألف النشر ٢٧٠/١ ، والتيسير ص ١٨ ، والحجة ٥/١ .

(٢٧) أي من إضافة اسم الفاعل إلى الظرف ، فقد حذف المفعول به من الكلام

وقد روي نصبُ « غير » عن **ابن كثير**[٣٥] وغيره ؛ ونصبها على الحال من الهاء والميم في « عليهم » ، أو من « الذين » ، إذ لفظ « هم » لفظ المعرفة . وإن شئت نصبته على الاستثناء المنقطع عند البصريين ، ومنعه الكوفيون لأجل دخول « لا » وإن شئت نصبت على اضمار « أعني » .

و « عليهم » الثاني في موضع رفع مفعول لم يُسَمَّ[٣٦] فاعله لـ « المغضوب » لأنه بمعنى : الذين غُضِبَ عليهم ، لا ضمير فيه إذ لا يتعدى إلا بحرف جرٍّ ؛ بمنزلة : مرَّ بزيد ، ولذلك لم يجمع .

١٢ ـ قوله تعالى : ﴿ ولا الضالين ﴾

« لا » زائدة للتأكيد عند البصريين ، وبمعنى « غير » عند الكوفيين . ومن العرب من يُبدل من الحرف الساكن الذي قبل المشدد همزة ، فيقول : ﴿ ولا الضألين ﴾ وذلك إذا كان ألفاً ، وبه قرأ[٣٧] **أيوب السختياني** ، حرّك الألف لالتقاء الساكنين ، فلم يمكن تحركها ، فأبدل منها حرفاً مؤاخياً لها ، قريب المخرج منها[٣٨] أجلَدَ منها وأقوى ، وهو الهمزة[٣٩] .

لاحظنا مما تقدم أن المادة التي عرضها « المصنّف رحمه الله » فسَّرَتْ مُشكِل الإعراب وذكرت علله وصعبه ونادره كما جاء في مقدمته حين عرض كتابه : « فقصدت في هذا الكتاب إلى تفسير مشكل الإعراب ، وذِكرِ علله ، وصعبه ، ونادره ، ليكون خفيف المحمل ، سهل المأخذ ، قريب المتناول ، لمن أراد حفظه والاكتفاء به ، فليس في كتاب الله ـ عزّ وجل ـ إعراب مشكل إلا وهو فيه منصوص ، أو قياسُه موجود فيما ذكرته .

فمن فهمه كان لما هو أسهل منه ـ مما تركت ذكره اختصاراً ـ أفهم ولما لم يذكره مما ذكرتُ نظيره ، أبصَرَ واعلَمَ .

ولم أؤلف كتابنا هذا لمن لا يعلم من النحو [إلا] الخافض والمخفوض ، والفاعل والمفعول ، والمضاف والمضاف إليه ، والنعت والمنعوت ؛ وفي أشباه لهذه ؛ إنما ألفناه لمن شدا طرفاً منه ، وعلم ظواهره وجملاً من عوامله ، وتعلّق بطرفٍ من أصوله .

وقد رأيت أكثر من ألّف الإعراب طوّله بذكره لحروف الخفض وحروف الجزم ، وبما هو ظاهر من ذكر الفاعل والمفعول ، واسم « إن » وخبرها ، وفي أشباه لذلك ، يستوي في معرفتها العالمُ والمبتدئ ، وأغفل كثيراً مما يحتاج إلى معرفته من المشكلات » .

ولقد أحسن المحقق بإضافة فهرس للسور وفهرس للآيات المستشهد بها وفهرس الشعر المستشهد به وفهدس للأعلام والتراجم وأخيراً فهرس للمصادر والمراجع التي بلغت (٩٦) مرجعاً ومصدراً .

وخير ما نختم به هذا التقديم ما قاله مؤلف الكتاب[٤٠] : « رأيت من أعظم ما يجب على طالب علوم القرآن ـ الراغب في تجويد ألفاظه وفهم معانيه ، ومعرفة قراءاته ولغاته ، وأفضل ما القارئ إليه محتاج ـ معرفة إعرابه والوقوف على تصرُّف حركاته وسواكنه ، ليكون بذلك سالماً من اللحن فيه ، مستعيناً على أحكام اللفظ به ، مطلعاً على المعاني التي قد تختلف باختلاف الحركات ، متفهماً لما أراد الله ـ تبارك وتعالى ـ به من عباده ؛ إذ بمعرفة حقائق الإعراب تُعرف أكثر المعاني ، وينجلي الإشكال ، وتظهر الفوائد ، ويفهم الخطاب ، وتصحُّ معرفة حقيقة المراد » .

سدلالاتعبيها .

(٢٨) انظر هذه القراءة في الحجة ٦/١ ، والبحر المحيط ٢٠/١ .

(٢٩) في اللسان والتاج : أملاك وملوك .

(٣٠) ذكر أبو حيان في ٢٠/١ ثلاث عشرة قراءة لـ « مالك » ، والقرطبي ١٣٩/١ ، ذكر لها أربع لغات : مالِك ومَلِك ومَلْك ومَليْك . وفي هامش النسخة الموجودة في الظاهرية ٣/أ ذكر لها (٣٦) قراءة .

(٣١) المشهور عند العلماء أن شروط الاعتداد بالقراءة ثلاثة : استقامة الإعراب والمعنى ، وصحة السند ، والموافقة لرسم المصحف . فإذا فقد أحد الشرطين الأولين لم تعد قراءة ، وإذا فقد الشرط الثالث كانت قراءة شاذة ، وقيل : إذا فقد الشرط الثالث لم تعد قراءة . وإذا كان السند غريباً كانت شاذة ، وقال السفاقسي في غيث النفع في القراءات السبع ص (٨) : « مذهب الأصوليين وفقهاء المذاهب الأربعة والمحدثين والقراء أن التواتر شرط صحة القراءة ، ولا تثبت بالسند الصحيح غير المتواتر ، ولو وافقت رسم المصاحف العثمانية والعربية » .

وللشوكاني بحث له اهميته في هذا الموضوع ، ذكره في ارشاد الفحول ص ٢٧ ، وذهب فيه إلى أنه لا يشترط التواتر في القراءات .

(٣٢) قرأ بالكسر المطوعي كما في القراءات الشاذة ص (٢٢) ، وفي البحر المحيط ٢٣/١ قرأ بها عبيد بن عمير الليثي ، وذر بن حبيش ، ويحيى بن وثاب ، والنخعي والأعمش .

(٣٣) في نسخة الظاهرية : « فلا يخط لها » .

(٣٤) أي : اهدنا .

(٣٥) الحجة ١٠٥/١ وفيه : واختلف عن ابن كثير فروي عنه النصب والجر ، وفي القراءات الشاذة ص ٢٣ : قرأ بنصب « غير » ابن محيصن .

(٣٦) أي : نائب فاعل لاسم المفعول « المغضوب » .

(٣٧) انظر المحتسب لابن جني ٤٦/١ ، والبحر المحيط ٣٠/١ .

(٣٨) في هامش النسخة الأحمدية عبارة « بلغ . . . » .

(٣٩) في هامش نسخة الظاهرية ٤/أ : وأما (آمين) فاسم للفعل ، ومعناها : اللهم استجب . وهو مبني لوقوعه موقع المبني . وحرّك بالفتح لأجل الياء قبل آخره ، كما فتحت (أين) ، والفتح فيها أقوى ؛ لأن قبل الياء كسرة ، فلو كسرت النون على الأصل لوقعت الياء بين كسرتين .

وقيل : (آمين) اسم من اسماء الله تعالى ، وتقديره : يا آمين ؛ وهذا خطأ لوجهين : أحدهما : أن اسماء الله تعالى لا تعرف إلا تلقياً ، ولم يرد بذلك سمع .

والثاني : أنه لو كان كذلك لبني على الضم لأنه منادى معرفة أو مقصود ، وفيه لغتان : القصر ، وهو الأصل . والمد ، وليس من ابنية العربية ، بل أعجمية ، كهابيل وقابيل .

والوجه فيه أن يكون أشبع فتحة الهمزة فنشأت الألف ، فعلى هذا لا تخرج عن الأبنية العربية « تبيان » وانظره فيه ، أي في املاء ما من به عبد الرحمن العكبري ٥/١ .

(٤٠) الكتاب من مؤلفات مكي المبكرة ، فقد ذكر ابن الجزري في « طبقات القراءة » أنه ألف كتاب « المشكل » في الشام ببيت المقدس سنة (٣٩١ هـ) ، أي ألفه قبل أن يستقر في قرطبة ، ويرتفع شأنه فيها .

ومكي من المشهورين في علوم القرآن الكريم ، وفي مقدمتها علم القراءات ، ونظرة إلى ثبت مؤلفاته التي تزيد على المئة ، بين كبير وصغير ، تدل على سعة علمه وكثرة تأليفه .



المُغَنُّونَ العَرَبُ



إبراهيم الموصلي :

كان مع حِذْقه للغناء **كاتباً شاعراً وخطيباً** ، وكان أثيراً لدى **الرشيد** لا يصبر على فراقه .. اجتمع يوما إبراهيم الموصلي وزلزل وبرصوما بين يدي الرشيد ، فضرب زلزل وزمر برصوما وغنى إبراهيم :

صحا قلبي وراجع الحلم عقلي
وأقصر باطلي وسليت جهلي
رأيت الغانيات وكن صوراً
إليَّ صرمنني وقطعن حبلي

« راع : رجع ، صوراً : مائلات » .

فطرب الرشيد حتى وثب على رجليه وصاح : « يا آدم ، لو رأيت من يحضرني من ولدك اليوم لَسَرَّكَ » ، ثم جلس قائلاً : « أستغفر الله » .



بُدَيح :

مولى **عبد الله بن جعفر** ، وكان فكهاً يغني أغاني غيره ، وأراد ابن جعفر أن يسمع عبد الله غناء بديح ، فدخل عليه يوماً فشكا إليه عبد الملك بكتبه ، ووصف إليه مهارة بديح فأمر به ، فجعل بديح يتنقل على ركبة عبد الملك ويهمهم ، فقال ابن جعفر : يا أمير المؤمنين ، مولاك لا بد له من صلة ، قال : حتى تكتب رُقْيته ، فأمر جارية له تكتب فقال بُدَيح ، ما كانت إلا أبيات نصيب :

وما زلت أستصفي لك الود أبتغي مُحاسَنَةً حتى كأني مجرم

ثم غنّى فيها ، فطفق عبد الملك ضاحكاً يفحص الأرض برجليه .



ابن جامع :

كان ابن جامع من أحفظ الناس للقرآن ، وكان يلبس لباس الفقهاء ، وبينما هو على باب **يحيى بن خالد** ، اقبل **أبو يوسف القاضي** بأصحابه ، فلفتت نظره ابن جامع فوقف يحادثه متعجباً من علمه ، وفي اليوم الثاني جاء أبو يوسف على باب يحيى يبحث عن ابن جامع ليحادثه والناس ترقبها وتعلم أن أبا يوسف لا يعرف ابن جامع ، فأعلموه أن محدثه هذا مغن ، فكره الوقوف معه ، ففهم ابن جامع سبب اعراض أبي يوسف ، فاقترب منه قائلاً بصوت عال : يا أبا يوسف ، لو أن أعرابياً جلفاً أنشدك :

يا دار مَيَّة بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد

أكنت ترى في ذلك بأساً ، قال أبو يوسف لا ، قال ابن جامع : فإن قلت أنا هكذا (واندفع يغني فيه) أرأيتني زدت فيه سوى أنني حَسَّنْته فحسن في السماع ووصل إلى القلب ؟! ثم تنحى منصرفاً .



حَكَمُ الوادي :

مولى **الوليد بن عبد الملك** ، وكان واحد دهره في الحذق ، ينقر بالدف

ويغني مرتجلاً . قال يحيى بن خالد : ما رأينا فيمن يأتينا من المغنين أحداً أجود أداء من حكم ، وليس أحد يسمع غناءه ثم يغنيه بعد ذلك إلا وهو يزيد فيه [illegible] وينقص إلا حكماً ، فقيل لحكم ذلك ، فقال : إني لست أشرب وغيري يشرب ، فإذا شرب تغير غناؤه . ومن أغانيه الحلوة :

تعيرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها إن الكرام قليل



خليد [illegible] :

من المغنين الذين ذكرهم **أبو الفرج الأصفهاني** ، وغنى من أبيات **النابغة** قوله :

رأيتك ترعاني بعين بصيرة
وتبعث حُرّاساً عليّ وناظرا
فآليت لا آتيك [illegible]
ولا أبتغي جاراً سواك مجاورا
وأهلي فداء لامرئ إن أتيته
تقبل معروفي وسدّ المفاقرا



الدلال :

إنما لقب بالدلال لشكله وحُسْن دَلِّه وظَرْفه وحلاوة منطقه وحسن وجهه ، وكان أهل المدينة إذا ذكروا الدلال وأحاديثه طَوَّلوا رقابهم ، وفخروا به ، ويروون أن له صوتين عجيبين ، فأما أحدهما فإنه يُفرح القلب وهو :

ولقد جرى [illegible] يوم [illegible] [illegible]
مما تَعَيَّفُ سانح وبريحُ
أحوى القوادم بالبياض مُلَمَّعٌ
قلق المواقع بالفراق يصيحُ

والآخر يرقص كل من سمعه وهو :

كلما أبصرت وجهاً حسناً قلت خليلي
فإذا لم يكنه صحت وَيْلي وعويلي



ابن زاذان :

هو عمر بن داود **وكان مهندساً** ، وهو أول من غنى فأطرب من أهل وادي القرى ، يحكي عن نفسه : « بينما أنا أسير ليلة بين العرج والسقيا سمعت إنساناً يغني غناء لم أسمع أحسن منه وهو :

[illegible]
أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها
من الخفِرات البيض وَدَّ جليسها
إذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

فكدت أسقط من راحلتي طرباً ، فقلت : والله لألتمسنّ الوصول إلى هذا الصوت ، فإذا أنا برجل يرعى غنماً يغني ، فسألته إعادته عليَّ ، فقال : والله لو كان عندي قرى ما فعلت ولكني أجعله ، فربما ترنمت به وأنا جائع فأشبع ، وكسلان فأنشط ، ومستوحش فآنس ، فأعاده عليَّ مراراً حتى أخذته ، فكان زادي حتى ولجت المدينة » .



الـرُّفُ :

محمد بن عمرو مولى بني تميم ، والرف أو الزف لقب غلب عليه ، وكان مغنياً ضارباً ، أسرع أخذاً للغناء ، غنى ابن جامع بحضرة الرشيد أغنيته :

جَسُورٌ على هجري ، جبان على وَصلي
كذوب ، غدا يستتبع الوعد بالمطل
مقدمٌ رجلٍ في الوصال مؤخر
لأخرى ، يشوب الجد في ذاك بالهزل

وكان **إسحاق الموصلي ومخارق وعلويه والرف** في المجلس ، فأومأ الموصلي للرف يعني « أحفظته » فأومأ الرف بأن « نعم » ، فأمره أن يحفظه لمخارق وعلويه ، ثم جلس الرف بين يدي الرشيد يغني له الأغنية والرشيد يعجب مغتاظاً من ابن جامع ، وسأل الرف ، أهذا اللحن لحنك ؟ قال : نعم وهؤلاء جميعاً أخذوه عني ، فأسقط في يدي ابن جامع وأقسم للرشيد أنه صاحب اللحن ، والرشيد لا يصدق ، ولما خرجوا أخبره الرف بالحقيقة ، فضحك ابن جامع قائلاً : لكل شيء آفة ، وآفة ابن جامع الرف .



أبو زكار الأعمى :

من قدماء المغنين وكان منقطعاً إلى **البرامكة** ، قال مسرور سَيَّاف الرشيد : لما أمرني الرشيد بقتل **جعفر بن يحيى البرمكي** ، دخلت عليه وعنده **أبو زكار الأعمى** وهو يغنيه :

[illegible] فتى سيأتي
عليه الموت يطرق أو يغادي
وكل ذخيرة لا بُدَّ يوماً
وإن بقيت تصير إلى نفاد

فقلت له : في هذا والله أتيتك ، فأخذت بيده وأمرت بضرب عنقه ، فقال لي أبو زكار : نشدتك الله إلا ألحقتني به ، فقلت : وما رغبتك في ذلك ؟ قال : إنه أغناني عمَّن سواه بإحسانه ، فما أحب أن أبقى بعده ، فقلت : أستأمر أمير المؤمنين ، فلما أتيت الرشيد برأس جعفر أخبرته بقصة أبي زكار ، فقال لي : هذا [illegible] .



ابن سُريج المكي :

كان **أول من ضرب بالعود على الغناء العربي بمكة** . قدم ابن أبي عتيق [illegible] ابن سريج :

فلم أر كالتجمير منظر ناظر ولا كليالي الحج أفلتن ذا الهوى

فقال : ما سمعت كاليوم قط ، وما كنت أحسب أن مثل هذا بمكة وأمرَ لهُ بمال وأخذه معه إلى المدينة ليهديه إلى المدينة ينعم الناس بظرفه وصوته ودماثة خلقه ، وجمع بينه وبين معبد ، ثم سأله : ما تقول فيه ؟ إن عاش كان مغني بلاده .



ابن الأشعث :

كان محمد بن الأشعث القرشي كاتباً ، وكان من فتيان أهل **الكوفة** وظرفائهم

وأدبائهم ، وكان يقول الشعر ويتغنى فيه ، وقد شُهِرَ بحبه **لسلامة الزرقاء جارية ابن رامين** ، ومن شعره أغنيته فيها :

أيَّـــةُ حـــال يـــا ابـــن رامـــينْ
حـــال المحبـــين المســـاكينْ
[illegible] صعوبة وما يستلذوا
قـــد جُـــرِّعوا منـــك الأمـــرَّينْ

وعرفوا ابن الأسقف بسلامة ، كما عرف جميل ببثينة ، وكثير بعزة .



ابن صاحب الوضوء :

كان أبوه على ميضأة المدينة ، وشهر بغنائه أغنية :

ارفع ضعيفك لا يحرْبك ضعفه يوماً فتدركه العواقب قد نما

قال أبو مسلمة : قدم علينا ابن صاحب الوضوء فغنى « ارفع ضعيفك » فمررت **بعبد الله بن عامر الأسلمي** وكان يؤمنا وهو قائم يصلي الظهر ، فحكيت له القصة ، فأشار إلى أن أجلس ، فلما قضى صلاته قال لي : أخذت هذه الأغنية عنه ، قلت : نعم ، قال : فأسمعني ففعلت ، فلما كان بالليل صلى بنا فأداه في المحراب .



أبو النضير :

مولى بني جمح ، شاعر من شعراء البصريين صالح المذهب وليس من المعدودين في الغناء ، وكان يزعم أن الغناء على تقطيع العروض ، ويعارضه إبراهيم الموصلي في ذلك قائلاً : **إن العروض محدث والغناء كان قبله بزمان** . ومن أشهر أغاني أبي النضير :

أيصحـو فـؤادك أم يَـطْرَبُ
وكيف وقـد شـحطت زينـبُ
جـرى النـاس قبـل أبي جعفـر
زماناً فلـم يُـدْرَ مـن غَلَّبـوا
فلما جـرى بـأبي جعفـر
بنـو تغلـب سـبقت تغلـبُ



طوَيس :

هو **أول من غنى الهزج والرمل** ، ولما تولى **أبان بن عثمان** إمرة الحجاز أقبل حتى إذا دنا من المدينة تلقاه أهلها **ومعهم طويس** ، وسلم طويس ، وقال : أيها الأمير ، إني كنت أعطيت الله عهداً أن أضرب بالدف بين يديك ، ثم غناه بشعر ذي جدن الحميري :

ما بال أهلك يـا ربـابُ خُـزْراً كأنَّهُمُ غِضَـابُ

فطرب أبان حتى كاد أن يطير [illegible] ثم قال : [illegible] الجنس ، يقولون إنك مشؤوم : قال طويس : وفوق ذلك ، ولدت ليلة قبض النبي صلى الله عليه وسلم ، وفطمت ليلة مات أبو بكر ، واحتلمت ليلة قتل عمر ، وزفت إلي أهلي ليلة قُتل عثمان ، فقال أبان : فاخرج عني عليك الدَّبارُ ، (أي الهلاك) .



علويه :

هو **علي بن عبد الله بن سيف** ، كان مغنياً حاذقاً ومؤدباً محسناً وضارباً متقدماً مع خفة روح وطيب مجالسة ، قال عنه **الخليفة الواثق : علويه أصح الناس صنعة بعد إسحاق ، وأطيب الناس صوتاً بعد مخارق ، وأضرب الناس بعد زبرب وملاحظ** ، وغناؤه مثل نقر الطسْت يبقى ساعة في السمع بعد سكوته ومن غنائه الذي شاع بين الناس :

ألا يـــا حَمـــامَيْ قصر دورانَ هجتما
بقلـبي الهـوى لَـمَّا تغنيتما ليـــا
وأبـكيتماني وَسْـط صـحبي ولم أكن
أبالي دموع العـين لـو كنـت خـاليا



الغـريض :

لُقب بالغريض لأنه كان غض الشباب حسن المنظر ، وكان يضرب بالعود وينقر بالدُّف ويوقع بالقضيب ، وأخذ الغناء عن ابن سريج الذي خشي منه أن يغلبه على الناس فطرده ونحاه عن مجلسه ، وشهر بغنائه للعرجي أبياته :

عوجي علينا رَبَّـةَ الهـودج إنـك إلا تفعلي تحـرجي

ويروون ، ولي قضاء مكة **الأوقص المخزومي** فما رأى الناس مثله عفافاً ونبلاً ، فإنه لنائم ليلة في جناح له بالبيت إذ مَرَّ مخمور يغني :

عـوجي علينـا ربة الهـودج

فأشرف عليه من مكانه قائلاً : يا هذا ، شربت حراماً ، وأيقظت نياماً ، وغنَّيت خطأ ، خذه عني ، إنه هكذا ، وأصلحه له .



فليح بن العوراء :

قال **حماد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي** ، قال لي أبي : أحذق من رأيت من المغنين أربعة ، **جَدُّك وحكم وفليح بن العوراء وسياط** ، قلت : وما بلغ من حذقهم ، كانوا يصنعون فيحسنون ويؤدون غناء غيرهم فيحسنون ، وما في هؤلاء الذين تراهم من المغنين أطبع من حكم وابن جامع ، وفليح أدرى منهما بما يخرج من رأسه . ومن أغانيه المعروفة :

أمن ذكر خـود عينـك اليـوم تـدمع
وقلبـك مشـغول بخـودك مـولعُ
وقـائلة لي يـوم وليـت مُعْـرضاً
أهـذا فـراق الحـب أم كيف تصـنعُ
فقلت كذاك الـدهر يـا خـود فـاعلمي
يفرق بـين النـاس طـراً ويجمـعُ

ابن القفاص :

من المغنين الذين ذكرهم أبو الفرج الأصفهاني ، وغنى لعمر **بن أبي ربيعة**

أبيـاته :

أحـــبُّ لحبــك مـــن لم يـــكن
صـــفياً لنفسي ولا صـــاحبا
[illegible] مثلي [illegible] لمرضاتكم
وأعتـــب مـــن جـــاءكم عـــاتبا
وأرغـــب في وُدّ مـــن لم أكن
إلى وُدّه قبلـــكم راغبـــا



أبو كـامل :

اسمه **الغزيل** ، وهو مولى **الوليد بن يزيد الأموي** ، وكان مغنياً محسناً وطيِّباً مضحكاً ، غنى الوليد بن يزيد ذات يوم أغنيته :

نـــام مـــن كان خَليـــاً مـــن ألَمْ
وبـــداني بـــتُّ ليلي لم أنَمْ
أرقـــب الصُّـــبح كأني مُسْـــنَدٌ
في أكف القـــوم تغشـــاني الظُّلَمْ

فطرب الوليد وخلع عليه قلنسوة وشي مُذهَّبة كانت على رأسه ، فكان [illegible] كلما يصونها ولا يلبسها إلا من عيد إلى عيد ويمسحها بكمه ويرفعها ويبكي قـائلاً : إنمـا أرفعها لأني أجد منها ريح سيدي (يعني الوليد) .



مَعْبَدُ المدني :

كان معبد من أحسن الناس غناءً ، وهو فحل المغنين وأبـرز أهـل المدينـة في الغناء ، قدم مكة فقيل له إن **ابن صفوان** قد قرر للمغنين جائزة فأتى بابه وطلب الدخول فمُنِعَ ، فعاتب الحاجب . فدنا [illegible] من الباب فغنّى صوتاً فسمح له ، فدنا وغنى ، أغنيته المشهورة :

القصر فـــالنخل فـــالجماء بينهما   أشهى إلى النفس من أبواب جيرون

فصاح من بالداخل : هذا معبد ، افتحوا له ، ودخل وأخذ الجائزة .



النُّصْبيُّ :

أحمد بن أسامة ، أول من غنى **النصب** ، وهو ضرب مـن الغنـاء أرق مـن الحداء ، وكان يغني **بالطنبور** ، ومن غرر أغانيه **لأعشى همدان** :

يـــا أيها القلـــب المطيـــع الهـــوى
أنّى اعـــتراك الـــطرب النـــازح
تذكر جُمـــلاً فـــإذا مـــا نـــأت
طـــار شـــعاعاً قلبـــك الـــطامح

وكان النصبي مواخياً لأعشى همدان مواصلاً له ، وأكثر غنائه في أشـعار أعشى ، وادعى جحظة في كتاب الطنبوريين ، أن النصبي كان بخيلاً مرابياً وأنه بلع فـالوذجة حارة فجمعت أحشاءه فمات ، ويرفض أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني كل مـا ورد على لسان جحظة واتهمه بالكذب ، والحقد على أهل صنعته ، ثم ذكر الحقيقة عن الثقات من أهل **الكوفة** والعلم بأخبار النـاس ، عفـا الله عـن جحـظة ، فأصحاب الصنعة الواحدة دائماً في تحاسد وتباغض .



هاشم بن سليمان :

مولى بني أمية ، وكان **موسى الهادي** أخو الرشيد يتحمس له جداً ، قـال لـه يوماً يا هاشم غنني :

[illegible] قـد هيّجت لي أوجـاعا
وتـركتني عبـداً [illegible] مـطواعا
بحديثك الحســـن الـــذي لـــو كُلِّمـــتْ
وَحْشُ الفـــلاة بـــه لجـــئن سراعـــا

فإن أصبت مرادي فيه فَلَكَ حاجة مقضية ، وكان بين يديه كانون ضخم عليه فحم ، فأصاب هاشم الأداء ، فقال موسى : سل حاجتك ، فقال هاشم : تأمر أن يُمْلأ هذا الكانون دراهم ، فقال موسى : يا نـاقص الهمة ، والله لـو سـألتني أن أملأه دنانير لفعلت .



الوليد بن يزيد :

من الخلفاء الأمويين اشْتُهر بالغناء ، وقد كان يضرب **بالعود** ويـوقع **بـالطبل** ويمشي **بالدف** على مذهب أهل **الحجاز** ، وكان **خالد صامة** المغني يـوماً عنده يغنيه أغنية :

أراني الله يـــا سلمى حيـــاتي

فقال : هات العود ، فدفعه إليه ، فغناه أحسن غنـاء ، ودعـا خـالد بـطبل فجعل يوقع عليه ، فأخذ منه الوليد الطبل وجعل يوقع أحسن إيقاع ، ثم دعا خـالد بدف فأخذه منه الوليد بعد هنيهة وظل يمشي به مـدففاً يغني أهـزاج طـويس ، ثم جلس منبهراً فقال خالد : يا سيدي ، كنت أرى أنك تأخذ عنا ، ونحن الآن نحتاج إلى الأخذ عنك ، فقال الوليد : اسكت ويلك ، فوالله لئن سمع هذا منك أحد مـا دمتُ حياً لأقتلنك ، فكتمها خالد إلى أن مات الوليد .



يـزيـد حوراء :

من طبقة ابن جامع والموصلي ، وكان قدم على المهدي وهو صاحب أغنية :

ولقـــد تنســـمت الـــرياح حـــاجتي
فـــإذا لهـــا في راحتيـــك نســـيم
أشربـــت نفسي مـــن رجـــائك مـــاله
عَنَـــقٌ يخـــب إليـــك بي ورســـيم

[illegible]

وهذه الأبيات **لأبي العتاهية** ، توسل بهـا إلى **المهـدي** في أمـر **عتبـة** صديقته ، فلما غناها يزيد للمهدي قال : عليّ بعتبة ، فأحضرت ، فقال : إن أبـا العتاهية كلمني فيك فما تقولين ، فقالت : قـد علـم أمير المؤمنين مـا أوجب الله عليّ مـن حق مولاتي وأريد أن أذكرها هـذا ، قـال : فـافعلي . وعـاود أبو العتاهية بـأبيات غناها يـزيد فـأحضر المهـدي عُتبة ، وقـال : مـا صنعت ؟ ، قـالت : ذكـرت ذلك لمولاتي فكـرهته وأبتـه ، فـليفعل أمير المؤمنـين مـا يريـد ، فقـال : مـا كنت لأفعـل شيئاً تكـرهه .

مناقشات

و تعليقات

الجالية المسلمة في استراليا

الواقع أن وجود المسلمين في استرالية يرجع إلى عام ١٨٥٠م وقبل عام ١٨٦٠ ميلادية ، عندما هاجر إليها بعض مسلمي **أفغانستان** وقد استقدمتهم حكومة **بريطانيا** للاستعانة بهم وبجمالهم على اكتشاف الفيافي الواسعة والصحارى الشاسعة واجتيازها في استرالية ، ومن أجل تعميرها أيضاً ، وبالفعل قاموا بأعمال كثيرة في وسط استرالية وأنشأوا **السكك الحديدية** ومدّوا أسلاك **الهاتف** ، وبنوا لأنفسهم **مساجد** متواضعة ، وحافظوا على التمسك بدينهم ، غير أن السلطات في استرالية ، والسياسة المتبعة في ذلك الوقت لم تسمح للأفغانيين بجلب زوجاتهم فتزوجوا من استراليات ، والأفغانيون بالأصل أناسٌ بسطاء في دينهم وبخاصّة من الناحيتين الثقافية والتربوية ، مما أدى إلى عدم تلقين أبنائهم مبادئ الإسلام كما ينبغي أن يتلقوها .

بعد الحرب العالمية الثانية

حتى تاريخ الحرب العالمية الثانية انتهت تقريباً تلك الجالية الآنفة الذكر إلى أن خلفَها في دينها وفود مؤمنة مهاجرة بإسلامها من أنحاء عديدة ، فبعضهم هاجر إلى استرالية من **ألبانية ويوغوسلافيا وتركية ومصر ولبنان والأردن وسورية ومن قبرص** ، وعدد كبير من الطلبة والتجار جاءوا من آسيا من **باكستان والهند وأندونيسية وماليزية** ، وهذه الفئة الآسيوية الأخيرة هي النواة الثانية للجالية المسلمة في استرالية .

في السنوات الأخيرة

يبلغ عدد سكان استرالية ثلاثة عشر مليوناً ، **ويبلغ عدد المسلمين منهم حوالي ربع مليون نسمة ويزيد**[١] ، ويتركز معظمهم في **ولاية ويلز الجديدة** وفيها ١٢٠ ألف مسلم منهم ٩٠ ألف مسلم في **سدني** وحدها عاصمة جنوب ويلز الجديد ، وفي **فيكتوريا** ٨٠ ألف مسلم ، وفي **مولبرن** أو **ملبورن** ٧٠ ألف مسلم معظمهم من الألبان والأتراك والقبارصة ، **كما يوجد في استرالية ثلاثون جمعية إسلامية** تزاول نشاطها في ستة عشر مسجداً وفي أربعة عشر مركزاً إسلامياً ، **وقد بني أول مسجد في استرالية سنة ١٣٠٨ هجرية في مدينة «بورث»** ثم بنيت مساجد أخرى في **«كانبره»** كما أن **رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة** قامت في أواخر سنة ١٣٩٥ هجرية ببناء **مركز إسلامي في ولاية فكتوريا** وأمدّته بخمسين ألف دولار جزاها الله خيراً .

أما عن الأطراف المعنيّة والمعوّل عليها في الإشراف على أوضاع المسلمين هناك ، فهي الجمعيات الإسلامية المتناثرة في أحياء البلاد الكبيرة ، واتحاد الولاية الذي ينظم نشاط الجمعيات التي ذكرتها آنفاً ، ثم الاتحاد الفدرالي الذي ينظم مجالس الولاية وهذا الأخير هو المسؤول الأول عن أوضاع الجالية وله نشاطات ملحوظة كان آخرها على مبلغ علمي عقد المؤتمر السنوي الحادي عشر في جامعة ملبورن والذي كان موضوعه : **«المعرفة في خدمة الإسلام»** حضره عددٌ من المفكرين المسلمين .

أمّا مدينة ملبورن فهي مركز الاتحاد العام للجمعيات الإسلامية الذي يصدر صحيفة باللغة الإنكليزية اسمها **«المنارة الاسترالية»** كما أنَّ فرع الاتحاد في **«كوينزلاند»** يصدر صحيفة شهرية اسمها **«الهلال»** وقد شكل الاتحاد **جمعية تجارية** سنة ١٣٨٨ هجرية اسمها **«شركة الهلال التجارية الاسترالية»** ويستطيع أي مسلم من استرالية أن يساهم فيها ، وهدفها إعداد اللحوم التي يحلُّ للمسلمين أكلها وذلك للاستهلاك المحلّي ، وتصدير الباقي إلى الأمصار الإسلامية[٢] .

الصعوبات التي يواجهها مسلمو استرالية

١ ـ **في مجال الاقتصاد** : يواجه المسلمون هناك ضعفاً في الإمكانات المادية ، كما ورد في حديث أدلى به **لإذاعة المملكة العربية السعودية** الأستاذ **المهندس محمد أحمد حسن** نائب رئيس الاتحاد الفدرالي للمجالس الإسلامية وأستاذ الهندسة الإلكترونية في جامعة ولاية فكتوريا في استرالية ـ حتى إن الحكومة الاسترالية نفسها تعاني مشكلات اقتصادية لا حدود لها لوجود نسبة كبيرة من العاطلين عن العمل مما دفعها إلى تضييق مجال الهجرة إلى استرالية من الخارج ، فظاهرة الفقر موجودة عند الجالية خصوصاً عند العمال الأتراك من ذوي الدخل المحدود الذين يعملون في المصانع ، ومن الجدير بالذكر أنه **توجد نسبة لا بأس بها من المسلمين من أساتذة الجامعات في استرالية ، وهناك من يشغل منصب مستشار في الحكومة** ، كما أن كثيراً منهم **أطباء ومهندسون** لا سيما من الذين وفدوا من آسيا .

٢ ـ **في مجال الثقافة** : يعاني الكثير وبشكلٍ خاص الذين هاجروا من تركية والعاملين في مضمار الصناعة من ضعف ملحوظ في ثقافتهم الإسلامية مع أنّ الحاجة تدعو إلى التزود من مناهلها إذ كثيراً ما يتعرضون لأسئلة المواطنين الذين ملّوا دياناتهم القديمة ، لذلك يعمد الاتحاد الفدرالي للمجالس الإسلامية هناك إلى الاهتمام بالجيل الجديد الذي هو بمشيئة الله تعالى ، مستقبل الإسلام في استرالية ، وهو يسعى الآن إلى إنشاء مدارس لتعليم أبناء المسلمين ، ونظراً لأن جنسياتهم مختلفة . ففي تقرير لوزير الهجرة في وزارة العمال السابق في

مناقشات وتعليقات

استرالية الذي أصدره سنة ١٩٧٥ ميلادية ، وفي إحصائيته عن **مسلمي سدني** أن عددهم يزيد على الثمانين ألفاً ، فمن تركية ثمانية عشر ألفاً ، ومن قبرص ثلاثة آلاف ، ومن ألبانية خمسة آلاف ، ومن العراق وسورية والأردن وفلسطين عشرة آلاف مسلم ، ومن لبنان ثمانية وعشرون ألفاً ، فلم يجد الاتحاد أسلوباً لجمعهم وتآلفهم إلا عن طريق مراكز التعليم فبدأ بإنشاء مدارس للأطفال والشباب ومعسكرات للشباب لتدريبهم على القيادات المسلمة ، وليتعرفوا على بعضهم بعضاً ، ولئلا يذهبوا إلى معسكرات غير إسلامية .

وعلى مستوى المسلمين العام وفي مجال الأكاديمية الإسلامية فقد حصل الاتحاد الفدرالي على قطعة أرض من حكومة استرالية من أجل بناء يدرّبُ فيه الأئمة والدعاة ويُلقون دروساً في الثقافة الإسلامية واللغة العربية . كما حدث لقاء بين الاتحاد وبين وزارة التعليم الاسترالية من أجل تصحيح المفاهيم المغلوطة التي دسّت على الإسلام .

٣ــ **في مجال الاجتماع والسلوك** : الواقع المؤلم عند الجالية هو وجود ظاهرة ضعف الالتزام بهذا الإسلام العظيم وعدم تكييفهم له مع نظم الحياة الاجتماعية في استرالية ، وهذا يرجع إلى الضعف الداخلي في كيان المسلم في استرالية ، ولو ضحّى بهواه قليلاً لكانت المعادلة غير ما هي عليه الآن ، كما أنّ واجب الدعوة إلى الإسلام بحاجة إلى زيادة همّة ونشاط ، وهذا يكمل بنشاط الحكومات الإسلامية التي إن وعت القضية وتفهمت الأوضاع لهمّت ببعث وفود من أجل الدعوة وباستمرار مع ملاحظة وجود الدعم المادي .

وأخيراً فالمسلمون في استرالية يناشدون الأطراف المعنية بمؤازرتهم لعل راية الإسلام ترفرف على ربوع استرالية وما ذلك على الله بعزيز وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين .

موفق شيخ
ادلب ــ سورية

الهوامش

(١) حسب إحصائية للدكتور عبد الله الزايد ، مدير المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالرياض حالياً ، وعضو وفد بعثة دار البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية إلى أقيانوسية .

(٢) « المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية » للأستاذ محمود شاكر ، ص ١٦٩ والتي بعدها .

بلاد خيبر

لي على العدد الخامس عشر رمضان المبارك ١٣٩٨ هـ ، ملاحظات ، وأظن أنها غلطات مطبعية ، هي في الخارطة المنشورة على صفحة (٣١) لموقع بلاد خيبر الجنوب بقلم : د . **أحمد عبد القادر المهندس** في قوله : ومعظم أهل منطقة خيبر من قبيلة شهران من فرعين هما كرد وبني واهب ، **والصحيح «كود» لا كرد أي أنها تكتب بالواو** وليست بالراء .

يحيى بن علي عكور
بيشة ــ السعودية

حديث أكرموا عمتكم النخلة

لا أريد أن أكتب كلمات ثناء على مجلتكم ، فالثناء والكلمات مهما كانت لن تصل إلى الحد الذي أريده ، ويكفي الثناء سعة الانتشار . . ولي ملاحظة أود ذكرها وأرجو نشرها ـ إن كانت تستحق ـ حول العدد الخامس ـ السنة الأولى ، وخاصة الموضوع الخاص حول « **النخيل** » .

فلقد تصدر الموضوع الخاص حديث نسبتموه إلى **الرسول صلى الله عليه وآله وسلم** : « أكرموا عمتكم النخلة ، فإنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم عليه السلام » ص ٩١ ، وتكرر الحديث ص ٩٤ .

فأنقل إليكم ما كتبه فضيلة الشيخ المحدث **محمد ناصر الدين الألباني** حول هذا الحديث الذي ورد : « أحسنوا إلى عمتكم النخلة ، فإن الله تعالى خلق آدم ففضل من طينتها فخلق منها النخلة » ، فقد قال فضيلته ـ وأنا أختصر هنا ـ رواه **ابن الجوزي** في الموضوعات وقبله **ابن عدي** (٢/٥٧) **والباطرقاني** (٢/١٥٧) ، وقال ابن عدي : « **هذا الحديث موضوع ولا شك أن جعفر وضعه** » .

وقد أقره **الحافظ ابن حجر بن الجوزي** . . نقلاً من كتاب سلسلة الأحاديث الضعيفة ، المجلد الأول ص ٢٨٢ ، رقم الحديث ٢٦١ .

وورد برواية ثانية : « أكرموا عمتكم النخلة ، فإنها خلقت من فضلة طينة أبيكم آدم . . » ، جزء من حديث رقم ٢٦٣ من نفس المرجع السابق .

وعلق فضيلته ، بأنه موضوع وقال أخرجه **العقيلي** في الضعفاء (٤٣٠) وابن عدي (١/٣٣٠) **والباغندي وابن عساكر وأبو نعيم** في الطب والحلية .

وقد علق فضيلة ـ المحدث محمد ناصر الدين ـ تعليقاً كافياً شافياً حول الحديث والعودة إلى المرجع المذكور فيها فائدة .

هذا ما أردت أن أكتبه لكم .

عبد الفتاح محمود الحسين
المدرس بمدرسة
زين العابدين بالقطيف



● **الأخ نصير علي سعيد – سلمية – سورية**

المجلة لا تؤمن بشهرة الكاتب فحسب وإنما تؤمن بالجودة. والعمل الجيد دائماً يفرض نفسه، فإذا وصل شعرك إلى المستوى المناسب فلن نتردد في النشر. مع تمنياتنا لك بالتوفيق.

● **الأخ جمال محمد علوي – حلب – سورية**

للحصول على ما طلبت بإمكانك الرجوع إلى مجموعة من الكتب الموجودة في المكتبات والتي تبحث في الموضوع الذي تريده. والإجابة المقتضبة في المجلة لا تفي مثل هذا الموضوع حقه.

● **الأخ محمد بنكة – حماة – سورية**

سوف نعمل على تحقيق اقتراحك الأول من بداية السنة الرابعة للمجلة إن شاء الله، أما اقتراحك الثاني فستجد الإجابة عليه إذا رجعت لأعدادنا السابقة من المجلة.

● **الأخ ربيع الألفي – بور سعيد – مصر**

اقتراحك له قيمته، وهناك مجموعة من الاقتراحات لأبواب أخرى، ونحن نحاول أن نقدم ما يمكن تقديمه في حدود إمكاناتنا وظروفنا، واستعداداتنا. نسأل الله أن يوفقنا لتقديم ما فيه المنفعة والفائدة لقراء المجلة.. ولك شكرنا وتقديرنا.

● **الأخت سلمى حسين – المغرب**

المجلة لا تألو جهداً في الاهتمام بجميع الموضوعات سواء كانت أدبية أو علمية، وفكرتك عن المسابقات جيدة، نأمل أن نوفق في تنفيذها، فنحن نسعى دائماً إلى خدمة قرائنا الأعزاء وجميع أصدقاء المجلة.

● **الأخ عقيل المرعي – سورية**

سامحك الله فيما قلت. أما الإعلانات فهي عنصر ضروري للصحافة المعاصرة، ونعتقد أن ما أشرت إليه لا يعطيك الحق في الاتهام.

● **الأخ سهيل محمد – دمشق – سورية**

نشكرك على مشاعرك الطيبة ونأسف لعدم وجود نسخ لدينا من الكتاب الذي طلبته، وليس لدينا أيضاً عنوان دار النشر التي أصدرته.

● **الأخ سيف الدين أشقر – اللاذقية – سورية**

نشكر لك مساهمتك ونعتذر عن نشر القصيدة، مع تمنياتنا لك بالتوفيق.

● **الأخ رضا محمد فتحي السيد – القليوبية – مصر**

بعض القراء يقولون إننا نهتم بالمواضيع الأدبية أكثر من العلمية والبعض الآخر يرون العكس، والمجلة لا تبخل بنشر الموضوعات المتعلقة بالناحيتين إذا كان ذلك في مستوى النشر. أما ما لاحظته عن الحركة الثقافية فإن ذلك يعود لرسائل مندوبي المجلة، ونأمل أن يتلافوا ذلك مستقبلاً.. مع شكرنا لمتابعتك ما تنشره المجلة.

● **الأخ محمد علي حسين يماني – مكة المكرمة – السعودية**

اقتراحك موجود في كثير من المجلات والصحف ونحن لا نحب التقليد.

● **الأخ مجد الدين مدرس – حلب – سورية**

نشكرك ونعتذر عن نشر القصيدة. تمنياتنا لك بالتوفيق مع تحياتنا.

● **الأخ موسى قارئ سيد – المدينة المنورة – السعودية**

المجلة ترحب بكل إنتاج جيد ولا تبخل بنشره على صفحاتها.

● **الأخ مأمون صافيا – سورية**

مع تحياتنا نعتذر عن نشر قصيدتك ونتمنى لك كل التوفيق.

● **الأخ عبد الوهاب أطرش – حلب – سورية**

نحن نحاول دائماً أن يكون لكل فرع من فروع المعرفة في المجلة نصيب، ومع تقديرنا لما أبديته في رسالتك فإننا نود أن نلفت انتباهك إلى أن العدد الذي أشرت إليه يحتوي على مواضيع علمية منها: النوم والأرق والمنومات، من تاريخ التصوير الفوتوغرافي، المبيدات وأثرها في الأرض وما عليها. ونشكر لك حرصك واهتمامك بالمجلة، مع تمنياتنا لك بالتوفيق.

● **الأخ موهدي نور الدين – سلا – المغرب**

شكراً لك على مشاعرك الطيبة نحو المجلة، ونأسف لعدم تمكننا من نشر قصتك. تحياتنا.

● **الأخ فاضل محسن عبد علي – كربلاء – العراق**

تستطيع أن تجد في كتب مختلفة كل ما تريده عن الفلسفة الإسلامية، وبإمكانك زيارة المكتبات المتخصصة في كتب التراث في العراق ومنها: مكتبة «المثنى» في بغداد فربما وجدت ما تبحث عنه.

● **الأخ محمد عبد المجيد – حلب – الباب – سورية**

نشكرك على بطاقة التهنئة سائلين الله أن يعيده على الأمة الإسلامية بالخير والبركات وشكراً.

● **الأخوان (عمار شقير – حلب – سورية) (خالد إبراهيم شهابي – دمشق – سورية)**

بإمكانكما الرجوع إلى الأعداد السابقة من المجلة لتجدا الرد على اقتراحات مشابهة لاقتراحاتكما، ولكما تحياتنا.

● **الأخ آدم إدريس آدم الأرتيري – القاهرة – مصر**

نشكرك على تهنئتك ومشاعرك الطيبة، وسوف نسعى للكتابة عن ما أشرت إليه في رسالتك عندما تسمح الظروف العامة بذلك. ولك تحياتنا.

● **الأخ عدنان نعال – سورية**

ونحن هنا في «المجلة» لا نملك إلا أن نشكرك على شعورك الرقيق وتمنياتك الطيبة متمنين التوفيق للجميع.

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

ا ـ الجائزة الأولى ٣٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ٢٠٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ١٥٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية أخرى قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي)

٢ـ المطلوب الاجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحا عليها الاسم ثلاثيا أو رباعيا ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ـ ترسل الاجابات على العنوان التالي :

(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب . (٣) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوما من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن أغلب أسئلة المسابقة سوف يجدها القارىء في ثنايا المواضيع المنشورة فيها .

٦ـ من حق القارىء أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .



السؤال الأول :

مَنْ أول من أوجد نظام البريد في التاريخ الإسلامي ؟

السؤال الثاني :

المعروف عن الغواصة أنها تعوم ، وتغوص .. حسب أي قانون يتحدد عومها وغوصها : قانون ديكارت ، أم قانون أرخميدس ، أم قانون لافوازييه ؟

السؤال الثالث :

نهر الدانوب الشهير يجري في عدد من مدن دول مختلفة ، أذكر أسماء خمس من هذه المدن في خمس دول مختلفة .

السؤال الرابع :

« المكحّل » لقب كان يطلق على أي طبيب يختص بعلاج جزء من جسم الإنسان ، هل هو طبيب العظام .. أم العين .. أم الباطنية .. أم الأنف والحنجرة ؟

السؤال الخامس :

أذكر أسماء قادة المعارك التالية :

الزلاقة ـ عين جالوت ـ حطين ـ الجسر ـ البويب .

السؤال السادس :

أذكر اسم أول طبيب عربي فتت الحصى في المثانة .

السؤال السابع :

ماذا كان يدعى رئيس الوزراء أيام العرب في الأندلس ؟

السؤال الثامن :

في أية سورة من القرآن الكريم وردت كلمة وزير ؟

السؤال التاسع :

أذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية :

امتاع الأسماع ـ نفح الطيب ـ النجوم الزاهرة ـ بغية الوعاة فى طبقات النحويين والنحاة .

السؤال العاشر :

لتطعيم النبات عدة طرق أو أشكال ، أذكر خمساً من هذه الطرق .

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل العدد ٣٢	الاسم : -------------------------------- المهنة : -------------------------------- العنوان : -------------------------------- --------------------------------

• نتائج مسابقة العدد الخامس والعشرين •

●● من سورية ــ دمشق ــ جامعة دمشق كلية الآداب قسم التاريخ ، فازت الأخت **صالحة شهاب صالح بالجائزة الأولى** وقيمتها (٣٠٠٠) ريال سعودي .

●● من الرياض ــ جامعة الرياض كلية التربية قسم الكيمياء ، فاز الأخ **محمد السماني الحسن محمد بالجائزة الثانية** وقيمتها (٢٠٠٠) ريال سعودي .

●● من العراق ــ البصرة ــ عشاد ــ محلة التميمية رقم الدار ٥٣/١٩١ دور الشركة مسكن عبد الجبار علي ، فازت الأخت **ميسم عبد الجبار علي بالجائزة الثالثة** وقيمتها (١٥٠٠) ريال سعودي .

●● بالإضافة إلى سبع جوائز قيمة كل جائزة خمسمائة ريال سعودي ، فاز بها كل من الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

١ ــ الأخ **سهيل السلامي** ، ١٥٥ نهج المنجي سليم ، صفاقس ــ **تونس** .

٢ ــ الأخ **عواد سالم عبد الله** ، الجامعة الأردنية كلية الآداب قسم اللغة العربية وآدابها ، عمان ــ **الأردن** .

٣ ــ الأخ **فتحي عوض الزواهري** ، **سورية** حماة ــ مخيم الفلسطينيين مدرسة سمخ التابعة لوكالة الغوث ــ بواسطة المعلم صبحبة .

٤ ــ الأخ **محمد البشواري** ، ص . ب ٤٥ سلا ــ **المغرب** .

٥ ــ الأخ **عبد العزيز فؤاد محمد عفيفي** ، ١٩ شارع ابن مطروح شبرا ــ **القاهرة** .

٦ ــ الأخت **لؤلؤة صالح العلي** ، **مكة المكرمة** ، الزاهر قسم الطالبات جامعة الملك عبد العزيز .

٧ ــ الأخ **محمد صالح إسحاق حامد** ، جامعة الخرطوم ، كلية الاقتصاد ــ **السودان** .

• أجوبة مسابقة العدد الخامس والعشرين •

ج ١ « والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » قائل هذه العبارة هو **النبي محمد** ﷺ وذلك رداً على **عمه أبي طالب** الذي عرض عليه المال والملك والسيادة ، لكنه امتنع وقال هذا القول المشهور .

ج ٢ **الاشعاعات الناتجة عن الانفجار الذري هي** : أشعة الفا ، وبيتا ، وجاما ونيترون ، وأشدها خطراً على الكائنات الحية أشعة جاما !!

ج ٣ أصحاب أسماء الألقاب الآتية هم :
أسد الله : حمزة بن عبد المطلب ، **سيف الله** : خالد بن الوليد ، **الفاروق** : عمر بن الخطاب ، **الصديق** : أبو بكر ابن قحافة .

ج ٤ حشرة وصفها أحد الأطباء بأنها « **صيدلانية مجنحة** » هي **النحلة** وفائدتها في العسل الذي تنتجه فهو غذاء ودواء .

ج ٥ **أثر البرودة على كل من الماء والزئبق** هو أن الماء يتمدد بالبرودة والزئبق ينكمش بها .

ج ٦ أول قبة أقيمت في العمارة الإسلامية هي **قبة الصخرة** في مدينة **القدس** ، وذلك في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان .

ج ٧ الهدية التي قدمها الخليفة **هارون الرشيد** إلى **شارلمان** هي ساعة مائية .

ج ٨ **بئر الخاتم** بالمدينة المنورة بالقرب من مسجد قباء ، وسميت بذلك لسقوط خاتم **النبي** ﷺ من عثمان بن عفان بها ولم يعثر عليه حتى اليوم .

ج ٩ الكرة الأرضية كوكب .

ج ١٠ أسماء مؤلفي الكتب الآتية هم :
المزهر : لجلال الدين السيوطي ، **رياض الصالحين** : ليحيى بن شرف النووي ، **معاني الحروف** : لأبي حسن السرجاني .

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

All Correspondence To:
Riyadh-Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine
P.O.Box 3
Tel.: 4641968



مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

المراسلات
الرياض - المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل
ص.ب (٣)
هاتف ٤٦٤١٩٦٨



EUROPE – AMERICA – ASIA

Country	Currency	Price
Belgium	BF	100
Denmark	DKR	15
Finland	FMK	15
France	FF	10
F. R. G.	DM	7
Greece	DR	100
Italy	L	2000
Netherlands	DFL	7.5
Norway	NKR	15
Pakistan	RS[illegible]	10[illegible]
Portugal	ESQ	80
Spain	PTS	100
Sweden	SKR	15
Switzerland	SF	7
United Kingdom	£	1.25
U. S. A.	$	2.50



أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

البلد	السعر
المملكة العربية السعودية	٦ ريالات
الكويت	٣٠٠ فلس
الامارات العربية المتحدة	٥ دراهم
قطر	٥ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
سلطنة عمان	٣٠٠ بيسة
الاردن	٢٥٠ فلساً
ج.ع. اليمنية	٣ ريالات
ج. اليمن الديمقراطية الشعبية	٤٠٠ فلس
مصر	٣٠٠ مليم
السودان	٣٠٠ مليم
المغرب	٤ دراهم
تونس	٤٠٠ مليم
الجزائر	٤ دنانير
العراق	٣٠٠ فلس
سوريا	٣٠٠ قرش
لبنان	٣٠٠ قرش
ليبيا	٤٠٠ درهم

● **أسعار الاشتراكات السنوية :**
للأفراد ١٠٠ ريال سعودي
لغير الأفراد ٢٠٠ ريال سعودي
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription : S.R. 100

Others : S.R. 200

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

مطابع شركة الطباعة العربية السعودية العمارية ، الرياض